وزارة الاعلام
الهيئة العامة للاستعلامات
كتب مترجمة
٧٢٢

EDWARD R.F. SHEEHAN

The Arabs, Israelis, and Kissinger

A SECRET HISTORY OF AMERICAN DIPLOMACY IN THE MIDDLE EAST

العرب والإسرائيليون وكيسنجر

بقلم: ادوارد ر.ف. شيهان

وزارة الاعلام
الهيئة العامة للاستعلامات
كتب مترجمة
٧٢٢

العرب والإسرائيليون وكيسنجر

بقلم: ادوارد ر. ف. شيهان

مقدمة المؤلف

وصفت « مجلة نيوزويك » فى مقال مطول لها تناول أجزاء من هذا الكتاب الذى تم نشره بالفعل – مفاوضات « هنرى كيسنجر » فى الشرق الأوسط بأنها واحدة من أكثر قصص البطولة غرابة فى المجال الدبلوماسى فى العصر الحديث « ولولا أنى أوافق المجلة على ذلك لما أقدمت قط على تأليف هذا الكتاب ·

لقد كان هدفى عندما شرعت فى تنفيذ المشروع فى أوائل عام ١٩٧٥ أن أكتب واحدة من أكثر الروايات التى نشرت فى العصر الحاضر عن دبلوماسية الدكتور كيسنجر فى الشرق الاوسط شمولا وقراءة · واننى بحكم عملى صحفيا ، وباختيارى روائيا وكاتبا مسرحيا ، ولست منعلماء السياسة وقد تجنبت الدخول فى الاتفاقيات والمعاهدات الأدبية ذات الواقع السياسى · وكان هدفى أن أقدم سردا منصفا للواقع التاريخى ، أن أملأ صفحاتى أيضا بشخصيات واقعية – الدكتور كيسنجر ، أنور السادات ، جولدا مائير ، الملك فيصل وغيرهم من الشخصيات البارزة فى الشرق الاوسط ·

ولابد من أن آخرين سيقومون بتقييم ما ينطوى عليه عملى هذا من قيمة أدبية ، بيد أننى على ثقة من أنهم لن يرفعوا أصواتهم بالشكوى من المجال الذى يقع فى نطاقه هذا المقال · لقد حاولت أن أسير بالقارىء من بداية تورط الدكتور « كيسنجر » فى الشرق الأوسط ، عبر حرب أكتوبر ١٩٧٣ ومؤتمر جنيف ومفاوضات فك الاشتباك فى شبه جزيرة سيناء ومرتفعات الجولان ، وكذا عبر الظروف التى مر بها فى « واشنطن » حتى ربيع عام ١٩٧٦ · ويتضمن الكتاب قدرا كبيرا من المعلومات الجديدة المتعلقة بالمفاوضات مع العرب والاسرائيليين · وفى نهاية الكتاب قمت بتقديم عدد من الملاحق التى تشتمل على الوثائق الهامة عن الشرق الأسط – وقرارات الأمم المتحدة ، والبيانات المتعلقة بالسياسة الأمريكية ، ونصوص الاتفاقيات التى تفاوض الدكتور « كيسنجر » بشأنها ، وبعض المذكرات السرية ، وخرائط خاصة بالشرق الأوسط ومعلومات أخرى جديدة ·

وقد بدأ الجدل يثار حول هذا الكتاب منذ اللحظة التى ظهرت فيها أجزاؤه الاولى فى مجلة « فورن بوليس » – السياسة الخارجية – فى أواخر فبراير عام ١٩٧٦ · فقد أعلن دكتور كيسنجر أنه «صعق » عندما رأى محادثاته مع رؤساء الدول الأجنبية ، وقد طبعت وعرضت للبيع فى المكتبات وقد ظلت الثورة عارمة فى وزارة الخارجية وفى الصحافة عدة أسابيع وقد رفضت فى البداية أن أجرى أى نقاش حول أى مصدر من مصادر معلوماتى ، وعندما قامت وزارة الخارجية فى مؤتمر صحفى رسمى باعتبارها واحدة من مصادر معلوماتى ، وجدت أنه لم يعد لزاما على أن أظل صامتا حول الدور الذى لعبته وزارة الخارجية فى بحثى هذا ·

ففى شهر أبريل عام ١٩٧٥ كتبت مذكرة الى « الفريد ل · أثرتون » مساعد وزير الخارجية أطلب فيها المساعدة من « الدكتور كيسنجر » فى مشروعى · وأدركت أننى لن أتمكن من تحقيق غرضى الا اذا قابلت « الدكتور كيسنجر » وغيره من المصادر الرئيسية فى أمريكا وفىالشرق الاوسط · وقد وافق « الدكتور كيسنجر » على طلبى وفوض مساعد وزير الخارجية « آثرتون » بابلاغى بذلك · بيد أن طابع التفويض ، الذى منح لمساعد وزير الخارجية على وجه التحديد لم

يبلغ الى علي الاطلاق • وخلال قيامي باعداد البحث ، تحدثت مع « الدكتور كيسنجر » في عدة مناسبات في حضور آخرين ، وكانت لى معه مقابلة خاصة في أواخر عام ١٩٧٥ ولم يحدث في أي من هذه المحادثات أن تبادلنا الرأى حول أية وثائق وقد أبلغني « مستر أثرتون » ونائبه « هارولد سوندرز » ــ على مدى عدة شهور وفي عشرين مناسبة على الأقل بما حوته المحاضر السرية • ولكن لم يحدث أن اطلعت على أية وثائق سرية ، وانما قمت بأخذ مذكرات وافية ودقيقة بينما كانت مادة المحادثات تتلى على وكنت أعتقد ــ اللهم الا في بعض بنود معينة كان يجرى حظرها ــ أن لى حرية استخدام المادة المعطاة لى ، وأنها ليست مجرد « خلفية » •

وعندما نشرت المادة ، كان رد فعل « ذكتور كيسنجر » عنيفا • وكان قد قام قبل ذلك بعدة أسابيع باستنكار احدى لجان الكونجرس الأمريكي لقيامها « بتسريب » وثائق خاصة بالمخابرات ويبدو أن ظهور مقالي بعد ذلك بوقت قصير قد انطوى على معنى مزدوج وقد وصفت بعض المطبوعات رد فعل « الدكتور كيسنجر » لمقالي بأنه تمثيلية لا أجد مايبرر الشك في صدق مشاعره •

وبعد أن بدأ الجدل ، أحاطني « آثرتون » مساعد وزير الخارجية علما بأنه اعتمد على تقديره الخاص في تزويدي بالمعلومات التي تستند الى المحاضر السرية • وأعلنت وزارة الخارجية أنه تجاوز التعليمات الصادرة اليه من وزير الخارجية • وتم توجيه تأنيب رسمي لكل من مستر « أثرتون » و « مستر سوندرز » وقمت من جانبي بنشر بيان في الصحف أعلنت فيه رغبتي في المشاركة في المسئولية • بيد أن هذا الجزء من بياني لم تقم بنشره أية صحيفة أو مجلة ذات مكانة هامة • وأصبح « مستر آثرتون » ضحية في نظر الصحافة ، ووجه اللوم الى وزيرالخارجية ومن حسن الحظ أن كلا من « مستر آثرتون » و « مستر سوندرز » قد احتفظ بمنصبه ولم يبد أن واحدا منهما قد تعرض في مهنة لأية أضرار •

ذلك هو جوهر الموضوع ، وأرى لزاما على أن أضيف بعض الملاحظات : أن الجدل الذى أثير ، بالرغم من كونه غير منظور ، الا أنه يعتبر دليلا على صحة المحادثات التي استشهدت بها من بين ما دار من مفاوضات ولكن سيكون من الخطأ افتراض أن مقالي ــ أو هذا الكتاب ــ قد اعتمد على مصدر بعينه • وذلك أن وزارة الخارجية بالرغم من أهميتها فهى لا تمثل سوى مصدر واحد من المصادر المتعددة التي رجعت اليها في واشنطن » ، وفي الأمم المتحدة وفي « لندن » وفي « باريس » وفي « القاهرة » وفي « دمشق » وفي « عمان » وفي « الرياض » وفي « القدس » وعواصم الشرق الاوسط الاخرى • وكانت بعض هذه المصادر الاخرى مصادر أولية • كما اعتمدت أيضا على الرأى العام ، ناهيك عن خبرتي الخاصة بالشرق الأسط التي بدأت في عام ١٩٥٦ •

ومن ثم فان هذا الكتاب لا يعتبر بأى حال من الاحوال رواية « رسمية » أو « مصرحا بها » من أى من الدوائر الرسمية • ولم تطالبني وزارة الخارجية أو أية جهة أخرى بأى تعويض ، ولم أعرض بدوري دفع تعويض • واني لمعجب « بالدكتور كيسنجر » ولكنى أعتقد أنه سوف لا يوافق على الكثير مما تضمنته صفحات هذا الكتاب • ان تفسيري لما حدث لا يخص سواى ، كما أن صوت الراوى ينتمى ، في مختلف الأحوال والظروف ، لى وحدى دون غيرى •

ا • ر • ف • ش
مركز الشئون الدولية جامعة هارفارد
٥ مايو سنة ١٩٧٦

تقـــديم

حفل عيد ميلاد « الآنسة بيرجر »

خلال الأسبوع الثالث من أغسطس من صيف عام ١٩٧٥ ، وصـــل « هنرى كيسنجر » وزير خارجية الولايات المتحدة الى « تل أبيب » فى مهمتــه الكبرى الثانية عشر ، الخاصة بالشرق الأوسط • لقد جاء ليستأنف المفاوضات ـ التى لم تحقق نجاحا فى مارس الماضى ـ الخاصة بالتوصل الى اتفاقيــة مرحيــة بين اسرائيل ومصر ، والتوصل الى انسحاب اسرائيلى آخر من شبه جزيرة سيناء • وفى مطار « بن جوريون » وقـد أحاط به المســئولون الاسرائيليون والامريكيون وحرسه الخاص ، ورجال الشرطة المحليون ، ورجال التليفزيون وممثلو الصحافة العالمية وجلس الدكتور كيسنجر وأمامه الكثير من الميكروفونات وأدوات الاذاعة فأعاد الى الاذهان بقوله أنه غادر اسرائيل فى مارس « بقلب منفطر ، واحساس بأنه ما تزال هناك مأساة أخرى مرعبة مدخرة لشعب اسرائيل ، والشرق الأوسط، « واننى اذ أعود اليكم اليوم ليعترينى نفس القلق ، ولكن مع وجود أمل متجدد ، وهو أن الرغبة القوية فى السلام • ستنتصر على الاتجاهات الداعية للحرب » •

وفى الحال ، أقلت طائرات الهيليوكبتر الاسرائيلية الوزير والوفد المرافق له الى « فندق الملك داود فى القدس » وقد أعد الفندق ليكون مقرا للقيادة البريطانيــة ابان فترة الانتداب ، وهو مبنى يطل على المدينة العربية ذات الجدران القديمة • وقد ضرب حول الفندق نطاق من الحواجز الحديدية ورجال الشرطة وقوات الجيش المزودين بمدافع « أوزى » الرشــاشة ذلك أن جماعات من الاسرائيليين كانوا يعربون عن عدم رضــاهم عن الوزير عن طريق مكبرات الصــوت التى انطلقت بالهتافات التى تدوى « ارجع الى بلادك يا كيسنجر » ولقد تحول الفنــدق فى الداخل الى وزارة خارجية أمريكية مصغرة يعج بالمختزلين والمســاعدين وأجهزة التيليكس ، وخطوط التليفون الممتدة عبر القارات • ولقد حجز معظم الفنــدق لاقامة الوزير وزوجته « نانسى » و « جوزيف ج سيسكو » نائب وزير الخارجية و « الفريد » (روى) آثرتون « الصغير » مساعد وزير الخارجية ، وزوجتـــه ، و « هارولد سوندرز » نائب مساعد الوزير ، والسفير « روبرت ب • أندرسون » (المتحدث الرسمى باسم السفارة) ، و « ونستون س • لورد (مدير التخطيط والتنسيق بوزارة الخارجية) ، و « روبرت أوكلر » (من مجلس الامن القومى) ، و « بيتر رودمان » (ســكرتير الوزير) و « دافيد هوم كيترلى » (المصور الخاص للرئيس فورد) ، وأحد كبار المسئولين فى وكالة المخابرات المركزية ، والدكتور « مارتن وولف » ، الطبيب بوزارة الخارجية ، والذى يحمل معه عقاقير ســحرية و « بلازما الدم » ، لاستخدامها فيما لو اعتدى على الوزير ، واصيب بجراح •

لقد كان هذا غير محتمل ، اذ كان يقوم على حراسة « كيسنجر » ٣٥ من رجال الأمن الأمريكيــين السريين ، وحرس « بريتوريا » المخصص للرؤســاء ، والذى خصص له أيضا فى رحلته الى اسرائيل والبلاد العربيــة • وقد تولى رجال الأمن السريون ـ وقد برزت لى المسدسات على أفخاذهم لحمــاية الوزير عندما دلف الى داخل ردهة « فندق الملك داود » ، بينما أخذ كل منهم يتحدث الى زميله عبرأجهزة لاسلكية صغيرة • وقد صعد « كيسنجر » وزوجته الى جناحهما الواقع فى الدور السادس فى الفندق وهو يطل على حمام سباحة وعلى المدينــة القديمة ، وتجاوز

غرف « آثرتون » و« سيسكو » ، ومركز القيادة التابع للوزير ، ومكتب المساعد الخاص واحدى الحجرات المحجوزة ، ومركز قيادة الخدمة السرية • أما الطابق الخامس فكان به عدد من مكاتب الموظفين والسكرتارية ، وكان فى الطابق الأول غرف ، فيها المشرفون في الزوار وفيها أمتعتهم الخاصة ، واختيرت غرفة الصحافة فى الطابق الأرضي • وكان يرافق « كيسنجر على متن طائرته من « واشنطن » حوالى عشرين مراسلا وهم : « برنارد جوير تزمان » عن « النيويورك تايمز » و « مارين يرجر » عن الواشنطن بوست و « جيرولد شيكنز » عن « التايم » ، و « يروس فان فورست » عن نيوزويك ، و « ريتشارد فالرياني » عن « ن•ب•س » و « برنارد كالب » عن « س•ب•١•س » ومندوبون عن وكالات « ا•ب•س» و « ا•ب » ، و « ى•ب•١ » و « رويتر » ، وعن « شيكاغو تريبيون » ، و« ذى لوس أنجلوس تايمز » ، وكريستيان ساينس مونيتور » • وغيرها • وقد وصلت أعداد أخرى من الصحفيين على متن طائرة تجارية ، مما أدى الى تضاعف أعدادهم وكان « مالكولم تون » السفير الامريكى لدى اسرائيل يقيم هو وزوجته وحوالى أربعين أمريكيا وعدد من موظفى السفارة الامريكية يقيمون فى فندق الملك داود •

ومن ثم فقد بلغ عدد المرافقين للوزير ١٣٤ شخصا ، وذلك عدا الخدم والمسئولين والصحفيين ورجال الأمن الاسرائيليين ورجال الشرطة ، وجنود الجيش المحتشدين في الخارج كما كان هناك عدد آخر من المساعدين ورجال الحرس فى « الاسكندرية » ، و « دمشق » و « الطايف » فى انتظار وصول الدكتور كيسنجر وتلبية احتياجاته وقد اتخذ « الدكتور كيسنجر » فندق الملك داود كقاعدة له أثناء مباشرته ذلك الجزء الاخير من « دبلوماسية المكوك » ، كما كانوا يطلقون عليه وظل هذا الفندق يمثل الجهاز العصبى للمصالح العالمية لأمريكا طيلة الفترة التى قضاها « كيسنجر » فى الشرق الأوسط والتى تقدر بثلاثة عشر يوما • فقد انكبت البيروقراطية فى واشنطن لعدة أسابيع ، على عمل الاستعدادات ، مرسلة بسيل من البرقيات الى « تل أبيب » والعواصم العربية تحمل التعليمات • وأرسلت الى « تل أبيب » معدات كثيرة لاجراء الاتصالات • وتضمنت الاحتياطات أيضا ارسال سيارتين « ليموزين » لا يخترقها الرصاص ، وطائرات تابعة للسلاح الجوى لتحمل أعضاء الوفد الى شتى الجهات ، وحتى تكون احدى السيارتين تحت تصرف الوزير كلما أراد وقد بلغت نفقات هذه الرحلة حسب التقديرات عدة ملايين من الدولارات •

واكتظت ردهة « فندق الملك داود » بالصحفيين والمسئولين الاسرائيليين ــ الذين كانوا يتوقون الى نقل وجهة نظرهم الى المراسلين الأمريكيين فيما يتعلق بالمفاوضات • وقد أتيح لى أن أحتسى كؤوسا من البيرة معهم الى وقت متأخر من ليلة وصول « كيسنجر » ثم انصرفت الى غرفتى فى الطابق الرابع طلبا للنوم • ولكن المظاهرات فى الخارج حالت بينى وبين النوم طوال الليل • وفى الوقت نفسه كانت الأيدى تقوم فى صمت بوضع النشرات تحت باب غرفتى وأثناء تناولى لطعام الافطار فى الصباح ، حاولت جهدى أن أقرأ مجموعة القرارات والبيانات المكدسة التى وصلت الى من غرفة الصحافة ، وكذلك الترجمات المنقولة عن وسائل الاعلام الاسرائيلية والتعليمات (التى قدرت) أنها وردت من أحد مراكز القيادة الموجودة فى الأدوار العليا • واليك احداها على سبيل المثال •

٢١ من أغسطس ١٩٧٥

مذكرة بشأن المغادرة

١ ـ ستغادر طائرة الوزير مطار « بن جوريون » فى الساعة ١٥٠٠ من يوم الجمعة الثانى والعشرين من أغسطس ١٩٧٥ ٠

٢ ـ يجب على أعضاء الوفد الذين سيتوجهون الى المطار بوسيلة انتقال خاصة أن يكونوا على متن الطائرة الساعة ١٤٣٠ ٠

٣ ـ على أعضاء الوفد الذين لديهم أمتعة خاصة ، أن يعدوها قبل مغادرتهم للفندق لحملها معهم الى المطار ٠

٤ ـ يجب حزم الأمتعة وتركها خارج غرف الفندق في موعد أقصاه الساعة ١٠٠٠ ، ويجب تركها مفتوحة ٠

٥ ـ يجب على الأشخاص الذين وضعت أسماؤهم فى الكشف المرافق ـ الذين خصصت لهم بالهيليكوبتر/٢ ـ أن يكونوا موجودين فى ردهة الفندق فى الساعة ١٤٠٠ ، وينتقلوا سيرا على الاقدام الى ملعب كرة القدم الخاص بجمعية الشبان المسيحيين فى الساعة ١٤١٠ وسيكون الاقلاع الى مطار « بن جوريون » فى الساعة ١٤٢٠ ٠

٦ ـ الأشخاص الذين حجزت لهم الهيليكوبتر /١ ، عليهم الوصول الى مهبط الهيليكوبتر عن طريق موكب السيارات الذى سيغادر الفندق الساعة١٤٢٠، وسيكون الاقلاع الى مطار « بن جوريون » الساعة ١٤٣٠ ٠

٧ ـ ستكون « غرفة الاشراف على الزائرين » (رقم ١٢٩) مفتوحة من الساعة ٧٠٠ يوم الجمعة ٢٢ من أغسطس لاستبدال العملة ٠

أقلعنا في طريقنا الى الاسكندرية ، وكان الدكتور كيسنجر قد اجتمع بالاسرائيليين في الصباح وعليه الآن أن يقدم مقترحاتهم الى الرئيس السادات ٠ وتذكرنى مفكرتى أن نصيبى كان الهيليكوبتر رقم /٢ ٠

غادرنا « فندق الملك داود » فى الساعة ٢٠ر٢ تقريبا من بعد الظهر ، حاملين حقائبنا اليدوية ومشينا حول ملعب لكرة القدم ٠ وكانت احدى طائرات الهيليكوبتر التابعة للسلاح الجوى الاسرائيلى فى انتظارنا ، وقد رسم على ذيلها نجمة داود ٠ كانت مراوحها تدور ٠ وثمة هواء ساخن يهب منها ٠٠ وكانت خصلات شعرنا تتلاعب بها الريح الى كل مكان ، عندما كنا ندلف الى داخلها ٠ وفى داخل الطائرة اختلط الضجيج بالحرارة ٠٠ ان هذا الضجيج يصم الآذان ٠٠ ولهذا فقد تعذر علينا الحديث ٠٠ وفي طريقنا الى « تل أبيب » لم أستطع أن أشاهد الريف لأن عدد نوافذ الطائرة ضئيل وما هى غير لحظات تمضى حتى شعرت برطوبة الجو الندية ٠٠ ويبدأ الصداع يعترينى فنهضت وألقيت نظرة من خلال النافذة ٠٠٠ ولمحت بساتين البرتقال ، وعددا من الكيبوتزات وبعد حوالى عشرين دقيقة هبطنا فى مطار « بن جوريون » ٠٠ وهناك قام رجال الأمن السريون بتفتيش حقائب أيدينا الخاصة بنا ، قبل أن نصعد الى متن طائرة الدكتور « كيسنجر » ٠٠٠ كانت طائرة من طراز « بوينج ٧٠٧ ب » لونها أبيض ، نقش عليها العلم الأمريكى ، واسم الولايات المتحدة الامريكية بحروف كبيرة ، وتقودها

وحدة خطوط التموين الجوى العسكرى التاسعة والثمانون ، التابعة للسلاح الجوى الأمريكى ٠٠ هذا نموذج لأسلوب « كيسنجر » فى مزاولته لدبلوسية « المكوك » فى الشرق الأوسط ٠

صعدت سلم الطائرة ٠٠ وعلى الكرسى المخصص من الجزء الخلفى من الطائرة وهو الذى خصص للصحفيين ولرجال الأمن السريين وجدت قراطيس من الفول السودانى وأنواعا من الحلوى وقدم لى أحد المضيفين كوبا من عصير الليمون وأنا أكتب هذه الملاحظات ٠٠ يا الهى ٠٠ ان الجو هنا حار ٠٠ وثمة جلبة ٠٠ أعتقد أن « كيسنجر » قادم ، ألقيت بنظرة من خلال النافذة ، انه هو ٠٠ هناك ، يحيط به كبار مساعديه وحرس « بريتوريا » ، وعدد غير معين من المراقبين ، و « سمحا دينتز » السفير الاسرائيلى لدى واشنطن ، وكان يسير الى جانبه ، وقد بدت عليه الحيوية ٠٠ وها هى حرم « كيسنجر » برفقته وقد تشعث شعرها الأشقر بفعل الرياح ، انها ترتدى بنطلونا فضفاضا ، انها أطول من زوجها ٠

وصعد « كيسنجر » وزوجته سلم الطـائرة الأمامى الى مقصورته الخاصة ، ودخل « ونستون لورد » من خلال الباب الموجود فى المؤخرة ، وسار بخطى سريعة نحو الأمام ، فى محاذاتى ، وقد أمسك فى يده حقيبة صغيرة ٠

أقلعت بنا الطائرة فى الساعة الثالثة وعشر دقائق ، وحلقت بنا فوق البحر المتوسط ، لقد ظهر ــ الآن ــ السفير « أندرســون » ليدعو رجال الصــحافة الى المقدمة لحضور مؤتمر يعقده الوزير ٠٠ مررنا من الجزء المخصص لنا عبر مقصورة خصصت لكبار مساعدى « كيسنجر » ٠ وقد انكب « آثرتون » ، و « سوندرز » و « وأوكلى » على قراءة بعض الوثائق المتعلقة بالمفاوضات ٠٠ أما « لورد » فكان يقوم باعداد الكلمة الرئيسية التى كان كيسنجر يعتزم القاءها فى أول سبتمبر أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة ، لم يقم بالقائها ، لأن المفاوضات الراهنة حالت بينه وبين ذلك ٠٠ وقام بالقائها السفير « داتيل باتريك مونيهان » بالنيابة عنه وفى مكتبه جلس « كيسنجر » وقد ارتدى قميصا أبيض ٠٠ وقد جلس الى مائدة على شكل L غطيت بمفرش خشن ، بجانبه « سيسكو » نائب الوزير ، فى هذه المقصورة ــ ذات الجوانب الخشبية ، وضع كرسى ذو مسندين ، وظهر عال ، وجهاز تليفزيون وجهاز تليفون يمكن للوزير أن يتصل به من خلاله تحويلة البنتاجون بالرئيس « فورد » أو أى شخص فى أى مكان على ظهر البسيطة ٠

التف الصحفيون حول المنضدة الخضراء ، وأمطروا « كيسنجر » بوابل من الأسئلة التى جاءت نتيجة للشائعات التى رددتها الصحافة الاسرائيلية هل تعد الولايات المتحدة بالتدخل اذا ما تعرضت اسرائيل لتهديد من جانب « قوة عالمية » ــ أى الاتحاد السوفيتى ــ وذلك مقابل التوصــل الى هذه الاتفــاقية المرحلية ؟ أجاب كيسنجر : « اننا لا نعطى اسرائيل مثل هذا التأكيد » ولا أحمل أى رسالة من الرئيس الى « رابين » رئيس الوزراء ٠ وأن الروايات الخاصة باعطاء مئـات الطائرات من طراز « ف ١٦ » لاسرائيل تعتبر تخبطا ومسا من الجنون ، كما أننـا ليس لدينا ذلك العدد ٠ وقالت « نانسى كيسنجر » : ان هنرى يستيقظ مبكرا فى الصباح ، ويبدأ الكلام ٠ ويذهب الى السرير فى ساعة متأخرة من الليل ، وهو ما يزال يتحدث ٠ بعد أقل من ساعة كنا نحلق فوق الصحراء المصرية ، وهبطت طائرتنا فى الصحراء فى أحد المطارات العسكرية البعيدة عن الاسكندرية وركبت

الطائرة الهيليكوبتر رقم /٥ التي يقودها سلاح الطيران المصري ، ان بها عددا أكبر من النوافذ • وانني ألقى الآن نظرة على الصحراء •• أما الآن فنحن نطير فوق شبكة من الترع وبساتين المانجو المنتشرة فى « دلتا النيل » مرت نصف ساعة قبل أن تظهر الاسكندرية بشاطئها الطويل الذى ترتطم به أمواج البحر بلونه الفيروزى ، وبأسواقها وأحيائها الشعبية ، ومآذنها الرقيقة ، وقبابها المنتفخة التي تتألق تحت الشمس الشاحبة عند الأصيل ، لقد درنا حول قصر المنتزة ، بجسره الزاهي ، المقام على بحيرة قريبة من « قصر الضيافة » الموجود في المعمورة، وهو مقر « السادات » فى « الاسكندرية » والذى سيجتمع فيه مع « كيسنجر »

الذى قضى تلك الليلة فى الجانب الآخر من المدينة • لقد قام فى قصر رأس التين، الذى بناه (محمد علي) أول خديوى لمصر •• وفى هذا القصر قاعات العرش العجيبة وتحليه الاسقف المذهبة ، والشرفات الرخامية التى تحف بها حدائق تضيئها المصابيح الملونة وهي قصر مبنى على الطراز القوطي المصرى الخاص ولقد تساءلت عما اذا كان (كيسنجر) قد رأى حلما يحكى له قذارة مصر فيما وراء جدران هذا القصر •

مكثنا في الاسكندرية ليلة واحدة •• وما أن حل وقت الظهيرة حتى كنا نحلق مرة أخرى فوق البحر الابيض المتوسط ، ووجهتنا دمشق • فثمة حديث خافت يتفوه به الرئيس السورى حافظ الاسد ، ضد الاتفاقية المعلقة بين مصر واسرائيل ، عقد « كيسنجر » العزم على أن يطمئنه من جديد دعينا مرة أخرى حول المائدة الخضراء ، اذ كان المراسلون يسعون الى معرفة ما توصل اليه كيسنجر مع « أنور السادات » وقال الوزير : « لقد ناقشنا موضوع التلال الممتدة على شاطىء « سيناء » أننى أعرف أرتفاع كل تل من التلال •• اتظنونى أمزح ؟ •• وقد بدا بوضوح أنه مفتون بهذا العربى •• الذى على وشك أن يقابله •• انه حافظ الاسد الوسيم » سأبلغ الرئيس الاسد رأيى صراحة ، آنه من الغباء أن يقال لأى شخص ما يرغب فى سماعه •• أننى أحب الاسد بصدق •• أنه رجل رومانسى أننى أعطيه درسا خصوصيا في السياسات العالمية ، لقد ذكر لى قصصا عن بعض الزعماء العرب ، أنه يتوق الى عهود الفروسية فى المحادثة وفى بعض الاحيان تنقضى ساعة قبل أن أتمكن من أن أعيده مرة أخرى الى الحديث عن العمل ، انه رجل لا تنقصه العواطف على وجه التحديد •

لاحت دمشق من تحتنا ، وقد أضاءتها شمس أغسطس ساعة الظهيرة •• وقد حفت بها التلال البنية اللون وبدت قباب المساجد كلها بلونها الفضى ومكثنا فى دمشق أقل من سبع ساعات ، وعندما أذنت الشمس للغروب ، عدنا الى « تل ابيب » • وسرعان ما عاد الدكتور « كيسنجر » بقميصه الابيض الى مقصورة الصحافة •

فقد أعلن ان اجتماعه بالاسد ــ قد سار على ما يرام ، الا أنه تحدث تعليقا على نظرة التساؤل التى ارتسمت على وجهى : « كلما ازددت عصبية مع السوريين ازدادت حالتك سوء » وقال : « ان الاسد سوف لا يفعل شيئا ، بالطبع ، لا شىء ، لاسباب أعرفها ، اننى أريد شيئا يعتبر تافها بالنسبة للاسد ، انه الشىء الذى يريده والذى يدخله فى حسابه • أنه ذكى للغاية » • ثم توسع

فى سرد أشكال هذا الموضوع ٠٠ ثم حدد جوهر دبلوماسيته فى النزاع العربى ـ الاسرائيلى « أنظروا ٠٠ لعلكم تسخرون ٠٠ ان اسهامى الاكبر هو أن أشرح بوضوح لكل طرف ، موقف الطرف الآخر » ٠

هبطنا فى تل ابيب عند حلول الظلام ،وما أن نزلنا من الطائرة البوينج حتى ، ظهر السـفير « سمحا دينتز » من الظلام ووضع ذراعـه فوق كتف « سيسكو » وقال « جو ٠٠ » وسار بخطى واسعة ، يتبادلان الاسرار ٠ ولقد واجهه الدكتور « كيسنجر » ليلة المفاوضات فى تل ابيب قبل أن يتمكن من العودة الى « القدس » وينام ٠ أما بقيتنا فقد استقلت الطائرة الهليوكبتر رقم/٢ وطارت بهم فى الحال الى القدس ولقد استغرقت عملية الطيران نحو ساعة ، بسبب ما (أننى اتخيل أنه يرجع الى أسباب تتعلق بالامن) ولقد حلقنا فوق المدينة المقدسة عدة مرات ٠ وأخرجت مفكرتى وبدأت أكتب :

مالت الهيليوكبتر للمرة المائة ، أننى قريب الآن من النافذة أنها القدس تنبعث منها الانوار ، ألقيت نظـرة ٠٠ ولمحت على ما أعتقـد حديقة الجثمـانية (الحديقة التى أعتقل فيها المسيح خارج القدس) ٠٠ الجو خانق ٠٠ لقد انحرفت « الهيليـوكبتر » فجأة ، ان رأسى يتصـــدع ٠٠ اننى لم أمكث غــير يومين فى عملية « المـكوك » التى يمارسـها « كيسنجر » اننى خلافا للمراسلين ، لا توجد عندى برقيات ابعثها اليوم فعندما يكون هو مشغولا ٠٠ فانه يكون لدى الوقت للسياحة وللاستحمام فى البحر ٠ كم من العذاب يجب على « هنرى » أن يتحمله ـ أسبوع آخر ـ أسبوعين آخرين ؟ انهم يقولون أنه يستيقظ يوميا فى الساعة السادسة صباحا ويقرأ البرقيات الواردة من وزارة الخارجية ، ليرد عليها ، وليعد للمفاوضات ، أنه سيمضى طيلة الغد فى مساومة الاسرائيليين ، ثم يعود بعد ذلك الى فندق الملك داود ، لاعداد مزيد من التقارير حول الموقف ، ويقرأ ويرد على الرسائل الواردة من « واشنطن » (ثم يملى بعد ذلك برقية مطولة الى الرئيس حول تقدم المحادثات ، ثم يذهب لينام فى الساعة الثالثة صباحا ، ثم يستيقظ مع الفجر ليطير الى الاسكندرية ، أى سوء حظ يتعرض له راكبو الهيليوكبتر لفترة طويلة ٠٠ ؟ الحرارة ، الرطوبة ، صوت المروحة ، الهبوط فى الصحراء ، الرياح الساخنة ؟ أسبوعان على هذا النحو ؟ لقد عانى من ذلك أكثر من شهر خـلال مفاوضاته السورية يا الهى ٠ وجـدت تحت باب غرفتى دفعة أخرى من التعليمات .
السبت ١٣ من أغسطس ١٩٧٥

مذكـــرة

هذه لاحاطتكم علما بان رجال الصحافة مدعوون لحفلة عيد ميلاد « مفاجئة » تقام فى شقة الوزير عقب عودته هذا المساء ٠

جو فوجيل

مكتب الاستعلامات الامريكى

خلدت الى النوم فترة قصيرة وحوالى منتصف الليـــل صعدت الى الدور السادس ، وأبرزت أوراق هويتى لرجال الامن السريين ، ودخلت شقة الدكتور « كيسنجر » التى يصعب وصفها على أنها حديثة ، وقد رصت فيها فازات الورود والخدم وقد أرتدوا سترات بيضاء ــ يحملون صوانى الشيكولاته « والبيتى فور » وشمبانيا أعتقد أنها اسرائيلية ، ولقـــد وقف « سيسكو » والسفير « اندرسون » مع المراسلين حول الوزير وكانت نانسى كيسنجر قد تخلفت فى الاسكندرية كضيفة على حرم الرئيس السادات . بيد أنه كانت تجلس قباله « كيســنجر » « ماريلين بيرجر » ونجم الحفـل المراسلة الدبلوماسـية لواشنطن بوست اذ كانت المناسبة الاحتفال بعيد ميلادها .

وكان الدكتور « كيسنجر » قد وصل لتوه قادما من تل إبيب » ، وقد حضر الحفل كذلك كل من الســفير « دينتز » و « ايجال آلون » وزير الخارجية ، ووقفوا مع بقية الحاضرين يستمعون الىالوزير وهو يسأل « هل جولدا تكرهنى ؟ » قال الســفير « دينتز » .. أوه .. لا ياسيدى الوزير هل ستريفض أن ترانى ؟

فقــال وزير الخارجيــة بالتأكيد لا يا ســيدى الوزير « اننى مغرم بها للغاية » ويبدو أن ذكريات «المسز مائير» قد جالت بخلده . جلس الوزير مرتديا حلة العمل الزرقاء ، وقد انحرف رباطة عنقه انحرافا طفيفا ، واسترخى فى كرسيه وأفرغ بعض الشمبانيا فى جوفه وكان يبدو منهمكا .

قالت « الآنسة بيرجر » : منــذ عشر سنوات ، فى عيــد ميلادى شاهدت فيلم « عازف الكمان على السطح » .

وتساءل أحــد المراسلين « عازف الـكمان على السطح ؟ » وأجابت على الفور : كان رائعا .. أنك سوف لا تستطيع أن تفهمه ، انك لست يهوديا » .

وشكت من الفندق الذى نزلت فيه بالاسكندرية ومن الصحافة المصرية وقالت متســائلة هل قرأتم المقال الافتتاحى السخيف الذى نشرته هذا الصباح صحيفة « ذى ايجشن جازيت » .

فقال هنرى « لا .. »

فقالت « انه يقارن الاسرائيليين بالمستعمرين الفرنسيين فى الجزائر » ولم تضف أنه قارن أيضا الدكتور « كيسنجر بالجنرال ديجول » .

فالتفت كيسنجر نحو « دينتز » و « آلون » وقال :

« ان الصحافة المصرية تعاملنى بأسلوب أفضل مما تعاملنى به الصحافة الاسرائيلية » .

وبعــد قليــل أشــار وزير الخارجيــة الى أن الوقت متــأخر واســتأذن فى الانصراف . وظل كيسنجر جالسا وقد أخذ يجول ببصره فى الغرفة حتى استقرت عينه على .

قال : « لقد تحدثت عنك بخير » .

فأجبت « هكذا قيل لى ، شكرا لك يا سيدى الوزير اننى أتطلع الى مقابلته ».

فسألت الآنسة بيرجر « من الذى ستقابله الآن ؟ » ..

فقال كينسجر « الاسد » .

آثار هذا مزيدا من الذكريات ، فلقد تذكر الوزير كل شىء بالنسبة للرئيس السورى ، الذى يعتبر أكثر الزعماء العرب عنادا ، كما أنه يؤثره الى حد بعيد ثم أطرق مفكرا ، وقال « عندما كانت مفاوضات « الجولان » تقترب من نهايتها ، انهارت تلك المحادثات ، وكنا نقوم بكتابة البيان المشترك ، وفى اللحظة الاخيرة قال لى الاسد « يا للاسف .. لقد وصلنا الى هذا الحد ... » .

لقد كنت شغوفا الى معرفة المحاضرات المتعلقة بالشئون العالمية التى كان « كيسنجر » يجريها لمصلحة الاسد ، فسألته : « هل كانت مماثلة لمحاضراتك فى هارفارد ؟ » .

فقال كيسنجر أقل دسامة .

لقد وجدت أنه شىء يدعو الى الافتتان أن وزير خارجية الولايات المتحدة سيتخذ أحد الرؤساء العرب المتشددين كتلميذ له . وقد حاولت أن أتابع الموضوع ولكن الآنسة بيرجر التى كانت تحتفل بعيد ميلادها اعترضت على ذلك .

أخذ الدكتور هنرى يجتر الاحداث ، كما لو كانت هناك روح تحركه . واستأذن السفير « دينتز » وعاد الى منزله وتفرق بعض المراسلين . وتساءلت لماذا لم يذهب الوزير لينام أنه ما يزال هناك . وقد وضع ذراعه على ظهر كرسيه وأخذ يردد أسماء الشخصيات العظيمة التى تعرف عليها « جولدا ـ الاسد ـ السادات ـ بريجنيف ـ شواين لاى » لقد اكتشف يوما أن القوة مثيرة للشهوة . أنه يبدو متعبا للغاية ولكنه فى قمة السعادة .

الفصـــل الاول

الحد الفاصل وأراقة الدماء

لقد كرس « هنرى كيسنجر » منذ الحرب العربية الاسرائيلية فى آكتوبر عام ١٩٧٣ كثيرا من وقته وعمله للنتائج التى تمخض عنها هذا النزاع آكثـر مما كرسه بالنسبة لاية مشكلة أخرى فى مضمار السياسة الخارجية الامريكية وتعتبر هذه الحرب حدا فاصلا فى عصرنا الحاضر ٠٠ فلقد غيرت ميزان القوى العالمية ، فالى يومنا هذا والولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى تواجه كل منهما الاخرى فى الشرق الاوسط مستترة وراء الدول الخاضعة لنفوذهما والتى تتسم بعدم التكافؤ بدرجة كبيرة فى مستوى الذكاء والقوة ٠٠ ففى خلال حرب الايام الستة ، حطمت اسرائيل جيوش مصر وسوريا والاردن ، وظهرت على أنهـا الدولة الاقـوى فى الشرق الاوسط ، وتدعمت بعد ذلك بالامـوال والاسلحة الامريكية ، وبشعورها الداخلى المتزايد على أنها قوة لا تقهر ٠ ودعمت موسكو مصر وسوريا ، الا أن طائراتهما من طراز ميج وصواريخ سام قد بدت وكأنها ليست ندا لطائرات الفانتوم والتطور فى تكنولوجيا الحرب الحديثة ٠

ذلك هو الاعتقاد التقليدى السائد حتى أواخر عام ١٩٧٣ ، والذى حطمته حرب آكتوبر ومنذ هزيمة عام ١٩٦٧ والعرب يطورون أنفسهم وعرفـوا كيف يسير العالم ووحدوا أهدافهم العسكرية من أجل تحقيق هدفهم السياسى ، وعلى الرغم من أن العرب لم يكسبوا الحرب فى ميدان القتال لكنهم لم يحتملوا هزيمة أخرى مخزية ، وكانوا هم المنتصرون من الناحية السياسية وربما ترقى الحرب العربية الاسرائيلية الرابعة الى مرتبة الاحداث الكبرى فى التاريخ العربى ، وبالنظر الى الحروب فى الازمنة السابقة فربما تصل الى مرتبة الفتوحات العربية فى العصور القديمة ٠

من أمثال : قيام دولة بنى أمية ، وهزيمة الصليبيين ومولد القومية العربية المصرية ، والاستيلاء على قناة السويس من حيث الاهمية السياسية والميتافيزيقية ٠٠ انها ليست انتصارا للجيوش ٠٠ وانما هى نقطة حاسمة فى مفترق الطرق جاءت لتعلن نهاية ضعف الدول العربية الذى استمر خمسة قرون ٠

ولقد تخطى العرب ــ فى ميدان الحرب ــ الفجوة ٠٠ من التخلف الى التحضر ــ مقدمين البرهان المادى للجميع ــ بما فيهم انفسهم ــ على أنهم ليسوا فى الحضيض ٠٠ وأنه فى استطاعتهم اذا ما تماسكوا أن يكونوا مؤهلين لمعـرفة أسرار التكنولوجيا الحديثة ، وفى ميدان القتال فقد أفزع العرب العالم واضطروه الى أن يقف منهم موقف الجد ، عندما قاموا بتحطيم ربع السلاح الجوى الاسرائيلى

ومات من الدبابات الاسرائيلية٠٠ فى ميدان القتال، وعن طريق الحظر البترولى أيضا ٠ لقد كلف الحظر البترولى الذى فرض أثناء اشتعال نار الحرب ، والارتفاع المذهل فى أسعار البترول بعدها بوقت قصير ـ كلف أمريكا عشرات الملايين من الدولارات كما كلف أوربا الغربية قدرا عظيما من رفاهيتها وفى فتـــرة وجيزة ، تجاوز دخل الفرد فى « أبو ظبى » ٤٠٫٠ ألف دولار وذلك ما جعل العربية السعودية تفكر فى جمع ثلث احتياطى البنوك المركزية فى العالم ٠ ولقد ظهرت دول الخليج الفارسى ـ بصورة عامة على أنها مصدر رئيسى لرأس المال العالمى ٠ وقد انضم العرب ـ ككم ـ الى أمريكا وروسيا ، والصين، وأوربا الغربية واليابان فى عضوية القوى العالمية ٠

وقد كان الدكتور « كيسنجر » الاول بين من عرفوا هذا التغيير فى القوى ، وأدرك أنه لن يتغلب على هذا التغيير ما لم يحتوى النزاع العربى ـ الاسرائيلى ٠ ولم يحدث مطلقا أن تصبح الدبلوماسية الامريكية ـ أو الشخص الذى يوجهها ملتزما الى هذا الحد بحل احدى المشكلات وقد استجمع « كيسنجر » قواه الذهبيه المتقدة خلال المهام التى قام بها فى الشرق الاوسط ، وطوال فترة المفاوضات التى استغرقت آلاف الساعات ـ هنا فى واشنطن وعلى مدى ٣٠٠ر٠٠٠ ميل أو أكثر من الطيران ٠٠ ذهابا وأيابا ٠٠ من أجل أن يتوصل الى توازن جديد بين الشعوب السامية الكبرى ، والى أنجح الوســـائل لمنع أى فرض حظر بترولى آخر أو حدوث كساد كبير ، والحيلولة دون اندلاع حرب جديدة قد تحتوى العالم كله والآن ـ وبعد حوالى ثلاث سنوات منذ أن بدأ ، يفرض علينا أن نقيم انجازاته وفشله ، وأسلوبه ، المتمثل فى دبلوماسية الخطوة ـ خطوة ٠

وكان أقصى جهد بذله الدكتور كيسنجر خلال لحظات التوتر الشديد فى الفترة ما بين السادس من أكتوبر ١٩٧٣ الوقت الذى اندلعت فيه الحرب ، وبين أواخر ديسمبر من العام نفسه ، عندما بدأ « مؤتمر جنيف أعماله ، خلال شهر يناير ١٩٧٤ عندما قام بفصل الجيشين الاسرائيلى والمصرى وأكد على ضرورة تدخله الشخصى للتوصل الى تسويات مرحلية ، خلال شهر مايو عام ١٩٧٤ عندما قام بفصل الجيشين الاسرائيلى والسورى بينما كانت سوريا تشن حرب استنزاف ، وخلال شهر مارس ١٩٧٥ عندما فشل مسعاه فى التفاوض من أجل التوصل الى اتفاقية جديدة فى سيناء وسط الاتهامات المتبادلة مع حكومة اسرائيل ٠ والجهد الذى بذله فى أغسطس ١٩٧٥ عندما توصل فى نهاية الامر الى تلك الاتفاقية بثمن باهظ التكاليف بالنسبة للولايات المتحدة بالرغم من أنها كما أصر تقل كثيرا عن بديلها أو وهو اندلاع حرب أخرى ٠

وسوف أفترض فى هذه الصفحات أن الدكتور « كيسنجر » ـ فى محاولته للتكيف مع تغير القوة الذى أحدثته حرب أكتوبر قد أوجد للولايات المتحدة سياسة عربية مترابطة ـ وهو أول وزير خارجية يفعل ذلك ، وتقوم هذه السياسة على ايجاد تحالف ـ الى حد ما ـ بين واشنطون والقاهرة ، أو تعتمد بنوع خاص على صداقة « كيسنجر » والرئيس المصرى « محمد أنور السادات »، وقد افترض « كيسنجر » أنه باتفاقه مع السادات سوف تتبعه الدول العربية الا أن هذه الافتراضات تكتنفها ـ اليوم الشكوك ٠

لقد تحاشت سياسة كيسنجر العربية ـ حتى أواخر عام ١٩٧٥ ، على الاقل ، وبشكل عنيد الخوض فى ـ المشـــكلة الفلسطينية ، على الرغم من أن تلك المشكلة تعتبر حاسمة بالنسبة للنزاع العربى الاسرائيلى ، وقد راود « كيسنجر » مفهوم مختلف للاولويات ، ففى الوقت الذى كان يســـعى فيه الى التخفيف من حدة النزاع العربى الاسرائيلى ـ اتبع ـ سياسة متوازية فى العالم العربى ، تقضى بزيادة التكنولوجيا الامريكية كوسيلة لترسيخ النفوذ الامريكى فى كل الجمهوريات والممالك والامارات العربية ، وكانت متعهداته كلها مع العرب فى الماضى ، متأثرة بعلاقاته مع الاسرائيليين ـ ناهيك باليهود الامريكيين • وقد تدهورت العلاقات بين الولايات المتحدة واسرائيل حتى وصلت ما يشبه الازمة المزمنة ، التى عبرت عنها مشاجرات كيسنجر المتكررة مع الزعماء الاسرائيليين ، ومع أنصار اسرائيل من الامريكيين • وقد وصل الامر الى حد أن « كيسنجر » كانت تراوده الشكوك فى سياسته الخاصة بامداد اسرائيل بكميات ضخمة من الاسلحة وسوف نتعرض الى هذه النقطة فيما بعد باسهاب • ولنعد الآن الى نقطة البداية •

الفصـــل الثانى

حان وقت الصدمة

بدأ « هنرى كيسنجر » غير مكترث بالشرق الاوسط فى الفترة ما قبل سبتمبر عام ١٩٧٣ ، عندما عين وزيرا للخارجية • فلقد انهمك خلال السنوات الاربعة والنصف السابقة ، بوصفه نائبا للرئيس « نيكسون » لشئون الامن القومى فى معالجة مشكلات « فيتنام » والوفاق بين أمريكا والاتحاد السوفيتى والصين ، وأوربا الغربية • ونظرا لانه كان من أقوى مستشارى الرئيس فيما يتعـلق بالشئون الخارجية ــ فقد شارك هو نفسه فى اتخاذ عدد من القرارات الرئيسية الخاصــة بالشرق الاوسط ولا سيما ماكان يتعلق منهـا بالروس ، وتزويد اسرائيل بالاسلحة ولكنه لم يشأ أن يتناول الخطط الرامية الى السلام فى نزاع الشرق الاوسط لانه شعر بأنها ستبوء بالفشل • وبالنسبة للقرار رقم ٢٤٢ فقد كان متشككا فيه ، وقد اتخذه مجلس الامن التابع للامم المتحدة ، والذى يدعو الى انسحاب اسرائيـــل من أراضى عربيـــة من مقابل حدود آمنة ومعترف بها على أنها أطار عمل للتوصل الى تسوية • وكان « كيسنجر » يعتريه شك مماثل بالنسبة لمشروع السلام الذى أعلنه « وليام روجرز » وزير الخارجية عام ١٩٦٩ ، وكذلك بالنسبة لمبادرات « روجرز » فى الشرق الاوسط عامى ١٩٧٠ ، ١٩٧١ على الســـواء • فلقد أقر « روجرز » بوصــفه وزير للخارجية الامريكية كلمة بالغــة الاهميــة ألقاها فى ٩ من ديسمبر ١٩٦٩ بانسحاب اسرائيلى جوهرى من الاراضى المحتلة فى مقابل سلام تعاقدى من جانب العرب:

« أن أى سلام دائم يجب أن يؤكد عن طريق مفهوم الامن بالنسبة لكلا الجانبين • وتحقيقا لهذه الغاية وكما جاء فى قرار مجلس الامن ، يجب أن تكون هنـــاك منـــاطق منزوعة الســـــلاح ، وما يتطلبه ذلك من اجــــراءات يمكن الاعتماد عليها أكثر من تلك التى كانت قائمة فى الماضى • واننا نعتقد أنه فى الوقت الذى يجب أن تقام فيه حدود ســـياسة معترف بها ويتفق عليها من الاطراف فان أى تغييرات فى الحدود التى كانت قائمة من قبل ، يجب أن لا تعكس ثقل الغزو • ويجب أن تقتصر على تعديلات تتطلبها دواعى الامن المتبادل • أننا لا نؤيد التوسع •• ونؤمن بأنه يجب على القوات الاسرائيلية أن تنسحب كما ينص القرار على ذلك أننا نؤيد أمن اسرائيل وأمن الدول العربية أيضا • وبالنسبة لمستقبل الوضع فى القدس ــ فنظرا لانه يمس بعمق الينابيع العاطفية والتاريخية والدينية ــ فانه يعتبر بوجه خاص وضعا معقدا • لقد أعلناها بوضوح وبصورة متكررة بأنه لا يمكننا ان نقبل أى عمل من جانب واحد يقوم به أى أطراف لتقرير الوضع النهائى للمدينة • ومع هذا فاننا نؤيد مبـــادىء

محدودة نعتقد أنها ستقدم اطارا عادلا للتوصل الى تسوية (١) ٠٠ ان مدينة القدس ينبغى أن تكون مدينة موحدة ٠٠ (وأن يؤخذ فى الحسبان مصالح الجاليات اليهودية والاسلامية والمسيحية ٠ وهنا يجب أن يكون لكل من اسرائيل والاردن دور فى الحياة المدنية والاقتصادية والدينية للمدينة ٠

ان انسحاب القوات الاسرائيلية من أراضى مصرية سيتم فى اطار السلام والاتفاق على ضمانات أمن معينة ٠ وسوف يتطلب هذا النهج أن توافق مصر على التزام معين وملزم حول السلام ٠ وسوف يتطلب انسحاب القوات المسلحة الاسرائيلية من الاراضى المصرية الى الحدود الدولية التى كانت بين اسرائيل (فلسطين فى عهد الانتداب) وبين مصر والموجودة منذ أكثر من نصف قرن ٠ وسوف يتطلب أيضا من الاطراف أنفسهما التفاوض لايجاد ترتيبات أمن عملية لضمان السلام ٠

اننا نعتقد أن هذا النهج متوازن وعادل (٢) لقدكانت هذه الكلمة حصيلة عمل مدروس قام به فريق من العاملين فى وزارة الخارجية ، سعوا بأمانة الى التوفيق بين الاحتياجات الاساسية لكلا الطرفين المتحاربين ٠ (وحتى هذا اليوم لم يتنصل « كيسنجر » أو الرئيسان اللذان عمل معهما من مبادئهما) ولكن « كيسنجر » راوده الشك فى أن الاسرائيليين سيتقبلون الانسحاب شبه الكامل أو أن العرب مستعدون لدفع ثمن سلام كامل ٠ وكان «كيسنجر » يسخر من « روجرز » ويعتبره ساذجا ، ومبتدئا فى السياسة الخارجية وكان يشعر بأن « مشروع روجرز » قد حدد تسوية نهائية قبل أوانها ، فلقد أقام المبنى قبل ارساء الاساس ٠ وفى الحقيقة أن روجرز قد رتب وقف اطلاق النار على قناة السويس عام ١٩٧٠ ٠ ولكنه عندما اقترح التوصل الى اتفاق مرحلى بين مصر واسرائيل يقضى باعادة فتح قناة السويس ، لم يجد من كلا الطرفين استجابة ما ، فالمصريون كانوا سيقبلون انسحابا جزئيا تقوم به اسرائيل من سيناء ولكنهم طالبوا بتعهد اسرائيلى يقضى بالانسحاب الكامل فيما بعد ، ولقد رفض الاسرائيليون ذلك ٠

وأدرك بعض الدبلوماسيين العرب من ذوى الفطنة ــ فى وقت مبكر وخلال عهد نيكسون أن القوة الحقيقية فى الحكومة تكمن فى يد « كيسنجر » وليس « روجرز » ٠ ولقد حث عدد قليل « كيسنجر » بأن يقوم بدور نشيط فى السعى للتوصل الى تسوية ٠ وحاول الدكتور « أشرف غربال » ــ الذى كان وقتئذ رئيسا لقسم المصالح المصرية فى واشنطن (ويشغل الآن منصب السفير) ــ ربما فى حالة يأس من الدبلوماسية التقليدية ــ أن يستخدم أسلوبه فى نظم « قصيدة » هزلية لا تلتزم بقواعد الوزن الشعرى ، وأبرق بها الى « كيسنجر » غداة زيارته الاولى لبكين ٠

يعتبر قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ فى ٢٢ من نوفمبر ١٩٦٧ ــ أى بعد خمسة شهور من حرب الايام الستة ــ شيئا جوهريا للمناقشات المتعلقة بالنزاع العربى الاسرائيلى (النص الكامل أرجع الى الملحق رقم واحد) ٠

× ورد النص الكامل لهذه الكلمة المعروفة باسم « مشروع روجرز » فى الملحق الثانى ٠

فى احدى تنقيباتى الاثرية الاخيرة

صادقت نداء من الازمنة الغابرة

كان مسجلا فى مقبرة « أمنمحت »

اله الطب فى عهود الظلام القديمة ٠

كان النداء يقول تعالى وزر نيلى ٠

ان لدى العلاج لآلام معدتك ، وبالتأكيد لصداع رأسك فما رأيك عزيزى هنرى هلا قمت بزيارة الى الشرق الاوسط لغرض مزدوج ؟

ورد كيسنجر قائلا : « اننى لن أتورط فى أى شىء ما لم أكن متأكدا من النجاح ، واذا ما تورطت بالفعل فهذا يعنى أنى سأنجح ٠ اننى أكره الفشل » ، وقال لاصدقائه : « انى لست على استعداد للشرق الاوسط بعد » وكان كيسنجر مقتنعا بأنه لكي يعرف العرب أن المدافع السوفيتية لا تستطيع أن تعيد إليهم أرضهم مرة ثانية ، وليدرك الاسرائيليون أن الاسلحة الامريكية الكثيرة لايمكنها وحدها أن تحقق الامن بالنسبة للمستقبل البعيد ، وما لم يكن كل من العرب والاسرائيليين مستعدين بالفعل لتقديم تنازلات هامة كل الى الآخر ، فان تدخله هو أو أى أمريكى محكوم عليه بالفشل ٠ وأن الزمن وحده هو الذى يمكنه أن يغير مفاهيم الاطراف المعنية ، والى أن يحدث هذا ، فان « كيسنجر » قانع بمعالجة المشكلات الاخرى ٠ وفى الحقيقة فانه قد ساهم فى القرار الذى اتخذه « نيكسون » بأنه ينبغى لمساعى « روجرز » فى الشرق الاوسط أن تنهار نتيجة لحرب الاستنزاف ولكنه أخيرا عندما حل « كيسنجر » محل « روجرز » كوزير للخارجية ورأى أنه يتعين عليه أن يأخذ بسياسة « روجرز » فى العمل من أجل احلال السلام فى الشرق الاوسط من خلال اتفاقيات مرحلية ــ لم يكن ساخرا على الاطلاق من دبلوماسيته اللاحقة ٠

يضاف الى ذلك أن « الدكتور كيسنجر » ــ على الرغم من أنه ليس صهيونيا فضلا عن يهوديته مثار خلاف من قبل،وقد ساعد على تحسين الحكمة الاستراتيجية التقليدية لحكومة « نيكسون » الاولى التى تقوم على أنه فى غياب مفاوضات مثمرة فان وجود اسرائيل قوية ولها التفوق العسكرى أكثر من أعدائها العرب ــ هو الذى سيمنع الحرب ، ويكون بمثابة الحارس الامين بالنسبة للمصالح الامريكية فى الشرق الاوسط ، وعندما ألقى « كيسنجر » نظرة على خريطة الشرق الاوسط لم ير اسرائيل ومصر وسوريا والاردن ، انما رأى « الاتحـاد السـوفيتى » و « الولايات المتحدة » ، ولقد انتابه القلق لتدفق الاسلحة السوفيتية والفنيين العسكريين الى مصر ولم يكن ليفكر فى أن يسمح للخبراء السوفييت لدى القاهرة بأن يهزموا اسرائيل بعتادها الامريكى ولقد اعتراه الشك وله ما يبرره الى حد ما ــ فلقد وجد الروس يستخدمون مصر كقاعدة لتحقيق استراتيجية واسعة فى البحر الابيض المتوسط على امتداد سـاحل شمال أفريقيا ، وفى البحر الاحمر وفى المحيط الهندى ٠ وكان الطيـارون السوفييت يقومون بالتحليق بطائرات « الميج » فى مهام عملية بالقرب من قناة السويس ، وأكثر من هذا ، رأى الروس يقومون بالتصنت بواسطة رداراتهم وطائرات الاستطلاع ــ خارج مصر ــ على تحركات الاسطول الامريكى السادس،

وبصفة خاصة أماكن انتشار الغواصات المزودة بالصواريخ « بولاريس » وتراقب العمليات البحرية والجوية لدول شمال حلف الاطلس ٠

ولقد كان خوف « كيسنجر » من وجود استراتيجية سوفيتية متسعة في البحر الابيض المتوسط وتتجه جنوبا يستند الى أسس قوية ولكنه لم يكن يدرك الدور الروسي في مصر نفسها ٠ فلقد كان الرئيس « جمال عبد الناصر » مشتبكا في حرب استنزاف مع اسرائيل على طول قناة السويس ٠ وفي أواخر عام ١٩٦٩ ، كانت الطائرات الاسرائيلية تمرق بسهولة فوق القاهرة ودلتا النيل ، ومع أنها لم تسقط قنابلها الا أنها اخترقت حاجز الصوت مسببة الرعب للسكان ٠ وبعد ذلك لجأت اسرائيل في عام ١٩٧٠ الى التغلغل في العمق والقيام بغارات فوق الدلتا وضواحي القاهرة ٠

وقاموا بواسطة الطائرات الامريكية ــ بالاغارة على منشآت صـــناعية في الخانكة التي تبعد عشرة أميال شمال شرق القاهرة ، وفي شهر فبراير عادوا ليقصفوا « أبو زعبل » التي تبعد ميلين شمال « الخانكة » وقد نجم عن ذلك مقتل ثمانين عاملا ٠ وخلال يناير وفبراير ومارس قاموا بقصف مصانع حربية في «حلوان» التي تبعد ١٥ ميلا جنوب القاهرة ــ مسببين دمارا كبيرا واضطرابا في انتاج مصر الحربي ٠ وفي الثامن من ابريل قاموا بضرب مدرسة ابتدائية في « بحر البقر » ــ التي تبعد خمسة عشر ميلا غرب قناة السويس ونتج عن ذلك مقتل ثلاثين تلميذا صغيرا ٠

وفي أواخر ينـاير طار « ناصر » في رحلة سرية الى موسكو طالبا المزيد من المســاعدات الروسية ، وسارع « الكرملين » الذي واجهه بالوضع المهين الذي تعرض له أحد عملائه أمام العالم لانقاذ « ناصر » ، وفوق كل هذا فان «ناصر» لم يطالب بشن هجوم على اسرائيل ، ولكنه كان يحاول الدفاع عن الاراضي المصرية ٠

وكان الرد السوفيتي على غارات العمق هو صواريخ سام ٣ ــ وهو صاروخ أرض جو ٠ ولم ينتشر استخدامه من قبل خارج أوربا الشرقية وكذلك حوالى ١٥٠ طيارا سوفيتيا نصفهم خبراء ومستشارون والنصف الآخر كان يشكل في الواقع سرية سوفيتية تقوم بقيادة الطائرات المقاتلة الحديثة من طراز ميج ٢١ المرسوم عليها علامات مصرية فوق دلتا النيل ، ولكنها لم تكن تتخطى الجانب الشرقي للقناة فقد كان الاسرائيليون يقيمون هناك تحصيناتهم فيه ٠ وكان السوفييت في بداية الامر يقومون بتوجيه المصريين ، ويعلمونهم كيف ومتى يضغطون على أزرار « سام ٢ » ٠ بيد أن الروس يقومون حينذاك بتشغيل « ســـام ٣ » بصورة كاملة وعند هذه المرحلة كان الفنيون السوفييت في مصر قد تجاوز عددهم العشرة آلاف ٠ ولقد قدم السوفييت أيضا ــ بالاضافة الى هذا ــ الدبابات ومدافع « الهاوتزر » من عيـــار ٢٠٣ ملليمتر ٠ وقد أجبر الطيارون السوفييت وصواريخ سام ٣ الاسرائيليين على وقف غارات العمق في منتصف ابريل ، وتركيز هجماتهم بعد ذلك على مواقع الصواريخ والتحصينات الاخرى الواقعة بالقرب من قناة السويس ٠ وكان الهدف الروسي في الاساس دفاعيا ٠ ولقد قدموا صواريخ سام لحماية وادي النيل من هجوم طائرات الفانتوم الاسرائيلية ٠

وهكذا قبل « ناصر » مبادرة « روجرز » وكانت تدعو الى وقف اطلاق النار في صيف عام ١٩٧٠ لان مصر كانت قد عدلت الميزان العسكرى الى حد معين ، ويمكنها أن تباشر المفاوضات ، وقد أمنت عمق أراضيها • ومع ذلك فان ناصر قد لجأ الى الخداع عن طريق تحريك الصواريخ السوفيتية قريبا من قناة السويس فى الليلة التى يصبح فيها قرار وقف اطلاق النار نافذ المفعول • وقد أغضب هذا العمل « كيسنجر » ويقول أحد مساعدى « كيسنجر » وكان قد عمل معه عن كثب خلال تلك الفترة « أن كيسنجر » كان بالفعل يعتريه القلق من المغامرات السوفيتية خارج الشرق الأوسط • وحتى عام ١٩٧٠ فاننا قيدنا امداداتنا من الاسلحة الى اسرائيل • صحيح أن الاسرائيليين هم الذين دفعوا السوفييت الى حشد هذا العدد الضخم من الاسلحة فى مصر ، بيد أن هذا كان يتعين قيامه فى مقابل مفهوم « كيسنجر » للغدر السوفيتى العربى • فلم يكن الخداع الذى لجأ اليه « ناصر » كبيرا كما تظاهر الاسرائيليون الا أن « كيسنجر » كان قد أصبح ، فى العامين التاليين مواليا لاسرائيل مائة فى المائة ـ الامر الذى أثبته تدفق الاسلحة الامريكية الى اسرائيل • لقد أصبح « كيسنجر » في الواقع يتبع « خطا متشددا » للغاية بالنسبة للشرق الاوسط ، وأصبحت صلته تزداد وثوقا بالسفير الاسرائيلى « أسحق رابين » ، وخاصة فى الفترة التى حبذ فيها احتفاظ اسرائيل بأجزاء معينة من الاراضى العربية •

توفى ناصر فى سبتمبر ١٩٧٠ ، وبانتهاء العام الاول لرئاسة السادات كانت مساعدة « نيكسون » من الاسلحة لاسرائيل قد تجاوزت ٦٠٠ مليون دولار وهو مبلغ يفوق بكثير المساعدات التى قدمها الرئيس « نيكسون » • وكانت تشتمل على شحنات كبيرة من طائرات الفانتوم الاسرع من الصوت ، مع وعد بالمزيد ولقد أوضح بعض المختصين فى وزارة الخارجية (ليس كلهم موالين للعرب) بأن نمو التفوق الاسرائيلى سيمكنها من تشديد قبضتها على الاراضى التى استولت عليها ، ويشجعها على مقاومة الكلام الامريكي المنمق الذى يطالبهما بتقديم بعض التنازلات ، وبعرض الولايات المتحدة نفسها للاتهام بأنها تحتل الاراضى العربية عن طريق الوكالة ولم يبـــال « كيسنجر » بهذه الحجج ، وشـــارك « جوزيف سيسكو » مساعد وزير الخارجية رأيه فى أن الاسرائيليين سوف لا يقدمون أى تنازلات حتى يشعروا بالثقة ، وهم لا يمكنهم أن يشعروا بالثقة حتى تكون اسرائيل دولة لا تقهر • وقال « كيسنجر » لهؤلاء العرب الذين استطاعوا الوصول اليه « لا تقلقوا •• اصبروا من المقرر أن يسلم طائرات الفانتوم عندما يحين الوقت المناسب » وقد تبـــدو هذه الحجج ـ عند تأملها ـ وأنها مخادعة الا أنها تنسجم بشكل رائع مع تحركات « كيسنجر » الراهنة المتعلقة بميزان القوى ، ومشجعة بالنســبة لمتطلبات الســـياسة الامريكية الداخلية ، والواقع أنه قد اتضح منذ البداية ـ وعلى الرغم من أن الرئيس السادات قد وافق على توقيع معاهدة سلام نهائية مع اسرائيل (وهذا يتفق نظريا مع أحد مطالب « كيسنجر » على الاقل) ـ أن اسرائيل سوف لاتقدم تنازلات مماثلة ما لم تكن نتيجة ضغط أمريكي قوى • ولقد وعد « روجرز » و « سيسكو » السادات بأنهما ســيعملان بجدية الى التوصـــل الى اجراء عمليات انسحاب اسرائيلية ، وأنهما اشتبكا مع « جولدا مائير » رئيسة الوزراء ، ومجلس وزرائها فى مجادلات عنيفة ـ من خلف الابواب المغلقة • ولكنهمـــا لم يتلقيـا تأييدا حقيقيا من « نيكسون » أو « كيسنجر » • وفي أواخر صيف عام ١٩٧١ ، وصل مشروع « روجرز » الى « زوايا النسيان » ففى شهر أكتوبر تحولت صياغة ســياسة

الشرق الاوسط من وزارة الخارجية الى البيت الابيض ، ومن هذه اللحظة سيتولى « نيكسون » بالاشتراك مع « كيسنجر » وضع سياسة الشرق الاوسط التى كانت موضع التنفيذ منذ وقت قصير ، وحتى لا تظهر سياسة من شأنها أن تسبب ازعاجا لجماعة الضغط الاسرائيلية أو تعرض الامر الواقع للخطر . وخصصت سنة ١٩٧٢ لاعادة انتخاب « ريتشارد نيكسون » ولقد وافق السفير « رابين » بصورة علنية على انتخاب « نيكسون » .

أخذ السادات – فى الوقت نفسه – يقلب الامر بحثا عن سياسة جديدة – « ان عام الحسم » الذى أعلنه قد انقضى بصورة مذلة ، ولم يصل مع الروس الى هدف ، بعد أن حرموه من الاسلحة الهجومية التى يريدها ليكون ندا لاسرائيل . اقترح « روجرز » على السادات أن نيكسون قد يكون أكثر استعدادا لتقديم المساعدات لو أن السادات قلل من الوجود السوفيتى الضخم فى مصر . وكان « كيسنجر » قد أعلن بالفعل فى تصريح مشهور متهور « أن الهدف الامريكى هو طرد الروس » . وفى ربيع عام ١٩٧٢ زار الامير سلطان وزير الدفاع السعودى واشنطن . وأعيد التلميح عن التعويض ، وتوقف وهو فى طريق عودته الى بلاده فى القاهرة حيث ذكر ذلك للسادات . وما من شك فى أن مثل تلك التلميحات قد أسهمت فى اتخاذ قرار السادات اللاحق ، ولكنها ليست هى التى حملته على اتخاذه . وقام السادات فى هذا الصيف بطرد الفنيين السوفيت كلهم تقريبا وقد بلغ عددهم عشرين ألفا من الفنيين نتيجة لضغوط داخلية من جانب الجيش ، ولانه أثار تناقضات السياسة السوفيتية فى بداية الامر ، فالاولوية التى اختارها الروس لتحسين علاقاتهم مع الولايات المتحدة تتعارض مع موقفهم غير الملائم ازاء ترسانة الاسلحة المصرية ضد اسرائيل . . . .

وسأل « كيسنجر » وقد أصابته الدهشة أحد مساعديه قائلا : ما الذى دعا السادات الى تقديم هذه الخدمة لى ؟ ، لم لم يتصل بى ، لم لم يطالبنى بكافة أنواع التنازلات أولا ؟

ونظرا لفشل المخابرات – الملفت للنظر – فان « كيسنجر » قد علم بمسألة طرد الخبراء من البرقيات الصحفية ، ولقد قرر السادات . فى حالة يأس القيام بعمل مفاجىء مثير يتمثل فى القيام بهجوم محكم ليكسب مزيدا من الوقت وليتخلص من شبح « اللاحرب واللاسلم » . ومهما تكن الدوافع المباشرة ، فانه يجب عليه أن يعرف أن عملية الطرد سوف تفهم على أنها صيحة أخرى لطلب المساعدة الامريكية ، ولما كان مغامرا قليل الحظ أو كالمغامر السيىء الحظ فقد افترض وهو يلقى ورقته الرابحة أن هذا قد يقنع « نيكسون » و « كيسنجر » على الاقل ليسارعا الى انقاذه .

ولكنهما لم يفعلا ذلك ، ومع أن « نيكسون » قد تجاهل كلية وبصورة علنية قرار السادات الخطير ، بالرغم من استجابته له سرا بدون أن يلزم نفسه . وقد صاغ «كيسنجر» عدة رسائل سرية كى يوقع عليها « نيكسون » وكانت قد أرسلت لا عن طريق الدبلوماسيين الامريكيين فى القاهرة ، ولكن عن طريق أساليب المخابرات المباشرة الى السادات بواسطة « حافظ اسماعيل » مستشاره للامن القومى . وفى هذه الرسائل اعترف « نيكسون » بأن عملية الطرد تعتبر عملا هاما ، ووعد بأن حكومته ستركز على الشرق الاوسط حالما تنتهى انتخابات

الرئاسة ومفاوضات « فيتنام » ٠ لقد انتهت الانتخابات ومفاوضات فيتنام تسير ببطء ، ولم يتخلص منها « كيسنجر » الا فى أواخر يناير ١٩٧٣

ومع حل المشكلة الفيتنامية (أو كما بدا ذلك) فتح « كيسنجر » ملفه الخاص بالشرق الاوسط ٠ وفى نهاية شهر فبراير ، حضر « حافظ إسماعيل » الى واشنطن ٠ وقضى « كيسنجر » نهاية الاسبوع فى اجراء محادثات سرية مع هذا المصرى الطويل القامة الذى يميل الى الصمت : شارحا له فكرته الخاصة عن السعى نحو ايجاد صيغة من شأنها أن توفق بين السيادة المصرية على سيناء وبين التصميم الاسرائيلى على الامن ونصح المصريين بأن يقدموا أفكارا عملية من أجل دفع احتمالات التسوية الى الامام ٠٠ وحذر من أن كل هذا سيتطلب وقتا ٠٠ ذلك الى أنه لا يمكن تحقيق أى شىء جوهرى الا بعد اجـــراء الانتخـــابات الاسرائيلية المقرر اجراؤها فى أكتوبر التالى ٠ ولقد سرد الصحفى المصرى محمد حسنين هيكل فى كتابه الشهير « الطريق الى رمضان » (١٩٧٥) جزءا مما دار بين اسماعيل ونيكسون وكيسنجر :

استقبل « نيكسون » « حافظ اسماعيل » فى مكتبه وتحدث معه عن مدى استمتاعه بالزيارة التى قام بها لمصر فى عام ١٩٦٣ ، ومدى الاحترام الذى يكنه للرئيس الراحل جمال عبد الناصر وقال انه يريد أن يقوم بدور فى احلال سلام دائم فى الشرق الاوسط ، وبالرغم من أنه لا يستطيع أن يصف مقدما الشكل الذى ينبغى أن تتخذه التسوية النهـــائية ٠ وقال أنه لا يريد أن يعرض آراءه على أحد ٠ وقال : ان علينا أن نتذكر أنه فى الوقت الذى كانت فيه مصر ترغب فى المحافظـــة على سيادتها ، فان اسرائيل أرادت المحافظـــة على أمنها (ان هذه الفكرة قد حولت المشكلة كلها الى معادلة بسيطة بين السيادة والامن ٠٠ وقد تدبن بظهورها لكيسنجر وهى جملة سنتعود على سماعها وهى تتردد بصـــورة متزايدة) وطلب من « حافظ اسماعيل » أن يعطيه تعبيرا صادقا لوجهة نظر مصر٠

وبدأ « حافظ اسماعيل » تحليله للموقف ــ واظهار الخطر الداهم للحالة الراهنة للمشكلات الراهنة ، ودور مصر التاريخى فى المنطقة ، وتصميمها على الوقوف بعيدا عن مناطق النفوذ ، وضرب مثلا على ذلك انسحاب الخبراء الروس ٠٠ وقال : ان السبب الوحيد لوجود خلافات بين الولايات المتحدة ومصر يتمثل فى الدعم العسكرى الكامل الذى تقدمه الولايات المتحدة لاسرائيل ، وحـــذر الرئيس من أن اسرائيل سوف تتحدى فى يوم من الايام موقف أمريكا فى الشرق الاوسط تماما كما تحدت دور بريطانيا ، ومضى الى القول : أن السبب الرئيسى لمشكلة الشرق الاوسط هو النزاع بين المجتمعين اليهودى والفلسطينى ولهذا فانه ينبغى على اسرائيل أن تحاول حل هذا الموضوع مع الفلسطينيين مباشرة ٠ وأنه اذا رغبت اسرائيل فى السلام ، فانه يتعين عليها أن تتصرف كاحدى دول الشرق الاوسط ، ولا تستمر فى الاتكال على التأييد من العالم الخارجى ، وأن تضع حدا للهجرة ، وأن تقطع صلتها بالصهيونية العالمية وأن تتخلى عن دعاوى مواطنيها بشأن الجنسية المزدوجة ٠

وقال « نيكسون » : أنه يعتقد ، على نحو ماحدث فى التسوية مع الصين وفيتنام ، أن المحادثات التى ستجرى فى المستقبل مع مصر ينبغى أن تتم على مستويين ، أحدهما عن طريق وزارة الخارجية ، اذ يكون كل شىء هناك علنيا والمستوى الآخر بالاساليب السرية ، تتم باشراف الدكتور « كيسنجر » وبدون

علم وزارة الخارجية وسيكون هذا هو الطريق للتوصل الى تسوية حقيقية • وسـوف تكفل السرية حتى لا تعلم اسرائيل بما يجرى فى الوقت الحاضر على الاقل (وطلب من الجنرال « سكوكروفت » بأن لا يسجل هذه الفقرة فى محضر المحادثات ، على الرغم من أنه يجب علينا أن نفترض أن أشرطة التسجيل كانت تدور طوال الوقت • وقال : انه يجب أن تستمر الاتصالات مع « كيسنجر » ، وينبغى أن نتحدث اليه بصراحة بالضبط كما لو كنا نتحدث الى الرئيس •

وأنهى « نيكسون » كلامه بقوله أنه يرغب فى أن يذكر حكاية شخصية ، فمنذ يومين كان يتناول طعام الغداء مع ابنته ، وسألها عن أى بلد من البلدان التى زارتها ترغب فى زيارتها مرة أخرى ؟ فقالت مصر • وكان الانطباع الذى حصل عليه « حافظ اسماعيل » من اجتماعه الذى استغرق سبعين دقيقة مع الرئيس هو أنه مرتاح الى درجـة كبيرة وأن اعرابه عن حسن نيته تجاه مصر كان حقيقيا • وشعر بأن نيكسون تواق الى أن يلعب دورا شخصيا فى حل مشكلة الشرق الاوسط •

ولم تكن الاجتماعات السرية الثلاثة التى عقدها « حافظ اسماعيل » مع « كيسنجر » فى منزل « دونالد كبندال » (رئيس شركة البيبسى كولا) وفى أوقات منفصلة يومى ٢٤ ، ٢٥ من فبراير مثمرة للغاية ، على الرغم من أنها ألقت بعض الضوء على الطريقة التى سيعمل بها « كيسنجر » • لقد أرسى ثلاث دعائم ينبغى الاسترشاد بها فى معاملاتهما • وهى الثقة المتبادلة ، وعدم اللجوء للخداع والسرية الكاملة • وقال أن أمريكا لا تستطيع أن تفرض أى شىء على اسرائيل بالرغم من أن هناك طرفا لممارسة الضغط على اسرائيل ، والتى لا يمكن لاسرائيل أن تتجاهلها ، وأن حكومته تستعد لاستخدامها اذا ما وجدت « أسس أخلاقية من أجل استخدامها يمكن أن تظهر للوجود أمام الرأى العام الامريكى • وقال ان أمريكا لا تعترض على صداقة مصر مع الاتحاد السوفيتى ، ولكن اذا اعتقدت مصر أنها تستطيع أن تلقى بأى شىء من شأنه تعكير صفو العـلاقات بين أمريكا والاتحاد السوفيتى فانها ستجد نفسها مخطئة • لقـد كانت الولايات المتحدة مستعدة لاجراء مناقشات عامة بالنسـبة للمشكلات القائمة فى الشرق الاوسط مع الاتحاد السوفيتى ، ولكن عندما تصل الى مرحلة التفصيلات فانها تفضل أن تتعامل فقط مع الاطراف المعنية • ثم مضى بعد ذلك الى معادلة السيادة والامن المحببة الى نفسه : وألمح على أن أى انسحاب تقوم به اسرائيل سيعنى التخلى عن قواعد عسكرية موجودة من أجل الامن ، وأنه يتعين على اسرائيل أن تقتنع بأن الامن العسكرى لا يعتبر شيئا • وأنه يتعين على المصريين أن يقرروا ما هم على استعداد لتقديمه مقابل انسحاب اسرائيلى • بينما الذى يبدو بوضوح أن مصر ـ وهى البلد الذى يرزح تحت الاحتلال ـ ينبغى أن لا تكون الدولة التى يطلب منها تقديم تنازلات •! ولقد ذكر لحافظ اسماعيل أن الضمانات الشفوية غير كافية ، وأن التنازلات المتوقعة من مصر هى تنازلات سياسية واقليمية •

لقد استاء اسماعيل من عدد من مفاهيم « كيسنجر » واعتراه القلق من احتمال التأخير حتى اجراء الانتخابات الاسرائيلية فى أكتوبر ولكنه من ناحية أخرى غادر الولايات المتحدة وهو مستعد لان ينصح السادات بأن الامريكيين ـ على أقل تقدير ـ يبدون جادين فى النهاية فيما يتعلق بتقديم المفاوضات •

وفى باريس أثناء عودته الى بلاده ، قرأ « حافظ اسماعيل » خبر أوردته « النيويورك تايمز » ـ بأن « نيكسون » قرر تزويد اسرائيل ب ٣٦ طائرة « سكاى هوك » جديدة ، و ٤٨ طائرة فانتوم • وسارع « كيسنجر » من خلال أساليبه السرية ليؤكد للسادات أن هذا الخبر كاذب ، وأن طلب اسرائيل (موضوع منذ فترة طويلة) قيد البحث • وقد تملك الغضب « كيسنجر » لهذا التسريب ، لانه يفرض محادثاته مع « اسماعيل » ، وبالرغم من كونه القوة المحركة وراء شحنات الاسلحة لاسرائيل الا أنه رفض فكرة ارسال أسلحة مجزئة الى اسرائيل مفضلا على ذلك التزاما واحدا طويل الاجل ، يحول دون ظهور الاعلانات الاستفزازية • وعلى الرغم من ذلك فان الخبر لم يكن كاذبا ، وانما كان سابقا لاوانه فقط ، ولقد أكده « نيكسون » فى الربيع أى بعد شهر واحد من رحيل « اسماعيل » •

وبغض النظر عن التفسيرات الفنية فان الخلل الذى وقع لا يمكن رتقه • ان اخفاق « حافظ اسماعيل » فى مهمته كان نقطة التحول الى طريق الحرب لقد صرح السادات فى أبريل ل « أرنو دى بوتشجراف » مراسل « النيوزويك » أننا اذا لم نتولى قضيتنا بأنفسنا ، فسوف لا يكون هناك تحرك ، ان كل باب طرقته قد أغلقته اسرائيل فى وجهى بعنف ، تباركها فى ذلك أمريكا • لقد أصبح الموقف ميؤسا منه •• وحان الوقت لاحداث صدمة ان كل واحد يغط فى النوم بالنسبة لمشكلة الشرق الاوسط •• وقد تركنا الامريكيون وليس أمامنا طريق آخر •• إننا بصدد تعبئة كل شىء من أجل استئناف المعركة •• التى أصبحت الآن أمرا حتميا •

لقد استبعد « كيسنجر » هذه المقابلة الصحفية على أنها كلام منمق •• ولكن عندما حان الربيع أخذ يهتم بالشرق الاوسط ، وأصبح أكثر قلقا ، واجتمع مع « حافظ اسماعيل » مرة أخرى فى باريس حيث سعى الى ازالة الشك المصرى بمحاولة الثقة ، وقد استغل السادات هذا الاجتماع بصورة رئيسية كغطاء للقرار الذى كان قد اتخذه بشن الحرب •

وقام « الشيخ زكى اليمانى » وزير البترول السعودى بزيارة لواشنطن ، ولمح باحتمال استخدام « سلاح البترول » اذ لم تحرك « واشنطن » الاسرائيليين فى القريب العاجل ، وهو التهديد الذى أطلقه الملك فيصل بصورة متكررة من الرياض • ولم يكل الاردنيون من تحذير « كيسنجر » من أن الحرب وشيكة الوقوع ولقد اختص «كيسنجر» أحد المراسلين الاجانب البارزين بقوله : « ان تعنت الاسرائيليين يقودهم الى الكارثة » ومع ذلك فانه كان يعتقد أن لديه فرصة ـ كما كانت لديه فرصة مع « شوين لاى » لاصلاح العلاقات مع الصين ، ومع « دوك ثو » لاجراء مفاوضات السلام فى « فيتنام » • ان السلام مطلب يحتاج الى وقت طويل والى مهارة ، ولا يخضع للمواعيد النهائية•

وبجانب هذا فان فضيحة « ووترجيت » كانت تزحف تدريجيا على « نيكسون » وقد جعلت نفوذه الداخلى يتقلص وينحسر ، وشلت قدرته على اتخاذ القرارات، وانغمس « كيسنجر » فى الاستعدادات من أجل عقد اجتماع القمة مع « بريجنيف » الذى بدأ أثناء وجوده فى « واشنطن » فى شهر يونيو وكأنه يوافق « نيكسون » على أن مشكلة الشرق الاوسط ليست ملحة • وانقضى صيف عام ١٩٧٣ مع فضيحة « ووترجيت » واستخدمت أمريكا حق الفيتو

ضـــد قرار لمجلس الامن يدعو الى الانسحاب الاسرائيلي الكامل من الاراضي المحتلة ٠

وفي سبتمبر حل « كيسنجر » محل روجرز كوزير للخارجية (مع احتفاظه بالاشراف على مجلس الامن القومي) وبذلك توصل الى ما كان يرغب فيه منذ فترة طويلة ضد ذلك الموظف الحكومي الذى يتصف بالصراحة والسذاجة ٠ وانعقدت الجمعيـــة العـــامة للامم المتحدة في ٢٦ سبتمبر ودعا « كيسنجر » الى عقد مؤتمر صحفي ٠ وقد فسرت ملاحظاته الخاصة بالشرق الاوسط – في معرض تأمل للماضي – وكأنها نبؤة حققت نفســـها بنفسها ، بنبؤة لاتثير السخرية فحسب بل وتبعث على الضحك ٠ فقد قال : « انه من المهم أن السياسة الخارجية لا تقترن بفرد واحـــد أو بهواة التمثيل ٠٠ وفيما يتعلق بالشرق الاوسط فانه سيكون من الخطأ الفاحش أن نفترض أن أى شخص بمفرده ، يمكنه أن يخرج الارنب من القبعة ٠ انكم لا تستطيعون أن تتوقعوا ، ولا ينبغي لأى واحد أن يطالبنا – بتقديم كل الصيغ ، وكل الارادة كبديل عن تلك التى تخص الاطراف الاخرى » ٠

ودعا « كيسنجر » أثناء وجوده في نيويورك وزراء الخارجية العرب الى حفل غداء ٠ وقد اختلف العرب فيما اذا كانوا يقبلون هذه الدعوة ، وفي النهـاية لم يرفض الدعوة الا الليبيـون والعراقيون واليمنيـون الجنوبيون ٠ وكان كيســـنجر حتى ذلك الوقت قد تجنب العرب بأقصى ما يمكنه ، والآن يبدو مضطربا لانه توهم أن ديانته اليهودية قد تلحق الضرر بالحوار ، لذا قرر ازاحة هذا الحاجز البعيد ، عن طريق نكتة ، فقال لضيوفه : « اننى أعترف أن كثير منكم ينظرون الى بعين الشك ، وهذا يذكرنى بحكاية تتصل بوضعنا هذا » ، فقد دعا الشيوعيون الى مظاهرة ، وتسللت الشرطة خلالها عن طريق أحـــد المرشدين ، وقام البوليس بالتغلب عليها وضرب كل فرد ٠ فاحتج المرشد وقال « اننى مناهض للشيوعية » فقال له رجال الشرطة اننا لا يهمنا الى أى نوع من الشيوعيين ، تنتمي – أنت مقبوض عليك ؟ ٠

فهم نصف العرب هذا على أنه أسلوب « كيسنجر » البارع في السخرية من يهوديته ، وليؤكد لهم أنه ليس صهيونيا ، أما النصف الآخر فلم يكن لديه فكرة عما كان يتحدث عنه وعلى كل حال فقد بدد التوتر وواصل كلامه « ان مشكلة الشرق الاوسط تعتبر مشكلة معقدة ٠ وان الولايات المتحدة تعترف بأن هذه المشكلة يتضمن اهتماما مشروعا بالامن من ناحية ، وبالعدل بالنسبة عن ناحية أخرى ٠ ان القرار رقم ٢٤٢ يتضمن عناصر كثيرة ، ولكن من الصعب ومن غير العملي أن نفرض صيغا نظرية وشاملة على الشرق الاوسط ٠ ان هذه المشكلة يجب تناولها بالتدريج جزءا – جزءا » ٠

وقد لمح «كيسنجر» – في خلال الدردشة التى كانت دائرة أثناء تناول الغداء الى أنه سيتقدم بمبادرة جديدة قبل نهاية عام ١٩٧٣ ، لا تختلف في الشكل المقرر عن مبادرة « روجرز » ٠ وقد أثر أســـلوب « كيسنجر » في وزراء الخارجية ٠ ولم يكن « نيكسون » يعترف مطلقا بأن العرب يسعون الى العدل ، فلم يبد أى وزير خارجية « انجلو – سكسونى » مثل هذه الحماسة ٠٠ انها حماسة سامية ٠ وترك « كيسنجر » ضيوفه على مائدة الغداء وقد وثقوا في

أنه ستمر عدة شهور قبل أن يتمكن من عمل شيء ما وأدركوا ذلك وهم راضون عن أسلوب « كيسنجر » .

وبدأت الحرب العربية الاسرائيلية ــ بعد ذلك بأقل من أسبوعين .

وبقدر ما أسهمت الولايات المتحدة فى اندلاع نار الحرب فان أخطاء السياسة الامريكية يمكن تحديدها فى المقام الاول فى شخصين ، لانهما وحدهما كانت لديهما سلطة العمـــل .. أو بمعنى آخر هما « ريتشارد نيكسون » و « هنرى « كيسنجر » . فنيكسون يعتبر المسئول الاول ، فحتى لو أراد ــ بوصفه رئيسا للجمهورية ــ أن يتوصل الى تسوية ، فان « كيسنجر » موظفه الداهية ــ كان سـيدمر مفاهيمه ويشرع فى وضع مفهــوم خاص به . صحيح أن « كيسنجر » حديث العهد بالشرق الاوسط ، وأن افتقاره على الخبرة يخفف من مسئوليته. الا أنه ــ بصراحة ــ يستحق اللوم بسبب الا اهماله ،، ووعوده المبتذلة ، ومفاهيمه الاستراتيجية المشكوك فيها .

الفصل الثالث

« اضرب بالسيف وتغذى بالعسل »

مثل عربى

كانت حرب رمضان مفاجأة للدكتور « كيسنجر » ولاسرائيل ، وما كان ينبغى أن تكون كذلك فقبل ذلك بأسبوعين أخذت الاقمار الصناعية الامريكية الخاصة بالتجسس ووكالة المخابرات المركزية ومحطات المراقبة التابعة لمجلس الامن القومى ، والمخابرات الاسرائيلية نفسها ، تزود كيسنجر بالشواهد على الاستعدادات العسكرية العربية على طول جبهتى قناة السويس وسوريا ، ولم يهمل كيسنجر هذه الشواهد ٠ الا أنه أساء تفسرها شأنه شأن الاسرائيليين ووكالة المخابرات الامريكية فلقد افترض أن العرب يدركون تخلفهم الشديد فى مجال « التيكنولوجيا » وقوة اسرائيل التى لا تقهر — للمغامرة بشن هجوم ٠

وعرف « كيسنجر » أن الروس قد زادوا شحناتهم من طائرات الميج ٢١ المقاتلة ، والدبابات من طراز ت ٦٢ الى السوريين والمصريين ، الا أنه افترض أن هذه التحركات على كلا من الجبهتين كانت لاغراض دفاعية ٠ ولقد أعلن المصريون أنهم مشغولون فى مناورات الخريف ٠ وقام السوريون بانزال صواريخ سـام بالقرب من جبهة « الجولان » ، الا أن الاسرائيليين كانوا قد أسقطوا ١٣ طائرة ميج فى منتصف سبتمبر ولم تكن مثل تلك الاحتياطات تبعث على الدهشة ٠ وفى أواخر سبتمبر قام رجال المقـاومة الفلسطينية باختطاف بعض اليهود الروس فى النمسا ، وخضع النمساويون لمطلبهم الخاص بالحد من اعداد اليهود القادمين الى اسرائيل ، ولقد أغضب ذلك الاسرائيليين ٠ والخلاصـة أن « كيسنجر » توهم أن الجيشين المصرى والسورى يحاولون ببساطة الحيلولة دون تعرض القاهرة أو دمشق للهجمات أو الاغارة على القواعد الفلسطينية وفى الحقيقة ، أن « كيسنجر » كان يخشى احتمال أن تبدأ اسرائيل الحرب وحذر الاسرائيليين من أنهم اذا فعلوا ذلك فانهم لن يتمكنوا من الاعتماد على أى تأييد أمريكى ٠

أعادت تحذيرات كيسنجر لاسرائيل الى الاذهان تلك التحذيرات التى وجهها « الجنرال ديجول » الى « أبا ايبان » وزير الخارجية عام ١٩٦٧ عشية حرب الايام الستة حين قال موجها النصح الى « ايبان » بصورة ملحة « لا تشعلوا الحرب » ٠ ان العالم وأنا سنعتبركم المعتدون كما أنكم ستجعلون الاتحـاد السوفيتى يتغلغل بصورة عميقة فى الشرق الاوسط ، وستعانى اسرائيل مغبة ذلك وسوف تخلقون قومية فلسطينية لن تتمكنوا من التغلب عليها ٠

لقد كان تحذير « ديجول » نبوءة ، ولكن فرنسا تعتبر فى القوة دولة من الدرجة الثانية ، وتجاهلها الاسرائيليون ٠ أما الولايات المتحدة فتعتبر قوة من

الدرجة الاولى ، وهى المصدر الرئيسى لاسرائيل ، وهم لا يستطيعون تجاهل تحذير « كيسنجر » ٠

وفى الرابع من أكتوبر سحب الروس - على وجه السرعة - مئات من رعاياهم من القاهرة ودمشق ، وفى اليوم التالى لاحت نذر الحرب أكثر ، وعلى الرغم من أن « كيسنجر » شعر بالقلق لكنه استمر فى اساءة التقدير ٠ وفى ظلام الليل اتضح للاسرائيليين أن مصر وسوريا على وشك الهجوم ، وعندئذ فقط بدأ الاسرائيليون حشد قواهم ٠٠ ولكنهم لم يبدأوا كما حدث فى ١٩٦٧ بسبب تحذير « كيسنجر » ، وفوق كل شيء فقد كانوا واثقين من أنه يمكنهم بسهولة أن يصدوا العرب على كلا الجبهتين ٠ ولم يعرف « كيسنجر » أن الحرب أصبحت وشيكة الوقوع الا قبل بدئها بساعتين ، عندما أيقظه المساعدون الساعه السادسة صباحا فى هلع وهو نائم فى شقته الكائنة فى « والدورف تاوزز » بنيويورك ٠ وقام - وهو كالمسعور - بالاتصال بالروس ، وبالاسرائيليين والمصريين ، وبالرئيس « نيكسون » الذى كان يقضى أجازة فى « فلوريدا » ٠ لقد كان الوقت متأخرا جدا فقد بدأ العرب الهجوم الساعة الثامنة بتوقيت « نيويورك » أى فى الساعة الثانية بعد الظهر على قناة السويس - فى يوم العاشر من رمضان وهو الشهر الذى يصوم فيه المسلمون ، فى منتصف يوم « عيد الغفران » ، وهو يوم التكفير عند اليهود - الموافق يوم السبت السادس من أكتوبر ٠

وعاد « كيسنجر » الى « نيويورك » على وجه السرعة ، وطبعا لتأكيد وكالة المخابرات المركزية فان الاسرائيليين سوف يكسبون الحرب بسهولة ٠ واعتقد « كيسنجر » أن العرب قد ارتكبوا غلطة كبرى ٠ اذ أنه كان قد حصل عشية الحرب على موافقة اسرائيل وتوهم أنه حصل على موافقة مصرية من محمد حسن الزيات وزير الخارجية الذى كان وقتئذ فى نيويورك على بدء « المحادثات فى وقت قريب » فى نوفمبر ٠ وظل « كيسنجر » الذى سيطر عليه الارتباك والغضب يشكو لمساعديه بصورة مستمرة لعدة أيام من « العرب غير العقلاء » ، و « العرب المعتوهين » ومن رومانسية العرب التى تقودهم الى توقعات مستحيلة ، ولاقتناعه بأن اسرائيل سوف تسحق مصر ، فقد خشى من تدخل الاتحاد السوفيتى ومن ثم يجبر الولايات المتحدة على الوقوف الى جانب اسرائيل مهددة باندلاع حرب بين الدول العظمى ٠

وبدأت وجهة نظر « كيسنجر » تتغير يومى الثامن والتاسع من أكتوبر ٠ لقد بدأ الاضطراب ينتاب السوريين بعد نجاحهم المبدئى على « مرتفعات الجولان » ، ولكن المصريين عبروا قناة السويس وحطموا خط « بارليف » ، وتوغلوا عدة أميال فى عمق سيناء ٠ وفقد الاسرائيليون أعدادا كبيرة من الدبابات والطائرات بالاضافة الى أسطورتهم التى تقول أنهم قوة لاتقهر ! وكان « كيسنجر » أول من شعر بأن الميزان الاستراتيجى يتحول لغير صالحهم ٠ ولم يفكر فى معالجة الامر على الفور ، لانه أدرك بصورة غريزية أن الميزان الجديد يوفر له فرصة رائعة كامتداد للدبلوماسية فاذا استطاع أن يحول دون أى طرف وتحقيق كسب حاسم فى هذه الحرب فمن المحتمل عندئذ أن يتمكن من استخدام النتيجة للشروع فى المفاوضات ، وفى نهاية الامر ينهى النزاع العربى الاسرائيلى وينبغى أن تفهم كل تحركات « كيسنجر » التالية فى ضوء هذا المعيار ٠

اقترح «كيسنجر» بعد بدء الحرب بوقت قصير وقف اطلاق النار عند خطوط الخامس من أكتوبر وهو الامر الواقع السابق ــ لانه تنبأ ــ الى حد ما ــ بأن الاسرائيليون سوف يزحفون الى القاهرة ودمشق ، وهذا ما لا يريده ٠

وبعد أن أخذت الحرب تتكشف ، وأصبح واضحا أن المصريين يستطيعون الاحتفاظ بقبضتهم على الاراضي ــ حاول « كيسنجر » أن يرتب بدلا من ذلك ، وقفا لاطلاق النار في الوضع المناسب ، مما يمكنهم من البقاء حيث يقفون ، ويجرون مفاوضات ــ فيما بعد من موقف القوة واستعادة الكرامة ولكن السادات اعتقد أنه يستطيع أن يستمر في احراز النصر ٠ وفي ضوء ما حدث ، نجد أنه ارتكب خطأ فادحا لعدم ايقافه الحرب ، بينما كان ما يزال متقدما ٠ وقد فرض عليه تحالفه مع سوريا مساعدتهم ، وذلك عن طريق ابقاء جبهته نشيطة ٠

لقد كتب الكثير عن دور « كيسنجر » في امداد اسرائيل بالاسلحة خــلال حرب أكتوبر ، لقد صور على أنه بطل يناضل بشجاعة للتغلب على العقبات التى وضعها البنتاجون ، وصور على أنه شرير يتلاعب بمصير اسرائيل ٠ وأن الشواهد لتنكر مثل تلك التفسيرات الجدلية ٠ فلقد قرر « كيسنجر » حسب مفهومه السابق أنه يجب أن تستغل الحرب من أجل تشجيع التوصل الى تسوية ــ منع ارسال الشحنات الرئيسية الى اسرائيل مادام الروس يمارسون الحد من ارسال الشحنات ، وما دام عنده الامل في أن السادات سيقبل وقف اطلاق النار عند خط ملائم ٠ انه لم يدرك أهمية الانفتاح على مصر فحسب ، بل انه رغب في الحيلولة دون فرض خطر بترولي ودون حدوث موجة انتقام عارمة من العنف ضد أمريكا على امتداد العــالم العربي ، ولهذا فان « كيسنجر » و « نيكسون » قد توصلا في بداية الحرب الى حيله التى أصبحت موضــوع للكثير من الجدل فيما بعد ٠ لقد قال « نيكسون » « للبنتاجون » أن يتشدد لكي يبدو أنهم يعرقلون ارسال الشحنات الرئيسية الى اسرائيل حتى يحين الوقت لاتخاذ أجراء آخر حسب الاتفاق الذى تم بينه وبين « كيسنجر » ولم يكن كل من « نيكسون » أو « كيسنجر » على استعداد للاندفاع تحت ضغط الاسرائيليين ، وكان لهما الفضل فيما بعد في نظر اليهود الامريكيين عندما أرغمتهما الظروف التى حدثت فيما بعد على مد جسر جوى ٠

وقد أعلن فيما بعد « جيمس ر٠ شليزنجر » وزير الدفاع الذى كان دوره سطحيا في هذا الموضوع « لقد ظهرت قصة كان يقصد بها التغطية في تلك الفترة وتتمثل في أن مصدر المعارضة بالنسبة للجسر الجوى هو « البنتاجون » وأن هذه القصة قد وضعت من أساسها لحماية حقائق السياسة القومية » ٠

وفي اليوم الثالث للحرب بدأت اسرائيل تلح للحصول على امدادات جديدة٠ فقرر نيكسون السماح بارسال بعض المواد الثانوية بصفة سرية ، وعدد قليل من الطائرات الا أنه من ناحية أخرى لجأ بشدة الى استخدام « قصة التغطية » واشتدت الازمة مع الاسرائيليين في العاشر من أكتوبر عندما أصبح من الواضح احتمال أن تمتد الحرب الى أسابيع ، ولكن «كيسنجر» يواصل لوم «البنتاجون» لوضعه العراقيل أمام ارسال الشحنات الرئيسية ٠٠ ولقد كان هذا أفضل عمل لمنع سيمحادينتز السـفير الاسرائيلي من حشــد اليهود الامريكيين ضــد الحكومة ولقد صدق « دينتز » احتجاجات « كيســـنجر » بأن بيروقراطية « البنتاجون » هي المسئولة ، وكبح ثورته ٠

وكان « كيسنجر » يحاول أن يتوصل الى وقف اطلاق النار عند مكان مناسب ، ولقد قبل الاسرائيليون ذلك وهم غاضبون فى الثانى عشر من أكتوبر وكوفئوا على ذلك بارسال امدادات أكثر قليلا • ورفض « السادات » وقف اطلاق النار فى الثالث عشر من أكتوبر • وهو اليوم الذى يفترض فيه أن الجسر الجوى السوفيتى قام فيه بنقل كميات كبيرة الى كل من مصر وسوريا • ولقد عرفنا الآن أن الطائرات السوفيتية كان أكثر من نصفها فارغا ، الا أن شاشات الرادار الامريكية لم يكن فى امكانها أن تميز ذلك • ولقد أثار الجسر الجوى السوفيتى « كيسنجر » وجعله ينحى « حيلته » جانبا ويسمح بارسال كميات ضخمة من الاسلحة الى اسرائيل ، انه لم يتخذ هذا لانقاذ اسرائيل ولكن ليلقن الروس درسا قاسيا ولم يعد هذا بالنسبة له نزاعا بين اليهود والعرب وانما اختبارا للعزيمة بين واشنطن والكرملين وفى هذا الشأن عادت الى « كيسنجر » هواجسه المزمنة (وهى أيضا هواجس « نيكسون ») بأنه لايجب مطلقا أن يسمح للاسلحة السوفيتية بأن تتغلب على أسلحة الولايات المتحدة • وهكذا ، وفى النهاية فاقت الشحنات الامريكية الى اسرائيل الى حد كبير تلك التى أرسلتها « موسكو » الى العرب ، مبرهنة للروس ــ وللعالم القدرة المادية لامريكا فى وقت الازمات ، وخطورة تحدى الولايات المتحدة فى الشرق الاوسط أو فى أى مكان آخر •

وفى السابع عشر من أكتوبر ــ أى بعد يومين من اطلاق كيسنجر للجسر الجوى ــ قام بعض وزراء خارجية الدول العربية وهم « عمر السقاف » وزير خارجية السعودية « وعبد العزيز بوتفليقة » وزير خارجية الجزائر ، ورفيقهما وزيرا خارجية الكويت والمغرب بزيارة للبيت الابيض بوصفهم مندوبين عن دولهم العربية ويتحدثون باسم الدول العربية كلها ، وكانوا متوترين ويبدو عليهم الارتباك ، عندما استقبلهم « كيسنجر » فى مكتبه فى الجناح الشرقى • ولقد سلم « كيسنجر » بأن الولايات المتحدة قد أولت انتباها غير كافى للمشكلات فى الشرق الاوسط « اننا سنبذل جهدا دبلوماسيا أكبر » وأقر قائلا : اننا نعترف بأن هذه المشكلة تترسخ بسبب الافتقار الى التقدم ، لقد أوضحتم رأيكم ، وأن الرئيس وأنا ستكون أكثر نشاطا حالما تنتهى الحرب • اننا سنبذل جهدا دبلوماسيا كبيرا • وسأتولاه بنفسى ، وبالطبع فان التقدم الحقيقى سيستغرق وقتا ، كما هو حادث فى انفتاحنا على الصين ، وسيتطلب خطوات عديدة أن هدفنا ليس هو تشجيع مبادىء مجردة وانما التركيز على مواطن الاتفاق ، وسنباشر عملية التوفيق وترى الى أين تؤدى •• وأن أى وقف لاطلاق النار الذى سيحدث الآن سيأخذ فى الحسبان فاعلية الجيوش العربية وبسالتها •• اننا نعترف بالحقائق الجديدة فى الشرق الاوسطى » •• ومهما تكون تلك الحقائق الجديدة ، فان الحرب لم تغير من فلسفة « كيسنجر » الخاصة بالمفاوضات •

وأجاب السقاف بترديد المناشدة العربية المعتادة والتى تقضى بتطبيق القرار رقم ٢٤٢ ، الخاص باستعادة الحقوق العربية والفلسطينية ، وذلك عن طريق تبنى الولايات المتحدة « لسياسة عادلة وغير متحيزة » وبالرغم من أن العرب كانوا غاضبين من « كيسنجر » بسبب الجسر الجوى فقد كانوا مهذبين للغاية ــ أو مرتكبين للغاية ــ فى الالحاح على هذه النقطة • ولقد حير هذا « كيسنجر » ، فاستدار ناحية « بوتفليقة » الذى كان يلوح بسيجار ضخم فى يده ، وكان

يلتفت الى مترجمه وهو يهمس باستمرار باللغة الفرنسية • ولم يكن «كيسنجر» قد قابل قط هذا الوزير العنيد • وقال « انني أعرف سعادتكم بطريق السماع ولقد توقعت أن تكون أكثر تشددا » وابتسم بوتفليقة ببساطة من تحت شاربه الاسود وقال أستميحك العذر » واستمر كيسنجر يقول « انه يجب على أن أذهب لاقابل الرئيس اننا لم نتعود التعامل مع عرب معتدلين » (ضحك) واجتمع كيسنجر بالرئيس وبعد عشر دقائق تقريبا عاد ليرافق الوزراء الى داخل المكتب البيضاوى الشكل •

وتحدث نيكسون بطريقة غير مترابطة وأثار على نحو أكثر مما فعل مع « حافظ اسماعيل » زياراته السابقة الى العالم العربى « عندما كنت فى بلدكم •• عندما طفت ببلدكم •• » وأعاد التأكيد على فلسفة « كيسنجر » الخاصة بالمفاوضات وأضاف « لن تعوقنا السياسات الداخلية وسنقوم بوضع سياستنا الخارجية على أساس مصالحنا القومية » •

وأعلن العرب الحظر البترولى فى اليوم نفسه ، وفى التاسع عشر من أكتوبر أى بعد يومين ــ من طلب « نيكسون » من الكونجرس التصديق على تزويد اسرائيل بأسلحة قيمتها ٢ر٢ بليون دولار •

وحتى قبل أن يصـــل اليهم الجسر الجــوى الكبير ــ بدأ الاسرائيليون يسيطرون على ميدان القتال ليس فقط بدفع الســـوريين على أعقابهم نحو « دمشق » • ولكن بتحطيم مئات الدبابات للسادات فى يوم واحد • لقد اجتاز الاسرائيليون فى الخامس عشر من أكتوبر قنـــاة الســـويس ، بالقرب من الاسماعيلية الواقعة على الضفة الغربية ، ثم أخــذوا بعد ذلك فى محاصرة الجيش الثالث على الضـــفة الشرقية • وفى السادس عشر من أكتوبر طار « اليكسى كوسيجين » رئيس الوزراء السوفيتى الى القاهرة لقضـاء ثلاثة أيام ، ومعه تعليمات للتحدث الى السادات بشأن انهاء الحرب • وفى العشرين من أكتوبر طار كيسنجر الى موسكو حيث تفاوض هناك مع السوفيت حول بنود قرار مجلس الامن رقم ٣٣٨ وهو يدعو الى الوقف الفورى لاطلاق النار فى الوضع المناسب ، وتطبيق القرار رقم ٢٤٢ بكل بنوده ، واجراء محادثات فورية بين الاطراف من أجل اقامة سلام دائم وعادل فى الشرق الاوسط (*) وقد أقر هذا القرار فى الامم المتحدة فى الثانى والعشرين من أكتوبر ، على الرغم من أن الاعمال الحربية كانت قد امتدت لعدة أيام أخرى ، فى الوقت الذى قام فيه الاسرائيليون بمناورات لتحطيم الجيش الثالث •

ولم تكن لدى « كيسنجر » النية فى أن يسمح للاسرائيليين بانهاء الحرب بغزو ساحق ، لان هذا من شأنه أن يلحق بالمصريين الخزى كما حدث فى عام ١٩٦٧ ، ويقضى على احتمال اجراء مفاوضات مثمرة ، ولقد مارس « كيسنجر » ــ بتأييد من الرئيس ــ ضغطا مكثفا على اسرائيل للتوقف •

وقد وصف « الجنرال موشى ديان » وزير الدفاع فى خطبه وأحاديثه الصحفية اللاحقة هذه الازمة الكبيرة ، مع واشنطن والتى طغت على ما قد يقع من أزمات أخرى فى المستقبل :

★ ورد نص القرار ٣٣٨ والقرارات المرتبطة ٣٣٩ ، ٣٤٠ فى الملحق الثالث •

« لقد واجهنا الامريكيون – في سبيل تمهيد الطريق مع العرب – بانذار يقضى بأنه اذا لم نمكن الجيش الثالث من الحصول على الطعام والمياه ، فاننا سنجد أنفسنا في نزاع سياسى معهم (أى الامريكيين) ٠٠

سميث (*) : اتهمت الولايات المتحدة بأنها هددت ، بنقل المؤن عن طريق الجو من أجل انقاذ حياة الجيش الثالث المحاصر ٠٠ اذا ما رفضت اسرائيل السماح بنقل الطعام والمياه على طرق كبرى ما الذى حدث بالفعل ؟

ديان : لقد تدخلت الولايات المتحدة ، وأنكرت علينا ثمار النصر ٠ لقد كان انذارا ٠٠ لاشىء أقل من ذلك ٠ فلو لم تضغط الولايات المتحدة علينا فان الجيش الثالث ومدينة السويس كانا سيسلمان وكنا سنأسر ما بين ثلاثين الى أربعين ألف جندى ، وكان سيتعين على السادات أن يعلن ذلك لشعبه ٠ ولقد كان من المحتمل أن نحجزهم لمدة يوم ونتركهم يخرجون بدون أسلحتهم ، ولكن هذا كان سيغير موقف مصر برمته حول ما اذا كانوا قد كسبوا أو خسروا الحرب أنها كانت ستعطينا أوراقا أكثر أثناء المفاوضات العملية ٠

سميث : هل كان السوفييت سيتدخلون حقيقة كما ذكر الامريكيون بأنهم كانوا سيفعلون ذلك في وقت ما ٠

ديان : لا أعتقد ذلك ليس بسبب الجيش الثالث ٠ أما اذا كنا قد حاولنا الاستيلاء على القاهرة أو أسوان ، فقد كان من الممكن أن يحدث ذلك هل تذكر تأهب الولايات المتحدة في الرابع والعشرين من أكتوبر ؟

لقد اعتقدوا (الامريكيون) أن السوفيت يعملون على انزال فرقة محمولة جوا بالغرب من القاهرة ، تنضم الى المصريين لاخراجنا من الضفة الغربية للقناة٠ لقد كان السوفيت قلقين بالنسبة للقاهرة وأسوان وليس على انقاذ الجيش الثالث ٠

ولقد أنذر نيكسون المسز مائير ابان تلك الازمة بأنهما سيوقفان شحنات الاسلحة الامريكية اذا ما واصل الاسرائيليون هجومهم على الجيش الثالث ٠ ولقد هدد كيسنجر بالفعل – بارسال الطعام والدواء الى الجيش الثالث (بواسطة طائرات هيلوكوبتر أمريكية) – على الرغم من عدم اصدار الاوامر بخطة طوارىء «لهذا الغرض» – اذا لم يسمح الاسرائيليون للمصريين باقامة طريق انقاذ خاص بهم ٠

وفي الرابع والعشرين من شهر أكتوبر تلقى كيسنجر في واشنطن رسالة من ليونيد بريجنيف سكرتير عام الحزب الشيوعي يقترح ارسال حملة سوفيتية – أمريكية مشتركة لانقاذ الجيش الثالث ٠ ولقد حذر بريجنيف من أنه لو امتنعت الولايات المتحدة ، فان الاتحاد السوفيتى سيتدخل من جانب واحد ٠ ولقد أخذ الروس في الفعل في استنفاد الفرق المحمولة جوا ٠ لقد كانت الرسالة مثيرة للفزع ، الا أن كيسنجر أفرط في رد الفعل لقد أقنع نيكسون بعد الحساح أن يعلن حالة تأهب « دنيا » القوات الامريكية في شتى أنحاء العالم ، بما فيها القيادة الجوية الاستراتيجية المزودة بالاسلحة

(*) تيرنيس سميث مراسل صحيفة النيويورك تايمز في اسرائيل في حديث صحفي مع ديان نشر في ٢٦ يناير ١٩٧٥ ٠

النووية ، ولقد أعد البنتاجون ـ على وجه السرعة ـ خطة تقضى بارسال قوات أمريكية بطريق الجو الى معركة المعارك لمجابهة القوات السوفيتية • ولقد تخلى عنها بعد ست ساعات عند تهدئة الازمة •

ولقد بدأت اعلان « حالة التأهب النووى » فى ذلك الوقت على أنه مسرحيـة لتحويل الانتباه عن مشكلة ووترجيت ولكنها فى الحقيقة كانت جزءا من لعبة مدروسة كان كيسنجر يلعبها مع الروس والاسرائيليين والمصريين • ولقد حاول كيسنجر ـ فى محادثات لاحقة مع مساعديه ـ أن يعرف قراره بأن سماه « رد فعلنا المفرط المدروس » ، لقد حذر الروس ابان الحرب بأن الولايات المتحدة لن تسمح بتدخل القوات السوفيتية ، ولقد اختفت حالة التأهب الامريكى على الموضوع صبغة درامية الا أن حالة التأهب كانت تستهدف اسرائيل أيضا ، ولتوضح ـ بالتأكيد ـ أنه فى الوقت الذى لا تشجع فيه واشنطن هذا التهديد الروسى باراقة الدماء الاسرائيلية ، فانه يجب على اسرائيل أن ترد على هذه المجاملة بقبول المطالب السياسية الامريكية ، وتطلق سراح الجيش الثالث وخلال يوم تراجع الروس • وكذلك فعل الاسرائيليون •• وتم اطلاق سراح الجيش الثالث •

وهكذا انتهت الحرب الى طريق مسدود •• بالضبط كما خطط كيسنجر •• بدون أن يكون فيها نصر أو هزيمة •

وقد أظهرت حرب أكتوبر « كيسنجر » فى أوج مهارته • فقد أدرك فى وقت مبكر للغاية ، تدفعه الاحداث العنيفة ، الفرص المتناقضة للسلام ، وواصل السعى من أجل السلام بدون الخضوع للروس أو التخلى عن اسرائيل أو البعد كلية عن العرب ويتكتم أكثر من أى وقت مضى حرصه على أن يظل هو وحده على علم بجوانب النزاع كله ، وأنه هو وحده الذى يتصل بكل الاطراف •• الاسرائيليين والعرب والروس ، والاوروبيين الغربيين ، وأى شخص آخر • ولقد ظل يشعر بقلق عميق لمدة عشرة أيام ، ولكن ما أن حل اليوم الحادى عشر حتى أمسك بزمام الاحداث ، وأصبح نتيجة لوقوع نيكسون فى كارثة (استقالة سبيرو أجينيو نائب الرئيس ومذبحة ليلة السبت الخاصة بووترجيت) هو الذى يدير العالم بالفعل فقد أسهم تأخيره للجسر الجوى ، وقراره بانقاذ الجيش الثالث فى جهود السلام وهكذا خدم بتصرفه الملائم ـ وكذلك نيكسون ـ المصلحة العليا للولايات المتحدة •

صحيح أن الجسر الجوى هو الذى أثار الحظر البترولى ، كما أن طلب «نيكسون» من الكونجرس فى ١٩ من أكتوبر تقديم ٢ر٢ بليون دولار الى اسرائيل فى صورة مساعدة أدى الى زيادة الحظر • بيد أن هذه النتائج البغيضة قد طغت عليها وفقا لحسابات « كيسنجر » الحاجة الى اظهار قدرة أمريكا أمام الكرملين • ولقد شكل الجسر الجوى والتأهب النووى اجهادا قاسيا ـ فى واقع الأمر على الحلفاء فى حلف الاطلس ، كما سبب الحظر نقصا بتروليا لدى الاوربيين • ولكن الجسر الجوى لم يحطم جسور « كيسنجر » الى السادات ، فلقد أعلن السادات للصحافة العالمية بعد أسبوعين من تشغيل الجسر أن السياسة الأمريكية سياسة « بناءة » وكان هـذا التصريح الذى يختلف كثـيرا عن الاتهامات التى أطلقها « ناصر » التى اتسمت بالحقد عام ١٩٦٧ ، ولا شك فى أنه كان متأثرا بقرار « كيسنجر » الخاص بانقاذ الجيش الثالث كما كان اختبارا نفسيا سعى اليه كيسنجر واشارة واضحة

من القاهرة بأن السادات تواق للدخول فى مساومة مع الولايات المتحدة ٠ وتملك (كيسنجر) العجب في الواقع ـ عندما تدفقت الاسلحة الامريكية خلال الحرب الى اسرائيل وسيناء ـ لرد الفعل العربى اللطيف فباستثناء الحظر ، لم تحدث مصادرات ولا حوادث شغب ولا انتقامات ضد المصالح الامريكية من أى نوع ٠

ولقد توصل السادات قبل انتهـاء الحرب الى أنه بالرغم من أن أمريكا ظلت ترسانة للاسلحة تقدم لعدوه ، فانها ترغب أيضا فى أن تكون صديقة له ، ذلك ان الروس يمكنهم أن يرسلوا الاسلحة ولكن ليس فى امكانهم تحقيق السلام ومن أجل السلام فهو فى حاجة الى الولايات المتحدة ٠ فهناك مثل عربى يقول « اضرب بالسيف وتغذى بالعسل » ٠

ان السادات لم يحصل على العسل ، ولكنه باشـــعال الحرب ، استحوذ فى النهاية على انتباه « كيسنجر » ٠

الفصل الرابع

سـياسة عربية

لقد قال الدكتـور « كيسـنجر » لأحد أصدقائه ذات مرة » اننى على الاطلاق لا أعالج الأزمات عندما تفتر حدتها ، بل أتناولها فقط عندما تكون محتدمة ، فهذا يمكننى من ان أقدر أبطالها الواحد مقابل الآخر ، لا بحسب ما يستحقه منذ عشرة أو عشرين سـنة مضت ولـكن بحسب ما يسـتحقه كل منهم فى اللحظة ذاتها ، لقد كان يعني ــ بنوع خاص ــ الشرق الأسط • وقد تعرض مبدأه لاختبار خطير صباح حرب أكتوبرفلقد توقع كل منالاسرائيليين والمصريين أن يخف «كيسنجر» لانقاذهم من هذه الورطة ، وهو الذى ساعد فى التخطيط لنتيجة تلك الحرب •

لقد كان الجيشان الاسرائيلى والمصرى متداخلين بصـورة كاملة ، فالمصريون ما تزال فى أيديهم مساحات واسعة شرقى القنـاة فى القطاع الشمالى • أما فى الجنوب فقد كان جيشهم محاصرا • وفى الضفة الغربيـة ، اندفع الاسرائيليون الى مسافة ستين ميلا من القاهرة ، وطوقوا مدينة السويس • وكان السـادات يطالب بانسحاب اسرائيلى فورى الى خطوط يوم ٢٢ أكتـوبر (كما طالب بذلك قرار مجلس الأمن رقم ٣٣٨) ثم يعقد بعد ذلك مؤتمر سلام ، لينظم الانسحاب الاسرائيلى التام من الأراضى العربية كلها • ولقد طالبت « جولدا مائير » رئيسة الوزراء ــ فأعلنت أن خطوط ٢٢ أكتوبر من المستحيل اثباتها • بالعودة الفورية الى خطوط الخامس من أكتوبر ، والتبادل السريع للأسرى ، لقد تعرض وقفاطلاق النار للانهيار •

وفى نهاية شهر أكتوبر دعا « نيكسون » « جولدا مائير » لزيارة واشـنطن ، وأرسل السادات الدكتور « اسماعيل فهمى » وزير خارجيته الجديد الذى اتسم بالاندفاع ، ولم ينتظر توجيه الدعوة اليه ، مما مكن كيسنجر من محاولة القيام بدور الوسـيط فقـام بالتنقل بدون كلل بين فهمى الموجـود فى وزارة الخارجية و « مسز مائير » فى « بلير هاوس » وعلى الرغم من عدم التوصل الى نتيجة ملموسة : فقد أصر فهمى على حدود ٢٢ أكتوبر وأصرت « مائير » على عـودة الاسرى ، ومع ذلك فعلى الرغم من أن الاسرائيليين توقفوا عن تدمير الجيش الثالث فانهم لم يسـمحوا للمصريين باقامة طريق لوصـول امدادات القوت الى الجيش الثالث •

وقد لاحظ فهمى فى أول اجتماع له مع « كيسنجر » أن الولايات المتحدة ومصر قد وصلتا الى مفترق الطرق نتيجة للحرب : و لقد وافق « كيسـنجر » ــ الذى شرح عندئذ مشكلاته الملحة ــ على المحافظة على وقف اطلاق النار ــ « وأن نبدأ فى المفاوضات ، ونتوصل الى أبعد من وقف اطلاق النار بالتوصل الى تسوية شاملة » •• على نحو ماجاء فى القرار رقم ٣٣٨ • ولقد ألح على أن المجادلة مع الاسرائيليين

حول خطوط وقف اطلاق النار سوف تعوق المفاوضات بدلا من أن تعمل على تقدمها · يضاف الى ذلك أن « استمرار الضغوط (العربية) علينا ـ وبصفة خاصة الحظر البترولي ـ سيجعل التوصل الى التسوية أكثر صعوبة · انه يجب علينا أن نغرس ثقة أكيدة كل في الآخر · فاذا لم توجد الثقة ، تلاشى الاساس الذى تستند اليه علاقتنا · اننا في حاجة الى الثقة ، لأنه سيمضي وقت طويل قبل أن يتم التوصل الى التسوية · واذا تعرضنا للتهديد والنقد وممارسة الضغط من قبل العرب ، فسوف لا يمكننا اقناع شعبنا بأننا سنتعاون مع العرب، وسوف لا نتمتع بالتأييد الداخلي لهذه السياسة أتعتقدون انني « الرجل المعجزة » ·· فكروا في فيتنام ·· لقد استغرق الاستعداد للتوصل الى تسوية في «فيتنام» أربع سنوات وسنتين ونصفا من الاستعداد للانفتاح على « بكين » · اننا نحتاج الى استراتيجية طويلة المدى ·

ظل فهمي ـ بسبب تلك التعليمات التي أخذها من السادات ـ مصرا على انسحاب اسرائيل الى خطوط يوم ٢٢ من أكتوبر وقال الشيء نفسه لنيكسون عندما اصطحبه كيسنجر الى البيت الأبيض · وأسفرت مهمة فهمي عن نتائج قليلة ، ولكنها أوجدت أسلوبا جديدا في العلاقات العربية الأمريكية · وعانق « كيسنجر » · أمام مصوري الصحف وعدسات التليفزيون وزير الخارجية الأصلع · ورسم « كيسنجر » مشروع عمل يوفر جزئيا الاحتياطات لانقاذ الجيش الثالث وتبادل الأسرى . ثم طار في الخامس من نوفمبر الى الشرق الأوسط لمقابلة الجانبين المتحاربين في ساحة القتال ·

وقد توقف ـ وهو في طريقه ـ في المغرب وتونس ، لتقديم احتراماته الى الملك الحسن الثاني والرئيس الحبيب بن على بورقيبة ، بيد أن القاهرة كانت هي بغيته · وكان الدكتور « كيسنجر » قد زار اسرائيل من قبل ، ولكنه لم يذهب على الاطلاق الى أى جزء في العالم العربي · لقد كان منذ فترة طويلة يرى السادات على أنه مهرج ذو أسلوب منمق · ومن الممكن أن نجد له عذرا لهذا · كان الافتراض السائد الى وقت اندلاع الحرب في تقدير عدد كبير من المصريين أن الرئيس جمال عبد الناصر الذى بشرته أفتح قليلا من السادات أشتهر ابان وجوده على قيد الحياة بأنه كان يطلق على السادات اسم « ذلك القرد الأسود » ولم تكن حياة السادات السابقة مليئة بما يؤهله لتولى رئاسة مصر أو الوقوف على قدم المساواة مع كيسنجر في ذكائه وفطنته ·

ان السادات فلاح من دلتا النيل ، وهو من أم سودانية ، قالت لي منذ عشرين عاما « ان الغرب يكره العرب لأنهم ملونون وقد أمضى جانبا كبيرا من سني حياته المبكرة في التآمر على السيطرة البريطانية على مصر · لقد اكتشف وهو طفل في العاشرة في قريته ميت أبو الكوم مؤلفات « المهاتما غاندي » وفي الحال استطاع أن يروى ، فصلا ، وأشعارا عن الطغيان البريطاني لا في مصر بل في أنحاء الشرق كله عبر القارات الى ماوراء « هندوكوس » · وقد ذكرت لي أخته سكينة ذات مرة أن (أنور عندما كان في المدرسة الابتدائية كان يرتدى ملابس بيضاء مثل المهاتما غاندى وكان يحب السير في شوارع القرية ، وخلفه معزة يقودها بحبل ثم كان يحب بعد ذلك الجلوس تحت شجرة ، ويتظاهر بأنه مضرب عن الطعام » ·

ولقد انتقلت أسرة السادات ـ فيما بعد الى ميدان كوبرى القبة فى القاهرة حيث قام أنور بأعمال العنف ومحاولات الارهاب • وقالت سكينة أنها تتذكر أنه فى منتصف احدى الليالى ، أقبل الجنود البريطانيون والبوليس السياسى الخاص للملك فاروق مندفعين الى داخل البيت ، وقذفوا بنا من فوق أسرتنا ، وحطموا الأثاث ، والأوانى الفخارية ، ومزقوا كل شيء أربا أربا • ولم يكونوا مهذبين على الاطلاق • لقد كانوا يبحثون عن « أنور » •

وتخرج السادات مع جمال عبد الناصر ـ خلال الحرب العالمية الثانية ـ من الكلية الحربية فى العباسية عام ١٩٣٨ ، ولقد عملا معا بعد التخرج فى موقع عسكرى واحد عند « منقباد » التى تقع على ضفاف نهر النيل فى الصعيد ، وغذيا حلمهما المشترك فى بناء مصر حرة وتخليصها من الاستعباد البريطانى وفساد الملك • ومع أن ناصر كان حذرا ويميل الى التأمل ، فان السادات كان متهورا أيضا ومتعطشا للدماء • وفى عام ١٩٤١ كان السادات يدبر مؤامرات لطرد الجيش البريطانى من مصر •

وفى القاهرة اتفق مع « الشيخ حسن البنا » المرشد العام للاخوان المسلمين والمناهض للبريطانيين والفريق « عزيز المصرى » رئيس أركان حرب الجيش المصرى السابق ، الذى سرح من الخدمة بأمر من « وينستون تشرشل » وحاول السادات مرتين أن يقوم بتهريب الفريق المصرى الى الخطوط الألمانية فى الصحراء (فقد كان من المقرر أن يقدم نصائحه الى الالمان عن كيفية الالتفاف حول البريطانيين) الا أن سيارة الفريق قد تحطمت أثناء المحاولة الاولى • وفى المحاولة الثانية تحطمت طائرته عند الاقلاع • وقامت احدى راقصات الباليه فيما بعد بافشاء سر المؤامرات التى اضطلع بها السادات مع اثنين من الجواسيس الألمان فى القاهرة • وقدم الى محاكمة عسكرية فى عام ١٩٤٢ ، وطرد من الجيش وأرسل الى أحد معسكرات الاعتقال فى صعيد مصر •

لكنه هرب ، وطلب الاجتماع بالملك ، وتم اعتقاله مرة أخرى ، وهرب مرة أخرى وأقام جوالا فى أرجاء مصر كلها يبيت فى قراها ومساجدها وفى مساجد القاهرة الكثيرة ـ حتى نهاية الحرب • وفى ذلك الوقت طالب أن تتبنى حركة الضباط الاحرار السرية التى أنشأها « ناصر » أعمال الارهاب كوسيلة سياسية ، وطلب من ناصر أن يسمح له بنسف السفارة البريطانية • ورفض ناصر ، ولكنه ارضاء له عينه رئيسا لمجموعة مدنية • وقام السادات بعد ذلك بتدبير عمليات الاغتيال عدد من السياسيين الموالين لبريطانيا ، وقام بمحاولة غير مدروسة للاعتداء على حياة « مصطفى النحاس باشا » فى عام ١٩٤٥ ، الا أن بعض رفاقه قاموا بعد مضى عام بقتل أمين عثمان باشا أحد وزراء المالية السابقين ، وذلك لاعلانه أن الرابطة بين مصر وبريطانيا « كالزواج الكاثوليكى لا تنفصم » واعتقل السادات لاشتراكه فى الجريمة ، وأعيد الى السجن ، وهناك قام باستكمال تعليمه ، وتحسين لغته الانجليزية وتعلم التحدث باللغة الالمانية والفارسية ، كما تعلم قراءة الفرنسية • وأطلق سراحه فى عام ١٩٤٨ ، وزاول أعمالا شتى : سائق تاكسى ، وحمالا للأمتعة ، وصحفيا ، وكاتب قصة قصيرة ، وبائع لاطارات السيارات المستعملة ، حتى لقد أصبح عاطلا تقريبا •

وأعيد السادات الى الخدمة فى الجيش عام ١٩٥٠ بوساطة طبيب الملك فاروق وتلقى الأوامر بأن يعمل عينا للقصر ضد من يشتبه فى أنهم ثوار فى الجيش ٠ وعلى الفور أصبح عميلا مزدوجا ، ينقل كل شىء لا الى القصر وانما لناصر ٠ وفى عام ١٩٥١ رقى الى رتبة البكباشى وقد زعمت المخابرات البريطانية أنه تورط أيضا فى مؤامرة أخرى غير مدروسة ٠ فقد شارك فى زرع لغم فى وسط قناة السويس لم ينفجر عندما اصطدمت به أحدى السفن البريطانية ٠٠

وكان من المفروض أن يقوم السادات فى ليلة ٢٢ ـ ٢٣ من يوليو ١٩٥٢ وهى ليلة قيام الثورة بقطع خطوط الاتصال بين الجيش فى القاهرة ، الا أن الاشارات جاءت متعارضة ، فقد اصطحب أسرته الى احدى دور السينما وفى اللحظة الحاسمة لم يستطع ناصر أن يجده ٠

وخلال الثمانية عشر عاما التالية كان السادات يقف فى منطقة الظل بالنسبة لرئيسه ـ مثالا للشخص المتوسط المقدرة ، ومثالا للتابع ٠ ولقد عينه ناصر عضوا فى مجلس قيادة الثورة ، الأداة التنفيذية الجديدة فى مصر ، ولكنه لم يأتمنه مطلقا على المراكز الهامة لأنه كان يعتبره غير كفء ٠ وفى هذه الفترة تولى منصب رئيس تحرير الجمهورية ـ وهى صحيفة حكومية ـ ثم تولى فيما بعد منصب السكرتير العام للمؤتمر الاسلامى وقام باعداد المقالات الهجومية والقاء الخطب الملتهبة ضد الولايات المتحدة التى لابد وأن ناصر كان يخجل منها ٠

ولقد التقيت بالسادات لأول مرة فى عام ١٩٥٦ فى المؤتمر الاسلامى ـ وهو منظمة كانت تعتزم تجميع الاربعمائة مليون مسلم الموجودين فى العالم تحت راية ناصر ، ولكنها لم تصل قط الى هذا الحد ٠ لقد كنت صغيرا ، وكنت صحفيا قليل الخبرة وكنت أشعر باحباط بالغ لأننى لم أستطع أن أقابل أى مصرى ذى أهمية ٠ ونصحنى بعضهم بقوله : اذهب وقابل « أنور السادات » انه مستعد لأن يقابل أى شخص « وقد عثرت على السادات فى جزيرة الزمالك وهى احدى ضواحى مدينة القاهرة ويقطن فيها الاثرياء ويحيط بها النيل ـ وجدته يسكن « فيلا » بيضاء ، تظللها أشجار النخيل ٠ كان شديد السمرة عذب الحديث وكان حديثه مسليا للغاية فى اعتقادى ٠ وكان يرتدى بدلة ناصعة البياض ٠ سألنى آه ٠٠ أنت كاثوليكى اذن ؟ « اسمع ٠٠ لقد انتهيت لتوى من قراءة الأناجيل الأربعة : ـ « متى » و « مرقص » و « لوقا » و « يوحنا » ، وكنتيجة لدراساتى فاننى سأبرهن للعالم على أن الاسلام والمسيحية متماثلان ، وسأترك لعلماء اللاهوت وضع التفصيلات ، لقد سحرنى السادات بأفكاره حقا ولكننى عندما غادرت الفيلا لم يدر بخلدى أننى قد أجريت حديثا مع الرئيس التالى لمصر ٠

وخلال سنى تولى ناصر للحكم تطور السادات تدريجيا الى رجل مهذب، ومحنك ـ كما يؤكد ناقدوه ـ يتصف بالسطحية ويرتدى ملابسه تحت الحاح زوجته نصف الانجليزية ـ من « سافيل رو » ، كما أنه بعث بأبنائه الى المدارس الراقية٠ وقد تخلى عن الحواشى الفظة فى شخصيته ، دون أن يبتذ سحره النابع من نشأته فى الريف ٠ ولم يحتفظ السادات ـ خلافا لعبد الناصر الذى نشأ نشأة حضرية فى القاهرة والاسكندرية ، تتسم بانفصام الشخصية ـ بجذوره فى ميت أبوالكوم فحسب ، بل انه كان يعود غالبا لزيارتهما ، وليصلى فى مسجد القرية ، وليجالس

التجار والجزارين ، والكادحين في الحقول ٠٠ لقد قال لى فى عام ١٩٥٦ « ان تلك الزيارات قد علمتنى شيئا لن أنساه ، لقد علمتنى كيف أتحدث الى الناس ، وكيف أنصت لهم ٠ »

ومن وقت لآخر تعاوده بعض اندفاعاته القديمة ، فلقد حدث عندما كان رئيسا لمجلس الأمة عام ١٩٦١ ، أن ذهب الى موسكو حيث اشتبك مع (نيكيتا خروشوف) ، فى جدل صاخب ، عندما هاجم (خروشوف) اضطهاد ناصر للشيوعيين فى مصر ٠ وأدت هذه الحادثة الى تبادل الاتهامات على المستوى الدولى ، وأثارت السادات فأعلن : (انه حتى فى موسكو ، فالروس يعيشون كالخنازير) وقد تدخل فى حرب اليمن ، أولا عندما حث ناصر على التدخل فى حربها الاهلية ثم عندما عارض تلك التسوية السلمية التى ساعد هو بنفسه فى التفاوض من أجلها مع العربية السعودية عام ١٩٦٥ ، قام فى عام ١٩٦٩ بالقاء خطب حماسية ، أعلن فيها أن الجيش سيعبر قناة السويس ليطرد الاسرائيليين من سيناء ، وعارض بشدة مبادرة السلام التى تقدم بها روجرز قبل أن يؤيدها عبد الناصر عام ١٩٧٠ ٠

وعلى الرغم من ذلك كله فقد نضج السادات وأصبح أكثر حنكة خلال السنوات الطويلة التى شارك فيها مع عبد الناصر وقام بالعديد من السفر الى العالم الاسلامى ، وأمريكا ومنغوليا والى أجزاء كثيرة نائية من مصر نفسها ٠ فقد كان يريد أن يعرف شعبه بصورة أعمق وهذا ما لم يفعله ناصر ٠ ولقد بذل جهدا عظيما حتى لا يبعد كثيرا عن ظل عبد الناصر ٠ بينما حرم الضباط الاحرار الآخرون من رضا عبد الناصر لانهم كانوا ينتمون الى جماعات ترغب فى الاستحواذ على السلطة لنفسها ٠ بيد أن السادات لم يرتكب ذلك الخطأ ٠ وتجنب المكائد التى كانت منتشرة بكثرة حول الرئيس ، ولقد ظل فمه أيا كان رأيه الحقيقى بالنسبة لسياسات ناصر ــ مغلقا ، ولقد سماه ناصر « السيد نعم » وكما يقول المثل « ان الثورة تلتهم أبنائها » ولم يكن الامر كذلك بالنسبة لانور السادات لانه ناصر ناداه ــ ليس بمنحه سلطات ، وانما باطالة مدة بقائه فى الحكومة ٠ ولقد تعلم السادات أن الصبر فى المجال السياسى ، شأنه شأن الدهاء يمكن أن يكون سلاحا ماضيا وقبيل وفاة ناصر ، قام بتعيين السادات نائبا له فى عام ١٩٦٨ ٠

وخلف السادات ناصر عام ١٩٧٠ ، وبدا أنه لن يستمر طويلا ، اذ افترض منافسوه أنه أبله ، ويبدو أن هذا الافتراض قد خدم أغراضه ٠ ولم يقم ناصر بتوريث مصر الى السادات فحسب ، بل الى أتباعه أيضا ٠ فعندما قبض أتباع ناصر « سامى شرف » وزير شئون رئاسة الجمهورية ، و « شعراوى جمعة » وزير الداخلية وغيرهم على زمام السلطة فى أيديهم ، وبصفة خاصة أجهزة المخابرات المنحرفة ، توقعوا من السادات أن يفعل ما يأمرونه به ٠

واعتبرت عصابة « شرف وجمعة » نفسها الحكام الذين لهم حق حكم مصر بعد موت عبد الناصر وانهم ورثته الصغار ، وأرادوا التخلص من الضباط الأحرار القدامى من أمثال السادات ٠ كانوا أدوات عبد الناصر أثناء حياته ٠ (فلقد اعتاد أن يقول أرنى عشرة رجال يمكن أن أثق فيهم) وقد دأب على

ضرب كل منهم بالآخر ــ محتفظا في يده بكتاب أســـود سجل فيه انحرافاتهم « وكانوا كلهم تقريبا منحرفين » مسجلا حتى مغامراته الجنسية (*)

وحينما قرر شرف وجمعة الابقاء على أجهزة المخابرات بعيـــدا عن سـيطرته (السادات) ، لم يقم السادات بأى خطوة ضدهم لقد تجاهلهم فى بداية الامر ، وبدلا من ذلك فقد ركز على اقامة قاعدة قوية بديلة عندما قام بتخفيض الاسعار، وتخفيف القيود المفروضـة على الصحافة ، والجامعات ، والقضــــاء ، وكبـــار الاداريين ، ــ وفوق كل ذلك ــ الجيش ٠

ولجأ الى الاذاعة والتليفزيون فكان يتحدث فى مودة وبلغة عامية ، وهو يشع سحرا ريفيا ٠

ان القيم التى أثارها لم تـكن مستمدة من الفـكر الشيوعى ، ولكن من واقع القرية المصرية ــ وفوق كل هذا فهو يؤمن بالله ٠ وعندما بدأت شعبيته تزداد تدريجيا ، أخذ يباشر عمليات صغيرة لجس نبض أجهزة المخابرات ، ولم يجرؤ بعد على طرد شرف وجمعة ، ولكنه كان يرسل جواسيس هنا وهناك لأنه رأى من الأفضل أن يعرف بطريقة ما دسائسهم ٠ ثم رحب بمبادرة « روجرز » ودعـا « روجرز » لزيارة القاهرة لاجراء محادثات بينهما ، عرف أنها لم تؤد فيما بعد الى شيء ٠ وبعـــد سبعة شهور من توليه الرئاسة خلفـــا لناصر واستفزازه بالمؤامرات من جماعة (شرف ــ جمعة) والتى كانت على وشـــك القضاء عليه أطاح هو بالحكومة رأسا على عقب ، وزج سامى شرف وشعراوى جمعة ومنافسيه الآخرين كلهم فى السجن ٠

لقد كتبت يومها « ان هذا العمل السياسى يعتبر أعجوبة » انه درس متقن عن كيفية التقـــدم الى الامام بخطوات معتدلة ، ومن الضـعف الى القوة العظمى ٠ ولكن هذا لم يحل مشكلاته الخارجية ، ولمـا مات ناصر فقد أصبح واضحا لكل مصرى مستنير أن عمادى سياسة ناصر المتمثلين فى القومية العربية والاعتماد على لاتحاد السوفيتى قد فشلا ٠ وعرف السادات أن مصر محتاجة الى سياسة جديدة وفى نضاله من أجل تحقيقها فانه لا يمكنه أن يأتى بأى شخص من خارج مصر ــ وبصفة خاصة من الولايات المتحدة ــ ليأخذه على مأخذ الجد ٠

(*) جاوزت شكوك ناصر الحدود الطبيعية ، فلقد احب ان يرعب تابعيه بكشف معلوماته الخاصة عن تحركاتهم وان القصة المحببة بالنسبة له (من الممكن الشك فى صحتها ولكنها توضح شخصيته) وهى تتناول زيارة قام بها لسوريا عنـدما كان رئيسا لهذا البلد فى عهد الوحـدة التى لم يكتب لها النجاح بين سـوريا ومصر فى المدة من ١٩٥٨ الى ١٩٦١ ٠ فلقد اعد فريق التمثيل فى جامعة دمشق رواية « ماكبيث » باللغـــة الانجليزية ، ودعا الرئيس لحضورها ٠ وقبل ناصر الدعوة وبالضرورة فان موظفى الجامعـــة (الذين لا يتكلمون اللغـة الانجليزية بالطبع) كانوا موجـــودين لمشاهـدة التمثيل ٠ وانتظر المثلون ساعة ٠ ولكن الرئيس لم يحضر ٠ واخيرا بداوا التمثيـل دون ان يكون موجودا ٠ وقرب نهاية الفصل الاخير دخل ناصر ٠ فاسدل المثلون الستار من اجل اعادة العرض ٠ وقام احد المســـئولين ممن يحتلون مكانة ثانوية (ولم يسبق له ان قابل ناصر على الاطلاق) وكان يجلس فى الصـفوف الخلفية بالتسلل الى منزله تحت جنح الظلام لينام ٠

وعاد ناصر بعد عام الى دمشق ، وفى خلال حفل استقبال كبير حضره المئات احضر هـــذا الموظف الصغير الى الرئيس ، فحملق ناصر فى الرجل بعينين تقدحان نارا ٠٠ وقال :

« ايه ماكبيث » ٠ هل تتـذكر ؟ لماذا انسحبت عندما كنت موجودا ؟ » ٠

لقـــد تجاهل الدكتور « كيســـنجر » ـ كما أشرنا من قبل ـ بصورة عملية صيحات السادات الدرامية لطلب المساعدة ، وتمسك بنظريته التي ترى أن الحليف الاستراتيجي الوحيد الذي يريده في الشرق الاوســـط هو اسرائيل • ولكن الحرب حطمت هذا الافتراض الآن ، وعندما اســـتدارت طائرته من فوق البحر المتوسط لتحلق فوق دلتا النيل ، أصبح الدكتور كيسنجر • لا يقل عن السادات نفسه حاجة الى البحث عن سياسة جديدة •

ان أول لقاء تم في السابع من نوفمبر يصلح أن يكون مادة تاريخية • فأي تضاد يمـكن أن نتخيله أكثر من منظر هذا الاســتاذ اليهودي الممتلىء الجســم على نحو جميل ، والذي يرتدي بدلة زرقاء غير مرتبة وهذا الارهابي السابق النحيل الجسم الاسمر اللون في زيه الكاكي الذي رحب به في قصر الطاهرة وسط الـــكراسي المذهبـــة والارائك الفاخرة ؟ • وكان « كيسنجر » قـــد أحضر معه « سيســـكو » وبعض كبار مساعديه ، ولكنهم لم يجتمعوا الا مع مرؤوس السادات في الحديقة ، وبقي السادات وحده ـ وليس معه شخص ما يسجل محضر الاجتمـــاع • وخلد الاثنان الى المحادثات وجها لوجه لعدة ساعات •

لمس كيسنجر في الحال كياســة السادات وسحره ، وأحب الســـادات حسم « كيسنجر » ، لذا فقد حدث انتعاش ـ بعد سذاجة « روجرز » ، هذا بجانب أن « كيسنجر » يملك ما لم يملكه « روجرز » قط وهي القوة • ومع ذلك فان الانباء المتعلقة بعلاقتهما الحالية التي تتصف بالرومانسية (والتي أصــبحت بعد وقت قليل درامية بتبادلهما القبلات بصـــورة علنية) تعتبر من قبيل المغـــالاة • فنحن نلمح أساسا ثعلبين ، يتبادلان القسم على الثقة ، وكل واحدا يعتزم أن يتلاعب بالآخر من أجـــل أن يصـــل الى هـــدفه • فالسادات الذي يعتبر نفســـه ـ مفكرا استراتيجيا يؤكد رغبته في العمل مع الولايات المتحدة ، ولم يكف عن اثارة عداته للاتحاد السوفيتي • ويدرس بالتفصيل ما يتعلق باشتراك الروس في اجتمـــاع يعقد في المستقبل ولكنه يلمح حتى الآن على أن تواصل أمريكا ومصر السعي الى وضع استراتيجية مشتركة في الشرق الاوسط • وقد تحدثا عن مؤتمر السلام ، الذي يعقد تحت الرعاية السوفيتية الامريكية المشتركة كما يتصوره القرار رقم ٣٣٨ ، وألح السادات على ايجـــاد دور للفلسطينيين • وأجاب « كيســـنجر » أنه سيحاول ايجاد شكل ما للاشتراك الفلســـطيني ، وهو تخلي له مغزاه على الموقف الامريكي السابق الذي كان يتسم بعدم الاكتراث بالنسبة للمكانة الرئيسية التي يحتلها الفلسطينيون في النزاع العربي الاسرائيلي • ومضى السادات الى القول ان أسرع طريق الى السلام هو التطبيق العاجل للقرار ٢٤٢ ، وهذا يعني الانسحاب الاسرائيلي العاجل من ســـيناء كلها • وهـــذا بالطبع يعتبر موقفا مكتملا ، ولكن السادات تخيل عندئذ أن « كيسنجر » يمكنه أن يحقق هـــذا الامر ، ان لم يكن فورا ، فبعد ستة شهور أو ســـنة على الاكثر •• وليس أكثر من ذلك • وحـــذر السادات من أن مصر قد تضـــطر الى التخلص من الوعود الامريكية الغامضـــة • وأجاب « كيسنجر » قائلا : « أنظر •• انني شـــخص جاد •• انني ســـأفي بما أستطيع أن أعد به ، ولكني ســـوف لا أعد بما لا أســـتطيع أن أفي به • انك اذا ما قبلت مني بيانات شاملة وغير محددة ، فأنا لا اصلح لك » •

ومضى « كيسنجر » في قوله ، انه اذا واصـــــل السادات الاعراب عن مطالبه بلهجة تهديدية بالنسبة للقرار ٢٤٢ فان الاسرائيليين عندئذ سوف لا يتحركون

بوصة واحدة · وحدد الهدف النهائي ــ ملمحا الى أنه يتعاطف مع هدف السادات في استعادة سيناء كلها ، بالضبط كما يتعاطف مع اصرار اسرائيل على الأمن ــ على أنه يتمثل في ايجاد « حدود تنشأ بالاتفاق المتبادل » ، وهو مفهوم قد يلبي في النهاية مطلب مصر في السيادة ومطلب اسرائيل بالنسبة للأمن ، وسيتم ايجاد الطرق والوسائل الخاصة بالتوفيق بين مطالب الاثنين في مؤتمر السلام ، ولكن المؤتمر سوف لا يعقد اذا ما أصرت مصر على الحصول على تعهد من اسرائيل بالانسحاب التام قبل بدء المفاوضات ·

يضاف الى ذلك أن على السادات أن يدرك دقة مشكلات « كيسنجر » الداخلية · وأدرك « كيسنجر » أنه يتعين على السادات أن يتغلب على الضغوط الداخلية التي يتعرض لها من الجيش المصري · ويعاني الزعماء الاسرائيليون من ضغوط داخلية مماثلة ، وكذلك « كيسنجر » فانه كان مضطرا الى التعامل مع جماعة الضغط اليهودية القوية في الولايات المتحدة · فكيسنجر لا يمكن أن يكون مفهوما وهو يمارس الضغط على اسرائيل ، على الرغم من أنه قام ببذل كل ما يستطيع لاقناع الاسرائيليين بالتزام الاعتدال · ولا يجب على السادات أن يتوقع منه أن يزيد الضغط على الاسرائيليين بصورة علنية ·· لانهم كلهم سيكونون أشد عنادا اذا ما شعروا أن واشنطن تجبرهم على أن يكونوا في وضع حرج ·

وقال « كيسنجر » ــ مشيرا الى مؤتمر السلام ــ أنه يجب علينا أن ننحي بعيدا التناقضات في هذه اللحظة · أنه يجب علينا أن نغرس الثقة ، وأن نتصور ديناميكية المفاوضات ، أنه يجب علينا أن نبدأ التحرك من أجل التوصل الى اتفاقيات صغيرة ، انه يجب علينا أن نتقدم خطوة ، خطوة » ·

وتساءل السادات « وكيف يكون ذلك ممكنا في الوقت الذي لا يرغب فيه الاسرائيليون حتى في مجرد العودة الى خطوط ٢٢ أكتوبر ؟ · وأجاب كيسنجر « اذا أنا أنفقت رأسمالي كله ــ مع اسرائيل ــ على كل نقطة تتعلق بوقف اطلاق النار ، فاننا سوف لا نترك شيئا لمؤتمر السلام · أنظر ·· انه بدلا من اضاعة الوقت في التحدث عن خطوط ٢٢ من أكتوبر ، فلماذا لا نحاول أن نفعل شيئا أكبر ؟ ولو أن السادات أمهل كيسنجر أسابيع قليلة أخرى فانه سيحاول خلالها التفاوض من أجل التوصل الى فك اشتباك الجيشين وأنه سيحاول أن يبعد الاسرائيليين عن الضفة الغربية ، ثم يقوم بعد ذلك بابعادهم الى مدى أعمق في سيناء ·

وأخذ السادات ينفث دخان البايب ، ويفكر · أنه يتعرض لضغط شديد من داخل معسكره ، لانقاذ السويس، والجيش الثالث أن كل ساعة محسوبة ، ولقد بدأ فهمي متصلبا ، الا أن السادات ــ الآن ــ قد تغلب على اسماعيل فهمي وعلى نفسه ، وقبل اقتراح كيسنجر ــ لقد كان هذا القرار حاسما ، لقد أصبح قاعدة لصداقتهما ، وأساسا لسياسة أمريكا في المستقبل · وفي تلك اللحظة قرر « كيسنجر » أنه لا يتعامل مع فلاح ريفي ولكن مع رجل دولة · يضاف الى ذلك أن السادات قبل مشروع « كيسنجر » ذي النقاط الست والذي اشترط اقامة طريق لنقل المؤن الى السويس والجيش الثالث ، وأن يتبع ذلك تبادل كامل للاسرى وتحديد الوسائل المتعلقة بتنفيذ ذلك عن طريق محادثات عسكرية مباشرة بين الاسرائيليين والمصريين تجرى عند الكيلو ١٠١ طريق القاهرة ــ السويس ،

حيث يقيم الاسرائيليون فى تحصيناتهم ، وهي نقطة تبعد ساعة بالسيارة من مدخل القاهرة • وسيتوجه « سيسكو » فى الحال الى اسرائيل ليحصل على رأى « جولدا مائير » • وفى النهاية وافقا – من حيث المبدأ – على اعادة العلاقات الدبلوماسية الكاملة التى قطعها ناصر خلال حرب الايام الستة •

لقد كانت المحادثة تتسم بالحرارة والتشدد البالغين ، ويدعي المصريون أن السير بصعوبة خلال الحوار – الذى يشبه الخيط الرفيع يرجع الى تهديد « كسنجر » الضمنى بأنه سيطلق العنان للاسرائيليين على الجيش الثالث لم يؤجل السادات مقترحاته •

عندما خرج الدكتور « كيسنجر » من قصر الطاهرة ، كان معه فى الحقيبة شيء لم تحصل عليه الولايات المتحدة من قبل ، ذلك الشيء يتمثل فى وجود سياسة عربية ، يكون جوهرها التعهد للعرب بأن الولايات المتحدة ستستعمل نفوذها لاعادة الحقوق العربية ما دام العرب يدركون أن الولايات المتحدة سوف لا تتخلى عن اسرائيل • ومن الآن فصاعدا ، فان على السادات أن يكون دعامة لتلك السياسة ، وكأول متلق لاى مساعدة أمريكية فى المجالات السياسية أو الاقليمية والمالية التى فى مقدور الدكتور « كيسنجر » أن يقدمها •

ومن تلك اللحظة ، فان الدكتور « كيسنجر » سوف لا يتقدم بأى مبادرة تتعلق بالشرق الاوسط ما لم يتشاور أولا مع رئيس مصر • يقول المثل العربى « عدو عدوى هو صديقى » ولكن السادات فى مقابلة واحدة أعاد صياغة المثل هكذا « ان صديق عدوى هو صديقى أيضا » • قابل « كيسنجر » – فى ذلك المساء على مائدة العشاء التى أقامها اسماعيل فهمى وزير الخارجية فى مقره المطل على النيل – محمد حسنين هيكل رئيس تحرير الاهرام الذائع الصيت ، والذى كان يحتل مكانة أثيرة عند ناصر ، ومازال (حتى ذاك الوقت) واحدا من المستشارين الاستراتيجيين المقربين من السادات ، وهيكل رجل مختار ، وعاطفى ، وماكر ، وذكى للغاية ، ويشيع وجهه القائم وعيناه العسليتان الهادئتان الثقة بالنفس ، ومن خلالهما يمكن لاى شخص أن يلمح فيه العجرفة والكبرياء • ان عمل حديث مع هيكل يشبه اجراء حديث مع « كيسنجر » ، انها أكثر من محادثة انها حادثة • ولقد كان من المقرر أن يسفر عن لقاء كيسنجر وهيكل مباراة فى الذكاء وكتب هيكل مقالا مطولا لحصيلة حديثهما لنشره فى مقاله الاسبوعى فى الاهرام (*)

كيسنجر : اننى أحب أن أسألك عن أشياء كثيرة لاننى أرغب فى أن أعرف وأفهم من وجهة النظر العربية أكثر من مجرد سطح المشاكل العملية الذى

(*) انكر كيسنجر فيما بعد صحته – فالحقيقة ان كيسنجر قد ذكر لى فى نهاية حفلة عيد ميلاد « مس بارجر » التى اقيمت فى فندق الملك داود فى ٢٣ من اغسطس ١٩٧٥ – انه تحدث الى هيكل لمدة عشر دقائق فقط ، وان مقال هيكل مختلق بصورة كبيرة • ولقد أكد لى هيكل فيما بعد فى القاهرة انه لم يتحدث الى « كيسنجر » فى الحفل الذى اقامه فهمى فحسب ولكن « كيسنجر » اخذه ورجع به الى جناحه بفندق النيل هيلتون – حيث تحدثا على الاقل لمدة ساعة ونصف – فايهما أكثر صدقا ، اننى لا استطيع أن أحكم • اننى اذكر رواية هيكل للحوار الذى دار بينهما فى هذا الكتاب لسبب قوى : فلقد ذكر لى اثنان من مساعدى « كيسنجر » المقربين ان هذا الحوار يعكس بدقة بالغة تصريحات كيسنجر الخاصة التى كان يدلى بها فى ذلك الوقت •

تفرضه المشكلة على انتباهنا . انني لم أكن قد فتحت ملف مشكلة الشرق الاوسط بعد ، وأعتقد أنها ستنتظر دورها ، ولكن المشكلة فرضت نفسها على الجميع بما فيهم أنا - نفسي - على غير توقع . وفى هذا المضمار لقد نجحتم . واننى أول من يعترف لكم بهذا النجاح .

واقترح هيكل أن يجيب كيسنجر على سؤال له أهمية قصوى . ما الدور الذى يمثله « كيسنجر » فى هذه المشكلة ؟ . لقد عمل كيسنجر فى مشكلات المواجهة السابقة مثل حرب فيتنام ، والعلاقات مع الاتحاد السوفيتى والصين على أساس أنه طرف مشترك فى النزاع ، ومع ذلك ، فمن المقرر ألا تظهر الولايات المتحدة كطرف مباشر ، أو حتى مفاوض فى نزاع الشرق الاوسط .

هيكل : انك أول من صرح بأن لاسرائيل ارادة مستقلة عن الولايات المتحدة ، على الرغم من أنك صرحت بأن لك قدرا كبيرا من التأثير عليها . وفى النهاية ، ان ما تقوله يعنى أن هناك فجوة بين ارادة أمريكا وارادة اسرائيل انك تعتبر هذه الفجوة بين الارادتين متسعة . وقد أختلف معك ، لنجد أن هذه الفجوة - استنادا الى التقارب والاتصالات الممتدة - محصورة ، ومحصورة للغاية . ولكن على كل حال فانه توجد فجوة ، وان هذه الفجوة تعنى أنكم لستم على وجه التحديد طرفا ولا مفاوضا على وجه الدقة . فاذا كان دوركم هو ليس دور « الطرف الآخر » أو « دور المفاوض » فما هو بالدقة دوركم ؟ هل هو دور « الوسيط » ؟ . مرة أخرى ، فانى لا أعتقد كذلك - فى الحقيقة أننى غير متأكد . ان دور الوسيط يتطلب الحياد بين الطرفين - أو على الاقل أن يشعر الطرفان بأن هذا الحياد موجودا أو يمكن أن يوجد . اننا لا نشعر بذلك . ان انحيازكم الى اسرائيل لا يحتاج الى برهان . ان آخر دلالة على ذلك هو الجسر الجوى الذى يحمل الاسلحة والذخائر من الولايات المتحدة الى اسرائيل . لذلك فأنتم لستم - ولا تستطيعون أن تكونوا حياديين ، ولا يمكنكم أن تكونوا وسيطا . واذن فانكم اذا لم تكونوا مفاوضين لانكم لستم طرفا مباشرا واذا لم تكونوا وسيطا لانكم لستم حياديين - فما هو بالضبط دوركم ؟ اننى لا أسأل هذا السؤال لمجرد حب الاستطلاع ولكن لان اجابتكم عليه سوف تحدد أسلوب المحادثات بيننا .

كيسنجر : لقد سألت نفسى هذا السؤال ، واذا كان هذا السؤال هام بالنسبة لكم لتحديد أسلوب المحادثات بيننا ، فانه أيضا مهم بالنسبة لى من أجل ارساء أسلوب طريقة الولايات المتحدة بالنسبة للمشكلة ، اننى أقر بأننى لا أمثل طرفا مباشرا - فى هذه المشكلة واستنتاجك أنى لا أقوم بدور الوسيط بين الطرفين فى هذه المشكلة . دعنى أقول لك ، ووافقنى على أنى أمثل دور « اهتمام » الولايات المتحدة بالنسبة لمشكلة خطيرة تحدث فى منطقة حساسة الى مدى يهمنا ، فى منطقة لنا فيها مصالح استراتيجية وسياسية واقتصادية - هذا بالاضافة - بالطبع - الى اهتمامنا بالسلام العالمى ورغبتنا القوية فى صداقة شعوب هذه المنطقة . دعنا نذكر الآتى :

أولا : أن لنا مصالح استراتيجية فى المنطقة ٠

ثانيا : أن القوة العظمى الاخرى ـ الاتحاد السوفيتى لها مصالح فى المنطقة نفسها ٠

ثالثا : أننا نحاول اقامة نظام عالمى جديد يرتكز على الوفاق ٠ وأن فترة الحرب الباردة قد ولت الآن ، ولكن الوفاق سوف لا يجعلنا نترك المنطقة لنفوذ القوة العظمة الاخرى ٠

رابعا : أننا لا نرغب فى أن تتصاعد أى مشكلة الى المدى الذى يؤثر على الوفاق ، لان خطر ذلك سيكون خطيرا للغاية بالنسبة للانسانية كلها ٠

خامسا : ان لنا علاقات خاصة مع اسرائيل ، وأننا ملزمون بحماية أمنها ، وأننا نعتقد أن أمن اسرائيل لا يمكن حمايته الا عن طريق احترام سيادتكم ٠

سادسا : أنه اذا كانت لنا علاقة خاصة مع اسرائيل فاننا لا نعتبرها متعارضة مع الصداقة التى نرغب فى تطويرها وتقويتها معكم ٠

سابعا : أننا لا نرغب أن تكون ـ سواء بمفردنا أو بالاشتراك مع الآخرين أوصياء على هذه المنطقة ، ان ما نرغب فيه هو أنه ينبغى على شعوب هذه المنطقة أن يقيموا أسلوب حياتهم وأمنهم وفقا لما يرونه ملائما ومنسجما مع حقائق العالم ٠

هذه هى عناصر الموقف الذى نتخذه ، كما يفهمها الرئيس « نيكسون » وكما أفهمها أنا ، وأننى أوافقك على أننى لست « طرفا » ولا « وسيطا » وربما توافقنى على أن ما أمثله هو « الاهتمام » الامريكى لمشكلة الشرق الاوسط ، وهو اهتمام يحاول أن يحدد دور أمريكا لحماية مصالحها دون أن تتعارض مع مصالح الآخرين ٠ أننىأعرفأننى اتعامل مع مشكلة معقدة وصعبة ٠ لقد وجدتها أكثر صعوبة من مشكلة « فيتنام » ، أو من الانفتاح على الصين أو من تحقيق الوفاق مع الاتحاد السوفيتى ٠ ان المشكلة هنا مشحونة بالعناصر المتضادة والمتفجرة ـ تاريخيا ٠٠ وقوميا ، ونفسيا ٠٠ ورواسب قديمة وجديدة ومواقف لا تحصى تلهبها الشكوك والمخاوف ٠ أننى أضطلع بهذه المشكلة وأنا أعلم ما ينتظرنى ٠ أننى أشكل « طرفا » وكذلك فأنا لست « وسيطا » ان ما أدعيه هو أننى أعبر عن الاهتمام الامريكى ٠

أننى أرغب فى أن أذكر لك شيئين بالنسبة للمشكلات التى أتعامل معها ٠ أول شىء : أننى لا أحب أن أقترب من مشكلة ما لم أشعر بأن عناصرها الاساسية أو على الاقل أن جزءا كبيرا من عناصرها الاساسية فى متناول يدى ٠ هذه الحالة كانت موجودة فى حرب « فيتنام » ٠ فالرأى العام الامريكى كان يرغب فى وضع نهاية للحرب ٠ وكانت هذه الحالة موجودة فى بكين وموسكو ، لان حقائق الحقبة الجديدة تسير فى الاتجاه الذى أسير فيه ٠ أما فى الشرق الاوسط فلا أستطيع ـ بالتحديد ـ أن أحسب ما هى العناصر الاساسية لهذه المشكلة التى فى يدى ؟

الشيء الثاني : هو أنني أكره الفشل ، ان لدى رصيدا من النجاح ، ولا أرغب فى أن ألقى بعيدا ، وأنا لا أتحدث عن جائزة نوبل للسلام (*)

. دعني أسرد على مسامعك حكاية : جاء أحد زملاء ابني في المدرسة وقال له : هل تعلم أن بعض أصدقائنا يقولون ان والدك لا يستحق جائزة نوبل للسلام ، واننا غضبنا منهم ، وقلنا لهم : « ان هذا ليس صحيحا » ٠٠ لكن ابنى قال لاصدقائه ، ماذا يعنى هذا ؟ ان أمي تقول نفس الشيء » ٠

لذلك : فان مشكلتي بالنسبة لمشكلة الشرق الاوسط تتمثل فى أننى لا أمتلك العناصر الكافية لهذه المشكلة في يدى ، وأننى أكره الفشل ، ولا أحب أن أفشل ٠ والنتيجة هي أننى وجدت نفسى فى وسط المشكلة ممثلا للاهتمام الامريكى ، ولكن كل ما أملك الاعتماد عليه هو سمعتي ، ورصيدى الشخصى ٠ أعتقد أنه على الرغم من صعوبة الظروف فان هناك فرصة مواتية لتحقيق النجاح ٠٠ لكننى أحتاج الى وقت ٠٠ وأريد من الاطراف التمسك بالصبر حيال ذلك وأعترف بأننى خائف من تصورات العرب الرومانسية ، اذ أخشى يتصور العرب أن الحل موجود بالفعل فى الافق ٠ واعتقادى هو أننا فى حاجة الى فترة تتراوح بين ستة شـــهور وعام حتى يمكننا الوصول الى بداية شيء معقول ٠

وعندما اجتمعت مع وزراء الخارجية العرب الاربعة أثناء الحرب التي نشبت فى الشرق الاوسط ، قال لى أحدهم : ان الرجل الذى نجح فى حل مشكلة فيتنام ، وفى فتح الباب مع الصين ، واقامة صرح الوفاق مع الاتحاد السوفيتى ، فى مقدوره أن يحل مشكلة الشرق الاوسط ٠ وقد قلت لهم : أننى أرجو أن لا يكون تفكيركم منصرفا الى ما حدث فى باريس فى الاســبوعين الاخيرين حيث جرت المفاوضــات الخاصة بفيتنام ، أو فى كل من بكين أو موسكو فى الايام الاخيرة فقد سبقت هذه الايام سنون طويلة من الاعداد والعمل حتى كان فى مقدورنا الوصــول الى تلك الاسابيع والايام الحاسمة وقلت لهم أنه ليس فى اسطاعتى أو فى استطاعة أى فرد آخر أن يصنع المعجزات ، وان السياسة الدولية ليست سلسلة من حيل السحر ٠

وقد أساء بعضكم فى الوطن العربى فهم الاقتراح الذى طرح فى أعقاب اندلاع القتال فى الشرق الاوسط ــ وقد تمثل الاقتراح فى أن القوى المتصارعة لابد من وأن تعود الى المواقع التى كانت عليها قبل ظهر السادس من أكتوبر ٠ ولم أكن منحازا الى اسرائيــل عندما قدمت هذا الاقتراح ، كما بدأ لبعضكم ٠ وانما كانت لدى أفكار مختلفة ٠

وسأروى لــكم القصة كاملة ، فقبــل السادس من أكتوبر ، اســتبعدت كافة المعلومات المتاحــة لدينا احتمال اندلاع الحــرب ، وعلى الرغم من أنه كانت هناك تقارير مستمرة بشأن تعبئة قواتكم ، فان التقدير تمثل فى أن التعبئة كانت من أجل المناورات وليست من أجل الحرب ٠ وفى ذلك الحين اعتقد جميع خبرائنا أنكم اذا بدأتم بالحرب ، فان القوة العسكرية الاسرائيلية ستوجه اليكم ضربة حاسمة ٠

(*) تلقى كيسنجر اعلان فوزه بجــائزة نوبل للسلام فى أوج اشتعال حرب اكتوبر فى الشرق الاوسط ٠ ويشــاركه فيها « لودوك ثو » ممثل هانوى فى المفاوضات التى أدت الى اتفاقية السلام فى فيتنام ٠

وعندما بدأت الحرب بالفعل وتأكدلنا أن معلوماتنا كانت خاطئة ، كنا مانزال نعتقد صحة أفكارنا بشأن نتيجة هـذه الحرب • وكان ذلك هو الوقت الذى قدمت فيـه اقتراحى من أجل وقف اطلاق النار ، ومن أجل عودة القوى المتصارعة للخطوط التى كانت تحتلها قبـل بدء القتال • واعتقـدت فى ذلك الحين ان الاقتراح فى صالحكم ، وليس فى صالح اسرائيل • واسمحوا لى أن أطرح المسألة عليكم بطريقة أخرى ، اذا قلت لكم أننى كنت أفكر فى مصالحكم فقط ، فانكم ستعتقدون أننى أخدعكم ، وهذا ما لا أريد أن أفعله ، أو أحاول فعله ، لان فى وسـعكم اكتشاف الحقيقة • وقدكان تفكيرى على النحو التالى : بدأ المصريون مغامرة خطيرة ، ربما كان اليأس هو الذى دفعهم اليها ، لكن القوة العسكرية الاسرائيلية ستسحقهم الآن بلا رحمة • وما الذى سيحدث بعد ذلك ؟ سـتتجه مصر الى الاتحاد السـوفيتى لينقذها ، وكان هناك احتمالان ، أولهما : أن يتدخل الاتحاد السـوفيتى بطريقة تضطرنا الى التدخل أيضا ، وهذا من شأنه أن يواجهنا باحتمال رهيب ـ وهو أن يواجه كل منا الآخر ، وثانى الاحتمالين أن لا يتدخل السـوفيت ولكنهم يدخلون مصر بطريقة لا يمكن معها الخروج منها أبدا • وكان ذلك أيضا احتمالا لا يريده •

ولم تكن المسألة هى الشعور بالقلق من أجل مصر وحدها ، وانما كانت المسألة فى المقام الاول هى القلق من أجل حقائق هذا العصر وموازين القوى السائدة فيه ، وهذا ما حدا بى الى تقديم اقتراحى لوقف اطلاق النار على نحو عاجل وعودة القوى المتصارعة الى مواقعها السابقة • وبعد ذلك بيومين كان ما يزال هناك قتال عنيف فى سيناء ، وكانت معلوماتنا بشأن تعبئة قواتـكم من أجـل الحرب خاطئة ومن الواضح أن أفكارنا بالنسبة لقدرتكم على الحرب كانت أيضا خاطئة وقد طلبت من « البنتاجون » تقارير بشأن سير القتال ، وسألتهم أكثر من مرة : من الذى يحدث بالضبط فى الشرق الاوسط ؟ وتمثلت اجابتهم فى أن الصورة بدت مختلفة للغاية عن أفكارنا السابقة • وتلقيت تقريرا تبعه تقريرا بشأن عمليتكم الخاصة بعبور قناة السويس وبشأن استعداد جنودكم وضباطكم للقتال ، وبشأن معارك الدبابات فى الصحراء • وكان القتال مستمرا • وقلت فى ذلك الوقت أن الظروف أصبحت موانية الآن لوقف اطلاق النار • فقد برهن المصريون قدرتهم على القتال ، وغيروا الموقف فى الشرق الاوسط ، وكانت هناك فى ذلك الحين حقائق جديدة لابد لنا من أن نأخذها فى الاعتبار • وفى تقديرى أنه لم يكن هناك مبرر لاستمرار القتال بعد ذلك •

وأصبح الهدف السياسى الذى كان يدور فى خلد المصريين واضحا عندما قبلوا مخاطر الحرب • ولذا كان لزاما علينا السعى من أجل وقف اطلاق النار والقيام بعمل سياسى للتوصل الى حل جذرى للازمة • وقمت باتصالات مع السوفيت ، ولعلى قلت لكم أيضا أننى بعثت برسالة الى القاهرة • وتمثل اقتراحى ذلك الحين فى التوصـل الى وقف اطـلاق النار ، وأعتقـد أن ذلك كان فى اليوم العاشر من أكتوبر •

وهنا دعونى أذكركم بنقطتين : الاولى هى أنكم لعلكم قد لا حظتم أننا لم نبال كثيرا بمسألة من الذى بدأ بالطلقة الاولى ؟ أما النقطة الثانية فهى أنكم ربما تدركون أنه لم يكن من السهل تقديم اقتراح الى اسرائيل من أجل وقف اطلاق النار فى اليوم العاشر أو الحادى عشر من أكتوبر • وقـد غضبوا منا بشدة لانه كان فى تقديرهم فى ذلك الحين أن فى مقدورهم تغيير سير القتال نظرا لان التعبئة العامة فى اسرائيل

كانت قد تمت ، لكنهم استسلموا فى النهاية • أما بالنسبة اليكم ، فقد وصلتنا كلماتكم عن طريق السوفيت ، والبريطانيين أيضا ـ بما يفيد بأنكم غير مستعدين لقبول وقف اطلاق النار • أو لخلاصة أنه لم يكن فى مقدورنا تحقيق وقف اطلاق النار فى ظل ظروف مواتية •

ودعونى أقول لكم شيئا عن آرائى بشأن حل النزاعات ، فاذا كنا نريد حل نزاع حرج ، فلابد من أن تكون البداية من النقطة التى يشعر عندها كل طرف بأنه قد حقق شيئا وان التوقف عنده لا يعتبر هزيمة له • وقد أتيح لنا مثل هذا الموقف فى نهاية النصف الاول من شهر أكتوبر ، فقد عبرت مصر قناة السويس واخترقت خط بارليف وتقدمت عدة كيلو مترات فى سيناء شرقى خط وقف اطلاق النار الذى كان قائما قبل السادس من أكتوبر • ونجحت اسرائيل كذلك فى صد الهجوم السورى ـ الذى كان قويا ومكثفا ـ فى الجولان ، وتقدمت عدة كيلو مترات شمال خط وقف اطلاق النار الذى كان قائما قبل السادس من أكتوبر • وهكذا كان كل جانب قد حقق جزءا مما كان يريد تحقيقه وان كان لم يحقق كل ما يريده •• وكان ذلك حينذاك هو الوقت المناسب لوقف القتال والسعى الى تحقيق حل بالطرق السياسية •

وأكده « كيسنجر » بعد ذلك الفرق بين العواطف السياسية والحقائق السياسية (*)

---

* روى الدكتور « كيسنجر » رواية مختلفة الى حد ما بشأن جهوده الخاصة بوقف اطلاق النار ، لجماعة من المثقفين اليهود الامريكيين فى واشنطن يوم ٦ من ديسمبر عام ١٩٧٣ وطبقا لما ذكرته الصحيفة الاسرائيلية « يديعوت أحرونوت » التى نشرت ملاحظات أدلى بها أحد الاطراف التى أشتركت فى هذا الاجتماع ، قال « كيسنجر » : انه حذر الاسرائيليين منذ بداية الحرب من أن الامم المتحدة ستصدر أمرا بوقف اطلاق النار فى اللحظة التى يتحول فيها الوقت فى صالحهم • ولذلك لابد من أن تسترشد استراتيجيتهم باعتبارات سياسية : حتى تحقق أقصى قدر ممكن من النتائج قبل وقف اطلاق النار • وعندما بدأ الضغط من أجل تنفيذ وقف اطلاق النار ، استخدم وزير الخارجية الامريكى كافة الاساليب المتاحة لتأجيل وقف الاطلاق • وطار الى موسكو لكسب الوقت • وطبقا لما قاله فانه كسب ٩٦ ساعة من وقت القتال لصالح الاسرائيليين ـ وهم يعلمون ذلك لكنه يزعم أن اسرائيل أخفقت فى تزويد الولايات المتحدة بالمعلومات الصحيحة حول خططها العسكرية • فقد قيل على سبيل المثال ان الهجوم الاسرائيلى المضاد (غرب قناة السويس) سيتجه شمالا ، ولكنه على العكس من ذلك اتجه جنوبا •

وأظهرت المناقشة كذلك أن « كيسنجر » حث الاسرائيليين فى ذلك الوقت على الاقل على التفاوض الاسرائيلى السريع والانسحاب العاجل من الاراضى العربية •

أنظر الملحق الرابع ففيه النص الكامل لهذه المناقشة ـ التى تكشف الى حد كبير الطريقة التى تحدث بها الدكتور « كيسنجر » لليهود الامريكيين بشأن سياساته فى الشرق الاوسط •

اننى أريد أن أقول لكم شيئا آخر • لقد تصرفتم هذه المرة بطريقة مختلفة عن تلك التى تصرفتم بها عام ١٩٦٧ •• ففى عام ١٩٦٧ قمتم باثارة العالم ضدنا ـ اننى أتحدث عما حدث فى ذلك الحين ـ وكانت النتيجة أن موجة من العداء الشديد

للولايات المتحدة عمت المنطقة كلها • وقضيتم بهذه الطريقة على أية رغبة لدى الولايات المتحدة للقيام بدور شعرت بأنها قادرة على انجازه •

ففي عام ١٩٧٣ تصرف الرئيس السادات بهدوء أكثر وسواء أكان موقفنا خطأ أم صوابا ، فقد جعلتم من الممكن بالنسبة لنا القيام بدور رغبنا في القيام به ، وشعرنا أننا قادرون على انجازه • وفي مقدور الاتحاد السوفيتي تزويدكم بالسلاح لكن الولايات المتحدة يمكن أن تقدم لكم حلا عادلا يعيد اليكم أراضيكم ، خاصة وانكم في الحقيقة استطعتم تغيير الموقف في الشرق الاوسط ، ولا تتصوروا أن اسرائيل مسرورة بما تفعله لكننا في الوقت نفسه لا نتخيل أن ما نفعله يسركم • وعلى أية حال فالسياسة الدولية في عصرنا ليست مسألة عواطف وانما في الحقيقة ترتكز على القوة •

انني أريد الآن أن أناقشكم في المقال الذي جاء بصدد أهمية الدور الامريكي في المنطقة ، فأنتم تعتقدون أنه حتى لو توفرت الرغبة لدى الرئيس الامريكي للقيام بدور ما ، فانه لن يكون في مقدوره القيام بأي دور ايجابي في أزمة الشرق الاوسط بسبب الضغوط الداخلية التي يتعرض لها ، ولتسمحوا لي بأن أختلف معكم ، فهناك مشكلات تواجه البيت الابيض ، ولكنني لا أعتقد أن الرئيس « ريتشارد نيكسون » سيقدم استقالته ، أو أنه سيتم استبعاده • حقيقة أن الضغوط الداخلية التي يتعرض لها قوية ، لكنني ما زلت أعتقد أن مجال الحركة متاح أمامه ، حتى في ظل هذه الظروف •• ثم منذ متى كانت سيناء مصرية ؟

هيكل : سأرسل اليك عدة خطابات غرامية كتبت على أوراق البردي منذ خمسة آلاف عام ، وهي لقائد مصري في منطقة العريش لزوجته التي كانت أميرة فرعونية وهو يقول : ــ « أنني أذكرك في ذلك المكان البعيد حيث أنتظر طرد العدو من حدود وطننا المقدس • أنك الآن في أقدم أمة في التاريخ ••

كيسنجر : هل الملك فيصل على استعداد للوصول الى أبعد مدى (بالنسبة لاستمرار حظر البترول) ؟ •

هيكل : أنت في طريقك الى الرياض ، وستجتمع مع الملك ، وسوف تجده أكثر صلابة مما يتصور كثير من الناس ــ وأعترف أنني كنت أحد أولئك الناس • لقد صدم بسبب السياسة الامريكية التي ارتبط بها منذ عهد بعيد • وثار غضبه نتيجة لتعهداتكم المتكررة التي لا يتم الوفاء بها • وبالنسبة لبقاء القدس عربية فان هذا الموضوع على الخصوص من المعتقد أنه لا يمكن أن يكون موضع جدل ولا مناقشة ، والامة العربية جمعاء تتفق معه في هذه النقطة •

كيسنجر : لقد قرأت كافة المراسلات التي تمت بينه وبين ثلاثة رؤساء ــ هم : « كنيدى » و « جونسون » و « نيكسون » ــ قبل مغادرتي واشنطون وأشعر بأن لفيصل الحق في الشعور بالمرارة • وسأتجه الى عمان والرياض غدا ، ولا أتوقع أن تكون هناك أية مشكلات مع الملك حسين ، ولكنني أتوقع أن تكون المشكلات كلها مع الملك فيصل •

ونتيجة لهذه المحادثة ، وصل « هيكل » الى الاستنتاجات التالية :

١ ــ أن « هنرى كيسنجر » جاد في سعيه من أجل التوصل الى حل ، على الرغم

من أنني لا أعتقد بأن لديه حتى الآن خطة كاملة يعتزم تنفيذها ويتمثل الاحساس الذى أشعر به تجاهه فى أنه يحاول جعل الاشياء تتحرك ، ومن خلال هذه الحركة قد يجد مخرجا ٠

٢ ـ ان حقيقة كون « هنرى كيسنجر » يهوديا لا تشكل قيدا عليه ، بل ربما تمنحه حصانة ضد جماعات الضغط اليهودية فى المجتمع الامريكى ٠

٣ ـ ان « هنرى كيسنجر » لديه فيما يبدو فكرة طيبة بشأن قدرته على الحركة أمام الموقف السياسى الامريكى ، وفى وجه الضغوط الهائلة فى المجتمع الامريكى ـ لكن على الرغم من ذلك كله فاننى أول من يتمنى له النجاح اذا ما حاول ، وأتمنى تهنئته اذا حقق نجاحا ٠

٤ ـ لا يمكن السماح بأن يتوقف مستقبل العرب على الجهود التى يبذلها رجل واحد فى امريكا ، كما انه ليس للعرب الحق فى أن يدعوا أنفسهم تنبهر بالنجاح الذى حققه « كيسنجر » فى أزمات أخرى حتى لو كان « هنرى كيسنجر » جديرا بالاعجاب بدون تردد ٠

٥ ـ هناك مشكلة فى نظرته العملية الى المشكلات ، لانه ينتمى الى مدرسة تعتقد بأن الحقيقة هى ما نراه فى هذه اللحظة ، وليس ما نعتقده أو نظنه نتيجة لما حدث من قبل ٠ وهذا من شأنه أن يقلل من أهمية التاريخ فى الصراعات الكبرى ٠

٦ ـ ان حقائق القوة فى رأى « كيسنجر » لها أسبقية على العوامل الاخرى الموجودة فى الحسابات المتعلقة بالازمات كافة ٠ وتتطلب هذه النقطة نوعا من اليقظة ، لان حقائق القوة لا تقف عند حد وفى لحظة محدودة ، وانما تظل المناقشة الدائبة بين الاحداث ٠ ويتمثل التطبيق العملى لذلك فى أنه اذا نجحت اسرائيل فى تغيير موقف القوة فى الميدان ، فقد نجد أنفسنا مطالبين بقبول موقف جديد كأساس جديد ، وتلك هى بالضبط المشكلة التى واجهتنا بعد قرار وقف اطلاق النار الذى أصدره مجلس الامن يوم ٢٢ من أكتوبر عام ١٩٧٣ ٠

٧ ـ ان أهمية عامل الوقت بالنسبة لنا تختلف عن أهمية عامل الوقت بالنسبة له ٠ ويرجع ذلك الى أننا نعانى من ضغوط نتيجة للموقف العسكرى والسياسى والنفسى الراهن ، وهى ضغوط تجعلنا نعيش أياما وليالى مشحونة بالقلق والارق ، فى حين أن تلك الضغوط بالنسبة له ليست سوى مذكرة مكتوبة على ورق ، وأفكار وموضوعات تحتمل المناقشة على مائدة المفاوضات ٠

٨ ـ أننى لست مقتنعا،على الرغممما قاله ، بأن الرئيسالامريكى الحالىفىموقف يسمح له بممارسة ضغط فعال على اسرائيل ٠ لكننى أعتقد انه حتى لو بدأ الرئيس الامريكى فى ظل ظروفه الحالية بممارسة على اسرائيل ـ مع افتراض أنه يريد ممارسة مثل هذا الضغط ـ فان الصهيونية فى الولايات المتحدة لن تدخر وسعا لتشويه سمعته أكثر مما هى مشوهة بالفعل٠ وسيحتاج الرئيس الامريكى الى شجاعة فائقة ليشرح للرأى العام الامريكى أن هناك جماعات فىأمريكا لايعنيها أن تصل الامورالى ذروة مواجهة نووية من شأنها أن تغرق العالم فىفيض منالدمار اذاكان فىصالح اسرائيل٠ وذلك علىالرغم منايمانى، الذىأكدته التجربة والذىلم يتزعزع أبدا ، فى مقدرة الولايات المتحدة أكثر من أية جهة فى العالم على ممارسة

الضغط ـ بل والزام ـ اسرائيل به ، وذلك بشرط أن يكون الرئيس قائدا وليس مقودا ٠

٩ ـ ان موازين القوة تعتبر عاملا رئيسيا في تقديرات « كيسنجر » ولذا يتعين علينا أن نعترف بوضوح بأهمية الدور السوفيتي في الازمة ٠ ولا ينبغي أن يكون هذا الدور عاملا مساعدا أو مؤقتا ، وانما يجب أن يكون مستمرا وأن يتم تدعيمه في صورة تفاهم عربي سوفيتي عميق ، ومن خلال صداقة طويلة الامد ٠

١٠ ـ لا أعتقد أن هناك اتفاقاسوفيتيا أمريكيايمكننا الاعتماد عليه٠ كما أنني لا أعتقد أن ضمانا أمريكيا يمكننا قبوله ضد اسرائيل ٠ واذا ما كان هناك ضمان أمريكي فانني لا أدري أي تأكيد يمكن أن يتوافر له سوى القوة العربية الشاملة سياسيا واقتصاديا وعسكريا ٠

لقد أفصح « هيكل » بتلك الآراء للرئيس السادات وما من شك في أنها تدور بخلده عندما اجتمع « بكيسنجر » صباح يوم ٧ من نوفمبر وبالرغم من ذلك فقد سادت فكرة احتمال قيام صداقة حقيقية بين مصر والولايات المتحدة في أول يوم قضاه الدكتور « كيسنجر » في القاهرة وما زلنا في انتظار ما ستؤدي اليه هذه الصداقة الجديدة بين المصريين وبين الامريكيين ، الا أن آمال الجانبين قد ومضت في الوقت الذي غادرت فيه طائرة البوينج ، ذات اللونين الازرق والابيض التي غادر « كيسنجر » القاهرة على متنها متجها الى دمشق ٠

الفصل الخامس

« الشيوعيون واليهود »

توجه الدكتور « كيسنجر » الى عمان ثم الى الرياض ، ولاحقته فى كلا البلدين رسائل من « سيسكو » بأن « جولدا مائير » تعترض على النقاط الست التى تقدم بها الدكتور « كيسنجر » ، ولا سيما تلك البنود الخاصة بتقديم الامدادات للسويس والجيش الثالث • وكانت تريد التأكيد من عدم ارسال أية أسلحة بطرق خفية وطغت احتجاجاتها على عملية المساومة التى تعمل على أن تكون مفاوضات « كيسنجر » مع حكومة اسرائيل ممتازة فى المستقبل • وقد تم تغيير واعادة ترتيب الكلمات الواردة فى الوثيقة ، وما أن تم ذلك حتى وردت الوسائل الجديدة من اسرائيل ومصر ، تتهم كل منهما الاخرى فيها بانتهاك النقاط الست التى فرضها « كيسنجر » عليهما • وفى الوقت الذى كان يجرى فيه كل ذلك ، اتجه « كيسنجر » وكان منهك القوى وفي حاجة الى النوم ، الى القصر الملكي عشية الثامن من شهر نوفمبر ــ لحضور اجتماع مثير مع الملك فيصل بن عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود ملك المملكة العربية السعودية •

وكان أنور السادات يبدو كما لو كان توأما مماثلا لهنرى « كيسنجر » اذا تعمقنا فى متناقضات كل من كيسنجر وفيصل : كان كيسنجر يمثل الشخص الغربى العلمانى البارع ، أما فيصل فكان تجسيدا للثيوقراطية الوهابية (حكومة رجال الدين) • فمنذ سبعين عاما مضت ، جاء عبد العزيز بن سعود الأب الأسطورى للملك فيصل ، من الكويت ومعه أربعون شخصا من أنصاره يمتطون الجمال وغزوا منطقة نجد والارض الرملية الفضاء الواقعة فى شبه الجزيرة العربية • ولم يكن عبد العزيز سوى رجل حرب بدوى معدم كما كان مصلحا دينيا ــ اذ كان من دعاة الحركة الوهابية ، وهي حركة متعصبة تبشر باعادة وبعث البساطة الاسلامية والولاء لمفاهيم القرآن الاصلية •

ولم تكن هذه العقيدة تقبل المساومة فقد حرمت كافة الملذات الدنيوية باستثناء ما يكون بين الزوجين وعلى الرغم من أن عبد العزيز كان فقيرا أو مغمورا ، الا لكنه أشهر الكتاب المقدس (القرآن) فى يد وأشهر سيفه فى اليد الاخرى وبشجاعته الفائقة استطاع فى غضون خمسة وعشرين عاما أن يوحد معظم شبه الجزيرة العربية ويخضعها لحكمه ، وأن يقيم مملكة يقترب حجمها ثلاثة أضعاف ولاية تكساس واستطاع أن يتقرب الى القبائل من خلال الزواج من فتياتهم ، وقيل أنه تزوج ثلاثمائة امرأة • وكان أبا لاكثر من أربعين ابنا عاشوا جميعا وتخطوا سن الطفولة • وكان البريطانيون يدفعون لعبد العزيز بين الحين والحين اعانة صغيرة ، وعندما طرد الاسرة الهاشمية من أرض الحجاز المقدسة ورث العشورات التى كان الحجاج يدفعونها فى الحج الى بيت الله وزيارة المدينة • الا أن عبد العزيز ظل فقيرا محتاجا

على الدوام الى أن اكتشف الامريكيون البترول عام ١٩٣٨ ، فى منطقة الظهران الواقعة فى اقليمه الشرقى • وتوفى بعد ذلك بخمسة عشر عاما ، عندما أصبح أغنى رجل في العالم تقريبا ، بيد أنه مات مضطربا وحزينا للفساد الذى حل بأسرته الوهابية المتقشفة ، نتيجة للثراء •

وقد خلفه سعود أكبر أبنائه الاحياء ، والذى أخذ بدوره فى جعل المملكة مثالا للبذخ الخيالى فى الوقت الذى ظل فيه الشعب يعانى حاجة أشبه بتلك التى كانت سائدة فى العصور الوسطى • وقد شيد سعود بالفعل قصرا منيعا صنع من الخرسانة وزين باللونين القرنفلى والذهبى وقد شيد خلف حدائق ذات أسوار عالية وبها حمامات سباحة ونافورات مياه وبلابل فى أقفاص وطليت بالذهب وشرفات من المزايكو وعدد هائل من مصابيح الكهرباء وسط نباتات من فصيلة الدفلى ــ كان ذلك أشبه بالفردوس الذى يحكى عنه المسلمون ــ على أنه ما لبث أن ضجر منه وأمر بهدمه وبناء غيره مضاء بالنيون وأكثر بذخا • وتدفق على الرياض السماسرة والمخادعون القادمون من الشرق الادنى ومن أجزاء من العالم أبعد من ذلك ، وأوقعوا العائلة المالكة فى حبائل مؤامرات من الاحتيال • وأكثر سفر الامراء السعوديين الى أوربا وأمريكا حيث كانوا يبددون الثروات على النساء وشرب الويسكى ولعب القمار • وفى عام ١٩٥٨ كانت المملكة قد أفلست وأجبر سعود على تعيين فيصل ، وهو أخ غير شقيق كرئيس للوزراء وحاكم يفرضه الامر الواقع لاستعادة أموال المملكة •

كان فيصل تماما على العكس من سعود فى المظهر وفى الشخصية ، فقد كان مقتصدا وغير ثرثار ومثقفا وصبورا للغاية • وكانت سيرته خرافية على مثل سيرة أبيه • وعندما كان فى سن المراهقة رأس بعثة ملكية الى قصر « سان جيمس » وقاد وهو لم يتجاوز العشرين من عمره جيشا قام بقمع بعض القبائل المتمردة على الحدود الجنوبية للمملكة واصبح نائبا لملك الحجاز ، ووزيرا للخارجية فى سن السادسة والعشرين • وقد سافر مرات كثيرة وشهد كيف تعمل الديموقراطيات المسيحية • وظل أعواما يراسل « لورد برتراند راسل » • وكان يمقت مظاهر العظمة وآثر أن يقطن « فيلا » وليس قصرا • وفى حين تزوج سعود ثلاثمائة امرأة فان فيصل فضل عدم تعدد الزوجات • (فقد تزوج الملكة عفت منذ أكثر من أربعين عاما ولم يتزوج غيرها) وبدأ على الفور برنامجا للاصلاح لينقذ المملكة من الانحلال ، ولينقذ العائلة المالكة من نفسها • وفى عام ١٩٦٤ قامت العائلة المالكة ورجال الدين فى المملكة بعزل سعود واعلان فيصل ملكا للبلاد •

ولدى جلوسه على العرش نهج نهجا بطوليا ، ولانه كان كوالده متدينا للغاية ، أراد أن يبرهن حيث لم يستطع أخوه ، على أن الاستقامة التى يدعو اليها القرآن والثروة الطائلة يمكن أن تزدهر جنبا الى جنب • وكان يصبو الى تجنب الصدام بين الوهابية والمادية الغربية ، ويغدق على شبه الجزيرة العربية كافة مزايا «التكنولوجيا» فى حين مضى فى بتر أيدى اللصوص ، حتى يتمكن من أن يحقق لشعبه دولة تنعم بالرفاهية والامن مع حمايتهم فى الوقت نفسه من مساوىء الاشتراكية ، ومن الحاد الشيوعية ، وانحطاط الديمقراطيات الليبرالية •

ولتحقيق ذلك ، قرر فيصل تحصين شبه الجزيرة من أى ميكروب للسياسات الماركسية ، والحيلولة بأى ثمن دون انتشار التفكير الليبرالى بين العرب بوجه عام لذلك كان فى حاجة الى اقامة تحالف مع دولة عظمى ، وكانت هذه الدولة هى

الولايات المتحدة بموجب الامر الواقع • وكان فيصل وحسين قد سبقا السادات عندما تصورا اختيار الولايات المتحدة الدولة التى تقوم بحماية عدوهما الرئيسى ـ اسرائيل ـ لتكون الدولة التى تحميها أيضا • ولم يفرض ذلك الاختيار تفوق أمريكا فى صراعها العالمى مع الشيوعية فحسب ، وانما فرضه أيضا الاحتكار الامريكي المتضامن للبترول السعودى • ولم تكن صداقة فيصل مع واشنطون سعيدة قط ، ذلك أن سياسة الجانب الامريكي فى الواقع تشوبها فى أغلب الاحيان الوعود والاكاذيب الزائفة ، وكانت اسرائيل هى القضية بالطبع •

وفى أوائل عام ١٩٤٥ ، كان الرئيس الامريكي « فرانكلين روزفلت » قد اجتمع بالملك الهرم عبد العزيز على ظهر الباخرة الامريكية « كوينسى » فى البحيرات المرة الكبيرة فى قناة السويس • وتعهد « روزفلت » لعبد العزيز بأنه ، كرئيس ، لن يتخذ أبدا اجراء معاديا للعرب ، وان حكومة الولايات المتحدة لن تحدث أى تغيير جوهرى فى سياستها الخاصة باسرائيل دون الرجوع الى كل من العرب واسرائيل ، وأكد هذه التعهدات كتابة • وبعد ذلك بشهرين توفى الرئيس « روزفلت » وفى غضون عام كان الرئيس « ترومان » يقول لسفرائه لدى الدول العربية « آسف أيها الرجال ، لكن لابد لى أن أجيب على مئات من آلاف الاشخاص الذين يتوقعون لنجاح الصهيونية » •

ولم يغفر فيصل أبدا ما بدأ ، له بمثابة خيانة للامانة ، بالرغم من أنه تظاهر بالتسامح ، لانه فى حاجة الى التكنولوجيا الامريكية لاستغلال بتروله ، وبالرغم من أنه لم يكف أبدا عن الهجوم على مساندة الولايات المتحدة لاسرائيل ، الا أنها حازت اعجابه باعتبارها ترسانة لمناهضة الشيوعية • وأقام صداقة زائفة مع واشنطون اقتربت من التحالف ، وقبل أسلحة أمريكية • وبدا غير مكترث بالاتهامات التى يوجهها اليه الراديكاليون العرب بأنه رجعى « وعميل » • وفى أعقاب حرب الايام الستة عام ١٩٦٧ ، أكد الرئيسان « جونسون و « نيكسون » ، حرصا منهما على دوام تدفق البترول السعودى أكدا لفيصل بأنهما سيمارسان ضغطا على اسرائيل حتى تتخلى عن أراضى العرب التى استولت عليها ولم يحدث شىء من هذا القبيل •

وفى ربيع عام ١٩٧٢ ، ألحت « واشنطون » لفيصل بأنه اذا قدم يد المساعدة ، فى اقناع السادات بتقليص الوجود الروسى الكبير فى مصر ، ستضاعف الولايات المتحدة من ممارسة الضغط الجاد على اسرائيل • وقام فيصل باسداء النصح للسادات الذى قام لهذا السبب ولاسباب أخرى (كما شهدنا) بطرد الروس فى شهر يوليو من ذلك العام • الا أن « نيكسون » تجاهل هذا العمل البالغ الاهمية ، وشعر فيصل بالمهانة والخيانة •

وكان الملك قد ظل فترة طويلة يقاوم الضغط الذى تعرض له من قبل الحكومات العربية الاخرى ليشهر سلاح البترول فى وجه الولايات المتحدة ، مستعينا بالقول بأنه « ليست هناك علاقة بين البترول وبين السياسة » • وأخيرا وفى أبريل عام ١٩٧٣ ، وبعد يأسه من استجابة « نيكسون » لطرد الروس ـ وادراكا منه بأن السادات انما يستعد لاستئناف الحرب ـ أرسل الملك « الشيخ زكى اليمانى » وزير البترول ، فى مهمة خاصة لواشنطون • وهناك اعترض سبيل اليمانى خبير أمريكي للبترول حثه بأن يحذر الحكومة الامريكية بلهجة شديدة بأن المملكة العربية السعودية لن تقوم بزيادة انتاجها لتلبية احتياجات أمريكا من البترول ، ما لم تبدأ واشنطون العمل من أجل تحقيق انسحاب اسرائيلى •

وبناء على ذلك اجتمع اليمانى بالدكتور « كيسنجر » و « جورج شولتز » وزير الخزانة ونائبه ويليام سيمون وروجرز وزير الخارجية وسيسكو مساعد وزير الخارجية وفيما بعد قال اليمانى ان ما جرى بينهم كان حوار أصم . اذ حث « روجرز » و « سيسكو » اليمانى على تجنيد المملكة العربية السعودية فى قضية مشتركة مع أمريكا ضد الراديكاليين والارهابيين فى العالم العربى . واقترح اليمانى بأنه ربما يكون الاجدى مهاجمة قضايا الارهاب ، لكن بدا الامريكيون كما لو كانوا لا يسمعونه .

وحينئذ اقتنع « اليمانى » بأن ما قاله لم يؤخذ مأخذا جادا « فقرر أن يلفت نظر الحكومة الامريكية كلها ، وهذا ما فعله في صحيفة واشنطون بوست » . فقد كتب تحذيره بصورة ايجابية مؤكدا أن المملكة العربية السعودية ما زالت تعتبر نفسها أفضل صديق لامريكا فى الشرق الاوسط ، وأنها ما تزال على عهدها بتنفيذ خطتها الخاصة بزيادة انتاج البترول الى عشرين مليون برميل من البترول يوميا فى عام ١٩٨٠ ، بشرط أن (تخلق الولايات المتحدة الجو السياسى السليم » . وهمس المسئولون الامريكيون فيما بينهم بأن « اليمانى » قد تجاوز سلطته وأنه لا يتحدث باسم الملك .

وفى يوم ٢ من مايو عام ١٩٧٣ استدعى الملك « فرانك جانجرز » رئيس شركة البترول العربية الامريكية (آرامكو) والمسئول التنفيذى الرئيسى بها ، الى القصر الملكى فى الرياض . وهناك وفى حضور « اليمانى » وعدد آخر من الوزراء ، أبلغ الملك فيصل « جانجرز » بأنه لم يعد فى مقدوره مقاومة الضغط الذى يتعرض له من قبل الدول العربية الاخرى ، وردد التحذير الذى حمله اليمانى لواشنطون ونقل « جانجرز » بدوره الرسالة لوزارة الخارجية والبيت الابيض . « وكان مصيرها التجاهل» على حد ما قاله لى « جانجرز » فيما بعد . وبعد مضى أسابيع قليلة على الاجتماع الذى تم فى الرياض ، اجتمع الملك مع جانجرز وغيره من المسئولين التنفيذيين بشركة البترول فى « جنيف » ، ولم يتحدث اليهم فقط عن تجميد الانتاج وانما أشار أيضا الى خفضه . وتم تجاهل الرسالة مرة أخرى .

ان من عادة « فيصل » أن يتحدث فى صمت ، والمباراة المفضلة فى الرياض هى سبرغور ما يدور فى خلده . وكان اليمانى متفوقا فى ذلك الشأن ، ولقد أبلغنى « الشيخ زكى اليمانى » ذات مرة قائلا ان « جلالته لا يحب أن يتحدث ، وانما يفضل اعطاء تلميحات ، وهو على درجة عالية جدا من الذكاء ، ولديه المقدرة على تحمل أخطائه . ويقول بعض الناس أنه يبدو كما لو كان بدويا بيد أن هذا ليس صحيحا ذلك ان البدوى يعيش يوما بيوم ، فى حين أن جلالته يتميز ببعد النظر الى درجة فائقة . وكان « فرانك جانجرز » على معرفة جيدة بفيصل ، وقد قال لى « انه لا يتصرف قط وفقا لاهوائه ، ولا يحنث فى وعوده ولا يقول الا ما يعنيه » .

كانت « واشنطون » تدرك هذا ، أو كان ينبغى عليها ذلك . وطيلة صيف عام ١٩٧٣ وجه الملك فيصل واثنان من أبنائه واليمانى وغيره من الوزراء سلسلة من التحذيرات تشير الى أن المملكة العربية السعودية سوف تحد من انتاج بترولها ما لم تنتهج الولايات المتحدة « سياسة أكثر عدلا وانصافا فى الشرق الاوسط . وقد أدلى الملك فيصل بتصريحاته لصحيفتى « واشنطون بوست » و « كريستيان مونيتور » وللتليفزيون ، الا أنها لم تكن كافية لاقناع الحكومة .

وصرح الملك لمجلة « نيوزويك » فى بداية شهر سبتمبر بأن « المنطق يتطلب أن لا يتجاوز انتاجنا من البترول الحدود التى يمكن أن يستوعبها اقتصادنا . ويتعين على الولايات المتحدة حتى تقنع السعوديين بتجاوز ذلك الحد ، أن تساعد المملكة فى تصنيع البلاد لخلق دخل بديل تلجأ اليه اذا نضب بترولها ، ويتعين عليها أيضا أن تتنصل من الاطماع الصهيونية التوسعية » ، واذا لم تستجب الولايات المتحدة ، فان السعودية ستتصرف من منطلق « المصلحة الذاتية الصرفة، وفى هذه الحالة فان الارتفاع الذى سيترتب على ذلك فى الاسعار قد يؤدى الى زيادة فى الدخل تجعل من الضرورى خفض الانتاج » . « كما أن خفض الانتاج سيؤدى بدوره الى ارتفاع ملموس ومفاجىء فى الاسعار » .

كان التصريح يحمل فى طياته نوعا من النبوءة (نلمسه اليوم من الارتفاع فى الاسعار) لكن واشنطون استمرت فى الاعتقاد بأن فيصل كان يناور وتحدث « شولتز » وزير الخزانة عن « اختيال » العرب ، وأشار « نيكسون » فى مؤتمر صحفى ، على نحو ينذر بالسوء ، الى ما سبق من اطاحة المخابرات الامريكية المركزية بمحمد مصدق رئيس وزراء ايران منذ عشرين عاما ، وأشار الى أن .. البترول بدون سوق لا يعود بالنفع على بلد ما وشعر السعوديون بنوع من التهديد والعنف .

وفى الوقت نفسه ، كان السادات يضع أسس تحالف مع فيصل وهو محور القاهرة والرياض الذى أصبح يمضى الوقت العامل الهام فى سياسات القومية العربية . فقد كان هناك فى عهد عبد الناصر صراع شديد بين مصر والمملكة العربية السعودية . وكان أسلوب ناصر لتحقيق الوحدة العربية هو فرضها ، من خلال التقرب الى رجل الشارع ، ومن خلال المؤامرات العسكرية التى تحاك فى الظلام . وقد ارتكب أسوأ خطأ له فى اليمن ، التى وصفها فيما بعد متألما بقوله « فيتنام الخاصة بى » وكان جيشه متورطا فى حرب مع القوات الملكية التى ساندها السعوديون ، والتى خرج منها ضعيفا ليواجه هزيمة على يد اسرائيل عام ١٩٦٧ .

بيد أن السادات أنهى الحرب العربية الباردة . وبمهارة ذكية جعلت عبد الناصر يبدو غير بارع اذا قورن به ، جعل السادات الوحدة العربية باجماع الرأى الركن الاساسى فى سياسته العربية . فقد قبل تلك الحكومات على علاتها وظل بعيدا عن التآمر ضد الحكومات التى تختلف معه فى الرأى ، وأوجد مجالات للمصلحة المشتركة ، ثم جمع بينهم فى السعى لتحقيق أهدافه ، ولم تكن تلك الظاهرة أكثر حسما مما كانت عليه فى التحالف الذى أقامه مع الملك فيصل ، الذى أصبح فيما بعد دعامة لسياسة السادات الخارجية ، ومولاته أيضا .

وفى وقت من الاوقات علم الملك فيصل أو لعله شعر بأن السادات يعتزم الدخول فى حرب . وكان السادات يأمل ، أساسا ، أن يطلق العنان للاشتباكات فى نهاية شهر أبريل ، لكن الملك فيصل قام بزيارة للقاهرة وأثناه عن ذلك . وقال الملك أنه يجب أن يتاح للدبلوماسية فرصة أخيرة وفى شهر أغسطس سافر السادات للرياض وقال ان الدبلوماسية قد باءت بالفشل وأبلغ فيصل بقراره الذى لا رجعة فيه والخاص بالقتال . ونصحه فيصل بالتزام الرؤية ، ثم أذعن بعد ذلك . ووافق على أن يشهر سلاحه الخاص بالبترول فى وجه الولايات المتحدة اذا لزم الامر ، بحيث يتحقق ذلك بنوع من الاعتدال فى البداية على الاقل . ووعد

السادات أيضا بتقديم مبلغ ٦٠٠ مليون دولار (قام بزيادتها فيما بعد) لمساعدته في تمويل الحرب • وما من شك في أن الملك قد دفعته مشاعر التضامن في « النضال العربي الكبير » • على أنه كان يسلك كذلك طريق المصلحة الذاتية للمملكة العربيه السعودية • وسواء تشبت الحرب أم لم تنشب فإن الملك فيصل كان في حاجة الى السادات للحفاظ على الاستقرار في الشرق العربي • وأوضح فيصل منذ البداية أنه ليس على استعداد لتمويل حكومات تضع « كارل ماركس » في مصاف « محمد » (رسول الله) وكان يتوقع من السادات أن يحد من المنهج الاشتراكي للتنمية الذي سلكه عبد الناصر ، وأن يفرض قيودا على الراديكاليين في معسكره الخاص وكذلك بين صفوف السوريون كذلك والعراقيين والفلسطينيين (قدر المستطاع) ومنذ تحالف مع فيصل ، دأب السادات أيضا على العمل من أجل تحقيق هذه الاهداف خدمة لمصلحته الذاتية •

وعندما بدأت الحرب في السادس من أكتوبر قام فيصل بالوفاء بمساعدته المالية للسادات ، لكنه كان ما يزال مترددا بالنسبة لفرض حظر بترولي • وأرسل اليماني لحضور اجتماع مع وزراء البترول العرب في الكويت ، ومعه تعليمات (هكذا قال لي اليماني) لمقاومة الراديكاليين • واقترح العراقيون تأميم شركات البترول الامريكية كافة في الاراضي العربية ، وسحب جميع الاموال العربية من البنوك الامريكية ، وفرض حظرا شاملا على الولايات المتحدة — وعندما رفض اليماني ذلك انسحب العراقيون من الاجتماع •

وكان فيصل على اتصال سري مع « نيكسون » و « كيسنجر » فقد توقع أن يقوم « نيكسون » باغراق اسرائيل بالاسلحة ليعوض الشحنات السوفيتية التي تحصل عليها مصر وسوريا ، لكنه حذر الرئيس من أن اغراق اسرائيل علنا بالسلاح سيجعل من الصعب على السعودية الصمود أمام الرأى العام العربي ، وفي ١٩ من أكتوبر طلب « نيكسون » من « الكونجرس » معونة عسكرية لاسرائيل قدرها ٢ر٢ بليون دولار ، وعندئذ نفذ صبر فيصل ، وقرر أن الامريكيين ضربوا بنصائحه عرض الحائط للمرة الاخيرة • ومن ثم فقد شهر سلاح البترول وفرض حظرا على الولايات المتحدة • وضرب فيصل بذلك العمل صفوف الثوريين • كما لو كان قد حدث بطريق الصدفة ، وأعاد التيار المحافظ للطليعة العربيه (*)

---

* بعد حرب اكتوبر عندما بدأت المصاعب المترتبة على الحظر البترولي تتضح ، وعندما كانت الولايات المتحدة تخسر بلايين الدولارات من اجمالي انتاجها القومي ، واعترف كيسنجر لمساعديه بأن الحكومة اخطأت بالاعلان عن المساعدة العسكرية لاسرائيل التي قدرت بـ ٢ر٢ بليون دولار • وصرح بقوله « لقد ارتكبت خطأ » • واعتبر ذلك خطأه الكبير الوحيد أثناء الحرب • كما انه شعر بالندم في المقام الاول تجاه الخطأ لانه استفز فيصل الذي ادرك بعد فوات الاوان انه لم يكن يناور ، الى حد جعله يتخلى (مؤقتا) عن تحالفه « مع واشنطون » وينتهج لفترة من الزمن هذه السياسة المعادية •

والقى « كيسنجر » بعض اللوم على الرئيس « نيكسون » لانه قبيل الطلب الذى قدر بـ ٢ر٢ بليون دولار تقرر ارسال اسلحة لاسرائيل قيمتها ٨٥٠ مليون دولار — وهو مبلغ اعتبره « البنتاجون » مناسبا تماما لكن « نيكسون » قال : اذا كنا سنُدان بسبب « الخروف » فلم لا تكون الادانة ، بسبب « الحمل » • واضاف ان العرب سيغضبون على اي حال • وما ان اتخذ الجسر الجوى السوفيتي ابعادا كبيرة وطرح نيكسون الخدعة التي أرجأت اقامة الجسر الجوى الامريكي جانبا حتى رفع « نيكسون » قيمة الطلب الذي يوصي بتقديم مساعدة عسكرية لاسرائيل الى ٢ر٢ بليون دولار — وذلك لكى يحظى بمزيد من الثقة من جانب اسرائيل ومن جانب اليهود الامريكيين ، وليؤثر على الروس ، وهذا أمر هام بالنسبة اليه • وقال الرئيس نيكسون في كلمات كثيرة « اذا كنا سنقدم على فعل ذلك فلنفعله بحجم كبير » واشار احد مساعدي « كيسنجر » معلقا على ذلك بقوله : ان هذا تصرف خاص من جانب « نيكسون » •

كانت تلك هي الظروف السائدة عشية الثامن من نوفمبر عام ١٩٧٣ ، عندما دخل الدكتور « كيسنجر » ومساعدوه المكتب الملكي في الرياض • كان الملك « فيصل » يجلس على المقعد الوثير وسط حاشيته ، خلف مائدة عليها مسرة بيضاء • وفي القاهرة سأل « كيسنجر » « السادات » عما يتوقعه من ذلك الملك الذي يمتلك قدرا كبيرا من بترول العالم ، والذي يعتبر أغنى الزعماء العرب في غضون ألف عام • وأجاب السادات بقوله : حسبنا دكتور « كيسنجر » من المرجع أن يلقي عليك وعظا عن الشيوعية واليهود » •

كيسنجر : انني أذكر الزيارة التي قام بها جلالتكم للولايات المتحدة في بداية عهد حكومة الرئيس « نيكسون » عندما أوضح جلالتكم للرئيس بعض المخاطر التي ينطوي عليها الموقف في الشرق الاوسط • لقد تحقق الكثير من تبوءات جلالتكم •• وأود أن أشرح اليكم تصرفاتنا في الحرب خلال الشهر الماضي ، وقد لا توافقون جلالتكم على ما حدث ولكن لابد ، من معرفة السبب الذي دفعنا الى مثل هذا التصرف • فقد كان تحركنا رغبة في الحيلولة دون زيادة النفوذ الشيوعي ، وعندما بدأ السوفييت ارسال أسلحة تعين علينا الرد الى ذلك • وعلى أى حال فقد انتهت الحرب الآن ، وكان لنا دور في ترتيب وقف اطلاق النار واعادة تموين الجيش الثالث •

وبينما كان « كيسنجر » يتحدث ، كان فيصل يجلس في مقعده منحنيا الى الامام ، ويعلو رأسه عقال من الذهب المنسوج ، وكانت قسمات وجهه تنم عن الشعور بالامتعاض الشديد بينما أصابعه الطويلة التي تعلوها بعض بقع كانت تعبث أطراف عباءته • وعندما أجاب جاء صوته مرتفع النبرات وبدا عاليا كأنه صراخ •

فيصل : شكرا لك على الشرح الذي قدمته ، وأود أن أذكرك بما كنت قد قلته للرئيس « نيكسون » و « لروجرز » وهو أنه من الضروري ممارسة الضغط على اسرائيل حتى تنسحب من أراضي محتلة فالشيوعيون كما تعلم يريدون أن يظل الموقف حرجا والولايات المتحدة اعتادت التصدي للعدوان ـ وذلك هو ما فعلتموه في الحرب العالمية الثانية وفي حرب السويس عام ١٩٥٦ • ولو أن الولايات المتحدة قد فعلت ذلك في أعقاب حرب عام ١٩٦٧ ، لما شاهدنا ذلك التدهور • انني أتحدث كصديق ، وأود أن تعلم مدى الالم الذي أشعر به لاتخاذ خطوات من شأنها أن تضر بصداقتنا ومنذ عام ١٩٦٧ والشيوعيون يستغلون الموقف ، ولاسيما في نشر روايات زائفة عن المملكة العربية السعودية لانهم يعلمون أن المملكة العربية السعودية هي أكبر عقبة في طريق الشيوعية في الشرق الاوسط ، واسرائيل بدورها تساعد في تحقيق الاهداف الشيوعية • ومن سوء الطالع أن هناك بين صفوف المؤمنين بالديانة اليهودية من يعتنق الصهيونية • ولم يكن هناك قبل اقامة الدولة اليهودية ما يعكر صفو العلاقات الطيبة بين العرب واليهود ، فكان هناك كثير من اليهود في البلاد العربية • وعندما تعرض اليهود للاضطهاد في أسبانيا قام العرب بحمايتهم ، وعندما طرد الرومان اليهود قام العرب أيضا بحمايتهم وكان « ستالين » هو الذي قال في مؤتمر « يالتا » أنه يجب أن تكون هناك دولة يهودية • وليس هذا بمسألة عنصرية وانما هي مسألة حب المرء لوطنه ، اذ من الضروري اقامة دولة يهودية اسلامية مختلطة في فلسطين • وتأتي معظم

الهجرة لاسرائيل من الاتحاد السوفيتي ، فهم يبغون اقامة قاعدة شيوعية فى الشرق الاوسط ، والشيوعيون ليست لديهم عقيدة وهم لا يؤمنون بوجود الله ٠

كيسنجر : جلالة الملك ، ان مشكلتنا تتمثل الآن فى كيفية التقدم من الموقف الحالى الذى تعلم أنه غير محتمل ــ نحو السلام الحقيقى ٠

فيصل : ذلك أمر سهل ، مارسوا ضغطا على اسرائيل حتى تنسحب ٠

كيسنجر : أوافق على أنه من الضرورى أن تكون هناك عمليات انسحاب اسرائيلى ، الا أن ذلك يطرح مشكلة صعبة بالنسبة للولايات المتحدة ــ وليست مشكلة سياسة خارجية فقط لقد قررنا بذل محاولة كبرى لتحقيق تسوية ، وبدأنا بمصر واتفقنا مع الرئيس السادات على عقد مؤتمر للسلام ٠ ونحن نتمنى اقامة علاقات طيبة مع الدول العربية التى تشاركنا هذه الرغبة ٠ وقد ذكرت لجلالتكم سوريا على مائدة العشاء ٠

فيصل : لقد سألت صديقا سوريا عما اذا كانت سوريا ستعترض على زيارة تقوم بها سعادتك اليها ، فأجاب بأن سوريا سترحب بذلك ٠

كيسنجر : نحن لا نعتزم استبعاد سوريا من اتصالاتنا التى تتم على مستوى عال ، وسنتخذ الخطوات اللازمة لتحقيقها ٠ وستشهد جلالتكم أننا سنقوم فى الاشهر القادمة بمحاولة كبيرة لاحراز تقدم ٠

فيصل : آمل أن لا يستغرق ذلك سوى أسابيع ٠

كيسنجر : حسنا ، فذلك يثير مسألة حظر البترول الذى فرضه جلالتكم ونحن نفهم الانفعالات التى أدت الى ذلك الحظر ٠

فيصل : ذلك هو السبب فى ضرورة تحرككم بأسرع ما يمكن ــ حتى يتسنى لنا رفع الحظر ، لقد كان أمرا مؤلما للغاية بالنسبة لى أن أضطر الى اتخاذ الاجراء ضد أصدقائنا الامريكيين ٠

كيسنجر : لقد كان لقرار جلالتكم أثر خطير خاصة وأنه يصدر من صديق قديم ٠

فيصل : ذلك هو السبب فى أن معاناتى أكثر من معاناتكم ٠

كيسنجر : لكننا نواجه الآن موقفا خطيرا ، فأولئك الذين يعارضون تحقيق السلام ، يسعون الى تصوير العرب بأنهم معادون للولايات المتحدة ٠ فهم يحاولون تحويل الرأى العام على نحو يعرقل الجهود التى تبذل فى الطريق الى السلام ، وسيكون من العسير بالنسبة لنا المضى قدما اذا واجهنا ٠ استمرار حظر البترول ٠ ان فى وسعنا استيعاب الاثر الاقتصادى المترتب على الحظر ، لكن الاثر السيكولوجي المترتب على ذلك يؤرقنى ٠ وأود أن أقترح على جلالتكم لاتخاذ خطوات للحد من تطبيق الحظر ٠

فيصل : أننى أتمنى الغاء الحظر على الفور ، لكننى أيضا فى موقف عسير ، وسيكون أكثر سهولة اذا أعلنت الولايات المتحدة أن اسرائيل يجب أن تنسحب وتسمح للفلسطينيين بالعودة الى ديارهم ٠

كيسنجر : سيؤدى مثل ذلك الاعلان المثير الى حدوث ردود فعل قوية للغاية ، ويجب أن نتحرك خطوة خطوة ‥ وبودى أن أطلب من جلالتكم التفكير فى الامر فاننى لا أطالب الآن باتخاذ قرار مباشر ، لكننى أطلب من جلالتكم التفكير فى ذلك ٠

فيصل : ان المأزق الذى نعانيه يكمن فى الجانب الآخر للعملة ٠ اذ يتهم الشيوعيون بعض العرب بالرضوخ للضغط الامريكى ٠ أما بالنسبة لاولئك الذين يوجهون الاتهام اليكم بالرضوخ لضغط العرب ، ففى مقدوركم الاجابة عليهم بأن السبب الوحيد الذى دفع العرب الى قيام بمثل ذلك التصرف هو أنكم تساندون عدو العرب ٠

كيسنجر : جلالة الملك ان الامور لا تسير على هذا المنوال فى الولايات المتحدة ، وأفضل حجة بالنسبة لنا لا تتمثل فى القول بأننا مناهضون لاسرائيل أو موالون للعرب ، ولكنها تتمثل فى أننا نبغى تحقيق السلام فى الشرق الاوسط ونخدم مصالح الولايات المتحدة ٠ واذا ما حاولنا طرح الامر على أساس مزايا النزاع العربى الاسرائيلى ، فسيكون هناك على الدوام عدد كبير من الناس يدافعون عن اسرائيل ، وليس عن الجانب العربى ٠ ولذلك يتعين علينا طرح الامر فى اطار المصالح الوطنية الامريكية ٠

فيصل : اننى أقدر منطقكم ، لكننى أرجو أن تتمكن من تقدير موقفنا ٠ فقد كان الحظر قرارا مشتركا للعائلة العربية ، وحتى أحث على انهاء الحظر ، لابد من أن يكون فى مقدورى التقدم الى الحكومات العربية الاخرى بحجة تستدعى ذلك ولذلك فانى أحتاج الى عمل سريع من جانبكم ، ويجب أن تعلنوا عن موقفكم ٠

كيسنجر : اذا قمنا باعلان ذلك قبل المفاوضات ، فاننا سنقوض فعاليتنا فى المفاوضات ، وأنا لا أريد التعهد بشىء لا أستطيع تقديمه ٠

فيصل : نأمل أن نتمكن من تحقيق هدفك ونتمنى لك النجاح ، وندعو الله أن يكلل بالنجاح جهودكم النبيلة ٠ ولقد تحدثت بصراحة لسعادتك لاننى أحترم مقدرتك وحكمتك ٠

بتبادل تلك العبارات الودية انتهت المقابلة الى طريق مسدود ٠ ولقد ظل « كيسنجر » صامتا ومتيقظا أثناء حديث الملك عن اليهود ٠ وقبل تناول طعام العشاء كان السفير الامريكى فى الرياض « جيمس ٠ أ ٠ اكينز » يجلس بعيدا عن « كيسنجر » وبينهما عدد من كبار الامراء ٠ الا أن « اكينز تمكن من خلال قرقعة أكواب القهوة أن يسترق سمعه لبعض كلمات من حديث الامراء منها « ‥ اسرائيل ‥ الصهيونية ‥ المؤامرة الشيوعية اليهودية ‥ » وعند خروجهما همس « كيسنجر » « لأكينز » قائلا : تلك هى فكرتك بشأن تبادل بعض الحديث أثناء تناول طعام العشاء ؟

لقد قابلت فيصل بعد مرور خمسة أسابيع على أول اجتماع له مع كيسنجر ، والمقارنة فان تجربتى مع الملك مطابقة لتجربة « كيسنجر » ٠ ومن المؤكد أننى واثقا تماما من أنه سيتم استقبالى ٠ وطلب منى الجلوس فى غرفة الانتظار بالقصر الملكى ، الى أن حضر الملك ذلك الصباح قادما من مقر اقامته الخاص ٠ وعلى الفور سمعت صوت الصفارات التى تنذر بقدومه ثم صوت اغلاق أبواب السيارات ٠

ونظرت الى ردهـة الدخـول حيث كان يقف عشرات من الرجال يرتدون ثيـابا فضفاضة فى موقف الانتباه الذى ينم عن الاحترام • ولاحظت من خلال الرؤوس المغطاة رجلا طويلا يرتدى الملابس كالآخرين باسـتثناء عقال للرأس منسوج من الذهب ، يخطو سريعا الى القصر ويبدو عليه التفكير • وبعد ذلك تقدم اليه رئيس التشريفات الملكية وسلمه ورقة تحمل اسمى ثم همس فى أذنه ، وخفض الرجل الطويل وجهه الذى يشبه الصقر ، وتردد ثم أومأ برأسه • وعاد رئيس التشريفات وهو يشير الى ، وغادرت غرفة الانتظـار الى حجرة كبيرة فرشت بأبسطة صفراء وغشيت جدرانها باللون الاخضر • وكان فيصل يجلس هنـاك فى انتظارى على المقعد ذى المساند •

انحنيت قائلا : السلام عليكم يا جلالة الملك • وأشار الى الملك بالجلوس فى مقعد آخر ذى مساند • كانت الغرفة مزدحمة بالخدم وأصحاب المطالب والجنود ، غير أنهم انصرفوا مخلفين وراءهم أصواتا أشبه بالهمس نتيجة لما يرتدونه من ثياب فضفاضه ، وتركونى بمفردى مع الملك ورئيس التشريفات وخادم أحضر لنا أكوابا من الشاى • وأطرق الملك فى حزن شديد ، وكان أنفـه معقوفا وكبيرا ، وعيناه تتميزان بخليط من اللونين الرمادى والبنى ووجهه ملىء بالتجاعيد ، كما لو كان قد أصابه تلف نتيجة لمعاناة طالما تحملها من معدة مريضة • وكان فمه غير عادى فقد كان مزموما وتبدو عليه مسحة من الازدراء الدائم بسبب العبء الذى تشكله ثروة بلاده وبسبب حماقات الجنس البشرى •

تحدث لى عن القدس وعن اليهود ، وكانت القدس بخاصة مصدر قلقه ، فهى أكثر مدن الاسلام قداسـة بعد مكة والمدينـة ، وطالما ردد أن أكبر رغبـة يتمنى تحقيقها قبـل وفاته هى : أن يؤدى الصلاة هنـاك فى المسجد الاقصى • وتقول السورة ١٧ من الآية الاولى فى المصحف الشريف « سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى الذى باركنا حوله لنريه من آياتنـا انه هو السميع البصير » • وطبقا للحديث الشريف الذى يعتبر مبينا للقرآن كمصـدر للوحى الاسلامى ، فان النبى محمـد وهو يمتطى « البراق » توقف بالقـرب من المسجد الاقصى ، ثم صعد من القدس مع الملاك جبريل الى السموات السبع ، حيث التقى بالانبياء آدم وابراهيم وموسى وزكريا والمسيح • وكان استمرار احتـلال اسرائيل للقدس العربية يثير غضب الملك فيصل • وقال ان المسلمين والمسيحيين فقط هم الذين لهم أماكن مقدسـة وحقوق فى القـدس • أما اليهود فليست لهم اضرحة مقدسة فيها »

واستطرد الملك يقول : لكن ما يثير دهشتى هو ما يتعلق بحائط المبكى ؟ « ففى عهد عصبة الامم تم ارسال لجنة للقدس للتحقيق فى المعركة الجارية بين اليهود وبين المسلمين حول حائط المبكى • وقررت اللجنة أن حائط المبكى ليس سوى جزء من حائط المسجد الاقصى • لذلك أقرت تلك اللجنة أنه ليست لليهود أية حقوق فى القدس ، وأنه يمكن بناء حائط آخر لهم يبكون خلفه » •

ومرة أخرى كما كانت على الدوام عادة الملك عندما يتحدث ، كان منحنيـا الى الامام فى مقعده ، بينما تعبث أصابعه التى بها بعض البقع بطرف عباءته • وكان منظر فيصل بالنسبة لى أشبه بالحلم ، الذى ما زال يعاودنى من وقت لآخر •

ومع ذلك فبينما كان نصف رأس فيصل مشحونا بالغضب الفطرى تجاه اليهود ، وبالافكار البسيطة التى لديه وهى أن الدكتور « كيسنجر » يمكنه باشارة من يده طرد الاسرائيليين من الاراضى العربية ، كان النصف الآخر بالغ الذكاء ٠ فعلى الرغم من التعنت الشديد الذى صاحب أول اجتماع له مع « كيسنجر » فان ذلك الاجتماع احتوى فى طياته بذور سياسة بالغة المرونة ، وكانت اشارة الملك الى سوريا حاسمة ٠ وطلب « كيسنجر » بعد الاجتماع الذى تم مع عمر السقاف وزير الشئون الخارجية القيام بزيارة لدمشق ، موضحا بذلك اقتناع فيصل بأن سوريا هى المفتاح لتحقيق السلام ٠ ومن خلال مهام متلاحقة قام بها للرياض بذل « كيسنجر » كل محاولة يمكن بها اقناع الملك الوهابى وتهدئة روعه ٠ والحق أن « فيصل » واجه احتجاجه بشأن اليهود ، كما أنه لم يلغ الحظر حتى قدوم الربيع ، الا أنه فى منتصف شهر ديسمبر من عام ١٩٧٣ أكد لكيسنجر بأنه سيبذل قصارى جهده لاعطاء دفعة للمفاوضات ــ وبخاصة فى سوريا ، ولقد كان ذلك أمرا قاطعا ٠

لقد كنت حاضرا لبضع دقائق قمت خلالها بالتقاط بعض الصور عندما دخل « كيسنجر » الديوان الملكي للاجتماع الذى تم فى ١٤ من شهر ديسمبر ١٩٧٣ ، وكان « فيصل » يقف جانبا منتظرا ولا يبدو عليه أى تأثير ٠ وابتسم للمترجم الفلسطينى المولد الذى صحب « كيسنجر » (فهو صديق قديم) الا أنه لم يبتسم أثناء تحيته لكيسنجر ٠ ومع ذلك فقد برهنت المقابلة فى هذه المرة على أنها أكثر ودا ، فتحدث «كيسنجر» عن آماله بالنسبة لعقد مؤتمر جنيف ٠ وقال حينئذاك ٠٠ يجب على جلالتكم أن تثق بى ، « أننى لا أستطيع خداعك ، واذا ما فعلت فستدرك الامر فى غضون شهو ر قليلة » وسواء تمكن فيصل من الثقة فى كيسنجر « أولا ، فذلك الأمر كان مجهولا لى ، الا أنه فى الحقيقة يمضى الوقت وعندما أصبح واضحا أن الملك لا يمكنه أن يتطلع لتحقيق انسحاب اسرائيلى على وجه السرعة ، فانه أصبح على الفور الممول لديبلوماسية « كيسنجر » المؤقتة فى الشرق الاوسط ٠ وقدم الاعانات للسادات وأغرق السوريين وقام برشوة صحف بيروت ، فقد طغى رعبه من انتشار التفكير الراديكالى على كراهيته للصهيونية ٠

يضاف الى ذلك أن فيصل كان فى حاجة الى الولايات المتحدة من أجل تطوير بلاده ، وكان « كيسنجر » يعلم ذلك ، واستخدم تلك الورقة بدهاء شديد ٠ وفى ١٥ من شهر ديسمبر ، عندما كان الحظر البترولى فى ذروته ، أجرى حديثا مستفيضا فى الرياض مع هشام الناظر وزير الدولة للتخطيط وعدد من الامراء ذوى المكانة الهامة ٠

الناظر : عندما كنت فى واشنطون تحدثت مع « بيل سايمون » بشأن ارسال بعثة أمريكية للمملكة العربية السعودية ٠ وأعتقد فى الحقيقة أنه ينبغى علينا ارسال بعثة الى الولايات المتحدة ، لان البعثات التى تجىء الى هنا تشعر بالضجر ٠

كيسنجر : ما نوع الصناعات التى تعتزمون ادخالها ؟ وكم عدد سكان الريف وكم عدد سكان البدو ؟

الناظر : هناك تغيير يحدث فيما يتعلق بالاستيطان والحياة الحضرية ٠

كيسنجر : أعتقد أن ذلك التغيير له دلالات سياسية ، نظرا لان سكان المناطق الحضرية يميلون لان يكونوا أقل تمسكا بالاتجاه التقليدى ٠ وكيف يمكن للولايات المتحدة أن تعالج عملية التنمية السعودية ؟

الناظر : هناك شرطان، السلام أولا، وثانيا المساعدة في انشاء قطاعنا الصناعي. فاذا كنا ننتج البترول ، فلابد من ان نستثمر عوائده بطريقة مجدية ، وهنا يكون في وسعكم المساعدة ولا سيما من خلال توفير التكنولوجيا . وعلى وجه التحديد فان لديكم التكنولوجيا الخاصة بزراعة الصحراء التي يمكن لنا استخدامها

كيسنجر : هل الظروف السائدة حاليا مناسبة للتعاون ؟

الناظر : لم تكن هناك قط أية عراقيل أمام القطاع الخاص الامريكي ، لكننا نحتاج الى مساعدة حكومة الولايات المتحدة وما لديها من تكنولوجيا .

في استطاعتنا أن نلاحظ هنا جوهر سياسة « كيسنجر » بشأن الشرق الاوسط ، ذلك أنه تقدم بدبلوماسيته على مستويين : المستوى الاول هو احتواء النزاع العربي الاسرائيلي الذي اعتبره مستعصيا تقريبا . أما المستوى الثاني : فهو الترويج للتكنولوجيا الامريكية التي يتوق اليها العرب جميعا (بما في ذلك الراديكاليين) والتي تساعده على كسب الوقت بينما يقوم بالانتهاء من المشكلة الاولى .

وكان يقول للعرب « انني أعرف ما تريدون — وهو عودة أراضيكم — الامر الذي أجتهد من أجل تحقيقه وفي الوقت نفسه سأقدم لكم كل شيء تريدون الدخول في مناقشة من اجله في القرن العشرين ..

وبالنسبة للسعوديين فان ذلك يعني أن يكون هناك التزام كبير من جانب الحكومة الامريكية للقيام بدور رئيسي في ادخال روح العصر على مقوماتهم الاساسية وأن تقدم اليهم كذلك أسلحة قيمتها بلايين الدولارات على مر السنين . وكان سلاح المهندسين التابع للجيش الامريكي هو الذي أقام المدن والاقاليم السعودية وقد بدأ ذلك فيما قبل عهد كيسنجر ، ويوجد اليوم قرابة ٢٠٫٠٠٠ أمريكي يعملون في المملكة العربية السعودية ، وقد يتضاعف ذلك العدد في المستقبل .

أما بالنسبة للمصريين فقد كانت السياسة الموازية تعني التأييد الامريكي والاموال الامريكية وتشجيع المستثمرين الامريكيين وأمراء البترول على انقاذ الاقتصاد المصري — وناهيك عن تشجيع دول غرب أوربا على بيع أسلحة للسادات نظرا لان مخطط « كيسنجر » الطويل الامد هو القضاء على الاتحاد السوفيتي باعتباره مصدر الاسلحة الرئيسي بين الدول العربية . وقد حققت السياسة الموازية نجاحا كبيرا حتى في دول متطرفة مثل سوريا والعراق اللتين ما تزالان تعتمدان على الروس من أجل الحصول على السلاح لكنهما تتوقان أيضا الى التكنولوجيا الامريكية مثلهما في ذلك مثل السعوديين والمصريين .

الفصل السادس

صلاح الدين والصليبيون

سافر الدكتور « كيسنجر » من الرياض متجها الى «بكين» فى التاسع من شهر نوفمبر عام ١٩٧٣ ، لمقابلة « شواين لاى » رئيس الوزراء والرئيس « ماوتسى تونج » • وبينما هو فى الطريق قبلت اسرائيل النقاط الست المعدلة التى كان قد تقدم بها • وقال « كيسنجر » على سبيل الفكاهة : انه (اذا قبلت اسرائيل تلك النقاط فسنطلق عليها حينذاك مشروع كيسنجر ، أما اذا رفضتها فستكون مشروع « سيسكو ») •

وتتضمن النقاط الست ما يلى :

١ ـ موافقة مصر واسرائيل على الالتزام بدقة بوقف اطلاق النار الذى دعا اليه مجلس الامن •

٢ ـ موافقة كلا الجانبين على أن تبدأ المناقشات بينهما على الفور لتسوية مسألة العودة الى المواقع التى كانت قائمة يوم ٢٢ من أكتوبر ، وذلك فى اطار اتفاق حول فك الارتباط والفصل بين القوات باشراف الامم المتحدة •

٣ ـ تتلقى مدينة السويس يوميا امدادات الطعام والمياه والدواء • وأنه يتم اجلاء جميع الجرحى المدنيين بها •

٤ ـ يجب أن لا تكون هناك أية عراقيل تعترض طريق الامدادات غير العسكرية المتجهة للضفة الشرقية •

٥ ـ أن تحل نقط تفتيش تابعة للامم المتحدة محل نقط التفتيش الاسرائيلية الموجودة على طريق القاهرة السويس • وعند نهاية الطريق من ناحية السويس يمكن للضباط الاسرائيليين الاشتراك مع الامم المتحدة فى الاشراف على الشحنات العسكرية المارة بالقناة •

٦ ـ بمجرد الانتهاء من اقامة نقط التفتيش التابعة للامم المتحدة على طريق القاهرة السويس ، يتم تبادل جميع أسرى الحرب بما فى ذلك الجرحى •

وقد تحول اصرار السادات فى الماضى على الانسحاب الاسرائيلى الى الخطوط التى كانت قائمة يوم ٢٢ من أكتوبر ، الى اطار المناقشات الخاصة بتحقيق قدر أكبر من فك الاشتباك بين القوات ، وذلك بموجب اتفاقه مع كيسنجر • وقد كنت موجودا فى مصر لبعض الوقت أثناء حرب أكتوبر ، وقمت خلال الاسابيع التى تلت الحرب بزيارة الكيلو ١٠١ على طريق القاهرة ـ السويس، حيث كانت الجيوش الاسرائيلية والمصرية تقف بعضها فى مواجهة بعض • وكان ذلك منظرا غريبا ، اذ كانت

دبابات الاسرائيليين ورشاشاتهم تلوح حول التلال الصحراوية مصوبة الينا ، كما كان الجنـود الاسرائيليـون يرابطون فى الخنـادق المقامة على الطـريق مسـلحين برشاشـاتهم ، أو مسـتلقين على ظهورهم فوق الاكياس الرملية يقرأون روايات باللغة العبرية . وعبر الحاجز المكون من براميل الزيت والاسـلاك ، كان الجنود المصرية والاسرائيليون ورجال قوة الطوارىء التابعة للامم المتحدة من الاسكندنافيين ذوى الشـعر الفاتح اللون ، يختلطون بعضهم ببعض ويضـحكون ويتبـادلون الاشاعات بقدر ما يستطيعون بالرغم من حاجـز اللغة ، (وان كان بعض اليهود الشرقيين يتحدثون اللغة العربية) ، وكانوا يتخـذون كذلك وضع الاسـتعداد لالتقاط الصور : وحينذاك تساءلت : هل هذا بشير بالاخوة بين اسرائيل والعرب يوما ما ؟

كان المصريون أقوياء وذوى لون نحاسى يرتدون قبعات منشاة وملابس مرتبة كما كانت أجسادهم تخلو من الشحم أما الاسرائيليون فكانوا غير متجانسين من حيث اللون وذوى شعر طويل وغير حريصين على حسن مظهر ثيابهم مثلهم فى ذلك مثل جماعة الهيبيز ــ ولا ينم مظهرهم عن قوتهم البدنية ، لقد كانوا على مشارف القاهرة وعلى مقربة من براميل الزيت والاسلاك حيث أقيمت خيمة كبيرة يجلس فيها الضباط المصريون والاسرائيليون برئاسة الجنرال الفنلندى يتناقشون حول تطبيق النقاط الست التى تقدم بها « كيسنجر » .

وعندما تصل القوافل المصرية ، كان الاسرائيليون يسارعون بتفريغ الحمولة والتفتيش بين لفائف الطعام والادوية باحثين عن أسلحة وذخيرة قد تكون مخبأة فيها ، وقد وصلوا فى ذلك الى حد سكب بلازما الدم على الارض فى قيظ الصحراء حيث شهدناه يتدفق مثل دم القديس « جانيواريس »فى نابولى. كانت الصياغة النهائية للنقاط الست التى تقدم بها « كيسنجر » قد حسمت المشكلة بذلك النوع من السفسطة التى لجأ اليها فى أغلب الاحيان فى مفاوضات لاحقة : بمعنى أن مدينة السويس والجيش الثالث فى الضفة الشرقية من قناة السويس ، كان يتم تزويدهما بضرورات الحياة عبر طريق يسيطر عليه الاسرائيليون ولكنه مزود بنقط تفتيش تابعة للامم المتحدة وبذلك يتسنى للسادات الادعاء بأنه طريق تشرف عليه الامم المتحدة وليس اسرائيل . أما الورقة التى كانت فى يد السادات فكانت ما لديه من أسرى اسرائيليين : فهو لن يطلق سراحهم ما لم تحل نقاط التفتيش التابعة للامم المتحدة محل نقاط التفتيش الاسرائيلية .

وبعد الانتهاء من تلك المرحلة ، تم تبادل الاسرى . الا أن المحادثات العسكرية بين الاسرائيليين والمصريين عند الكيلو ١٠١ وقد وصلت الى طريق مسدود حول مسألة الانسحاب الاسرائيلى . اذا اقترح الاسرائيليون العودة الى خطوط الخامس من أكتوبر ، وان كان يصاحب ذلك الآن الالتزام بالشرط الذى ينص على أن تقوم الامم المتحـدة بملء الفراغ المترتب على انسـحاب الجيـوش الاسرائيلية وطالب المصريون بدورهم بأن تتخلى اسرائيل عن نصف سيناء تقريبا .

تلك هى المواقف الرسمية لكل من اسرائيل ومصر . والحقيقة أن المفاوض الاسرائيلى الجنرال « أهرون باريف » والمفاوض المصرى الفريق « محمد عبد الغنى الجمسى » رئيس هيئة الاركان فى ذلك الحـين كانا أكثر اقترابا من التوصـل الى اتفاق على أساس الاقتراحات غير الرسـمية التى فوض لكل منهما مناقشـتها . وعرض « الجنرال باريف » انسحابا لمسافة عشرين ميلا فى الضـفة الشرقية من

القناة مقابل أن تقدم مصر التزاما بالحد من عدد القوات الى مسافة عشرين ميلا على الضفة الغربية واعادة فتح القناة والسماح بمرور السفن الاسرائيلية فيها الى جانب مزايا أخرى في صالح اسرائيل ٠

أما الفريق الجمسي فقد اقترح بدوره انسحابا اسرائيليا لمسافة اثنين وعشرين ميلا من القناة ، وخلق منطقة عازلة تشرف عليها الامم المتحدة واعادة فتح القناة في مرحلة لاحقة عندما تكون اسرائيل قد انسحبت حوالى أربعين ميلا ، وذلك بالاضافة الى وضع جدول زمني لجلاء اسرائيل الكامل عن سيناء ٠ وبينما كان ياريف والجمسي يسعيان الى التوفيق بين تلك الصيغ أصدرت الحكومة الاسرائيلية تعليمات لياريف بالتوقف ـ والعودة للاقتراح الاسرائيلي الاصلي ٠

ويرجع السبب في اتخاذ ذلك الموقف كما ذكره «ماتي جولان» الصحفي الاسرائيلي في كتابة «المحادثات السرية لهنري كيسنجر» (الذى صدر عام ١٩٧٦) ، الى أن الدكتور كيسنجر بنفسه أقنع « جولدا مائير » بتقويض المفاوضات ٠ اذ شعر « كيسنجر » أنه اذا حقق ياريف والجمسي فك اشتباك عند الكيلو ١٠١ ٠ فلن يبق هناك شيء للتفاوض بشأنه في جنيف ٠ ويقول جولان أن « كيسنجر » يعتقد بأن القفز مباشرة الى مفاوضات السلام (في جنيف) قد يقضي على المؤتمر بصورة عاجلة جدا ، فهو يتطلع الى شيء أقل طموحا ، شيء يكون أمامه فرصة للنجاح العاجل ٠ وبدت له فكرة التوصل لاتفاق لفك الاشتباك بين مصر واسرائيل فكرة مثالية ٠٠ واذا ما أتيحت الفرصة فان ياريف والجمسي سيكون في مقدورهما التوصل الى نفس الاتفاق بجهودهما الخاصة ، وهو الاتفاق الذى رتب له كيسنجر فيما بعد (بعد مرور سبعة أسابيع) بضجة كبيرة قامت بها وسائل الاعلام ٠

ويعتبر ما قاله جولان صحيحا كما يقول أصدقاء « كيسنجر » ٠٠ اذا نظرتم الى كيسنجر نظرة مجردة فستجدونه شخصية بغيضة (*) ويصف «جولان» تدخل « كيسنجر » في مفاوضات الكيلو ١٠١ بأنه تدخل غير سليم وقد شعر «كيسنجر» بأن فك الاشتباك الاول بين مصر واسرائيل يجب أن يكون نموذجا لمفاوضات تجرى في المستقبل على الجبهتين السورية والأردنية ٠ فقد خشي من أنه اذا ما توصل الاسرائيليون والمصريون الى اتفاق على نحو مستقل وبدون وساطة ، فربما تنهار الجهود التي تبذل في المستقبل على الجبهات الاخرى لعدم توفر الساحة الدولية الملائمة للمفاوضات ٠ ومن ثم فان ساحة ، وشكل وعملية واطار فك الاشتباك ، كانت جميعها لا تقل أهمية عن فك لاشتباك نفسه ـ حتى على الرغم من أن مؤتمر جنيف ـ كما أثبتت الأحداث ـ لم يكن يتوقع له النجاح ٠ وقد تمكن « كيسنجر » من اقناع الحكومة لاسرائيلية بمنطقه بسهولة ، اذ لم تكن « جولدا مائير » متعجلة للتخلي عن أراضي قبل الانتهاء من الانتخابات الاسرائيلية التى كان مقررا أن تجرى يوم ٣١ من ديسمبر ، كما لم يكن هناك مايدفعها الى تشجيع «ياريف» على ابرام اتفاق على وجه السرعة ٠

---

* يصوره كتاب جولان كيسنجر بانه تجسد للبغض ، فهو يصفه بانه حقود للغاية ، ويصوره في كل صفحة تقريبا بأنه خائن بالنسبة لاسرائيل ، ويظهره دائما وهو يصيح « فى وجه الاسرائيليين قائلا ـ الامر ليس كذلك ببساطة ٠ اقرا ما كتب عن « كيسنجر » في الجزء الخاص بالمصلحة الامريكية في الشرق الاوسط وستجد أن جولان اطراه بدرجة لم يكن يقصدها فيما يبدو ٠

ويتعين الاعتراف بأن غرور دكتور (كيسنجر) على المستويين الشخصي والمهنى كان له دور فيما حدث . ذلك أنه كان يرغب فى الابقاء على دور السيطرة للولايات المتحدة فى عملية المفاوضات واذا قدر لفك الاشتباك أن يتم فهو يتوق الى أن يكون له هو الفضل فى ذلك .

وفى بداية شهر ديسمبر توصل (كيسنجر) الى استنتاج بأن الحاجة ماسة اليه فى الشرق الأوسط ، وعشية رحيله فى اليوم السابع من الشهر نفسه قام (الجنرال ديان) بزيارة لوزارة الخارجية الامريكية حيث سعى الى الحصول على كمية من الأسلحة ـ تشمل دبابات وطائرات وحاملات جنود مدرعة أكبر من تلك التى تحصل عليها اسرائيل بالفعل . واحتج « كيسنجر » على ذلك الاستنزاف الذى يتعرض له الاحتياطى الامريكى ، وقال « اننا نعانى من مشكلة بالنسبة لخدماتنا المسلحة .. وقد فعلنا الكثير من أجل اسرائيل وسياستنا لا تستهدف « اضعاف موقفكم عسكريا » لكن هناك حدود . واستمر « ديان » فى الالحاح عليه مشيرا الى عملية الاغداق التى يقوم بها السوفيت على ترسانة مصر من السلاح . وقال : ان « المصريين لديهم ما يزيد عن ألفى دبابة ، ورد (كيسنجر) عليه بأنه يمكن تزويده بمائتى دبابة أمريكية ، وعندئذ احتج (ديان) قائلا بأن هذا العدد لا يكفى .. فقد دمرنا ١٣٠٠ دبابة سورية ، وقبل أن تعلم بها كان قد تم تعويضها » . وأجل (كيسنجر) الحديث الى وقت لاحق .

وعرض (ديان) مشكلة أخرى هى ـ الحصار الذى كان المصريون قد هددوا بفرضه من قبل على باب المندب الواقع عند مصب البحر الأحمر . وكان السادات قد تعهد ضمنيا بعدم الالحاح فى فرض الحصار أثناء المفاوضات التى جرت من أجل التوصل الى اتفاق بشأن النقاط الست ، الا أن شبح ذلك الحصار استمر بشكل مصدر قلق بالنسبة لديان ، واستطرد ديان فى حديثه مصرا على أن المشكلة لا تتعلق باسرائيل وحدها وانما تخص الولايات المتحدة كذلك. وسأله قائلا « هل تنوى أن تقف جانبا وتسمح بفرض حصار على الطرق المائية الدولية كمسألة مبدأ ؟ »

وأجاب « كيسنجر » بقوله « اننى لا أختلف معك ، لكن من غير المحتمل أن تقدم الولايات المتحدة على حرب بسبب مبدأ دولى مجرد ـ أى ما لم تتعرض المصالح الامريكية الحيوية للمساس بها بصورة عملية » .

وشعر « ديان » بخيبة الأمل ، وانتقل بعد ذلك الى مسألة القناة فقال « اذا انسحبنا من القناة بضفتيها الشرقية والغربية فاننا نريد أن نعرف البديل لذلك هل سيتولى السوفيت الاشراف عليها ؟ » ولجأ (كيسنجر) الى المراوغة مرة أخرى، فقال (نستطيع مناقشة مثل هذه المسائل عندما أحضر الى اسرائيل ـ وليس هنا وعندما أحضر الى اسرائيل ينبغى أن نضع استراتيجية مشتركة . اننا الآن بصدد نهاية حقبة وبداية أخرى) .

وقد استخدم الدكتور (كيسنجر) مع الاسرائيليين الأسلوب الذى استخدمه مع العرب نفسه وانتقل الى التركيز على موضوع آخر يتمثل فى أن تسعى اسرائيل

الى ايجاد السبل التى تمكنها من مساعدة الولايات المتحدة على رفع حظر البترول العربى والضغوط التى تتعرض لها كل من اسرائيل وأمريكا من جانب الأوروبيين واليابانيين ودول العالم الثالث · (وعلى العكس ، كما لاحظنا من أول اجتماع له مع الملك فيصل أن (كيسنجر) لم يكل أبدا من ابلاغ العرب بأنه يجب عليهم الاعتماد على الدبلوماسية ، وليس على الضغط الذى يشكله حظر البترول الذى يفرضونه ، حتى يتمكنوا من تحقيق عمليات انسحاب اسرائيلية من الأراضى التى تم الاستيلاء عليها) · وفى غموض أكد « كيسنجر » مرة أخرى لديان أنه سيحافظ على قدرة اسرائيل على الحرب ، لكنه توقع مقابل ذلك أن تقدم اسرائيل تنازلات على مائدة المفاوضات ، (ولم يشعر الا فيما بعد بالندم لعدم حصوله على التنازلات قبل أن يزود اسرائيل بكميات أكبر من الأسلحة) وأجاب « ديان » بأن حكومته على استعداد للتفاوض بشأن تحقيق فصل للقوات وقال ــ « لكننا لا نشعر بأن هناك ضغطا كبيرا لدينا يحتم علينا أن نفعل ذلك » · ولم يشأ ديان أن يقدم تعهدات ــ الى أن أبلغه (كيسنجر) بما ستحصل عليه اسرائيل فى مقابل ذلك ·

وانتهى الاجتماع دون أى ترتيب ، على أنهما استأنفا اجتماعهما فى وقت لاحق بعد ظهر نفس اليوم حين عرض ديان أفكاره الشخصية بشأن السلام بين مصر واسرائيل ــ وهى الافكار التى كانت فى الحقيقة أكثر ذكاء من الافكار التى تعتنقها حكومته · وقال أنه اذا تحقق السلام ، فانه سيتحقق على ثلاث مراحل : الأولى من خلال عملية الفصل بين القوات حتى يمكن اقرار وقف اطلاق النار ، والثانية من خلال نوع من الاتفاق يتم فيما بعد لوضع قوات الأمم المتحدة بين الجوانب المتنازعة (وكانت مصر وسيناء تسيطران على تفكيره) أما المرحلة الثالثة فتتحقق من خلال معالجة المسائل المتعلقة بالفلسطينيين بصورة علنية ومعالجة مسألة الحدود النهائية (بصورة ضمنية) ·

واعترف « ديان » بأن مصر قد لا ترغب فى اتمام المرحلة الثالثة بمفردها ــ وهى السلام النهائى اذ تستطيع مصر تحقيق المرحلتين الأولى والثانية مع اسرائيل ، لكن بسبب العراقيل التى تضعها فى طريقها سوريا والفلسطينيون وغيرهم من العرب فان مصر ستتجنب المرحلة الثالثة · وأشار الى أنه ينبغى على مصر أن تواصل طريق التسوية النهائية وحدها لمصلحتها الخاصة الا أنه يساوره الشك فى أن مصر سوف تجرؤ على ذلك بدون موافقة أشقائها العرب، على أنه لم تتم مثل هذه الموافقة دون أن تقدم لهم تنازلات اسرائيلية كبيرة واسرائيل بدورها ليست مستعدة لأن تكون سخية بهذا القدر بالنسبة لسوريا والفلسطينيين · ولذا فقد تكهن « ديان » بأنه لن تتحقق تسوية نهائية فى المستقبل البعيد وقد أراد بدلا من ذلك أن يتحقق الاستقرار فى صحراء سيناء ، على أن تقوم مصر بفتح القناة وتكون هناك منطقة عازلة تفصلها عن اسرائيل وتشرف عليها الامم المتحدة الى حين حلول ذلك الوقت البعيد الذى تأتى فيه أجيال جديدة من عرب الأردن والجولان تكون على استعداد للتخلى عن بعض الاراضى ·

ديان : هناك شىء آخر يؤرقنى ، اذ أن استمرار احتلال الجيب الواقع فى الضفة الغربية للقناة هو أفضل ورقة فى يد اسرائيل ، ويتعين علينا التخلى عنه لنحقق المرحلة الثانية · ولذا فاذا تعين علينا سحب قواتنا من القناة ، فلا بد من أن نحصل على شىء له قيمة مقابل ذلك مثل الحصول على تأكيدات بانهاء حالة الحرب·

كيسنجر : أن تحصل على شىء مقابل تلك المرحلة انك تطلب المستحيل ·

وموقفك لا يتسم بالواقعية بالمرة ٠٠ وسأسافر القاهرة وسأتحدث مع السادات عن هذه الافكار كافة ٠

وتحدث السفير «دينتيز» الذى كان موجودا كذلك ، عن الانتخابات الاسرائيلية المقرر اجراؤها فى آخر شهر ديسمبر ، وتحدث أيضا عن الفلسطينيين ٠

دينتيز : لدى تعليمات من « جولدا مائير » بتحقيق تفاهم بين الولايات المتحدة واسرائيل حول مؤتمر جينيف ٠

كيسنجر : سأكون على اتصال بك ولا سيما فيما يتعلق بمشكلة اشتراك الفلسطينيين فى المؤتمر ٠

دينتيز : لا يمكن لجولدا مائير دخول الانتخابات اذا كان هناك أى شك حول وضع الفلسطينيين بالنسبة لمؤتمر جنيف ٠

ورفض كيسنجر المطلب الاسرائيلى الخاص بانهاء مصر لحالة الحرب بصورة عاجلة ــ وان كان سيلح عليه مرات لكنه أذعن على الفور بالنسبة لوضع الفلسطينيين فى مؤتمر جنيف ٠

وأمام رفض اسرائيل الذهاب الى مؤتمر جنيف اذا حضر الفلسطينيون ، أصدر كيسنجر تعليمات لسفيره فى القاهرة بابلاغ السادات أنه لا يحبذ الآن اشتراك الفلسطينيين عند انعقاد مؤتمر السلام ٠ وستسمح اسرائيل للفلسطينيين « الذين تأمن جانبهم فى حكومة الملك حسين بالحضور ضمن الوفد الاردنى ، لكنها لن تسمح بحضور وفد منفصل تسيطر عليه منظمة التحرير الفلسطينية ٠ ووافق مؤتمر القمة العربى الذى عقد فى مدينة الجزائر فى آخر شهر نوفمبر على اجراء مفاوضات مع اسرائيل وأقر منظمة التحرير الفلسطينية باعتبارها ((الممثل الشرعى الوحيد)) للفلسطينيين فى مؤتمر جنيف ٠ وقد وصل ((ياسر عرفات)) رئيس منظمة التحرير الفلسطينية الى الجزائر قادما من موسكو وقد أقنعه الروس بقبول الخطة الاصلية التى قدمتها الامم المتحدة عام ١٩٤٧ والتى قسمت فلسطين الى دولتين احداهما يهودية والاخرى عربية ٠ ومن الممكن التفاوض بشأن المطالبة بحدود عام ١٩٤٧ التى حددتها الامم المتحدة ، الا أن استعداد عرفات لطرح ذلك الطلب أنما يعنى اعترافا بحق اسرائيل فى الوجود الامر الذى يفرضه الواقع ــ مثلما يعنى كذلك وجوده فى ذاته فى مؤتمر للسلام على اسرائيل ٠

صحيح أن دعوة عرفات للاشتراك فى مؤتمر جنيف من شأنها اثارة مناقشة عنيفة داخل صفوف منظمة التحرير الفلسطينية ، بل ربما يتراجع فى النهاية ، وصحيح أن الاردنيين والاسرائيليين يعترضون على اشتراك منظمة التحرير الفلسطينية ٠ ومع ذلك فان استبعاد منظمة التحرير الفلسطينية منذ البداية أدى الى استبعاد « كيسنجر » من مهمة السلام التى هى جوهر النزاع العربى الاسرائيلى ذاته ٠ وقد عم فيما بعد شعور بالاسف لضياع هذه الفرصة ، لانه بينما كان من الصعب مواجهة المشكلة الفلسطينية فى آخر عام ١٩٧٣ ــ غداة حرب أكتوبر عندما كانت ثقة العرب فى أوجها ، وعندما كانت المواقف المتشددة القديمة أكثر

مرونة وكانت الاحتمالات أكثر سلاسة ـ فانها أصبحت أكثر صعوبة بمرور الوقت ٠

وقد طار الدكتور « كيسنجر » الى بروكسل لحضور الاجتماع الذى عقدته منظمة حلف شمال الاطلنطى ومن ثم اتجه الى الجزائر لحضور أول مقابلة له مع الرئيس الجزائرى « هوارى بومدين » ولم يكن « كيسنجر » يشعر بالخوف من ملوك مثل الملك الحسن والملك حسين، لكنه كان يشعر بخوف مرضى من «الراديكوليين» العرب، الذين يعتبر « بومدين » واحدا منهم ٠

هل هناك بالفعل أى رئيس دولة آخر بين العرب يتسم بما يتسم به « هوارى بومدين » من صرامة واتزان وقدرة كبيرة على التأمل فضلا عن تشدده وافتقاره الى جمال الطلعة ؟ لقد خرج من حرب الاستقلال كقائد للجيش ، لكنه حتى ذلك الحين كان يعمل خفية ، لانه يخشى الشهرة ونظرا لما عاناه ، وبدافع من طموحه استطاع الاستيلاء على السلطة تدريجيا ٠ وظل يراقب الوضع طوال ثلاثة أعوام ، فى الوقت الذى دفع فيه « أحمد بن بيلا » الرئيس الجزائرى الاول بالبلاد الى طريق الفوضى فقد حبذ « بن بيلا » ، النزعة الدولية التى تدعو الى الثورة فى أرجاء أفريقيا كلها ؛ أما بومدين « فقد فضل التركيز على الثورة داخل الجزائر نفسها ٠ وساوره الشك فى أن جهاز المخابرات المصرية يقوم بتوجيه « بن بيلا » وكان مدركا لاوهام الرئيس الماركسية » ٠

وبحلول شهر يونيو عام ١٩٦٥ كان « بن بيلا » قد دمر الاقتصاد ، فقام « بومدين » بالاطاحة به من خلال الانقلاب قام به فى يسر ٠ ومنذ تلك اللحظة حدث اقتصاد فى نفقات الجزائر فى الوقت الذى شرع فيه « بومدين » فى القيام بمشروعات طموحة للتصنيع مصبوغة «بالاشتراكية الاسلامية» ٠ كما أن المحاولات المتلاحقة التى استهدفت قتله ـ والتى يجوز القول بأن الذين قاموا بتدبيرها انما هم رفاق قدامى قد قام بعزلهم من السلطة ـ لم تسفر الا عن زيادته تصميما ٠ غير أنه كان يفتقر الى المواهب التى تمتع بها « بن بيلا » كزعيم شعبى (ديماجوجى) وهو ـ على خلاف عبد الناصر ـ لايتمتع بقدرة على التأثير٠ كانت ابتسامته ملتوية وأسنانه بشعة الى حد أن يحس بالحرج عندما يواجه شعبه ٠ وأخيرا تم استدعاء طبيب أسنان بالجيش الفرنسى لتقويم أسنانه ، وبعد ذلك أصبح « بومدين » اجتماعيا على نحو أكثر ، لكنه ظل غامضا ٠ وقد راقبته ذات مرة فى الجزائر أثناء استقبال كبير ٠ وكانت تضىء وجهه المستطيل ضحكة من آن لآخر لكن عينيه البنية اللون التى يشع منها الشك هى التى أثارت دهشتى ٠ فقد بدت وكأنها تدور فى فلكها ، وكانت تشير الى شىء أكثر عمقا من مجرد الانفعال الفاتر ، لقد أثارت فى نفسى الشعور بالخوف ٠

وقد أطلق بعض المواطنين فى الجزائر على « بومدين » « أبو الهول الجزائر »٠ وكانت الاشتراكية الاسلامية بالنسبة له علما مطبقا تستولى من خلاله الدولة على بقايا الثروة الامبريالية (الفرنسية) ويثور فيها الفقراء على الاغنياء الى ما لا نهاية والافضل أن تقام فى ظلها مملكة (أو جمهورية لله على الارض ٠ وقد تأثر « بومدين » كذلك بالفيلسوف الثورى الاسود « فرانتز فانون » الذى قال : « كل شىء ممكنا بالنسبة لنا طالما أننا لا نقلد أوروبا » ٠ وساعد « بومدين » فى تمويل المجاهدين الفلسطينيين وتدريبهم ، فى الوقت الذى عبرت فيه صحافته أيضا عن تنديدات تتسم بالانفعال حيال السياسة الخارجية الامريكية فى الشرق

الاوسط ، وفى الهنـد الصينية ، وما هو أبعد من ذلك · ومع ذلك فانه اذا كان الفرنسيون قد علموا الجزائريين (وبومدين) شيئا فهو يكفيه التفريق بين الأمور بدقة : بمعنى أن سياسـة واشـنطون الخارجيـة تعتبر شـيئا ، أما التجارة مع الامريكيين فهى شيء آخر تماما · ان « بومدين » فى حاجـة الى الاموال الامريكية لتحقيق أمانيه الطموحة · وقد اعترض علانية على دبلوماسية الدكتور « كيسنجر » فى الشرق الاوسط ، لكنه تعاقد منذ وقت طويل على بيع الغاز الطبيعى الجزائرى والبترول الخام للولايات المتحـدة ، وذلك من أجل الحصـول على بلايين كثيرة من الدولارات عبر السنين القادمة والتى هو فى حاجة الى المزيد ·

وقد أدرك « كيسنجر » هذه الازدواجية واعتزم استخدام سياسـته الموازية المتمثلة فى ـ الدبلوماسية التكنولوجية ـ كسبيل لتعديلها · وعلى الرغم مما كان يشعر به من خوف تجاه بومدين ، فان الحاجة للتعامل مع شخص « راديكالى » عربى قد خلبت لبه أيضا ، وحتى قبل أن يجتمع مع بومدين · «فانه كان يحترمه كزعيم متشدد وكمصلح فى دائرة كبيرة تجاوزت حدود الجزائر · فقد كان « بومدين » على سبيل المثال وثيق الصلة بالسـوريين ، فاذا اسـتطاع « كيسنجر » التأثير على « بومدين » فقد يسـتطيع بالطبع التأثير على سـوريا · ولذا فعلى الرغم من أن « بومدين » لم يكن طرفا فى المفاوضات الجارية فى الشرق الاوسط ، لكنه كان من الضرورى أن يقوم « كيسنجر » باثنـاء ذلك الجزائرى المتطرف عن عرقلة طـريق ديبلوماسيته التدريجية ·

واسـتقبل « بومدين » « هنرى كيسنجر » فى فيلا بيضـاء اللون فى ١٣ من ديسـمبر ، وكانت هـذه الفيـلا مقرا خاصـا بوزارة الدفاع القـديمة ويقيم بها « بومدين » الآن ، وهى تقـع على التـلال المطلة على خليـج الجزائر · وقد حاول « كيسنجر » جاهدا أن يشرح استراتيجيته الخاصة بالخطوة خطوة ، وأن يوضح الاسباب التى تجعـل حـدوث عمليات انسـحاب اسرائيلى شـاملة وعاجلة أمرا مستحيلا ، وكان يصبو على الأقل الى تحييد الزعيم الجزائرى ان لم يكن تغيير رأيه كلية وانتقل الرجلان بعد ذلك الى الحديث عن العلاقات الثنائية ، الامر الذى أتاح فرصة لبومدين أن يطرح برنامجه الخاص بالتنمية وحاجته الى المزيد من رأس المال ·· وعبر « كيسنجر » عن آماله فى تقديم مزيد من صادرات التجارة والتكنولوجيا الامريكية للجزائر · ولم يكن فى حاجة الى أن يضيف أن اتباع سياسة جزائرية معتدلة فى النزاع العربى الاسرائيلى من شأنه المساعدة فى تحقيق هذه الرؤية ·

فقد أدرك « بومدين » هذه النقطة ، وهو لن يتراجع أبدا عن موقفه بالنسـبة لحقوق العرب وأخطاء اسرائيل ، الا أنه أشار الى أنه سيبذل قصارى جهده لاقناع السوريين باعطاء فرصة لـكيسنجر ، ووافق على اعادة اقامة علاقات رسـمية مع واشنطون عندما يحين الوقت ، وكلف وزير خارجيته « عبد العزيز بوتفليقة » بالادلاء بتصريح فى المطار يصدق فيه على ديبلوماسية « كيسـنجر » · وقد خدم ذلك كله مطـامح « بومدين » ومن المرجح أنه كان قد اتخـذ قراره قبل حضـور « كيسنجر » للجزائر وبتصرفه على هذا النحو خلع نفسه من صفوف الراديكاليين العرب ، وأصبح فى مصاف السادات وفيصل ، وفى هذه الصحبة زاد من سلطته فى المجالس العربية ومن مكانته على المسرح العالمى ·

ولم يمكث « كيسنجر » فى الجزائر سوى أربع ساعات ، ثم اتجه بعد ذلك الى القاهرة ، وهناك استقبله السادات فى فيلته الكبيرة بالقناطر التى تقع شـمالى

العاصمة ، وكان ذلك يومى ١٣ ، ١٤ من شهر ديسمبر • ودار الحديث بينهما بمفردهما فى المساء ثم استأنفا الحديث فى صباح اليوم التالى • ولم تتم دعوة اسماعيل فهمى للانضمام اليهما سوى فى الربع ساعة الاخيرة ، وقد شعر فهمى بانزعاج شديد لعدم دعوته الى حضور المقابلة •

وقد شعر الرئيس السادات بألم الاخفاق « كيسنجر » فى وضع الترتيبات الخاصة بدور الفلسطينيين فى مؤتمر جنيف وقد أكد له « كيسنجر » من جديد « اننا ننظر اليه باعتبارك الزعيم العربى الرئيسى وهدفنا هو تدعيم موقفك فى مصر وفى أنحاء الوطن العربى » • وجرت المناقشة بينهما حول الترتيبات الخاصة بمؤتمر جنيف واتفقا على أن يتمثل أول هدف له فى الفصل بين الجيوش المصرية والجيوش الاسرائيلية • وشرح « كيسنجر » ما يعتبره أمرا يمكن الحصول عليه من الاسرائيليين فى هذه المرحلة ـ ولم يكن فى الواقع بالكثير فيما يتعلق بالاراضى ـ وأمعن الرجلان النظر فى الخرائط • وكانت ثقة السادات فى « كيسنجر » ما تزال قوية ، لكنه لم يكن يشعر بالارتياح ، ولم يكن متأكدا مما ستؤدى اليه دبلوماسية « كيسنجر » •

وكان السادات يتخيل نفسه (كما قلت من قبل) مفكرا استراتيجيا موهوبا ، مثله فى ذلك مثل كيسنجر ، « فهو يحب التلاعب بالافتراضات العقائدية : واستطاع « كيسنجر » أن يلمح ذلك بسرعة وأخذ ينمى لديه هذا الزهو الاستراتيجى ، وتجاوب معه السادات فى هذا الصدد وعاد السادات فى هذه المناقشة وفى مناقشات أخرى لاحقة الى الحاجة الى « استراتيجية مشتركة » بين مصر والولايات المتحدة ، وهى الاستراتيجية التى أوضحها الى حد كبير بمحاولة تقليص النفوذ السوفيتى فى الشرق الاوسط ، فقد كان يرغب فى جعل الروس يخرجون من سوريا ومن العراق ومن جنوب اليمن ومن الصومال كذلك ، ناهيك عن بقايا نفوذهم فى مصر ذاتها • ولا يمكن لذلك الرحيل أن يتحقق الا من خلال تدعيم الموقف الامريكى فى أنحاء المنطقة ومن خلال المبالغة فى دور الزعامة الذى تمتعت به الولايات المتحدة فى أواخر الاربعينات والخمسينات • وكانت هناك فى الواقع صيغة سحرية لتحقيق ذلك وهى تنفيذ القرار رقم ٢٤٢ الذى يعنى الانسحاب الكامل من أراض عربية على وجه السرعة •

كان تصور السادات واضحا وان لم يتسم بالذكاء الشديد ، واستمع «كيسنجر» اليه لكنه لم يصر على شىء • وكان « كيسنجر » يريد بطبيعة الحال تقليص النفوذ السوفيتى ـ وقد كان يصرح بذلك على الدوام ـ لكنه حاول جاهدا تجنب أى تآمر مع السادات لطرد الروس من الشرق الاوسط • فهو يحتاج على الاقل الى موافقتهم السلبية اذا كان يريد لدبلوماسية الخطوة خطوة أن تكلل بالنجاح ، وذكر السادات أن موسكو لها مصالح مشروعة فى المنطقة ـ ولابد للولايات المتحدة من أن تحترمها • وكان الحصول على البترول وبأسعار معقولة يشكل المصلحة الامريكية الرئيسية فى المنطقة ـ والطريق الاكيد الى الحصول عليه ـ والحيلولة دون الزعامة السوفيتية ـ يتمثل فى المحافظة على الاستقرار السياسى ولتحقيق ذلك يمكن أن تتعاون مصر والولايات المتحدة بل لابد من أن تتعاونا ، وينبغى أن تكون المشاورات بينهما متكررة وودية وأن تظل هذه المشاورات مستمرة رغم ما يتعرض له هذا التعاون من المشكلات بما فى ذلك المشكلات التى مع الروس •

اننى أوجز وجهات نظر لم يتم تبادلها فى شهر ديسمبر من عام ١٩٧٣ فحسب

وانما تم تبادلها كذلك في العام اللاحق • ومنـذ زمن قريب جـدا قام السادات بتوسيع نطاق رؤيته الاستراتيجية وتصور وجود زعامة ثلاثية محلية في الشرق الاوسط أو محور يضم ثلاث دول قوية مناهضـة للشيوعية ـ وهي مصر والمملكة العربية السعودية وايران •

وما من شك في أن السادات جسم معاداته للشيوعية لأنه افترض أن ذلك الامر يسر « كيسنجر » ، الا أن « كيسنجر » بدوره لا يمكنه الشك في الخوف المرضى الحقيقي الذي يشعر به السادات تجاه السوفييت فقد شعر السادات بندم للسنين الطويلة التي بددتها مصر تحت وصـاية الروس • فقد استاء بوصـفه جنديا من غطرسة الضباط الروس الذين أرسلتهم موسكو لتدريب جيشه ، كما استاء أيضا من عدم ملاءمة المعدات التي يقومون بارسالها ، على الرغم من سخاء أمريكا الواضح بالنسبة لاسرائيل • وهو يذكر أيضا وجوه الاذلال المتمثلة في الذهاب الى موسكو كي يطلب من ليونيد بريجنيف المزيد من السلاح •

وفي الحديث غـير العـادي الذي أدلى به في يوم ٢٨ من سـبتمبر أمام مجلس الشعب ، أشار السادات من جديد الى المعاملة التي تنم عن الاحتقار التي تعرض لها من جانب الزعماء الروس ، اذ قال :

لقد اتصلت بالروس في بداية عام ١٩٧١ ، وسألتهم قائلا : « أين بطاريات ، صواريخ سام المضادة للطائرات ، الخاصة بالصعيد ؟ فهناك سـدود ، وبالتالي فسيغرق نصف مليون فدان ما لم تتوفر الحماية » • وأجاب الروس قائلين : نعم سنحضر هذه البطاريات ، وهي في الطريق وقلت حسـنا ، بل قد قمنـا باعداد القطارات لنقل المعدات الى الصعيد مباشرة ، حتى نستطيع الدفاع عن المنشـآت الحيوية هناك •

وجاء يوم ١٨ من فبراير ولم يكن ثمة شيء قد وصل ، بل جاء كذلك يوم ٢٢ من فبراير ولم يصل شيء ولا كلمـة عن سبب تأخير الامـدادات ، أو عن موعـد وصولها • وعندئذ أرسلت رسالة الى موسكو في أواخر شهر فبراير • ثم قمت في اليـومين الاول والثاني من مارس بأول زيارة للاتحـاد السـوفييتي كرئيس للجمهورية ، وكانت هذه الزيارة سرية • وهناك جلست مع الزعماء السـوفييت الثلاثة في « الكرملين » • وقلت لهم : لم هذا ، وأنتم تعرفون الموعد النهائي الذي حددته بيوم ٧ من مارس • وماذا عن الصعيد ؟ وكيف يمكنني الدفاع عنه ؟ وقيل لي ان البطاريات معدة وسيتم ارسالها لكم • وقد أدركنا أن الروس بسبيلهم لعقد مؤتمر في يوم ٣١ من مارس ، وهم يتصرفون عادة في مثل هذه المناسبات بطريقة لا تحتمل ، فهم يحاولون الظهور بمظهر الاوصـياء على الآخرين ويسـيطر عليهم اعتقادهم بأننـا متسرعون ، وبمجرد تلقينـا للبطاريات سنفتح النيران ونجر البطاريات ونذهب للقتال ونخسر المعركة • انهم لا يريدون أن يحدث ذلك، وكما أن يرفضوا اعطاءنا البطاريات ، فانهم لن يرسلوها الينا •

وقد أبلغت الروس بأنه ليس في مقدور أحد أن يقبل مثل هذه المعادلة • وقلت ••• لا تجعلوني أقف خلف اسرائيل بعشر خطوات » • فاسرائيـل تتباهى بأن ذراعها الطويل يمكن أن تصل الى قلب الامة العربية ، وهي محقـة في ذلك لانها تستطيع بطائرة الفانتوم الوصول الى أي جزء من بلادنا ، في الوقت الذي أمتلك في سلاحا واحدا يمكنني به التصدي لها • وقلت للروس « أريد أسلحة من أجل

الردع ، ولن أستخدمها ما لم أتعرض لهجوم » • وبدوا وكأنهم لا يسمعون ، وكان اجتماعا بالغ العنف •

وكان السادات يشعر ببغض تجاه « بريجنيف » الذى يفتقر حتى لتلقائية « خروشوف » وحماسه — أو أنه بالاحرى كان يظهر حماسا يعتقد « السادات » أنه مفتعل ، وكان « بريجنيف » يتصرف بطريقة البيروقراطى الفذ ، الامر الذى كان يسبب ازعاجا لرقى السادات المكتسب ولباقته ، فقد كان يقص فكاهة روسية مكشوفة وبذيئة فى أغلب الاحيان ، وكان السادات يضحك فقط ليبدو مهذبا ، وحتى عندما كان « بريجنيف » يتحدث عن العواطف ، فانه يبدو كما لو كانت عواطفه الخاصة تنبع من عقل يشبه الآلة بل ان انفعاله كان مفتعلا ، أو هكذا أشار « السادات » الى أصدقائه المقربين اليه فيما بعد • على أن الشيء الذى ضايق « السادات » فى المقام الاول هو ميل « بريجنيف » الى أن يقص من جديد ذكرياته الخاصة بالحرب العالمية الثانية ، وهو فن لا يتقن الحديث عنه على الاطلاق ، وشعر « السادات » بأن بريجنيف « كان غارقا فى نوع من المنافسة التى فات أوانها مع رئيسه القديم « نيكيتا خروشوف » الذى تفوق عليه فى رواية القصص المتعلقة بالحرب •

وأحيانا كان « بريجنيف » يثير موضوع تجاربه التي مر بها أثناء الحرب كوسيلة لتخفيف التوتر الذي يخيم على جلسات المساومة مع « السادات » ، ولا سيما عندما كان « السادات » يلح عليه فى الحصول على أسلحة هجومية ، الا أن اتجاه الحديث لم يتغير اذ يقول : « انك تطلب الكثير » • ونادرا ما كان السادات يفقد صوابه ، حين يقلب « بريجنيف » بعد الاوراق التى أمامه ، ويرفع نظارته ، ويقول : لقد كانت قصة رائعة عن « ستالينجراد » يا سيادة الرئيس ، ولنعد الآن الى تلك المسألة الخاصة بالقاذفات الاسرع من الصوت •• بيد أن « السادات » يكون قد عاد الى بلاده من اجتماع تلو اجتماع آخر وهو خاوى الوفاض تقريبا •• حقيقة أن الروس أغدقوا عليه من طائرات الميج والدبابات قبل الحرب بفترة ليست بالطويلة انه وجه اليهم اللوم مرة أخرى بعد الحرب مباشرة لعدم تعويضه عن المعدات التى خسرها ، وعدم زيادة حجم المعدات المرسلة اليه •

يضاف الى ذلك انه قد اقتنع بأن الروس يبغضونه وأنهم يتمنون استبداله بشخص آخر يسارى مثل على صبرى النائب السابق لرئيس الجمهورية ، والذى وضعه السادات في السجن في عام ١٩٧١ مع سامى شرف وشعراوى جمعة بسبب التآمر للاطاحة به• وكان الروس يشعرون بالانزعاج لوطنية الرئيس «السادات» وتعصبه الاسلامي • ولم يكن « السادات » يثق فى الاتحاد السوفييتى كما كان يبغض الشيوعية من أساسها لانه كان بالغ التدين بينما هم ملحدون ويمكن أن يكون مثل هذا الشعور ملحا فى الشرق الاوسط الاسلامى ، على نحو أكبر مما يستطيع الليبراليون الغربيون تصوره • فقد قال لى أحد المثقفين السياسيين وكان سجينا مع السادات فى السجن نفسه عام ١٩٤٦ (سجن السادات باعتباره ارهابيا مناهضا للبريطانيين) ان السادات لم يشأ مجرد الاقتراب من المسجونين الشيوعيين خشية أن يلوثوا سمعته لدنسهم ، ومع أنه أصبح الآن أكثر تطورا مما كان عليه منذ ذلك الوقت ، فان معتقداته الاساسية فيهم لم تتغير •

ولقد كان من الممكن أن يتبع السادات سياسة مناهضة للسوفييت فى مصر وفى

أنحاء الشرق الاوسط دون أن يوجه في أحاديثه اللوم الى الاتحاد السوفييتي من غير مبرر ، ألا لكنه بمرور الشهور بعد حرب أكتوبر بدا أنه يشعر بالابتهاج عندما يوجه اليهم الاساءة علانية للروس٠٠ وقد سأله مستشاروه ـ حتى اسماعيل فهمى نفسه الذى يعتبر المهندس لهيكل السياسة الموالية لأمريكا والمعادية للسوفييت والذى ساوره الخوف من هذا الموقف « من أين ستحصل مصر على الاسلحة » ٠ ولماذا تضع ثقتك كلها في « كيسنجر » ـ في الوقت الذى لست فيه متأكدا مما اذا كان « كيسنجر » سيستطيع تقديم شيء أو لا ؟ وأجاب السادات على هذه التساؤلات ولم يكن ذلك بعد الحرب بفترة طويلة ، بقوله في احدى الامسيات قررت أخيرا قطع العلاقات مع موسكو ، ولم أغير تفكيرى الا عند الصباح ٠

وأخيرا قامت صحيفة « البرافدا » نفسها (في شهر مارس عام ١٩٧٤) بالهجوم على سياسة السادات لاقتصارها على اقامة علاقات وثيقة مع الولايات المتحدة ، والعمل على تقويض النظام الاشتراكى الذى أقامه الرئيس ناصر٠ وأوضح التحذير أوردته صحيفة « البرافدا » القلق الذى يشعر به « بريجنيف » بسبب استثمارات روسيا المادية الهائلة في مصر (حيث تجاوزت ديون مصر للاتحاد السوفييتي المترتبة على الحرب فقط اربعة بلايين جنيه) وأوضح التحذير غضب « بريجنيف » من جحود السادات ولم يكن هناك مبرر اجبارى يمنع السادات من تحقيق توازن بين الانفتاح الذى بدأه مع واشنطون ، وبين استمرار العلاقات الودية مع موسكو ، اذ يعتبر ذلك أفضل طريق لتجنب الوقوع في مأزق استراتيجى الا أن استراتيجيته تمثلت في المخاطرة بوضع كل أوراقه في يد « كيسنجر » ، كما لو كان يعتزم احراجه على نحو يدفعه الى تحقيق أهدافه ٠

وسوف نشهد الكثير من هذه المواقف في المرحلة القادمة ٠ وأثناء اجتماع « كيسنجر » بالرئيس السادات كان هدفه الاعظم هو عقد مؤتمر جنيف للسلام في الثامن عشر من شهر ديسمبر وكان يشعر بالاطمئنان بالنسبة للسادات ، ولكن كان عليه في ذلك الحين اقناع السوريين أيضا بالحضور الى المؤتمر وسافر « كيسنجر » الى الرياض ـ وحصل على موافقة « الملك فيصل » على اجراء المفاوضات وأشار الى أنه قد يخفف الحظر المفروض على البترول ـ واتجه بعد ذلك يوم ١٥ من ديسمبر الى دمشق ٠

وباستثناء العراق فليست هناك دولة في الشرق الاوسط تتمتع بذلك الماضى العاصف الذى تتمتع به سوريا ٠ فقد كانت مهد القومية العربية ومرتع الايديولوجيات السامية التى خلبت الفكر العربى ، والتى أدت بعد ذلك الى تناقض وألم عندما بدأ السوريون وضعها موضع التطبيق ٠ وبدت سوريا صعبة المراس ، فقد كانت روحها تصبوا الى قيام الوحدة العربية ، في حين كان جسدها مجموعة متنافرة من الطوائف والقبائل والعشائر والعائلات المتحاربة على الدوام وكانت الحكومات التى توالت على دمشق منذ لحظة الاستقلال عن فرنسا بعد الحرب العالمية الثانية يتمثل مهزلة قائمة مثل لعبة الكراسى الموسيقية حيث كانت الانقلابات تقع بصورة متعاقبة ٠ وأخيرا وفي عام ١٩٥٨ بحث السياسيون السوريون عن ملاذ لهم فارتموا في أحضان عبد الناصر وأقاموا الوحدة بين (مصر وسوريا) وبدا ذلك كما لو كانوا يريدون انقاذ سوريا من سوريا نفسها ٠ ولم يكن تصرف ناصر في حكم سوريا بالغ السوء ـ ولكنه فعل ما هو أسوأ من ذلك بوضعه كافة متطلبات الدولة البوليسية هناك ، فقد خيب بذلك آمال رعاياه الجدد الى درجة مكنت العناصر

المحافظة من القيام بانقلاب آخر وتصفية الوحدة فى عام ١٩٦١ ٠ وأمسك الجناح اليمينى بزمام الحكم الى أن أطاح به حزب البعث الاشتراكى الذى دأبت قياداته العسكرية والمدنية منذ هذه الآونة فصاعدا على التطاحن من أجل السلطة ٠ وفى آخر عام ١٩٧٠ استولى على السلطة حافظ الاسد قائد السلاح الجوى ووزير الدفاع بانقلاب غير دموى ٠

وكان الاسد زعيما بعثيا ، وهو شاب نشأ فى منطقة الجبل ، وقدم من شمال سوريا ، وهو أيضا علوى قام بتعيين أشخاص علويين فىالمواقع القياديةالرئيسية ليبقى على نفسه كرئيس للجمهورية ، وكان ذلك أمرا غريبا لان عدد العلويين لم يكن يتجاوز ١٠ ٪ من سكان البلاد ٠ ومن الناحية الاسمية كان العلويون يشكلون احدى طوائف الشيعة المسلمين ، الا أنهم كانوا يمارسون ديانتهم وشعائرهم سرا ٠ ويبجل العلويون الامام على زوج السيدة فاطمة ابنة الرسول الحبيبة الى نفوسهم وهم يعتقدون ان عليا قد انغمر فى الضوء لانه أمير النجوم ، الا أن العلويين عبر التاريخ على استعداد لان يفعلوا أى شىء لاخفاء حقيقتهم وراء الاقنعة عن المسيحيين وعن المسلمين المتعصبين كذلك ، كما يعتبر الدهاء سلاحهم أيضا بسبب تعرضهم للاضطهاد عدة قرون ٠

ولقد استعان الفرنسيون فى استعمارهم للبلاد باستخدام العلويين فى الجيش ، وظلوا بعد الاستقلال يسيطرون على الجيش وتساعد هذه الظاهرة على تفسير وصول الاسد للحكم الا أنها لا تفسر طول فترة بقائه فى الحكم ـ لانه فى الحقيقة حكم سوريا فترة أطول مما حكمها أى من أسلافه ، كما أنه حكمها بطريقة أفضل منهم ، وتعلم حافظ الاسد الكثير من أخطائه ، اذ كان يعتمد على نفسه ، وكان داهية كما كانت تغلب عليه روح الفكاهة ، وكان عنيدا غير متسامح ، وهو أيضا دائب العمل أثناء الليل ولا يبدو عليه الميل الى النوم أبدا ٠ وقد تولى منصب وزير الدفاع وقائد السلاح الجوى فى عام ١٩٦٧ كما أن استيلاء اسرائيل على مرتفعات الجولان فى ذلك العام وتدميرها ثلثى السلاح الجوى السورى وهو على الارض انما يرجع الى خطأ الاسد الى حد كبير ٠ وقد اعتبر نفسه فى الواقع مسئولا بصفة شخصية عن الهزيمة وفى سبتمبر عام ١٩٧٠ تجاهل الاسد رؤساءه ورفض اقحام سلاحه الجوى فى القتال الذى يشنه رجال المقاومة الفلسطينية ضد الملك حسين ملك الاردن ، لانه كان يعلم ان مثل هذا التهور قد يؤدى الى تدخل الاسرائيليين والامريكيين ٠ وقام الاسد بوصفه رئيسا بادخال تعديل على الاشتراكية المتطرفة الخاصة بحزب البعث ، وأعاد احياء القطاع الخاص وفتح أبواب سوريا أمام التجارة الغربية ، وشجع عودة رأس المال المختفى ، واكتسب من جديد ولاء طبقة التجار ٠ وقام بمساعدة السوفييت ببناء سد كبير على نهر الفرات لمضاعفة عدد الاراضى الزراعية ومن ثم توفير المحاصلات الغذائية ٠

وكان الاسد حذرا بما لديه من حرية سياسية ، لانه وجد لزاما عليه تحقيق توازن بين ائتلاف متأرجح يضم المسلمين السنيين والشيعة والعلويين والمسيحيين والناصريين والشيوعيين والمقاولين الذين ينتسبون للمدينة والمحافظين القرويين وأصحاب الايديولوجيات البعثية المتطرفة داخل الجيش وخارجه ٠ وكانت العناصر المتطرفة تفرض عليه قيودا بقدر ما كان يفرض هو عليها من قيود ، وكان موقفها من اسرائيل لا يلين ٠ اذ أن الشعور بالكراهية تجاه اسرائيل يعتبر أكثر ضراوة فى سوريا منه فى مصر ٠ وقد تمكن السوريون أثناء حرب أكتوبر من

استعادة جزء كبير من مرتفعات الجولان ، لكن الاسرائيليين قاموا بعد ذلك بقصف المراكز الحيوية للمرافق العامة في سوريا ـ وشمل ذلك محطة كبيرة للطاقة ، وميناء اللاذقية ، ومعمل تكرير البترول فى حمص ـ وتقدموا خلف الجولان حتى وصلوا الى مشارف دمشق ٠

لقد أدرك الاسد حقيقة الوجود الاسرائيلي ٠ ووافق على قرار الامم المتحدة رقم ٢٣٨ بعد تأكيدات السوفييت له بأن اسرائيل ستنسحب من الاراضى العربية كافة ، وستعترف بحقوق الفلسطينيين لكنه كان يتوخى جانب الحذر تجاه « كيسنجر » ، الذى بدت دبلوماسيته التدريجية بالنسبة له بمثابة خدعة أخرى لدعم موقف اسرائيل ٠ والشك بالطبع هو السمة السورية الغالبة ، وقد سيطر ذلك الشعور فى ردهات مقر الرئاسة فى ذلك المساء من شهر ديسمبر عندما رحب الاسد بالدكتور « كيسنجر » والفريق المرافق له وقد وقفوا أسفل صورة زيتية لانتصار صلاح الدين على الصليبيين ٠

وبدأ « كيسنجر » المناقشة كعادته بالفكاهة ، وقال من خلال مترجمه الخاص يجب أن أقوم بتعليمك اللغة الانجليزية يا سيادة الرئيس ، وعندئذ ستكون أول زعيم عربى يتحدث الانجليزية بلهجة ألمانية ٠ هل سبق لك الاجتماع بسيسكو ؟ كان يجب أن أحضره معى ـ فربما يتزعم انقلاب ضد الحكومة اذا ما تركته فى واشنطون ٠ وضحك الاسد ، وكان « كيسنجر » يفترض أن السوريين مثلهم مثل غيرهم من العرب شغوفون بسماع القصص التى لها علاقة بالنساء ولذا تحدث « كيسنجر » عن النساء ، وروى بعض القصص الهزيلة الداعرة ٠ وتلا ذلك محاضرة فى الشئون العالمية ، عاد فيها « كيسنجر » الى دوره كأستاذ فى جامعة هارفارد فقد قام بتحليل الموقف فى الصين وفى الاتحاد السوفييتى وكذلك السياسة الداخلية الامريكية ـ وكأن الرئيس السورى حافظ الاسد تلميذه النجيب فى هذه المحاضرة (*)

وأشار « كيسنجر » الى أنه يعتبر أول وزير خارجية أمريكى يقوم بزيارة سوريا منذ ما يزيد على عشرين عاما ، أى منذ عهد « جون فورستر دالاس » فى الواقع ٠

وقال الرئيس الاسد ردا على ذلك : ـ ان « الولايات المتحدة هى المسئولة عن ذلك التأخير » ٠

وأضاف « كيسنجر » قائلا ان عبد الحليم خدام وزير الخارجية السورى قد أوضح ذلك بالفعل « وكان وزير الخارجية مهذبا ، لكننى أريد أن أوحى بأن وجهات نظره تفتقره الى القوة ، فالضعف ليس صفة سورية » ٠

طرح الرئيس الاسد هذه المجاملة جانبا ٠ وطالب « كيسنجر » بأن يكون واضحا وصريحا ٠

وأجاب كيسنجر قائلا : « لا تتمثل سياستنا فى تقسيم صفوف العرب ، وسأقول على الدوام الشيء نفسه لكل شخص أتحدث معه » ٠

★ لعلى ابالغ بعض الشيء فقد ابلغنى الاسد منذ وقت قريب قائلا ٠٠ لم اكن ابدا تلميذا للدكتور كيسنجر وضحك لذلك الايحاء من جانبي واضاف ٠٠ لا يستطيع « كيسنجر » او اى شخص اخر ان يفعل ذلك معى ٠

وقال الاسد : « من الصعب أن تفعل ذلك لكن هذا هو الافضل على المدى البعيد » ٠

كيسنجر : يجب أن يثق كل منا في الآخر ٠٠ ولابد من وأن نعمل على بدء مؤتمر للسلام لوضع اطار قانوني للمفاوضات ، ومن خلال ذلك فسنسعى للعمل على تحقيق اتفاقية لفك الاشتباك على الجبهة المصرية أولا ، ثم نسعى بعد ذلك الى تحقيق الشيء نفسه على الجبهة السورية ٠ أما المشكلة الملحة الآن فهي الخطاب الخاص بالدعوة الى مؤتمر ، وقد كنا نتحدث عن افتتاحه في الثامن عشر من شهر ديسمبر، لكننا ربما احتجنا الى بضعة أيام قليلة أخرى ما هي وجهة نظركم في هذا الصدد ؟

الاسد : انها تتوقف على المحادثات التي تجرى بيننا اليوم ٠

كيسنجر : ليست لدينا خطة خاصة بنا للسلام فمن السهل طرح اقتراحات محددة ـ لكن الشيء الهام هو اتخاذ خطوات عملية ، ولم نتفق نحن والسوفييت الا بشأن ضرورة عقد مؤتمر للسلام ، وسيكون على ذلك المؤتمر في نهاية الأمر معالجة هذه المسائل كافة ـ بما في ذلك عمليات الانسحاب ، والامن والحدود والقدس والفلسطينيين ٠٠ ألم تقرر بعد حضور مؤتمر جنيف ؟

الاسد : لم نقرر عدم الحضور ٠

وأخرج « كيسنجر » حينذاك نسخته الخاصة بخطاب الدعوة الى حضور المؤتمر ، الذى تقرر أن يرسله كل من الاتحاد السوفييتى والولايات المتحدة في آن واحد للامين العام للامم المتحدة ٠ وأشار الى الجملة الحرجة التى تقول « توافق الاطراف أيضا على أن المسألة الخاصة بحضور أطراف أخرى من منطقة الشرق الاوسط ستطرح للمناقشة أثناء المرحلة الاولى » ـ الامر الذى يعنى أنه سيتم استبعاد الفلسطينيين من المرحلة الاولى للمفاوضات ٠

كيسنجر : ان اسرائيل لا تريد أية اشارة الى الفلسطينيين في هذه المرحلة ، ونحن ندرك أنكم لن تحلوا هذه المشكلة دون أن توضع مصالح الفلسطينيين في الاعتبار لكننا نعتقد أنه من الخطأ تناول المسألة الفلسطينية في بداية المؤتمر ٠

الاسد : لقد فهمت أن هناك نصا سابقا أشار « لمسألة الفلسطينيين » ٠

وكان الاسد يشير الى محادثاته مع السادات ٠ واستمرت المحادثات التى كان مقررا لها أن تستغرق ساعتين ونصف الساعة ، وكانت تتخللها أكواب كثيرة من القهوة التركية والشاى ، وبعد مرور ست ساعات كانت المحادثات ما تزال جارية، وفى عمان كان الملك حسين ملك الاردن ينتظر « كيسنجر » لتناول الغداء ٠ وبدأ الاسد وهو يخشخش بسبحته ذات اللون الكهرماني في شرح مستفيض لسياسة سوريا ، وهاجم الولايات المتحدة بسبب تأييدها لاسرائيل ٠

كيسنجر : أعتقد أنه ينبغي الآن أن نتحدث عن المشكلات العملية المتعلقة بعقد مؤتمر جنيف ٠

صلاح الدين والصليبيين

الاسد : هل توافق الولايات المتحدة ، أولا ، على أن ليس في وسع سوريا أن تتنازل عن الاراضى في أى تسوية تتم التوصل اليها ؟ وثانيا : هل تقر أيضا حقيقة

انه لا يمكن أن يكون هناك أى تسوية دون ايجاد حل للشعب العربى الفلسطينى ؟ وثالثا : هل الغرض من عقد مؤتمر للسلام هو تحقيق هذين الهدفين ، أو مجرد استنفاد للوقت دون التوصل الى حل ؟

كيسنجر : اننا على استعداد لان نناقش معكم مسألة انسحاب القوات الاسرائيلية فى المرحلة الأولى فضلا عن أننا نقر الحقيقة التى تشير الى ضرورة تحقيق مزيد من الانسحاب فى المراحل اللاحقة ٠٠ ذلك انه من المؤكد أنه لا يمكن أن تكون هناك تسوية لا تلقى قبولا من جانبكم ٠٠ والآن يتعين علينا الانتقال الى الجانب الخاص بفك الاشتباك ٠

الاسد : ان أى اتفاق خاص بفك الاشتباك يجب أن يتضمن مرتفعات الجولان برمتها ٠

كيسنجر : ان ذلك الامر مفروغ منه ٠٠ والمشكلة الاولى هى تلك التى تكمن فى الاراضى التى احتلت فى حرب أكتوبر ٠٠ وما اذا كانت اسرائيل تعتزم الانسحاب منها ٠٠

الاسد : انه يتعين قبل انعقاد مؤتمر جنيف أن يتم التوصل الى اتفاق لفك الاشتباك ٠

كسنجر : بالنسبة لاسرائيل ، فانها ترى أن من الضرورى أن تقدم سوريا قائمة بأسماء أسرى الحرب المحتجزين لديها ، وأن تسمح لهيئة الصليب الاحمر بزيارتهم وأن تطلق سراح الاسرى المصابين ٠

الاسد : ما الضرورة التى تحتم على أن أتخلى عن تلك الورقة ؟ وما الذى سأحصل عليه فى مقابل ذلك ؟ ان « بريجنيف » لم يشر قط الى ذلك : أما بالنسبة لفك الاشتباك فانه يجب أن يشمل مرتفعات الجولان ككل ، ذلك لأن الجولان بأكملها تعد منطقة صغيرة جدا ٠

كيسنجر : حسنا ، لقد كرست نفسى أربعة أعوام كاملة لكى أتمكن من تسوية الجوانب المتعلقة بالحرب الفيتنامية جميعها وأنت الآن تطلب المستحيل ٠٠ لقد كنت أعتقد أننا سنناقش موعد انعقاد مؤتمر جنيف ٠٠ والآن ماذا عن أسلوب « الدول الاخرى الاعضاء فى جنيف » ؟

الاسد : أننى أقر وأوافق على أى شىء اتفقت بشأنه مع الرئيس السادات ، وهذا مدرج ضمن هذه الرسالة ٠

كيسنجر : ولكن ما هى الكيفية التى سترد بها على تلك الرسالة ؟

الاسد : يجب أن يتم التوصل الى اتفاق بفك الاشتباك قبل انعقاد مؤتمر جنيف ٠٠ ان نص الرسالة ليس دقيقا ٠ ذلك أنها تشير الى أن سوريا وافقت على حضور المؤتمر ٠ فى حين أننى لم أوافق بعد ٠ ذلك أننى أريد أن يمكن أولا ما اذا كان يتعين علينا التخلى عن أى من الاراضى ٠

كيسنجر : ليس فى وسعى أن أقدم لك أية اجابة على مثل تلك التساؤلات فى المرحلة الحالية ٠

الاسد : اذا فربما يكون من الافضل أن ترجىء موعد انعقاد المؤتمر ٠

الفصل السابع

قبلات ومانجو

وصل الدكتور هنرى كيسنجر فى نهاية الأمر الى عمان بعد منتصف ليلة السادس عشر من ديسمبر وقد توجه لتناول العشاء مع حسين بن طلال آل هاشم ملك المملكة الاردنية الهاشمية • وقد كان السيد زيد الرفاعى رئيس وزراء الاردن ووزير خارجيتها ــ والذى كان تلميذا لكيسنجر فى جامعة هارفارد الامريكية فى شرف استقباله فى المطار • (وقد أبلغنى الرفاعى فى وقت لاحق أن حضر المحاضرة التى ألقاها كيسنجر حول سياسة أمريكا الخارجية) • ومضى يقول : ان الدكتور « كيسنجر » يختلف كثيرا عن باقى الاساتذة • ذلك أن محاضراته تتسم بأسلوب فريد فى نوعه حيث ينثر قدرا هائل من المعلومات فى قالب ساخر يتسم بالفكاهة •• وكنت أنا تلميذه العربى الوحيد • وقد جمعتنا مناقشات عديدة ولم تكن له أية ميول صهيونية فضلا عن أن لم تكن لديه فكرة واضحة عن الشرق الاوسط • غير أننى بعد أن تركت جامعة هارفارد انقطعت كل صلة به ، الى أن تبوأ كل منا منصبا متشابها ذلك أننى شغلت منصب المستشار السياسى لجلالة الملك حسين ــ فى حين أصبح « كيسنجر » واحدا من أقوى مستشارى الرئيس الامريكى « ريتشارد نيكسون » •

وقد بدأت الطبول تقرع لدى وصول « كيسنجر » وبدأت صفارات الانذار تطلق أصواتها ، فى حين بدأت القوات العربية تستعرض أسلحتها ، وقد كانت أسطح المنازل محتشدة برجال الشرطة والجنود ممن تم تزويدهم بالمدافع والرشاشات • غير أن « كيسنجر » ومساعده « جوزيف سيسكو » ونائبه « ألفريد أثرتون » و « هارولد سوندرز » لم يلحظوا أحدا من تلك الحشود ، لأنهم كانوا جميعا شبه فاقدى الوعى نظرا لما يعانون من اجهاد شديد ، ونظرا لتعلثم دبلوماسيتهم لاختلاف وجهات النظر من عاصمة الى أخرى • وقد توجهوا بعد ذلك الى قصر « باسمان » الذى يستقر خلف جدار مرتفع جدا ومحاط ببستان من الفاكهة وأشجار الصنوبر ومقام فوق تل يطل على وديان عمان ، ذلك أن عمان مثلها مثل روما ، مدينة ذات سبعة تلال •

وقد حرص الملك حسين على أن لا يتناول طعام العشاء الذى كان معدا الا بعد أن اجتمع بضيفه • ومما يجدر بالاشارة اليه أن حسين هو الزعيم العربى الوحيد الذى كان قد تعرف على « كيسنجر » قبل حرب أكتوبر ، ذلك أنه كان يقوم بزيارات منتظمة الى واشنطن • وكان « كيسنجر » معجبا بالملك الهاشمى الامر الذى جعله يطريه فى كل مرة يتقابلان فيها ، وذلك نظرا لجلده وثباته فى الحرب التى شنها الفدائيون عام ١٩٧٠ • (وغالبا ما كان يقول له « اننا جميعا تأثرنا بما أظهرته من شجاعة ليس لها نظير أثناء تلك الازمة) • حقا ان الاردن لم يشترك

فى حرب أكتوبر ، بيد أن حسين كان يشتهى استرداده القدس العربية وبقية أراضيه المحتلة فى الضفة الغربية من نهر الاردن مثله فى ذلك مثل السادات والاسد ومدى تلهفهما لاسترداد الاراضى المحتلة • يضاف الى ذلك ، ان الملك حسين ومستشاريه ـ أى ولى العهد الامير حسن وزيد الرفاعى والسيد عبد المنعم الرفاعى (عم زيد ورئيس الوزراء السابق) كانوا يتطلعون الى معرفة المكانة التى تتبوأها الاردن فى دبلوماسية «كيسنجر » الجديدة •

ويسأل زيد الرفاعى قائلا : « ما معنى فك الاشتباك ؟ وهل يشمل ذلك الأردن؟

ويجيب « كيسنجر » على هذا التساؤل قائلا : « ان فك الاشتباك يعنى فى المرتبة الاولى الدول التى اشتركت اشتراكا فعليا فى الحرب الماضية ، ومن ثم يجب أن تستثنى الاردن من قبل ذلك الاتفاق ، ذلك لان الاتفاق بشأن فك الاشتباك يعنى أولا اقامة مناطق عازلة بين الدول التى اشتركت فى الحرب الاخيرة • بعد ذلك تأتى المرحلة الثانية • وفى قول آخر ، أن يتعين على الاردن الانتظار الى أن يتوصل « كيسنجر » الى موقف محدد بالنسبة للفصل بين القوات على الجبهتين المصرية والسورية •

ولم يمارس الاردنيون أى ضغوط فى تلك الليلة فيما يتعلق بفك الاشتباك الخاص بهم ، على الرغم من أن زيد الرفاعى أعرب عن قلقه من أن مصر سوف تتوصل الى اتفاق خاص بها مع اسرائيل ، فى حين يتم اسقاط الاردن واغفالها •

وأضاف الملك « لا بأس من أن نناقش تفاصيل الموضوع كل على حدة » « ولكن التسوية السلمية يجب أن تكون شاملة للامور كافة » •

وتساءل عبد المنعم الرفاعى عما اذا كان « كيسنجر » وقد فكر فى مرحلة لفك الاشتباك بالنسبة للاردن وأشار الى أنه « ينبغى أن تحصل على بضعة كيلو مترات من الضفة الغربية على الاقل » •

وأجاب « كيسنجر » قائلا : لست على ثقة من امكانية تحقيق ذلك • ومع ذلك فانه من الضرورى أن تذهب الاردن الى جنيف لتؤكد حقيقة أنها طرف فى النزاع • ذلك أن اسرائيل لن تتخلى لياسر عرفات عن الضفة الغربية •

وقد أكد الملك حسين « الدكتور كيسنجر » أن ثمة وفدا أردنيا برئاسة زيد الرفاعى سوف يحضر مؤتمر جنيف • وقد اتسم الحديث بالاهمية ، لا لما حققه من انجازات ـ ذلك أنه باستثناء موافقة الملك حسين على حضور مؤتمر جنيف ، فانه لم يحقق شيئا ما ـ ولكنهم حين اتفقوا على تأجيله من خلال ذلك الحديث • فقد افترض « كيسنجر » أن فى وسعه التشاور مع الاردن عندما يحين الوقت ، وقد أصر على ذلك الافتراض الى أن فات الاوان • (سوف يكون لدينا فى الوقت المناسب مزيد مما نقوله فى ذلك الشأن) • وقد اجتمعت تلك المجموعة مرة ثانية حوالى الساعة الثانية أو الثالثة صباحا ، حول المائدة الملكية اذ كان النعاس يغالبهم وقد تناولوا طعام العشاء الذى كان عبارة عن أرز مطهى جيدا وشرائح من لحم الضأن •

وقد توجه « كيسنجر » الى قصر الضيافة الملكى حوالى الساعة الرابعة صباحا ، واستيقظ نحو السادسة ، وغادر الاردن فى وقت لاحق متوجها الى لبنان • لقد كانت بيروت هى المكان المقصود ولكن العاصمة اللبنانية كانت تفيض بمظاهرات معادية لكيسنجر قام الفلسطينيون واليساريون من المسلمين اللبنانيين بتدبيرها

ومن ثم فقد اضطرت الطائرة التى يستقلها الى تغيير مسارها متوجها الى احدى القواعد الجوية الواقعة فى وادى البقاع وتبعد بضعة أميال عن الحدود السورية ، وذلك كي يحضر مأدبة عشاء يقيمها له سليمان فرنجية رئيس جمهورية لبنان . ولان لبنان لم تشترك قط بصورة جوهرية فى أى حرب مع اسرائيل ، فانها لم تكن طرفا مباشرا فى دبلوماسية كيسنجر ، ومن ثم لم يتعين عليها الاشتراك فى مؤتمر جنيف ، بيد أن « كيسنجر » أراد ابلاغ فرنجيـة بخططه بهدف كسب تعـاطفه وتأييده .

ان الرئيس فرنجية ـ ذات الشعر الابيض ، والذى يتسم بالعناد بالرغم من كونه لا يتميز بقدر كبير من الذكاء وهو ممن قاموا في الماضي بعمليات الاغتيال ، وأحد الاعضاء المخضرمين فىعمليات الأخذ بالثار بين القبائل اللبنانية عبر التاريخ اللبنانى . وقد اشترك فى مستهل حياته فى عملية تبادل اطلاق النيران فى احدى الكنائس الواقعة فى المنطقة الجبلية حيث انضـم الى مجموعة من أبناء عشـيرته المارونية فى اغتيال عائلة منافسه خلال قداس جنائزى كان يجرى فى الكنيسة . وتعتبر هذه الواقعة الى حد ما هى السبب وراء اختيار فرنجية رئيسا للجمهورية ، ذلك أن المسيحيين فى لبنان اعتبروا هذا الحادث بمثابة انذار للفلسـطينيين بأن فرنجية سوف يسحقهم بوحشية اذا ما انتهكوا السيادة اللبنانية وأثاروا حربا ضد اسرائيل عبر الحدود الجنوبية للبنان .

وقد حث الرئيس فرنجية دكتور « هنرى كيسـنجر » على ضرورة اقامة دولة فلسطين بأقصى سرعة ممكنة ، حتى يرحـل عن لبنان هؤلاء الفلسطينيون الذين يقدر عددهم ببضعة آلاف ، ويتركوها تعيش فى سـلام . ولكن اقامة مثل تلك الدولة لم يكن من الأمور التى تحظى بالأولوية عند « كيسـنجر » ، ومن ثم فان الثورات التى اجتـاحت لبنان نتيجة لذلك الوضع انمـا هى معيار لتجاهله غـير المتبصر لتلك المشكلة الاولية ألا وهى مستقبل الشعب الفلسطينى .

وقد عاد « كيسنجر » فى مساء ذلك اليوم الى القدس ، وكان قد حصل حينئذاك على موافقة كلا من مصر والاردن على عقد مؤتمر جنيف ، لكنه لم يكن قد حصل بعد على موافقة سوريا أو اسرائيل وقد اتخذ العامة فى اسرائيل فى ذلك الوقت موقفا يتسم بالعداء . ذلك أن العديد من الصحف التى كانت على اقناع بأن التعهدات التى أخذها « كيسنجر » على عاتقه بحماية اسرائيل لم تكن صادقة مخلصـة ـ أعربت عن تشككها فى امكانية تحقيق أى شىء من خلال عقد مؤتمر السلام . وقد حضر وزير الخارجية الامريكية فى ذلك المساء مأدبة عشاء فى منزل أبا ايبان وزير خارجية اسرائيل ، وهو منزل يتسم بالتواضع ويحوى أعدادا ضخمة من الكتب . وقد رأست ماتير مأدبة العشاء ورافقها كل من « ايجال آلون » نائب رئيس الوزراء والجنرال « موشى ديان » ، والسفير « ديليتز » و « بنحاس سابير » وزير المالية الاسرائيلى وعدد من مستشاريهم . وقد اصطحب « كيسـنجر » معـه « جوزيف سيسكو » و « آثرتون » و « كينيث كيتنج » (سـفير الولايات المتحدة لدى تل أبيب) وبعض المساعدين الآخرين . وقد تساءل « كيسنجر » عما اذا كان العشاء يشمل شرائح من لحم الخنزير ؟ وكانت الاجابة بالنفى وعلى الرغم من أن الطعام كان كما هو معتاد في اسرائيل غير كريه ولكن لم يكن شهيا كالطعام في مأدبة الملك حسين وقد أدخل « كيسنجر » البهجة على النفوس الاسرائيلية من خلال اثارة قدر هائل من الضجيج حول ما دار بينه وبين الرئيس « حافظ الاسد » من حديث ـ وذلك

الى أن أعلن « كيسنجر »٬في نهاية الامر أن سوريا لن تحضر مؤتمر جنيف للسلام والسبب في ذلك أن مفهوم الأسد بشأن فك الاشتباك يتمثل في استرداد مرتفعات الجولان٬كافة على الفور وقد صاح الاسرائيليون عند سماعهم ذلك · ومرت الامسية واليوم التالى لها دون أى مرح أو بهجة ·

وألحت « مسز مائير » في توجيه تساؤلات للدكتور « هنرى كيسنجر » بخصوص أسرى حرب الاسرائيليين الموجودين في سوريا · فأجاب « كيسنجر » قائلا : لقد كان الرئيس حافظ الاسد متشددا بدرجة كبيرة بالنسبة لتلك المسألة · وعندئذ أبلغه « مستر آلون » بأن الحكومة تعهدت للكنيست (وهو البرلمان الاسرائيلى) بأن لا تتفاوض مع سوريا الى أن يقدم الاسد قائمة بأسماء أسرى الحرب الموجودين فى سوريا · ذلك أن سوريا لم تعلن عن سوى ما يقرب من عشرين أسيرا أو نحو ذلك[٤]، ومن ثم فانها من الناحية القانونية تنتهك اتفاقية جنيف ، الامر الذى من شأنه ايذاء الرأى العام الاسرائيلى · وقد حذر « ديان » فى صراحة من أن اسرائيل لن تذهب الى جنيف الى أن يتم تسليم قائمة بأسماء الاسرى · وقد رد عليه « كيسنجر » قائلا : يتعين عليك أن تفكر فى النتائج الدولية التى قد تترتب على رفضكم الذهاب الى جنيف · فما لا شك من أن اسرائيل تواجه موقفا صعبا · ومن ثم فأنتم فى حاجة الى مزيد من الفرص للمناورة · واننى لا أعنى بذلك أن موقفكم خاطئ ــ بل على العكس أنه من الناحية المعنوية يعد سليما ــ ولكن يتعين عليكم تقدير النتائج وموازنتها · ثم انتقل « كيسنجر » بعد ذلك الى الحديث عن مصر وعن نوايا السادات · فقال ان بمجرد أن يتم الاتفاق بشأن فك الاشتباك فسوف يبدأ السادات فى اعادة البناء الاقتصادى واعادة فتح قناة السويس ــ لكنه يرغب فى الاحتفاظ ببعض القوات على الضفة الشرقية ·

مسز مائير : ولماذا يطلب ذلك ·· اذا كان يريد حقا اقرار السلام ؟

كيسنجر : انه يرى أنه ليس فى وسعه الانسحاب من أراضيه التى استردها · ويتعين علينا العمل على رفع الحظر المفروض على البترول والتخفيف من حدة التهديد بتجدد الأعمال العدوانية · ان الوقت حرج ، ذلك أنه ليس فى وسع « فيصل » بمفرده رفع حظر البترول ــ دون أن يفقد كل المكاسب التى حققها من جراء تأييده للموقف العربى ككل ·

وقد كان الحوار ينتقل تلقائيا من موضوع الى آخر ، الى أن استقر عند الاردن · فقد أشار آلون الى أن غالبية العرب الموجودين فى الضفة الغربية انما يؤيدون حسين : « وان ما يشغلنا هو أن ستكون هناك ضغوط ترمى الى تسليم الضفة الغربية للفلسطينيين » · وقد أقر « ديان » بأن الضغوط التى قد يمارسها الفلسطينيون قد تمنع الاردن من التوصل الى تسوية نهائية ، « لكن قد يكون من المحتمل أن يتم اعادة بناء السلطة الاردنية فى الضفة الغربية » ·

وقد حث « كيسنجر » الاسرائيليين على القيام بخطوة مثيرة ومفاجئة لدعم موقف الملك حسين · ومضى كيسنجر يقول « يتعين عليكم أن تبدأوا وكأنكم آخذين بزمام المبادرة ، وأن لا تبدوا ببساطة وكأنكم متزمرين لانكم خاضعون لضغوط معينة » · وقد تجاهل الاسرائيليون ، كما سنرى جميعا ، هذه النصيحة ·

أما فيما يتعلق بالامم المتحدة ، فانها لم تكن تتمتع ــ وما تزال ــ بأى شعبية فى اسرائيل · ومن ثم فقد أصرت « مائير » على أنه اذا كان مقدرا أن ينعقد مؤتمر

للسلام فثمة ضرورة تحتم أن يكون دور الامم المتحدة بالنسبة له على أضيق نطاق .. يضاف الى ذلك ، أن الاسرائيليين لم يكونوا يشعرون بالرضى عن الرسالة التى بعث بها « كيسنجر » والتى تضمنت توجيه الدعوة لحضور مؤتمر جنيف ، ومن ثم قاموا بتحليل كل عبارة على حدة مما دعا « كيسنجر » فى نهاية الامر الى أن يقول « عليكم أن تقبلوا الرسالة على علاتها ، ثم تعربون عن تفسيراتكم فى بيان رسمى تقدمونه للكنيسست · ولم يذعن الاسرائيليون لذلك الا بعد منتصف الليل ·

ولم يتبق ــ أو هكذا أبدا ــ سوى تلك المسألة المتعلقة برفض اسرائيل واصرارها على عدم الذهاب الى جنيف ما لم يقدم السوريون قائمة بأسماء أسرى الحرب الاسرائيليين · وقد أشار « كيسنجر » بقوله لقد قاربت الساعة الواحدة صباحا ، ولم يعد فى وسعنا التوصل الى حل بشأن ذلك الامر الليلة · ومن ثم عاد الى مقره اقامته لينام ·

ثم استؤنف الحديث فى اليوم التالى ، فى حجرة الاجتماعات الخاصة بجولدا مائير رئيسة الوزراء وهى تقع بالقرب من مبنى الكنيسست · وقد انضم اليهم فى ذلك اليوم كل من « الجنرال » دافيد اليعازر » رئيس الاركان الاسرائيلى ، « والجنرال أهارون باريف » رئيس المخابرات ·

وقد ركز دكتور « هنرى كيسنجر » فى ذلك الاجتماع على مسألة ابرام اتفاق لفك الاشتباك بين مصر واسرائيل وكيفية تطبيقه · وقد دفع « كيسنجر » بأن فك الاشتباك يلقى ولا شك اهتماما من جانب اسرائيل ذلك أنه من شأنه أن يؤدى الى نجاح مبكر للمفاوضات ، فضلا عن أنه سيحول دون المناقشة حول الحدود الاسرائيلية فى شكلها النهائى ، كما سيخفف من حدة الضغوط التى تواجهها كل من اسرائيل والولايات المتحدة · ذلك الى أن الفصل بين القوات سوف يجعل من الصعب على المصريين استئناف القتال مرة أخرى · وقال « كيسنجر » لقد ناقشت الرئيس السادات امكانية التوصل الى اتفاق للفصل بين القوات وقد وافق الرئيس المصرى على المفهوم العام لتلك المسألة · وهو على استعداد لأن يقلل من عدد قواته المرابطة على الضفة الشرقية من قناة السويس ، وأن يحد من عدد الاسلحة فى تلك المنطقة ، كما أنه يوافق على وجود منطقة عازلة تخضع لاشراف الامم المتحدة · وقد أوضحت له أن اسرائيل تهتم بالاحتفاظ بممرات سيناء (متلا والجدى) · وقد رد « آلون » على « كيسنجر » قائلا : بالنسبة للممرات فان من الممكن مناقشة ما يتعلق بها كجزء من التسوية النهائية « ولم تكن ملحوظة آلون » سوى مجرد ضوء خافت ينذر بالشجار الحاد الذى حدث فيما بعد بين كيسنجر والاسرائيليين · فقد أصر الاسرائيليون ، فى تلك اللحظة ، على ضرورة وجود قوات دولية دائمة ذات فاعلية ، وعلى الحد بصورة كبيرة من اقامة قواعد صواريخ سام المصرية ، وعلى الحصول على ضمانات تؤكد لهم عدم شن الحرب مرة أخرى · بيد أن « كيسنجر » نصحهم بتجنب تركيز اهتمامهم على الجوانب العسكرية وقال : « يتعين علينا أن ندرك دائما وأبدا الغرض الاستراتيجى من وراء فك الاشتباك · ذلك أنه يجب عليكم أن تتذكروا ما ينطوى عليه الموقف من خطورة ، كما يتعين عليكم تقييم الموقف ككل تقييما سليما · وعليكم أن تدركوا أنكم ما لم تتوصلوا على وجه السرعة الى اتفاق سريع ، وليكن مع نهاية شهر يناير ، فسوف نتعرض جميعا لانواع الضغوط المختلفة جميعها ــ وعلى سبيل المثال فرض حظر على البترول ، وضغوط من جانب الروس ، والاوروبيين واليابانيين · وما لم يتحقق اتفاق فك

الاشتباك وبأقصى سرعة ممكنة ، فقد يتخلى السادات عن الوساطة الامريكية ، وقد يصبح موقف اسرائيل أكثر سوءا • ومضى « كيسنجر » يقول : ـ قد يكون فى وسع اسرائيل أن تساوم من موقف متشدد ، ولكن لا يتعين عليها أن تطالب بثمن مبالغ فيه ذلك أن العالم لن يقف مكتوف الايدى من أجل اسرائيل •

كيسنجر : لقد غير السادات بالفعل من موقفه ـ اذ أنه كان فى بداية الامر يطالب باسترداد العريش وانسحاب القوات الاسرائيلية من ممرات سيناء • واننى لا أعتقد أن من الممكن دراسة تفاصيل ما يتعلق بذلك مع السادات •• ولكن يتعين عليكم فى الوقت نفسه تحديد أولوياتكم ••

وقد ردت « مائير » بحدة قائلة : لقد وضعت أمامنا صورة حقيقية وواقعية ، ولكن ما تطلق أنت عليه فك الاشتباك هو فى واقع الامر مجرد انسحاب للقوات الاسرائيلية وليس هناك مقابل لذلك ••

كيسنجر : ان السادات يعتزم اعادة الحياة المدنية الى منطقة القناة • وهذا ضمان كاف بعدم القيام بأية أعمال عدوانية أخرى •

فقالت مائير منفعلة « اننا سوف نذهب الى مؤتمر سلام ، وليس الى مؤتمر فك الاشتباك • ما رأى السادات فى السلام ؟ ان هذه مجرد خطوة أولى للعودة الى حدود عام ١٩٦٧ • والى أن يتم التوصل الى مثل ذلك الاتفاق ، لن تتغير الامور ـ باستثناء أمر واحد هو أن العالم سوف يحصل على ما يحتاج اليه من بترول •

ورد « كيسنجر » عابثا : لا ريب فى أن الوضع فى تلك الحالة سيختلف كثيرا •

وقد شعرت « مائير » بغضب شديد ، ذلك أنها لم تكن تعنى بذلك سوى الاعراب عما يجول فى خاطرها • وقد حذرت من أن العرب قد يستأنفوا مرة أخرى قرارهم الخاص بفرض حظر على البترول كلما أرادوا تحقيق شيء • وتساءلت هل نسى « كيسنجر » ما حدث عام ١٩٧٠ عندما تجمد الموقف العسكرى على منطقة القناة ـ وقام المصريون بتحريك قواعد صواريخهم الى الامام ؟ ومضت تقول : الواقع أنه يتعين علينا قبول ما يريده الجانب الآخر •

غير أن « كيسنجر » احتج مشيرا الى أن قرار وقف اطلاق النار فى منطقة القناة قد دام طوال عامين ونصف العام ، ثم دافع من جديد عن النتائج المثمرة التى قد تعود على الاسرائيليين فى حالة نجاح اتفاق فك الاشتباك ـ وقد عادت « مائير » لتتساءل عما يمكن أن يفعله الاسرائيليون فى حالة ما اذا رفض السوريون تقديم قائمة بأسماء أسرى الحرب ، وما اذا كانت معاهدة جنيف تقضى بذلك ؟ فرد « كيسنجر » غاضبا « لقد تفاوضنا مع فيتنام الشمالية طوال أربعة أعوام دون الحصول على قائمة بأسماء الاسرى • مع ذلك ظللنا طوال تلك الفترة نستشهد بمعاهدة جنيف • ومن ثم فان كل ما يطلب منكم هو الذهاب الى مؤتمر جنيف ، دون التعهد بأى التزامات » •

وقد بلغت « مائير » ذروة الغضب قائلة : ان السوريين يسيئون معاملة أسرانا • ويجب أن يكون هناك حد لذلك ، كما يجب أن يكون هناك مشاعر انسانية •

وقد اقترح « آلون » بهدوء أن يقنع « كيسنجر » الرئيس حافظ الاسد بأن اسرائيل على استعداد للتفاوض مقابل حصولها على قائمة بأسماء الاسرى ــ وان المفاوضات سوف يكون لها أبعاد اقليمية ·

فأجاب « كيسنجر » قائلا : لقد أبلغته ذلك بالفعل ، غير أنه رفض ·

وقد انتهى الاجتماع من حيث بدأ دون التوصل الى حل قاطع · وقد انتاب « كيسنجر » بعض الحيرة والقلق ازاء البيان الذى سيدلى به للصحفيين بشأن النتائج التى تم التوصل اليها فلجأ الى الاسلوب المعتاد المتبع فى اصدار أى بيان مشترك ، حيث يشير الى أن المحادثات كانت ودية ومثمرة ، وقد تم الاتفاق بشأن جميع المسائل المتعلقة بعقد مؤتمر السلام ، وبعض المبادىء التى سوف يتضمنها اتفاق الفصل بين القوات ·

وواضح أن « كيسنجر » كان يحاول ارغام الاسرائيليين على الذهاب الى مؤتمر جنيف · ولكن « مائير » صرحت بأن مجلس الوزراء لم يوافق على أن نعلن أننا ذاهبون الى المؤتمر ·

ومن ثم اقترح « ايبان » قائلا : فى وسعنا أن نقول أننا وافقنا على الاجراءات الخاصة بانعقاد مؤتمر السلام ·

فرد عليه « كيسنجر » قائلا : يتعين علينا أن نضيف الى ذلك أنكم وافقتم على أن يكون أول موضوع يطرح أمام المؤتمر هو الفصل بين القوات ، اذ أنه يتعين علينا قول شىء ما ·

أصبحنا الآن عشية السابع عشر من ديسمبر ، وهو الموعد الذى كان «كيسنجر» قد حدده لانعقاد مؤتمر السلام · وكان « كيسنجر » يعلم أنه لن يتمكن من تطبيق هذا الموعد النهائى الذى حدده ــ لأن الامر يحتاج الى مزيد من الاتصالات مع السادات والسوريين والاردنيين ومع الروس ومع الامين العام للامم المتحدة ــ غير أنه كان على استعداد لان يفعل المستحيل حتى يتسنى له جمع الاطراف المعنية كافة فى مؤتمر جنيف قبل أعياد الميلاد بأيام قليلة · ومن ثم فقد غادر « كيسنجر » تل أبيب فى احدى الليالى متجها الى لشبونة ، ومنها توجه على وجه السرعة الى مدريد ثم الى باريس حيث اجتمع فى عواصم تلك الدول برؤسائها وناقش معهم مبادىء مؤتمر السلام · وفى فندق ريتز بلشبونة ، أيقظه « سيسكو » و «أثرتون» اللذان كانا يغلبهما النعاس أنهما لم يناما عدة ليالى ، أيقظاه فى الساعة الثالثة صباحا وقدما اليه رسالة من اسماعيل فهمى تتطلب ردا فوريا · أن السادات ما يزال يناضل من أجل اقناع السوريين لحضور مؤتمر جنيف ، ولكن السوريين أعلنوا رسميا فى مساء اليوم التالى أنهم لن يحضروا المؤتمر ، واتهموا كل من اسرائيل والولايات المتحدة بالقيام بمناورات سوف تقودهم الى عالم قفر لا نهاية له ــ ومع ذلك فقد وافق مجلس الوزراء الاسرائيلى على اشتراك اسرائيل ، وأوفد « ايبان » لهذه المهمة · وقد وصل « كيسنجر » الى جنيف مساء يوم ٢٠ من ديسمبر ، وبدأ على الفور التخلص من جميع التعقيدات النهائية ·

وفى النهاية انتصر « كيسنجر » فقد بدأ المؤتمر جلساته فى ٢١ من ديسمبر عام ١٩٧٣ فى قصر الامم الذى كان فى يوم ما مقرا لعصبة الامم · وكانت اسرائيل ضمن الوفود الموجودة ، كما حضر الوفدان المصرى والاردنى أيضا ــ ولكن لم يكن هناك تمثيل سورى أى وفد يمثل منظمة التحرير الفلسطينيون ومن المعروف أن

الدكتور « فالدهايم » هو الذى دعا رسميا الى انعقاد هذا المؤتمر ــ ولكن تحقيقا لرغبة الاسرائيليين ــ لم يكن « فالدهايم » سوى مراقب لم يشارك مشاركة فعلية فى شىء · وقد أسهمت من الناحية الاسمية كل من الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى فى رئاسة المؤتمر ، والغريب أن الروس قدموا الخدمات ما يثير الدهشة وقد أقر « كيسنجر » فى خطابه الذى ألقاه أمام المؤتمر ــ والذى يعد أبلغ خطاب يلقيه « كيسنجر » ــ أن هناك عقبات بيد أنه أعرب عن آماله الطموحية فقال :

« ان اجتماعنا هنا يعد اجتماعا تاريخيا ·· ذلك أن للمرة الاولى فى جيلنا هذا تجتمع شعوب الشرق الاوسط معا كى تواجه بما لها من مهارة التحدى الذى يتمثل فى اقرار سلام دائم ·· فيتعين علينا اما أن نبدأ اليوم بتصحيح الاوضاع التى أدت الى نشوب النزاع العربى الاسرائيلى أو أن نحكم على عشرات الآلاف بالعذاب والالم والندم وسفك مزيد من الدماء : وعندما يتم كتابة تاريخ ذلك العهد الذى نعيشه سنجد أنه لن يتناول سلسلة الحروب العربية ــ الاسرائيلية ، لكنه سيتحدث عن حرب واحدة تخللتها فترات هدنة قلقة واطلاق النار لفترات مؤقتة لقد دامت تلك الحروب بالفعل طوال خمسة وعشرون عاما · وسواء أطلق التاريخ على تلك الفترة من الزمان اسم حرب العرب ــ واسرائيل التى دامت خمسة وعشرون عاما ، أم حرب الثلاثين عاما أم حرب الخمسين عاما ، فان تلك التسمية تعتمد الى حد كبير على ما سوف نحققه هنا ·

« اننا مدفوعون بأحاسيس عميقة ــ وبأسباب نؤمن بها ونسعى من أجلها ــ ان المسيرة المأساوية تنتقل من طوفان الى آخر يفوقه حسما وتكلفة ، وفى بعض الاحيان يبدو كأنه مسألة قضاء وقدر · ان مجرد وجودكم هنا اليوم ، انما يعد فى ذاته انجازا خطيرا له أهميته ، كما أنه يعد رمزا لرفض تلك النظرة التشاؤمية · ان احترام قوى التاريخ لا تعنى الاذعان الاعمى لتلك القوى · وهناك قول عربى مأثور هو « اللى فات مات » وهو يعنى أن الماضى قد ولى وانتهى أمره ··

ولقد عانى الطرفان مزيدا من سفك الدماء ولم نعد فى حاجة الى دليل آخر لاثبات البطولة ان أحد الطرفين يسعى الى استرداد السيادة ورفع المعاناة عن شعب ، مشرد · فى حين يسعى الطرف الآخر الى تحقيق الامن والاعتراف بشرعية وجوده كأمة · ان الهدف العام للسلام يجب أن يشمل كل تلك التطلعات ·· ويتمثل هدفنا النهائى فى تنفيذ قرار الامم المتحدة رقم ٢٤٢ بجميع بنوده ولا ريب فى أن ذلك الهدف يحظى بتأييد الولايات المتحدة التام ·· ويجب أن يشمل أى اتفاق سلام كل تلك العناصر ومن بينها تحقيق الانسحاب ، واقامة حدود معترف بها ، ووضع الترتيبات الخاصة بتحقيق الامن ، ووضع ضمانات وتسوية المصالح الشرعية للفلسطينيين ، والاعتراف بأن القدس تضم أماكن مقدسة لكل الاديان الثلاثة ·

« ولسوف يتطلب السلام أن نربط بين الحاجة الى الانسحاب والحاجة الى الامن ، والحاجة الى ايجاد ضمانات تؤكد سيادة الاطراف كافة ·· ان القوة تنطوى على قدر من الامن ذلك أنها تحول دون التعرض لهجوم ، لكن هناك أمن لقدر أكبر يكمن فى الترتيبات التى تعتبرها الاطراف المختلفة عادلة لا تتطلع هذه الاطراف الى الاطاحة بها ·

« ان كبرى المآسى التاريخية لا تحدث عندما تقع مواجهة بين الصواب والخطأ ، ولكن عندما تكون المواجهة بين طرفين كل منهما على صواب · وتلك هى

السمة المميزة لمشكلة الشرق الأوسط في الوقت الراهن • وذلك أن كافة الأطراف على حق ، ولكن ثمة قدر أكبر من العدالة يكمن فى الوصول الى الحقيقة التى تجمع بين جميع التطلعات التى تخدم هدفا انسانيا مشتركا وهناك حكيم يهودى استطاع أن يعبر عن هذه المشكلة تعبيرا بالغا فقال متحدثا عن البشرية اذا لم أكن أعمل لمصلحتى الخاصة فمن الذى سيعمل من أجلى ، ولكن اذا كنت أعمل من أجل مصلحتى فحسب فما قيمة كونى أنا ؟ » •

وثمة مشادة وقعت بشأن الترتيبات الخاصة بكيفية الجلوس حول مائدة المفاوضات (حيث رفض العرب الجلوس الى جانب الاسرائيليين) •• كما ثار جدل عنيف كان متوقعا بين اسماعيل فهمى وأبا ايبان (ذلك أن فهمى اتهم اسرائيل بانتهاج أسلوب وحشى ضد الفلسطينيين فى حين اتهم « ايبان » سوريا بتعذيب الاسرى الاسرائيليين) • غير أنه باستثناء ذلك فقد أنصت الجميع باهتمام لخطاب « كيسنجر » • وبعد افتتاح المؤتمر على ذلك النحو ، باشرت لجنة العمل المصرية ــ الاسرائيلية مناقشاتها الخاصة لفك الاشتباك ، وأرجىء انعقاد المؤتمر الى ما بعد الانتخابات الاسرائيلية • ولم يستأنف مؤتمر جنيف حتى الآن وقد تكهن بعضهم بأن المؤتمر سيكون كالمؤتمر العربى ــ الاسرائيلى الذى عقد فى فيينا ، ولكن اذا استرجع المرء أحداث ذلك المؤتمر فسيجد أنه لم يكن أكثر من مجرد رسم كاريكاتيرى ، مسل الى حد ما ، اتسم بالحيوية والنشاط من آن لآخر غير أنه كان ضعيفا سريع الزوال •

وقد أبلغنى السيد زيد الرفاعى رئيس الوزراء الاردنى بعد ذلك « ان المؤتمر كان واحدا من أكثر غرابة المؤتمرات التى حضرتها طوال حياتى • ذلك أننى كنت أتوقع أن يعتمد من أساسه على قرارى مجلس الامن رقم ٢٤٢ ، ٣٣٨ غير أنه لم يشر اليها قط ، فضلا عن أنه لم يكن هناك بروتوكول خاص به حتى ولا جدول أعمال » • وقد خصصت الجلستان الاوليتان للخطب التى ينقلها التليفزيون ، وفى الاجتماع الثالث انتابنى شعور بالدهشة عندما طرق سماعى الاقتراح الخاص بتشكيل لجنة مصرية ــ اسرائيلية مشتركة لمناقشة مسألة فك الاشتباك ، الامر الذى كانت تتعين دراسته ومناقشته قبل انعقاد مؤتمر جنيف ، حتى يكون فى وسعنا حينئذ التوصل الى تسوية شاملة • « وقد تقدمت بطلب لبحث فك الاشتباك على الجبهة الاردنية ــ الاسرائيلية ، ولكن المؤتمر كان قد أنهى جلساته ، فى حين انهمك كيسنجر مع الاسرائيليين والمصريين » • وعلى الرغم من أن الوفد الاردنى كان يضم عددا من الفلسطينيين ، فان المجلس لم يعر مشكلات الفلسطينيين فى الشتات أى انتباه • لقد قدم « كيسنجر » ، احقاقا للحق ، يوم ٢٠ ديسمبر أى اليوم السابق لانعقاد المؤتمر ، « مذكرة ايضاحية » وعد فيها بعدم دعوة أى أطراف جديدة لحضور الاجتماعات التى ستعقد فى جنيف فى المستقبل دون موافقة الأطراف الاولى » ــ الامر الذى يعنى اعتراض الاسرائيليين على اشتراك منظمة التحرير الفلسطينية فى المؤتمر •

ولم يكن زيد الرفاعى رئيس وزراء الاردن هو أول من أشار الى أن الدكتور « هنرى كيسنجر » سعى الى عقد ذلك المؤتمر للتفاخر والتباهى أساسا بأول اتفاق لفك الاشتباك بين مصر واسرائيل ، الامر الذى يعد بمثابة مصيدة جرذان تدعو الى الدهشة • ولكن ينبغى علينا أن لاننسى ، وانصافا للحق أن « كيسنجر » كان يعتقد

فى ذلك الوقت أن مؤتمر جنيف قد يخدم غرض له أهميته ويعود بالنفع بوصفه مجالا للتفاوض ٠

وعادت « مائير » وعاد حزب العمل ليتسلم زمام السلطة فى البلاد ولكن بأغلبية ضئيلة ذلك أن فقد بعض مقاعده فى الكنيست ، وفاز بها اليمينيون وكتلة ليكود المعارضة ٠ وقد عاد الجنرال ديان فى بداية شهر يناير من عام ١٩٧٤ الى واشنطن الاجتماع بالدكتور « كيسنجر » وعلى الرغم من أن ديان ينتمى « للصقور » الا أنه يعد واحدا من أكثر القادة الاسرائيليين اتساعا بالابداع والخلق ، لقد أذعن «ديان» ضمنيا لفكرة الانسحاب الاسرائيلى من سيناء ، ومن ثم فهو يتقدم الآن باقتراحه الذى يتمثل فى مفهوم « المناطق الخمس » وقال « ديان ان منطقة فك الارتباط يجب أن تتضمن خمس مناطق ــ أولا المنطقة العازلة التابعة للامم المتحدة والتى من شأنها الفصل بين الجيشين المصرى والاسرائيلى اللذين سينخفض حجم قواتهما فى تلك المناطق (ولا سيما فى المنطقة الثانية والثالثة) على نحو جذرى ٠ وتمتد المنطقتان الرابعة والخامسة على جانبى قناة السويس ــ وذلك فيما وراء المنطقتين الثانية والثالثة على أن تمتد كل منهما مسافة ٣٠ كم فى العمق ، على أن يحرم أيضا استخدام صواريخ أرض ــ جو ٠

وقد أصبح ذلك هو المفهوم الاساسى للاتفاق الذى تم التوصل اليه بعد ذلك ٠ ومن ثم فان الفكرة كانت أساسها فكرة « ديان » و « كيسنجر » ٠ وقد وجه « ديان » الدعوة الى « كيسنجر » للعودة الى الشرق الاوسط ٠ وأجرى « كيسنجر » بعد ذلك اتصالات بالرئيس السادات الذى حثه على العودة فورا الى المنطقة ٠ وقد وصل « كيسنجر » الى أسوان فى الثانى عشر من شهر يناير ، حيث كان السادات يستشفى من التهاب شعبى ٠ وقد اجتمعا فى فيلا الرئيس المصرى ، المحاطة بالأشجار على نهرالنيل والتى لاتبعد كثيرا عن السد العالى (ذلك السد الضخم الذى رفض « جون فوستر دالاس » تمويله ، مما دفع الرئيس عبد الناصر الى تأميم قناة السويس ، ونشوب حرب السويس وتسلل النفوذ السوفيتى الى مصر) وقد حث السادات « كيسنجر » على القيام فورا بدور « المكوك » لانهاء اتفاق الفصل بين القوات ٠ وعزم « كيسنجر » فى ذلك الوقت على التوسط لدى الاطراف المعنية لوضع المبادئ الخاصة بذلك الاتفاق ، على أن تعرض فيما بعد على اللجنة المصرية الاسرائيلية العسكرية فى جنيف للاتفاق بشأن التفصيلات ٠ وقد تساءل السادات قائلا : ولماذا فى جنيف فى وسعك الانتهاء من كل شىء هنا » ٠

وعاد « كيسنجر » فى اليوم التالى الى أسوان قادما من القدس وفى ١٤ من يناير وافق السادات على المفهوم العام لدى « ديان » وقال : « لنتقدم على نحو سريع ، أريد منك أن تبقى فى المنطقة الى أن يتم التوقيع على الاتفاق منك ولن أعترض على التفاصيل » ٠ وكان « كيسنجر » قد حدد بالفعل فى كل من واشنطن والقدس مدى الانسحاب الاسرائيلى ، والمشكلة الآن تتمثل فى الحد من حجم القوات ٠ وقال السادات « انه لمن الصعب على نفسى أن أوقع على وثيقة من شأنها الحد من القوات المرابطة فى أراض مصرية » ٠

واقترح « كيسنجر » بعد ظهر ذلك اليوم الاحتفاظ ببنود اتفاق فك الاشتباك فى وثيقتين ــ الاولى تتضمن الاتفاق الرسمى الذى تقوم كل من مصر واسرائيل بتوقيعه والثانية تتضمن رسالة منفصلة تقوم الولايات المتحدة بارسالها الى كل

من الاطراف توضح فيها مفهومها بشأن الحد من حجم القوات ولن يتضمن الاتفاق الرسمى سوى الاشارة الى الحد من القوات على حين تحديد الرسالة الامريكية مدى وحجم ذلك الحد • ومن ثم يكون فى وسع السادات أن يزعم أن اسرائيل لم تفرض على مصر قيودا بالنسبة لحجم القوات ، وقد وافق على ذلك أمام « كيسنجر » الذى أشار أمام اتباع السادات ، الى أن تلك الفكرة كانت أساسا فكرة السادات • •

وبحلول المساء ، كان الفريق الامريكى قد وضع مسودتى الوثيقتين • وقام المصريون بادخال بعض التعديلات عليهما ، ثم توجه « كيسنجر » بعد ذلك الى اسرائيل ، حيث أجرى مفاوضات كان معظمها مع كل من «أبا ايبان» ، « وديان » وادينتزى و «اليعازر » وذلك نظرا لمرض (مائير) فى ذلك الحين • ووصف (كيسنجر) للاسرائيليين دوافع الرئيس السادات كما اتضحت من خلال الحوار الذى دار بينهما وجها لوجه • لقد طلب منى أن أبلغه بجديد « عن الامور التى قد تقبلها اسرائيل وتلك التى لا تقبلها اسرائيل ، أما فيما يتعلق بمصر فقد وعد أن يصارحنى بأمانة بما توافق عليه وما لا توافق عليه وان السادات يدرك مزايا وعيوب المفاوضات السريعة • ذلك أن السرعة من شأنها أن تحول دون تدخل الروس والعرب المترددين فضلا عن أنها تحول دون نشوب حرب جديدة • ولكن مع السرعة قد لا يكون فى وسع المرء التوصل الى أفضل اتفاق بالنسبة لكل مسألة وذلك نظرا لعدم التمكن من التوقف للمساومة على كل التفاصيل •

ونظرا لحساسية السادات الفائقة تجاه الحد من القوات فقد طلب من « كيسنجر » التمويه على الاطار الذى وضعه « ديان » والخاص بالمناطق الخمس • بالرغم من أنه وافق على أن ينص الاتفاق على خمس مناطق محددة على أن يتم ادراج ثلاث منها فقط على الخريطة • وقد أقر « ديان » ذلك أمام « كيسنجر » ووافق على تحديد ثلاث مناطق فقط على الخريطة وأبلغ الاسرائيليون « كيسنجر » بأنهم سيقومون بوضع خريطة جديدة يحملها معه الى أسوان • وقام الاسرائيليون بادخال تغييرات على الوثيقتين فى صورتهما الاولية وقد حاول « كيسنجر » التوفيق بين ما يركزون عليه وبين شرعية الامور • ومن ثم أخذ يستكمل أحد البنود ويلغى بعضها الآخر ونظر الى الفقرة الاولى وقال : « يمكن تقسيمها الى جزئين — أما فيما يتعلق بالفقرات الثلاث التالية فليس هنا ما يشوبها وبالنسبة للفقرة الخامسة فلا يمكن أن تظل على هذا النحو » •

وفى اليوم الرابع لمهمة « المكوك » ، تم تأكيد الاتفاق فى صورته النهائية • ولكن كان هناك خلاف بين « كيسنجر » و « ديان » بشأن موعد الاعلان عنه • ذلك أن « ديان » كان يود عرض الامر على الكنيسيت أولا • ولكن « كيسنجر » كان « يخشى تسرب أى نبأ عن الاتفاق وكان يأمل فى أن يكشف النقاب عن النصر الذى حققه من خلال اذاعته كنبأ يفاجىء به الولايات المتحدة فى مساء اليوم نفسه فى نشرة الاخبار المسائية •

وكانت بعض الجوانب الفنية التى يتعين التفاوض بشأنها ما تزال موجودة • وقد أبلغ الفريق الجمسى « كيسنجر » أثناء وجوده فى أسوان بتمسك مصر بالاحتفاظ ببعض المدفعية المصرية فى الضفة الشرقية • « ذلك أن المدفع الرشاش عيار ١٢٢ ملليمتر يعد أساسا لوحداتنا » • وقد عاد « كيسنجر » حاملا بعد ذلك ذلك الطلب الى القدس •

وقال « ديان » في وسعي أن أقترح شيئا بناء ؟ اننا نوافق على وجود تلك المدافع ـ لكننا سنحدد لها مدى ٠

ورد « كيسنجر » قائلا : حسنا ، ولنحدد ذلك المدى بما لا يزيد عن ١٢ كم ٠ وهذا ما حدث بالفعل ٠

وقام الرئس الامريكي « نيكسون » باعلان ذلك الاتفاق رسميا من البيت الابيض الامريكي في يوم ١٧ من يناير عام ١٩٧٤ ، وقام بالتوقيع عليه كل من الفريق عبد الغني الجمسى والجنرال « دافيد اليعاز » فى اليوم التالى عند الكيلو ١٠١ ـ أى فى أقل من أسبوع من رحيل « كيسنجر » عن أسوان ـ وقد تضمن الاتفاق كافة الاساسيات التى وضعها « ديان » ـ وليس ثمة شك فى أن « ديان » يعد الاب السرى بذلك الاتفاق ٠ وكان يتعين على الاسرائيليين وفقا لنصوص الاتفاق أن ينسحبوا لمسافة ١٥ ميل من القناة تحت حماية قوات الامم المتحدة ، تاركين للمصريين شريطا رقيقا من الاراضى الممتدة على الضفة الشرقية ٠ حيث يقومون هم بخفض قواتهم المسلحة المرابطة هناك من ٦٠ ألف جندى الى ٧ آلاف فقط ٠ على أن ألا يكون هناك على أى من الجانبين والمسافة تمتد الى ٣٠ كم أية قواعد صواريخ ٠ ولم يتعهد السادات حينئذاك بوقف الاعمال العدوانية ، لكنه لم يحصل أيضا على جدول زمنى لمزيد من عمليات الانسحاب الاسرائيلية غير أنه تعهد سرا للولايات المتحدة بالسماح للشحنات الاسرائيلية غير الحربية بالمرور فى قناة السويس بمجرد أن يتم تطهيرها ٠ وقد أذيع الاتفاق علانية ، أما تلك الرسالة الامريكية التى تحدد مدى الحد من القوة ، فقد كانت سرية على الرغم من أن الاسرائيليين عملوا على تسربها فى الحال ٠

أضف الى ذلك أن « كيسنجر » قدم للاسرائيليين مذكرة ايضاحية ثنائية تنقل الولايات المتحدة من خلالها تعهد مصر بتطهير القناة واعادة بناء مدنها واستئناف الحياة العادية فى تلك المنطقة ٠ وقد وافقت الولايات المتحدة فى تلك المذكرة أيضا على حث مجلس الامن على ألا يتم سحب قوات الامن الدولية من المنطقة العازلة (فى حالة ما اذا أثير مثل هذا الموضوع) الا بعد موافقة كلا الجانبين ٠ وقد وافقت كل من مصر واسرائيل على قيام أمريكا بعمليات استطلاع جوية فى منطقة الفصل بين القوات ٠ وأوضحت المذكرة أن الولايات المتحدة سوف لا تدخر جهدا فى أن تستجيب تماما له لكل متطلبات اسرائيل العسكرية على المدى البعيد ٠

ويمكن أن يقال ان « كيسنجر » مارس أقل الضغوط الممكنة على كلا الجانبين ، نظرا لان كلا منهما كان فى مسيس الحاجة لابرام مثل هذا الاتفاق ، لقد كان على اسرائيل اما أن تسرح جنودها أو تتعرض لافلاس ٠ أما بالنسبة للسادات فكان عليه انقاذ الجيش الثالث واثبات أن الحرب قد مكنته من استرداد بعض أراضيه ٠

ولم يشعر مساعدو السادات بالرضا تجاه ذلك الاتفاق ـ اذ شعر اسماعيل فهمي بأن « كيسنجر » كان فى وسعه تقديم مزيد من التراضى ، فى حين رأى الفريق الجمسى أن الاتفاق غير سليم من الناحية العسكرية اذ أنه يضع قدرا كبيرا من العقبات أمام استئناف الحرب فى حالة ما اذا باءت المساعى الدبلوماسية بالفشل فى المستقبل ، فضلا عن أنه يترك معظم سيناء فى يد الاسرائيليين ٠ وقد شعر بعض القواد الآخرين بالقلق نظرا لعدم التشاور مع الاتحاد السوفيتى فيما يتعلق بذلك الاتفاق ٠ انهم جميعا جنود على درجة عالية من الكفاءة ، لكنهم أذعنوا

على الفــور مثلهم مثل ما أذعنه اســماعيل فهمي بمجرد أن أعلن الرئيس عن عزمه على ابرام الاتفاق • وقد أعرب محمد حســنين هيــكل وقد كان في أســوان في المرحلة الأخيرة من المفاوضات عن احتجاجه مشيرا الى أن الاتفاق سوف يؤدى الى تجميد الوضع لصالح اسرائيل • وقد رفض هيكل في ذلك الوقت الاذعان ، ومن ثم فقد مساندة السادات له ، ترتب عليه الاطاحة به من منصــبه كرئيس لتحرير جريدة الأهرام •

لقــد كان الســـادات يعامل مســاعديه على نفس النحــو الذى كان يعامل به « كيسنجر » « جوزيف سيسكو » ـ أى بوصفهم فنيين فحسب لا يعهد اليهم بشيء سوى التفصيلات ـ وقد شعر اسماعيل فهمي باستياء كبير من جراء استبعاده من محادثات السادات و « كيسنجر » ، لكن « كيسنجر » كان يفضل الاجتمــاعات المغلقة بالرئيس المصرى حتى يتمكن من اقناعه بوجهات نظره ، وكان «كيسنجر» يخشى من أن يقوم اسماعيل فهمي والجمسى بمناورات لتحقيق ماهو أكثر مما يريده هو ، مما يؤدى الى مد أجل المفاوضات ، وبالنســبة لاسرائيل ، فان الاتفاق كان يتطلب موافقة مجلس الوزراء ، أما فيما يتعلق بمصر فقد اتفق السادات بمفرده مع (كيسنجر) على جميع الجوانب •

وبينما كان « كيسنجر » يستأذن لمغادرة أسوان في ظل أشجار المانجو المتناثرة في حديقة استراحة الرئيس ، قبله الرئيس السادات قائلا (أنت لست صديقي فحسب ، بل أخا لى) • ومامن شك في أن ذلك حرك مشاعر وزير الخارجية الأمريكى وجعله يشعر بالســعادة • وعن الاسرائيليين قال « كيســنجر » « ان السبب وراء كونهم لم يحظوا بمعاملة أفضل هو أن « ايبان » لا يقبلنى •

الفصل الثامن

وداعا ... « ميس » اسرائيل

لقد أكد النجاح السريع الذى حققه اتفاق فك الاشتباك المصرى الاسرائيلى اعتقاد « كيسنجر » بأن دبلوماسية الخطوة ـ خطوة هى أفضل سبيل بل هى السبيل الوحيد ـ لاحتواء النزاع العربى ـ الاسرائيلى • ذلك أن المصريين والاسرائيليين بدأوا يفهمون ديناميكية ذلك الأسلوب وقد تجنب « كيسنجر » ، فى دبلوماسيته، جوهر الموضوع ـ ألا وهو القضية الفلسطينية ـ وتناول الأمور السطحية فحسب، اذ أنه يرى أن وضع الترتيبات الخاصة بمثل تلك الأمور السطحية هى الشىء الوحيد الممكن تحقيقه • ففى تناوله لتلك الامور السطحية حث « كيسنجر » الاطراف المتحاربة على تقديم النقاط التى يمكن الرجوع اليها • ويتمثل ما فعله فى تحديد الخصوم ثم الجمع بينهم بمهارة فائقة • وكثيرا ما ردد « كيسنجر » أن أعظم ما أنجزه هو قيامه على نحو مقنع بتوضيح مدى معاناة كل طرف للطرف الآخر •

وقد بدأت بقية جوانب دبلوماسية « كيسنجر » تتضح • فقد توقع العرب ، من ناحية ، أن يضغط « كيسنجر » من أجل التوصل الى تسوية نهائية تشمل الفلسطينيين بطريقة ما وترغم الاسرائيليين على العودة الى حدودهم القديمة بسرعة متعمدة • وكان الاسرائيليون من جانب آخر يتوقعون أن يركز دبلوماسيته ولو لبعض الوقت ـ على اعادة تعديل خطوط وقف اطلاق النار ، حتى يخفف من حدة الضغوط الدولية التى تواجهها اسرائيل ، على أن يعمل فى الوقت نفسه على دعم وتقوية اسرائيل من خلال تزويدها بالسلاح دون توقف • بيد أن « كيسنجر » لم يتعهد للعرب بالعودة الى حدود ١٩٦٧ ، على الرغم من أنه جعلهم يعتقدون أنه سيبذل قصارى جهده من أجل تحقيق تلك الغاية • كما لم يتعهد للاسرائيليين بأنهم سيحتفظون بأجزاء جوهرية من الاراضى التى احتلوها ، على الرغم من أنه اضطر الى ابلاغهم بأنه ليست هناك حاجة تدعوهم الى التفكير فى اقامة حدود نهائية طوال الفترة القادمة هل كان « كيسنجر » يتطلع الى تجميد الموقف ؟ على العكس من ذلك • لقد أقنع الاسرائيليين ، كما رأينا ، بأن عقد اتفاق محدود لفك الارتباط العسكرى سوف يحد لفترة ما من رغبة العرب الملحة فى استرداد أراضيهم كما سيخلق مناخا يتميز بقوة الدفع والتقدم ، ويتيح لاسرائيل الفرصة لارجاء البت فى بعض الامور الهامة الى أجل غير مسمى •

ان الغموض هو أحد الوسائل التى يستخدمها « كيسنجر » ، ذلك أنه تحت ستار ذلك الغموض يمكن للطرفين أن يزعما تحقيق الانتصارات فضلا عن أن الغموض كان بمثابة الحماية لكيسنجر فى الجبهة الداخلية ، لانه يعلم حق

العلم أنه اذا شعر يهود أمريكا ولو للحظة بأن « كيسنجر » يعرض مصالح اسرائيل الحيوية للخطر ، فلن يكون فى وسعه أن يسير قدما فى أى سياسة عربيـــة على الاطلاق · أما فيما يتعلق باستراتيجية المستقبل العريضة التى تكمن وراء ذلك الغموض ، ووراء وضع الترتيبات الخاصة بالأمور السطحية فقد بدأ « كيسنجر » وكأنه لايعرف عنها شيئا · صحيح أنه حدد فى جنيف عناصر السلام النهائى ـ وهى الانسحاب ، اعادة رسم الحدود ، والترتيبات الخاصة بالأمن ، والضمانات وايجاد تسوية للقدس والفلسطينيين ـ غير أن كل تلك التطلعات لاتعدو أن تكون آمالا مبهمة وغامضة مأخوذة عن قرار الأمم المتحدة رقم ٢٤٢ وعن البيانات التى أصدرتها أمريكا بشأن سياستها فى أوقات سابقة ومن ثم فقد بدأ « كيسنجر » وكأنه ليس لديه أى فكرة ملموسة وواقعية بشأن كيفية تنفيذ تلك العناصر ·

ان « كيسنجر » شأنه شأن « شـبنغلر » ، أحـد المتشائمين المشـهورين فى التاريخ ، كان يشك من الناحية الفلسفية فى امكانيـة حل أية مشـكلة عويصة ويبدو أنه أدرك أن السعى من أجل التوصل الى حلول سريعة لمشـكلات الشرق الأوسط الرئيسية انما هو أمر يدعو الى اليأس ، هو شئ بعيد المنال ، وحتى يخفى تلك الحقيقة سعى من أجل تحقيق انتصارات ثانوية عاجلة من شأنها الاقلال من حدة الأزمة وهذا ما حققته الحرب بالنسبة للعرب · غير أن أسلوب الغموض الذى اعتمد عليه « كيسنجر » والذى يتمثل فى تسوية المسائل الثانوية ، وارجاء حل المسائل الهامة الى أجل غير مسمى ـ انما يعد أساسا فى صالح اسرائيل · ومع ذلك لم يتمكن « كيســنجر » فى مناقشــــاته مع الاسرائيليين من أن يقنعهم بأن سياسته خدمت مصالحهم ·

وكانت هناك بعض المشكلات الأخرى · لكن نظرا لسرعة تنقل « كيسنجر » بين العرب والاسرائيليين من أجل التوصل الى حلول تلقى قبـولا لدى الطرفين ، وبتوريط نفسه فى أكثر الأمور تعقيدا وهو وقف اطلاق النـيران واتفاقيات فك الاشتباك جعل « كيسنجر » من نفسه انسانا لا يمكن الاستغناء عنه من أجل اقرار السلام فى المستقبل · ولكن فى حالة ما اذا كان قد كرس تلك الطاقة للعمل ، من أجل استكمال تحقيق الاهداف الاعم والاشمل فى مؤتمر سلام عام يعقد على وجه السرعة لكانت مهمة الدفاع عن أسلوبه أكثر ســـهولة ويسرا · لكنه وقع بمحض ارادته فى منجم ممتلئ بتفصيلات من المحـال التملص منها وقد يحتج « كيسنجر » قائلا أن أحدا من الدبلوماسيين لا يمكنـه معالجة تلك الامور ، كما أن أحدا من النواب يتمتع بقدر هائل من القوة وله مكانة مرموقة ليس فى وسعه التوصل الى حل حتى بالنسبة لتلك القضايا التى تتضمن الكثير من التفصيلات، غير أن « كيسنجر » أصبح بعد أن تعهد بالتدخل فى الامر منذ البداية ، وتعهـد بايجاد الحلول حتى للمسائل التافهة ، أصبح سجينا للأسلوب الذى وضعه وسار على نهجه ·

ان فك الاشتباك فى سيناء قد ساعد فى القضاء على مؤتمر جنيف · لقد كان السادات يكره فكرة التفاوض مع اسرائيل بمفرده · ولم يكن على استعداد للمخاطرة بالعودة الى جنيف الا بعد أن تسترد سوريا مثلها مثل مصر بعض أراضيها ضمن اتفاق لفك الاشتباك · بالاضافة الى أن اسرائيل ـ نظرا لتمزقها نتيجة للازمة الوزارية ـ لم تكن على استعداد من الناحية النفســـية للتفاوض

بشـــأن أمور جوهرية . وقد توجه « كيسنجر » خلال عودته الى الولايات المتحدة عائدا من أسوان بعد اجتماعه بالرئيس السادات ، إلى دمشق مـرة أخرى حيث وجد الرئيس حافظ الاسد يتميز غيظا من موافقة الرئيس المصرى على فك الاشتباك ، لكنه أصبح الآن أكثر استعدادا لبحث أمكانية فك الاشتباك على جبهته . وقد خفض الاســد من مطالبه ، ذلك أنه لم يعـد يطالب بشيء سوى استرداد نصف مرتفعات الجولان الامر الذى أتاح لكيسنجر فرصــة العودة مرة ثانية . ومن ثم قام بنقل تلك الرغبــة الى الاسرائيليين الذين رفضوا التفاوض الى أن يقدم الاسد قائمة بأسماء الاسرى الاسرائيليين . وعاد « كيسنجر » الى دمشق فى فبراير عام ١٩٧٤ ، ثم يسلم جولدا مائير « بعد ذلك قائمة تضم أسماء ٦٥ أسيرا ، وقد تلقت « مائير » تلك القائمة بالفرح الذى أدى بها الى الاجهاش بالبكاء . وقد أوفدت كل من سوريا واسرائيل مبعوثا يمثلها الى واشنطن للتفاوض ولكن « كيسنجر » أدرك بأن موقف كل من الطرفين مايزال بعيدا عن الآخر بدرجة كبيرة .

وكان « كيسنجر » فى ذلك الوقت يســعى من أجـل ايجاد حـــل لرفع حظر البترول . وكان السادات قــد وعـده أثنـاء مســاوماته الخاصــة باتفـاق فـك الاشتباك فى سيناء بأن يعمل على أقناع أمراء البترول على أنهاء الحظر ، الا أن مساعيه لم تكن كافية .وقد انتهج كيسنجر و « نيكسون » خلال شــهرى ديسمبر ويناير سياسة «التشكيك» مع المملكة العربية السعودية محذرين إياها من أن ذلك الحظر المفروض على البترول من شأنه أضعاف موقف الرئيس الذى يعد نفسه للمعركة الانتخابية ، وعدم تمكينه من السير قدما بمساعيه الرامية الى اقرار السلام . وقد دعم ذلك التحذير تلك الايماءات التى تشير الى أمكانية التدخل العسكرى الامريكى فى منطقة الخليج . ولكن عندما لم تؤت أى من تلك الآلاعيب ثمارها هــدد « كيسنجر » بنشر رسائل كان قد تم تبــادلها فى وقت ســابق مع الســعوديين قــد تؤدى الى احــراجهم أمام الدول العربية الاخرى . وكان سفير الولايات المتحدة فى السعودية « مستر جيمس اكنز » قد تنــازع بالفعــل مع دكتور « هنرى كيســنجر » فى نوفمبر ، وهــدد بالاستقالة فى حالة ما اذا استبعده « كيسنجر » من حضور محادثاته مع الملك فيصل ، وقد وافق « كيسنجر » ومن ثم رفض « مستر آكنز » فى ذلك الوقت نقل رسالة «كيسنجر » الى الملك لكنه نقلها الى السيد عمــر السقاف وزير الدولة . وقد حذر السقاف من ابلاغ الملك حسين بتلك الرسالة ، وقال : ان المملكة العربية السعودية فى وسعها أيضـــا نشر مراسلات من شــأنها احراج الولايات المتحدة . وقد أعاد « كيسنجر » النظر فى هــذا الشأن وأدخل تعديلات على الرســائل التى نقلها « مستر آكنز » للملك فيصل بعـد أن أصبحت تتسم بمزيد من اللباقة .

بيد أن « كيسنجر » واصل ضغوطه .. وعلى الرغم من أن العرب كانوا قد أشاروا الى أنهم لن يرفعوا الحظر على البترول الا عندما تنسحب اسرائيل انسحابا كاملا من الاراضى المحتلة ، فقد شعروا بالانزعاج فى شهر فبراير من جراء افتقار أوربا الى البترول وما صاحب ذلك من شكوك أخذت تتعرض لها تلك القارة . وقد حثت سوريا حينئذ على الاستمرار فى الحظر ، بيـد

أن أمراء البترول أوفدوا السيدين عمر السقاف واسماعيل فهمي الى واشنطن للمساومة ولكن يطالبوا من « نيكسون » و « كيسنجر » اتخاذ أى اجراء بالنسبة للجبهة السورية ، وعندئذ سوف يتم رفع الحظر عن البترول • وقد تعهد « كيسنجر » بالقيام بمحاولة • وقد تم بالفعل فى شهر مارس رفع الحظر • بيد أن « كيسنجر » نفى وجود علاقة بين رفع الحظر وبين قيامه بمهمة دبلوماسية عاجلة الى سوريا ، والذى لاشك من أنه كانت هناك علاقة وثيقة ذلك أن قيامه بتلك المهمة الدبلوماسية المتنقلة الى سوريا كانت بمثابة الثمن الذى دفع مقابل رفع الحظر — وهو من الناحية الجوهرية لا يعد ثمنا باهظا (ذلك أن « كيسنجر » كان سيقوم على أى حال بتلك المهمة كى يدعم موقف الرئيس السادات ولوضع نهاية لحرب الاستنزاف القائمة فى مرتفعات الجولان وقد كافأت الولايات المتحدة السعودية بأن قدمت لها تعهدات تصنيع المملكة وبيعها كميات هائلة من الدبابات الحديثة ، والقطع البحرية والطائرات المقاتلة •

وفى اليوم الاخير من شهر أبريل ، توجه « كيسنجر » مرة أخرى الى منطقة الشرق الاوسط لاستئناف المفاوضات من جديد • وفى بداية رحلته توجه الى الاسكندرية للاجتماع بالرئيس السادات ، الذى أصبح فى ذلك الوقت بمثابة مستشار « كيسنجر » للشئون العربية ، وقد كان « كيسنجر » يتطلع الى معرفة الكيفية التى يمكن أن يتعامل بها مع الرئيس حافظ الاسد ، ومن ثم أجرى السادات مع « كيسنجر » دراسات أولية حول شخصية الرئيس السورى • وقد توصلا الى أن الاسد يتسم بالعناد والدهاء ، وهو لا يتعجل فى اتخاذ القرارات ، ذلك أنه لا يقدم أى تنازلات الا بعد أن يقنع القاعدة القوية التى يرتكز عليها — وهى المؤسسة العسكرية السورية وحزب البعث السورى — بأن التوصل الى حل وسط مع اسرائيل من شأنه أن يخدم مصالح سوريا • وبعد أن غادر « كيسنجر » الاسكندرية تبادل الرسائل دون انقطاع مع الرئيس السادات ، الذى كان يقدم له النصح بشأن طريقة التعامل مع الاسد• ومن ناحية أخرى حث الرئيس السادات الاسد على قبول ما يراه « دكتور هنرى كيسنجر » ممكن التحقيق • وعندما بدا فى نهاية شهر مايو ان المفاوضات ستبوء بالفشل أوفد السادات الفريق الجمسى الى دمشق ليوجه النصيحة للسوريين نيابة عنه وليوضح لهم الكيفية التى يمارس بها قوات الطوارىء الدولية مهامها فى سيناء كنموذج يطبق فى المنطقة العازلة فى سوريا •

وفى القدس ، وفى يوم ٢ من مايو ، ولم يكن الموقف الاسرائيلى قد طرأ عليه أى تغير — لانهم كانوا مستعدين فقط الى تقسيم ذلك النتوء الذى كانوا قد استولوا عليه فى أكتوبر على أن يحتفظوا بنصفه لانفسهم بالاضافة الى منطقة الجولان كلها • وقد زاد الامر سوءا تلك الاضطرابات التى واجهت سياسة اسرائيل الداخلية — وكان من المقرر أن تبقى « مائير » فى منصبها الى أن يتم التفاوض بشأن فك الاشتباك فحسب على أن يأتى رابين خلفا لها ليشغل منصب رئيس الوزراء • ولم يكن كيسنجر يتمتع خلال مفاوضاته فى اسرائيل بتلك السرية التى كان يتمتع بها فى مصر ، اذ كان يشعر فى بعض

الاحيان كأنه يتفاوض مع البلد بأسره • بالنسـبة للفريق المرافق لكيسنجر (سيسكو وأترتون) فمع أنه لم يطرأ عليهـا أى تغيير ، فانه لم يتفاوض مع المفاوضين الاسرائيليين السابقين فحسب ، بل أصبح يتفاوض أيضـا مع « رابين » و « شيمون بيريز » وزير الدفاع و الجنرال « موردخاى جوز » رئيس الاركان الجديد • وقد استهل « جور » الحديث ببيان عسكرى موجز يؤكد مدى حاجة اسرائيل الاستراتيجية الى الاحتفاظ بمواقعها على جبل الشيخ الذى يتاخم مرتفعات الجولان من الشمال ويطل على دمشق والتلال الواقعة بالقرب من القنيطرة التى تحيط بالاجزاء المتبقية من مرتفعات الجولان •

كيسنجر : لا يمكن التصدى لتلك المشكلة من الوجهة العسكرية فحسب ذلك أنها تعد مشكلة جغرافية ، ومن ثم يتعين عليكم تقدير البدائل التى ستواجهونها فى حالة ما اذا فشلنا فى التوصل الى اتفاق لفك الاشتباك •

جور : لكن المستعمرات الاسرائيلية تقع معظمها فى مواجهة خطر ما قبل الحرب •

كيسنجر : تلك ليست لها وزنهـا بالنسبة للرأى العـام العـالمى • لان تلك المستعمرات مقامة على أراضى محتلة •

وفى الدوائر الخاصـة ، وصف « كيسنجر » مسـتعمرات فى الجولان بأنهـا اسوأ غلطة أرتكبها اليهود طوال ٢٥٠٠ عام • وقد دافع « ايجال آلون »

المرشح لشغل منصب وزير الخارجية الاسرائيلية عن حاجة اسرائيل الى الاحتفاظ بمرتفعات الجولان ككل لاسباب تتعلق بأمن منطقة الجليل ووادى حوك •

كيسنجر : هناك فى حقيقة الامر قضيتان • أولاهما : هى موقع الخط وثانيهما : كيفية الفصل بين القوات ونوع المناطق العـازلة ، والقيود التى تعرض على تلك القوات ؟ •• وأود أن ألفت الانتباه الى أن الحد الادنى للمطالب السورية هو استرداد القنيطره ••

مسز مائير : أن أيا من جيراننا ليس على استعداد للتفاوض بشأن أقـرار سلام حقيقى •• ان كل ما تود سوريا التفاوض بشأن بعد نشوب حربين خلال ست سنوات هو فك الاشتباك بين القوات •• ومن ثم فليس فى وسعنا أن نغفل الحجج العسكرية التى دفع بها رئيس الاركان • أضف الى ذلك أن نظم الحكم متغيرة فى العـالم العربى ، فلنفرض أن شـيئا ما ألم بالسـادات وتسلم سـلطة البلاد شخص آخر مناهض لاسرائيل الى حـد أكبر وموال للسوفييت ماذا سيكون مصير تلك الاتفاقيات ؟

كيسنجر : حقا ان كل ما نفعله يمكن أن يذهب هباء فى حالة الاطاحة بالحكومة ، ولكن حتى فى هذه الحالة فان الكثير سوف يعتمد على مدى حكمة اسرائيل فى المفاوضات ، كما أن مدى مساعدة الولايات المتحدة لكم ستعتمد أيضاً على طبيعة الازمة وكيفية حدوثها •

تلك واحدة من الحجج الرئيسية التى استخدمها « كيسنجر » بصـورة دائمة مع الاسرائيليين ــ وتتمثل فى أن التـزامات أمريكا تجـاه أسرائيل

وتعهداتها في المستقبل سوف تعتمد على مدى استعداد اسرائيل لان تتغاضى عن المكاسب العسكرية الضئيلة والمخاطرة من أجل تحقيق أهداف سياسية ، لكنه لم يتمكن خلال ذلك الحديث من مجرد جعلهم يرسمون خطا أكثر قربا من القنيطرة ، عاصمة الجولان القديمة الواقعة بالقرب من خط أطلاق النار لعام ١٩٦٧ • ومن ثم غادر « كيسنجر » تل أبيب في اليوم التالي لا يصطحب معه سوى جدول أعمال يضم النقاط التالية :

١ ـ تبادل الاسرى •

٢ ـ الحد من القوات •

٣ ـ المنطقة العازلة التابعة للامم المتحدة •

وكان يتوقع أن يجرى مفاوضات تستغرق أسبوعا كاملا وليس أسبوعين •

ولم يكن السادات مستشار « كيسنجر » الوحيد فيما يتعلق بكيفية التعامل مع الاسد ، نظرا لشعور « كيسنجر » بالضيق لفشله مع الاسد في ديسمبر الماضي ، واقتناعه بأنه ليس على علم بسيكولوجية الرئيس السورى قام « كيسنجر » بدراسة لها قيمتها فى ذلك الشأن استعدادا للقيام بمغامرته الجديدة • وقد استفاد « كيسنجر » بصفة خاصة من النصيحة التى قدمها اليه المتخصصون في الشئون العربية فيما يتعلق بسيكولوجية المساومة السورية • وقد تمكنت من خلال الاحاديث التى دارت بينى وبينه العديد من المسئولين الامريكيين أن أدرك جوهر النصيحة التى تلقاها « كيسنجر » • وترتكز تلك النصيحة فى معظمها على رغبة العرب فى التفرقة ما بين المساومة على شيء ليست له أهمية وبين التفاوض من أجل تصحيح أوضاع خاطئة أما بالنسبة للجزء الاول فقد سيطرت عليه العقلية حتى القضية ، وفيما يختص بالجزء الثانى فقد سيطرت عليه عقلية البدو •

ان السوريين شأنهم شأن الفلسطينيين من أبناء المشرق الذين تربطهم علاقات قرابة ومصاهرة • وتقع سوريا منذ بدء التاريخ فى مفترق طرق تجارية وفكرية وملتقى شعوب وجيوش ـ مفترق طرق أدت الى وقوع منازعات بين المناطق الصحراوية والمدن ، وبين سكان المدن والبدو • ونتيجة لتلك المصادفات ، برزت العقلية الشرقية الى الوجود • فترى السورى الحديث قد ورث الكرامة والكرم وحب الثأر والولع باللغة والشعر من البدو بيد أن المواطن السورى يعتبر اجتماعيا وثقافيا وسياسيا ـ تاجرا ، رجل سوق يؤمن أساسا بأسلوب تفكير التاجر فى حل القضية الذى ينطوى على قدر من حسن الادراك والتصالح والرغبة فى المساومة بقدر رغبته فى الكسب •

ان المساومة فى حل القضية ـ من أجل سجادة أو أناء قهوة ـ ليست بمثابة لعبة من شأنها خفض قيمة الثمن الذى يطلبه التاجر الى النصف ، ثم المساومة مرة ثانية على سعر وسط • ربما يحدث ذلك بين تاجر شرقى ومشتر أجنبى ، ولكن بالنسبة لاهل المشرق أنفسهم سواء البائع أو المشترى فكلاهما على علم تام بقيمة السجادة أو آناء القهوة ومن ثم فالغرض من وراء تلك العملية لم يكن المساومة على سعر السلعة الاساسى ولكن على حجم المكسب الذى يقره ويرتضيه المشترى ، ويتعين أن يكون هناك ، أولا ، عمليات لسبر

الفور لمعرفة ما اذا كان كلا الطرفان على علم بالقيمة التقريبية للسلعة ومدى حجم المكسب ٠ ومن ثم فبمجرد أن يتضح أن الطرفين على علم بحقائق الامور تبدأ عملية المساومة الحقيقية ٠

وفيما يتعلق بذلك النزاع ، فانه يتعين على كل من الطرفين معرفة حقيقة ما يريده كل منهما ، ولا الثمن الذى سيستعد كل منهما لدفعه ، يضاف الى ذلك أنه يتعين على كل منهما أن يدرك أن الطرف الآخر على علم بما يعلمه هو نفسه ٠ بيد أنه خلال عمليات المساومة يجب أن تنمو أيضا روابط شخصية بين البائع والمشترى ـ تتمثل في تبادل الثقة فيما بينهم ما من شأنه تنمية مشاعر الصداقة ٠ (وكما لاحظنا ، فان دكتور « كيسنجر » فى معاملاته السابقة مع العرب دلل على معرفة بتلك المبادىء : فهو من الساميين أولا وقبل كل شىء) ٠

ولكن المساومة من أجل سجادة أو أثناء قهوة أمر يختلف تماما عن محاولة أصلاح أوضاع خاطئة وغير عادلة ٠ وإذا قمنا بفحص أى مواطن سورى وتحليله فسوف نجد أن ثمة حربا دائمة بين عقلية حى القصبة وعقلية البدو وكلاهما يعتقد فى داخله أن المسائل المتعلقة بما هو صواب وما هو خطأ لايمكن المساومة بشأنها ـ فعلى أحسن الاحتمالات يمكن للمرء أن يقدر حجم الخطأ ويسعى من أجل التعويض المادى والمعنوى المناسب على سبيل المثال فان الاسرة التى يلقى أحد أبنائها مصرعه على يد أسرة أخرى لن تتنازل ولن توافق على الاجتماع بالعائلة المعتدية ٠ ومن ثم يتم استدعاء وسيط ، تماما كما يحدث فى حى القصبة ، كى يسعى من أجل اعادة الثقة بين الطرفين ، وقبل أن يتم نقل المطالب يتم اقتراح التعويض الملائم ولا يوجه الطرف الذى لحق به الضرر الطرف الآخر الا بعد أن يتوصل الوسيط الى حلول بشأن جوانب المسألة كافة ، حلول من شأنها انقاذ بماء الوجه ، وعندئذ يجتمعان ويسعيان من أجل التوفيق فيما بينهما ٠

وقد كان « كيسنجر » هو الوسيط بين سوريا واسرائيل ٠ وقد تنبأ مستشاروه فى الشئون العربية بأنه سيجد الرئيس السورى حافظ الاسد عبارة عن مركب ما بين أسلوب البدو وحى القصبة ـ كما سيجده ثائرا نتيجة لاخطاء اسرائيل الحقيقية وتلك التى من صنع خياله ، وعلى استعداد يتسم بالحذر للمساومة بشأن انسحاب القوات وأقامة مناطق منزوعة السلاح وتعويض الفلسطينيين عما فقدوه ٠

وقد بدأ « كيسنجر » والاسد عمليات المساومة فى ٣ من مايو بقصر الرئاسة السورى حيث كانا يجلسان بجوار حائط معلق عليها صورة لصلاح الدين قاهر الصليبيين ، أما بالنسبة للارض كانت مغطاة سجاد عجمى ٠ وقد بدأ الطرفان حديثهما وكانا يحتسيان القهوة ٠ وقد تظاهر « كيسنجر » بالانهماك فى أمور لا علاقة لها بالموضوع ، ذلك أنه كان على علم بأن من بروتوكول الادب العربى أن لا يتعجل المرء الامور ٠

ومن ثم أخذا يتنقلان من موضوع الى آخر الى أن وصف « كيسنجر » فى نهاية الامر الوضع الداخلى فى اسرائيل بأنه وضع غير مستقر ، ثم تساءل

عن « أندريه جروميكو » وزير خارجية الاتحاد السوفيتي الذى كان من المتوقع وصوله الى دمشق بين وقت وآخر • وقال « كيسنجر » فى وسعى أن أتصور ما سوف يحدث لدى وصول « جروميكو » سوف يكون وزير خارجيتكم فى استقباله بالمطار حيث سيصحبه بعد ذلك الى مأدبة غداء تقام تكريما له ، ثم يقومان فى أعقابها باصدار بيان يستنكرون فيه حلول الولايات المتحدة الجزئية • ثم سوف تحصل سوريا بعد ذلك على عدد آخر من طائرات ميج ٢٣ •

لقد كان الاسد يستمع الى ذلك فى غبطة ، وقد حدث أن وقع نظر « كيسنجر على عبد الحليم خدام وزير الخارجية السورى الشاب فقال مخاطبا أياه « الا تعود معى الى اسرائيل ؟ » أننى أود أن أصلح بينك وبين جولدا • (وفى مناسبة أخرى ، أخرج « كيسنجر » من جيبه مفكرة ونظر الى خدام قائلا « هذه المفكرة تضم أرقام تليفونات الخطوط الساخنة فى واشنطن ، ستكون لك بمجرد توقيع الاتفاق) • وقد سأل « كيسنجر » الرئيس الاسد فى ذلك الوقت عما اذا كان على استعداد لتبادل الاسرى المصابين مع اسرائيل قبل الانتهاء من المفاوضات – اذ أن ذلك من شأن تيسير تلك المهمة • وقد انتاب الاسد شعور بالغضب ورد على « كيسنجر » قائلا « أن شعبى سوف يفسر مثل هذا الاجراء على أنه تنازل سابق لاوانه ثم عرض عليه « كيسنجر » بعد ذلك الخريطة الاسرائيلية التى تضم الخط المقترح والذى يقسم النتوء • بيد أن الاسد رد ثائرا الا يبدو أن اسرائيل ترغب حقا فى أقرار السلام ذلك أن الخط غير مقبول من جانبنا ، لانه يبرهن على أن اسرائيل دولة توسعية » •

وعاد « كيسنجر » بعد ذلك الى القدس وحث الاسرائيليين على أن يكونوا واقعيين • وقد واصل السوريون طوال عدة أسابيع حرب الاستنزاف عبر الخطوط التى تفصل بينهم وبين اسرائيل • ومن ثم أصبح قرار وقف اطلاق النار ، وكذلك أصبحت دبلوماسية « كيسنجر » ذاتها فى خطر •

كيسنجر : ثمة ضرورة تحتم أعادة القنيطرة ، بالاضافة الى التخلى عن جزء صغير من المناطق التى تقع غرب خط ما قبل حرب أكتوبر • أننا فى حاجة الى تحديد خط يتم التفاوض بشأنه ، والا فسوف تنهار المفاوضات فى القريب العاجل وتبوء مساعينا بالفشل ، ويتعين على اسرائيل أن تفهم مدى قدرة السوريين على الفهم • « أنكم تقيمون على أراضيكم وتجادلون حول أقل جزء يمكن التخلى عنه •

مسز مائير : بغضب – ان الامر لم يكن مجرد أننا استيقظنا ذات يوم من أيام عام ١٩٦٧ على صوت القصف الذى انهال علينا من مرتفعات الجولان ، ومن ثم قررنا أن ننتزعها منهم •

لقد فقدنا فى أكتوبر ٨٠٠ قتيل بينما أصيب نحو من ألفين فى الجولان فحسب فى حربهم الذين بدأوها وهم الآن يزعمون أننا نحن الاسرائيليون نتسم بالعنف والوحشية • انهم يقولون أن تلك هى أراضيهم •

لقد راح ٨٠٠ من الشباب ضحية للهجوم الذى بدأه السوريون • لقد خسر الاسد الحرب – والآن هل يتعين علينا نحن الاسرائيليون دفع ثمن ذلك لانه يقول أن هذه هى أرضه •

كيسنجر : ان لكل من الطرفين تفسيره الخاص للعدل · ولنتذكر جميعا ما ترمي اليه من كل ذلك ·· أننا نرمى الى الابقـــاء على سير المفاوضات ، والحيلولة دون حدوث جولة أخـرى للاعتداءات الامر الذى من شـــأنه أن يخدم المصالح السوفيتيةويزيد الضغوط التى تواجهونها وتلك التى نواجهها ، وتلك التى يتعرض لها السادات بهدف أرغامه على الانضمام الى المعركة مرة أخرى · أننى أعتقد آن الاسد جاد فى السعي من أجل التوصل الى تسوية ·

ديــان : أعتقد آن الخطوة التالية (أى تلك التى ستأتى بعد اتفاق فك الاشتباك) يجب أن تكون الخطوة قبل الاخيرة اذ أن الخطوة التالية يجب أن تتمثل فى أنهاء حالة الحرب آما الخطوة الاخيرة فهى أقرار سلام حقيقى · ومن يدرى قد يكون فى وسعنا تقسيم القنيطرة ·

كيسنجر : لن يتحقق ذلك ·

ديــان : متى يتسنى لنا أن نحمي ونداقع عن مواقعنا فى الحقول وعلى التلال الواقعة عرب القنيطرة ، يجب أن نحتفظ ببعض المواقع فى القنيطرة ·

مسز مائير : سوف يعقد مجلس الوزراء اجتماعا غدا ــ ومن ثم يجب أن نطالب بتحويلنا اقتراح خط جديد آننا سنواجه صراعا عنيفا داخل مجلس الوزراء وفى الكنيست ومن جانب المواطنين الاسرائيليين الذين يعيشون فى الجولان وقد تجمهر عدد من شبان مرتفعات الجولان خارج الفندق الذى ينزل فيه « هنرى كيسنجر » وكانوا يصيحون « عد الى بلادك أيها الفتى اليهودى » ــ من الواضــح آنهم يشيرون بذلك الى العبـــارة التى استخدمها الرئيس « نيكسون » فى وصفه لدكتـــور « كيسنجر » · وقد بدأ مجلس الوزراء الاسرائيلى يلين ويغير من موقفه ، حيث اقترحت « مسز مائير » خطا جديدا · وقد وافقت الحكومة الاسرائيلية على التخلى عن النتوء وعن جزء من مدينـــة القنيطرة واقترحت تقسيم تلك المدينة الى ثلاث مناطق على أن تكون أحداهما خاضعة لاسرائيل والثانية للامم المتحدة والثالثة لسوريا · بيد أن الاســـد رفض ذلك الاقتراح ، ومن ثم قال ساخرا (آه أعطنى قلمى ·· سوف أوقع على ذلك على الفور) وقـد واصـل « كيســنجر » مهمته المتنقلة طوال الاســابيع الثلاثة التالية باذلا قصارى جهده لتسوية الخلافات التى بين الطرفين ·

وفى دمشق فى يوم ٨ من مايو ، تم استئناف المفاوضات وتقمص «كيسنجر» شخصيتين أســتاذ « جامعة هارفارد » مرة أخرى واستضــاف الرئيس السورى فى حفلة دراسية تناول فيها « كيسنجر » السياسة الدولية بالبحث وكان موضوع تلك الحلقة مؤتمر القمة الذى سينعقد فى موسكو ويضم كلا من الرئيس « نيكسون » و « ليونيد بريجنيف » · وقد أستهل «كيسنجر» كلامه قائلا « سوف تبرم اتفاقيات فى مجالات ثلاثة ، أولا : المجال التجارى ، ثانيا : مجال التعاون الاقتصادى وثالثا : الحـد من الاسلحة ، ثم انتقلت المناقشة الى الحد من الصواريخ الموجهة ، وقد اقترح الاسد آنه يتعين على الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى توزيع أسلحتهم على دول منطقة الشرق الاوسط على نحو عادل ومنصف ــ وسنقوم نحن بدورنا بتخزينها لكم » · وقد آثار ذلك ضحك « كيسنجر » ، ثم تساءل بعد ذلك عن الحـــوار الذى دار بين

الحكومات العربية ودول السوق الاوربية المشتركة • وقال ضاحكا « ان أى أوربى يوافق على الاجتماع مع أى زعيم عربى داخل حجـــرة واحدة ليتسم بالجنون » •

وقد تنـاولا فى حديثهما موضـــوع مؤتمر الامن الاوربى ، وانتخابات الرئاسه الوشيكة فى فرنسا ، وقد اتفقا على أن « جيسكار ديسـتان » سـوف يفوز على منافسه « متيران » • وبدأ الاسد وكأنه مبهور ذلك أنه لم يكن هناك فى سـوريا العديد من أساتذة « جامعة هارفارد » من كان فى وسعه التشاور معهم دون تكلف ومن جانب آخر فقد جعل الاسد « كيسنجر » يشعر بسعادة اذ كان واضحا أن يسعى من أجل تحسين معلوماته فيما يتعلق بالشئون الدولية ــ ومن ثم كان يوجه أسئلة جادة تتسم بالذكاء • وقد أمعنت التفكير مرارا فى مقدمة كتابى ، فى ظاهرة تلك الحلقات الدراسية التى أدارها « كيسنجر » من أجل الرئيس الاسد • وربما يكون مرجع ذلك الى أننى من المتحمسين لحلقات « هارفارد » الدراسية ، وذلك على الرغم من أننى لم أتخرج من تلك الجامعــة ، ولم أسـمع قط عن دكتور « هنرى كيسنجر » قبل أن يبدأ مهام منصبه فى البيت الابيض الامريكى • ولـكن نظرا لاننى من المواطنين المقيمين فى « هارفارد » وقد كنت مشدوها بمـا يطلق عليــه « الخيال الاكاديمى » ــ وهو مرض يلم ببعض (وليس كل) أساتذة السياسة والحكم والدبلوماسيين • ويتوق هؤلاء الاساتذة الى أن يروا نظرياتهم وما تنطوى عليه من خيال وهى تطبق على مسرح الحياة • لكن لا يمكن تطبيق معظم تلك النظريات فى الواقع • بيد أن « كيسنجر » حقق بالفعل خياله الاكاديمى ، كما حقق نظرياته على نحو متطرف يفوق ما كان يتخيله منذ حقبة ماضية • وكان « كيسنجر » يعتقد أنه يتبوء مكانة مرموقة بين زملائه ، حيث قد اســتطاع أن يقفز بنجاح من الحيـاة الاكاديمية الى تولى زمام السلطة • وكان زملاؤه السابقون فى المجال الاكاديمى ولا سيما فى جامعة (هارفارد) يعارضونه نظرا لانهم كانوا يحتقرون سياسـاته • ويبدو لى أنهم لن يغفروا له قطا أنه قبل الانضمام الى صفوف السلطة • وقد ارتكب « البروفيسور وكيسنجر » أخطاء عديدة فى تطبيق نظرياته ، غير أنه كان يشعر بالرضا على الاقل من أن المؤرخين (وهو واحدا منهم) سوف يملأون صفحات من كتبهم بأعماله التاريخية ، وفضلا عن ذلك فقد واصل « كيسنجر » عقد الندوات ــ لرؤساء الدول •

وقد ازداد سخط « كيسنجر » على الاسرائيليين فى اليوم الثانى عشر من مايو ، اذ قال ساخطا « لم يعد الاسد يطالب باسترداد نصف الجولان » ــ اننـا نتفاوض بشأن خطكم وأنتم تجادلون بشأن عدة كيلو مترات أو بضع مئـات من الياردات هنا وهناك • أنكم تنظرون دائما وأبدا الى الاشجار لكنكم لا ترون الغابات • وأود أن ألفت انتباهكم الى حقيقة وهى أننا اذا لم نستمر فى تلك المفاوضات ، فسوف تجرى مناقشة على الصعيد الدولى بشأن حدود ١٩٦٧ • وقد أدخل الاسرائيليون تعديلات طفيفة على خريطتهم ولكن ليس بالقدر الكافى الذى من شأنه ارضاء الاسد ــ ذلك أنه يتعين أن تكون هناك مسافة لالتقاط الانفـاس حول القنيطرة • وقد أصرت اسرائيل على ضرورة الاحتفاظ بالتلال الواقعة خارج القنيطرة • وقد أثار ذلك الامر غضب الاسـد • وحذر « كيســنجر » الاسرائيليين فى ١٣ من مايو من احتمال فشل وانهيار المفاوضات •

وفي اليوم التالى حاول « كيسنجر » أن يضع أمام الاسد وعدد من مساعديه البارزين وهم اللواء مصطفى طلاس وزير الدفاع ، واللواء حكمت الشهابى مدير المخابرات واللواء ناجي الجميل رئيس السلاح الجوى ــ المقترحات الاسرائيلية فى أحسن صورة · وقال الاسد « هناك عدد من المتظاهرين يجوبون الشوارع ، ويصيحون قائلين « لا تتخلوا عن بوصة واحدة من مرتفعات الجولان » · أنظروا · لقد قدم الاسرائيليون تنازلات لها أهميتها ــ لن يتخلوا عن النتوء والعودة الى حدود ما قبل حرب أكتوبر ، والآن فانهم يعتزمون الانسحاب من القنيطرة بأكملها على أن يضعوا الخط عند نهاية تلك المدينة · وقال القواد السوريون فى ذلك الشأن « سوف يكون هناك مدنيون سوريون داخل القنيطرة · فأجاب الاسد محتجا « لا » « ان القنيطرة فى حالة كونها جيبا يحيط به الاسرائيليون من الشمال والجنوب والغرب أنه لأمر غير مقبول » ·

وفي ١٥ من مايو ، شن رجال العصابات الفلسطينيون هجوما على قرية معالوت الواقعة بالقرب من الحدود اللبنانية ، وأسفر ذلك الهجوم عن قتل ١٩ شابا اسرائيليا ، مما جعل مجلس الوزراء الاسرائيلي أكثر تشددا · وفى اليوم التالى لذلك الهجوم أعرب « كيسنجر » عن أسفه لفريق المفاوضين الاسرائيليين وروى فى ذلك الحين ــ ربما لتهدئة حدة التوتر ــ رواية بشأن الشخص الذى يقوم بتدليكه فى فندق الملك داود ·

المدلك : اننا نؤيد جهودك · ذلك أنه يتعين علينا اقرار السلام ·

كيسنجر : ما هى التضحيات التى أنت على استعداد لتقديمها من أجل السلام ؟

المدلك : لا شيء على الاطلاق · لن نتنازل عن بوصة واحدة ·

كيسنجر : ينبغى لى اذن أن أوقف المفاوضات ؟

المدلك : بالطبع لا · ذلك أننى على استعداد لان أضحى بعشرة أعوام من عمرى فى مقابل اقرار السلام ·

كيسنجر : كم كيلو مترا أنت على استعداد للتخلى عنها ؟

المدلك : ولا كيلو واحد ·

وبعد ذلك الحوار الذى رواه كيسنجر بمثابة ترديد لوجهة نظر الحكومة الاسرائيلية · وقد اقترح « كيسنجر » وهو يعانى من يأس شديد ، أنه ربما يكون فى وسع اسرائيل أن تستمر فى زراعة الحقول المحيطة بمدينة القنيطرة ــ طالما أنها منزوعة السلاح وتدخل ضمن نطاق المنطقة الخاضعة لاشراف الامم المتحدة ·

وقد التقط كل من « آلون » و « رابين » و « جور » ذلك الاقتراح ووعدوا بمناقشته داخل مجلس الوزراء · وأدت فكرة « كيسنجر » الجديدة الى انعاش المفاوضات ذلك أنها أضحت بمثابة أساس التنازلات الاسرائيلية الخطيرة ·· وقد استمرت المساومات دون توقف طوال أسبوعين آخرين · ولم يعد الاسد يحتمل بعد كل ذلك أن يسمع ما يتردد عن وجود قواعد اسرائيلية على جبل الشيخ » · وقال « كيسنجر » ساخرا أثناء وجوده فى دمشق سأصطحب عبد الحليم خدام الى اسرائيل معى « ذلك أنه فى وسعه اقناع مائير » · لقد كانت مهمة وضع مسودة للوثائق الخاصة بتلك المفاوضات أمرا مؤلما · ذلك أن « كيسنجر » بالنسبة

للسوريين لم يخف فشله ولكنه كان بالنسبة للاسرائيليين عنيفا ومتشددا • وفي اجتماع عقده « كيسنجر » مع الاسرائيليين في يوم ٢٣ من مايو أجرى تلك المقابلة بينه وبين الاسد والسادات حيث قال « يتمتع السادات بعزم واصرار راسخ على التغلب على جميع العقبات والسير قدما نحو السلام • ومن ثم فهو يخطو خطوات واسعة ويقضي على الازمات • أما بالنسبة للاسد فان أى مسألة نعرضها للبحث والدراسة تصبح قضية رئيسية ، ومن ثم يتعين على المرء المساومة بشدة فيما يتعلق بكل نقطة • الامر الذى يتطلب فترة طويلة ان السادات يجعل من المطالب قرارات ، أما الاسد فلا يستطيع التصرف بمفرده حيث يتعين عليه الرجوع الى أطراف أخرى لاقناعها ومن الواضح أنه عندما كان « كيسنجر » يصف الاسد كان يصف حتما الاسرائيليين أنفسهم •

وعلى هذا النحو استمرت عمليات المساومة ــ جنبا الى جنب مع حرب الاستنزاف وقد أبلغني الرئيس السوري حافظ الاسد في دمشق في الآونة الاخيرة أن الاسرائيليين كانوا يستخدمون الطائرة التى كانت تقل « كيسنجر » أثناء مغادرته تل أبيب متجها نحو البحر كساتر يخفون طائراتهم الحربية تحت ظل جناحيها وعند نقطة معينة تفترق الطائرات بعيدا عنها ــ ثم يقومون بضرب الاهداف داخل أراضينا » • واستمرت عمليات المساومة لتحديد الخط ، وكيفية زراعة الحقول واقامة قرية هنا ومفترق طريق هناك ، ومدى اتساع المنطقة العازلة والحد من القوات والمدفعية (على أن تتم صياغة رسالة أمريكية أخرى تحدد تلك النقطة) ، وفترة صلاحية قوات الطوارىء الدولية ، وتبادل الاسرى والمصابين وغير المصابين ، وعدد قوات البوليس السورى المسموح بوجودهما ــ في مدينة القنيطرة • وكان السوريون يتطلعون الى وجود مراقبين فقط في المنطقة العازلة • بيد أن الاسرائيليين أصروا على وجود قوات مسلحة • وقد تم التوصل الى حل وسط بالنسبة لتلك المسألة بالموافقة على كل من المطلبين • وقد أوشكت المحادثات أن تبوء بالفشل مرتين على الاقل ــ وظل « كيسنجر » يهدد بالعودة الى بلاده ، ولكن الرئيس « نيكسون » ــ الذى كان فى حاجة الى ابرام اتفاق لفك الاشتباك مثله في ذلك مثل جميع الاطراف الاخرى ــ طلب من « كيسنجر » البقاء ، وبدأ يطالب « جولدا مائير » بمد يد المساعدة •

وقد أدرك الاسرائيليون من البداية أنهم سيرغمون عن التخلى عن القنيطرة ، بيد أنهم كانوا يسعون من أجل عقد أفضل صفقة ممكنة بالنسبة لهم ــ بمعنى أن يساوموا على كل حبة رمل وعلى كل ورقة عشب • وكانوا يعلمون في بعض الاحيان تفاصيل الامور التى أبلغها الاسد لكيسنجر حتى قبل أن يعود وزير الخارجية الامريكى اليهم حاملا تفاصيل تلك الامور ذلك أن المخابرات الاسرائيلية لديها وسائل فوق العادة تمكنها من معرفة محتويات الرسائل التى يبعث بها الاسد للحكومات العربية الاخرى •

أما الاسد فانه يعتمد على وسائل خداع خاصة به تعد أقل تقدما من تلك التى يستخدمها الاسرائيليون • وبوصفه مقامرا جريئا يعمل دائما وأبدا على خداع الطرف الآخر كي يحسن مجموع المبالغ التى يراهن عليها ، سحب موافقته السابقة على الخط الاسرائيلى • وفي ٢٧ من مايو وضع الاسد و «كيسنجر» بيانا يعلنان فيه فشل المفاوضات • وقد صافح الاسد « كيسنجر » وهو في طريقه الى الخارج وقال

له « يا له من أمر مؤسف ٠ لقد فشلنا » ٠ أليس فى وسعنا عمل أى شىء بالنسبة للخطأ ؟ عد الى القدس وحاول مرة أخرى ٠

وبعد يومين من ذلك التاريخ ، تم التوصل الى اتفاق ٠ جاء على نمط اتفاق فك الاشتباك المصرى ــ الاسرائيلى ــ نفسه أى أنه تضمن خمس نقاط من بينها منطقة عازلة تابعة للامم المتحدة ، ومنطقتان ممتدتان مسافة ١٠ كم فى العمق يتم فيهما الحد من القوات الاسرائيلية والسورية والمدفعية والدبابات ٠ ومنطقتان متماثلتان تمتدان لمسافة ٢٠ كم فى العمق يحظر فيهما استخدام الصواريخ (وكان هذا الحظر فى صالح اسرائيل على غرار ما تم فى سيناء) ذلك أن الخط الاسرائيلى الجديد لايتفق مع خطوط وقف اطلاق النار لعام ١٩٦٧ ، باستثناء استرداد سوريا للقنيطرة حيث تم ادخالها ضمن المنطقة العازلة ٠ ولكن أصبح فى وسع الاسرائيليين أن يستمروا فى زراعة الحقول فيما وراء حدود المدينة وداخل المنطقة العازلة ، فضلا عن احتفاظهم بالمستعمرات وبالتلال الاستراتيجية ٠ ولم ترغم اسرائيل على التخلى عن مواقعها كلها على جبل الشيخ ، ولكن تعين أن تظل تلك المواقع مفتوحة ــ مثلها فى ذلك مثل بقية المناطق ــ كى تخضع لمراقبة الامم المتحدة ٠ وقد رفض الاسد أن يقر كتابة تحريم قيام الفلسطينيين بعمليات حربية من الاراضى السورية ، ومن ثم أجازت الرسالة التى بعثت بها أمريكا الى اسرائيل ــ فى حالة تعرضها لهجوم من ذلك النوع ــ القيام بعمليات انتقامية ٠

وسط مشاعر الفرحة على أثر ما تم انجازه ــ وثناء المصادر الدبلوماسية والاشادة بما بذل من جهد وما تم التوصل اليه من نتائج ــ تناسى الجميع ذلك العذاب الاليم الذى أحاط بتلك التجربةالقاسية ٠ حيث أمضى دكتور هنرى كيسنجر ما يقرب من خمسة أسابيع بعيداً عن واشنطن ، يناضل ليلا ونهارا ، لادارة وزارة الخارجية الامريكية برمتها من الطائرة التى كانت تقله من مكان الى آخر أو من فندق الملك داود ٠ وفى ١٤ من مايو قال له الرئيس الاسد « لقد تبين لى من خلال المفاوضات ، أنه حتى فى حالة ما اذا تم بالفعل التوصل الى اتفاق ، فان المستقبل سوف يكون عسيرا وشاقا ٠ واننى لاشعر بالقلق نحو الزعامة الجديدة فى اسرائيل ٠ وتعين على هؤلاء الزعماء الجدد الذين سيتحملون المسئولية أن يتسموا بالمرونة » ٠ ومع نهاية عمليات المساومة ، فقد الاسد حاسة الذوق ، بمعنى أنه لم يعد يستسيغ دبلوماسية الخطوة ــ خطوة مما يبشر بعواقب محزنة ومخيبة للآمال بالنسبة لهنرى كيسنجر ٠

وقد وصف كيسنجر سرا ، بعد الانتهاء من المفاوضات ، السوريين والاسرائيليين بأنهم « الشعبان الوحيدان فى المنطقة اللذان يستحق كل منهما أن يكون ندا للآخر ــ ولكن احقاقا للحق أنه لم يكن نفس المشاعر لحافظ الاسد وجولدا مائير ٠ وقد أعرب عن اعجابه بالسادات وعن احترامه للملك فيصل ، بيد أنه بات مولعا بالاسد ٠٠ وقد يفسر أنصار مذهبه « فرويد » ذلك بأنه بمثابة نزوع مألوف لدى « كيسنجر » ــ للاقتراب بحرص من خصومه ٠ ولعل هذا جزءا من ذلك الاسلوب ٠ ولكن الاسد أيضا خلف لب « كيسنجر » باعتباره تجسيدا للرومانسية العربية التى دأب على لعنتها ، وباعتباره أحيانا رجلا بسيطا للغاية وان كان يتمتع بارادة من حديد وفى وسعه مناقشته فى مجاله الخاص بالدعاية والخداع ، وكرجل مستبد يؤمن بمبادىء أساسية بالنسبة للامور الجوهرية ويعنى بقوله حقا ويقول ما يعنيه

بالرغم من كل ما يتصف به من دهاء يستمده من انتمائه للعلويين • ومضى « كيسنجر » يقول « أننى معجب بالسادات بوصفى دبلوماسيا ، ولكن كمؤرخ فاننى أفضل الاسد » • انه فى حقيقة الامر يعتبر الاسد أكثر صراحة من السادات • وقال أنه ثمة بطلا عربيا ينطبق تماما على الاسد وهو « قف على قدميك ثم أطلب » •

أما فيما يتعلق بجولدا مائير ، فقد علق الاسد بقوله « ان من النقاط الضعف التى اكتشفتها فى دكتور «هنرى كيسنجر» هى حبه الخاص لتلك المرأة لقد شعرت بدهشة كبرى عندما وجدت أن هذا لاستاذ الجامعى ووزير الخارجية الامريكى لم يكن فى وسعه اخفاء مثل تلك العواطف الجياشة • ولمعلوماتك الخاصة فان كيسنجر اعتاد أن يصف « مائير » بأنها « ميس اسرائيل » و « ملكة جمال القدس » • وكان يصفها أمام الآخرين بأنها « امرأة لا نظير لها » • ان نوبات الغضب التى تنتاب « مسز مائير » وعنادها تدفع « كيسنجر » الى نوع من الجنونه ـ ولكن ليس ثمة شك فى أنه يكن فى داخله عاطفة عميقة • وتتسم « مائير » بكونها امرأة قوية العزيمة ذلك فضلا عن أنها الوحيدة فى اسرائيل التى اذا وعدت بشىء ، فان بوسعها أن تفرض نظاما ما بالقوة أو أن تضع مسألة ما موضع التنفيذ ومن ثم تعمل على انقاذ مجلس الوزراء من أى مشكلة قد يواجهها • بيد أن فاعليتها بدأت تتضاءل ، ولكن مما لا شك فيه أن « كيسنجر » سوف يحن الى رؤية ميس اسرائيل •

وقد أقامت « مائير » فى آخر مرة تظهر فيها بوصفها رئيسة للوزراء حفل استقبال لهنرى كيسنجر • وقد قبلها « كيسنجر » ، وضحك « رابين » والآخرون بصوت مرتفع بيد أن جولدا أشارت بأصبعها قائلة « لم أكن على علم بأنك تقبل النساء » •

الباب التاسع

وعود وقدر مشئوم

لقد خرج الدكتور « كيسنجر » من محادثات فك الارتبـاط فى الجولان وكأنه « سوبرمان » كما صورته مجلة « النيوزويك » على غلافها ، بطائر قادر على صنع المعجزات • غير أن السياسات الدولية ليست بمثابة حيل تستخدم فيها أعمـال السحر والشعوذة • ان عددا كبيرا من العرب ينظرون اليه بوصفه ساحرا ، وكذلك بعض الاسرائيليين • بيـد أن للاسرائيليين مفاهيمهم وأسلوبهم الخاص فى وصف وسائله الدبلوماسية • ويبدو أن احدى أساطيرهم توضح هذا الاسلوب •

« توجه صانع الزيجات (خاطبة) (الدكتور هنرى كيسنجر) الى شخص شديد الفقر فى قريته ليبلغه أن لديه فتاة حسناء ليزوجها لابنه • فأجاب الرجل الفقير : اننى آسف فأنا لا أتدخل قط فى شئون ولدى » •

وقال صانع الزيجات : « ولكنك لا تعرف الفتاة فانها ابنة اللورد روتشيلد » •

« فى تلك الحالة أنا موافق » •

وهرع الرجـل بعد ذلك الى لورد روتشـيلد وقال له « ان لدى زوجـا مثـاليا لابنتك » •

احتج اللورد قائلا « ولكن ابنتى ما تزال صغيرة السن » •

ولكنك لا تعرف الشاب • فهو نائب رئيس البنك الدولى •

اذن أوافق •

وهرع صانع الزيجات الى رئيس البنك الدولى وقال له « ان لدى أفضل شخص مناسب كى يشغل منصب نائبك •

ولكن أنا لدى نائبين •

« ولكنك لا تعرف ذلك الشاب فانه زوج ابنة لورد روتشيلد » •

ومما يدعو للاسف ، ان اتفاق فك الاشتباك على جبهة الجولان كان آخر عمـل بارع قام به « دكتور هنرى كيســنجر » ، ذلك أنه يمثل ذروة ما وصـلت اليـه دبلوماسية الخطوة ـ خطوة التى انتهجها فى الشرق الاوسط • اذ أننا بدأنا بعد ذلك نرى خطى مضطربه ، واحباطا ، واتهامات مضادة ، جمود وعدم استقرار •

وقد عاد « دكتور هنرى كيسنجر » الى الشرق الاوسـط ـ بصـحبة الرئيس « ريتشارد نيكسون » فى منتصف شهر يونية من عام ١٩٧٤ • وكان « نيكسون » يشعر بالغيظ تجاه الانتصار الذى حققه « كيسنجر » ذلك أنه يعتبر اتفاقى فك

الاشتباك على الجولان وفى سيناء نتيجة مباشرة لاشرافه ونفوذه • وكان « نيكسون » يتوق الى مشاركة كيسنجر فى أمجاده وشهرته من أجل ذلك أحيطت رحلته للشرق الاوسط بدعاية ضخمة ، لانه لم يقم بها من أجل تعزيز التزام أمريكا تجاه اقرار السلام ، ولكن يهدف رسم صورة للرئيس الامريكى تؤكد مكانته وهيبته ونضاله من أجل التخلص من أى تقصير قد يوجه اليه • ومع ذلك ، فقد تعهد « نيكسون » أثناء رحلته لرؤساء الدول العربية بالعديد من الوعود الهامة • وقد تضمنت تلك الوعود تفسير أمريكا قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ وفيما يتعلق بالابعاد الاقليمية التى نص عليها قرار رقم ٢٤٢ • على أن « كيسنجر » أتهم فى بعض الاحيان بأنه يقدم وعودا متضاربة للعرب والاسرائيليين بيد أنه من الصعب فى حقيقة الامر اثبات ذلك الازدواج • ذلك أنه كثيرا ما أقر بأن الولايات المتحدة مستعمل من أجل تنفيذ جميع بنود ذلك القـرار الذى يحيط به الغموض • غير أنه كان يراوغ فى ردوده عندما يطلب من أى فرد تحديد ذلك •

وقـد رد « كيسـنجر » فى ١٥ مايو عام ١٩٧٣ على كل من هشـام الناظر والامراء السعوديين قائلا : « مهما حققت التسوية ، فانها سوف تشمل الانسحاب الاسرائيلى من أراضى عربيـة • أننا على يقين من أن أى تسوية يجب أن تتفق مع مصالح الاطراف المعنية • وأقر أيضا بأن من حقكم أن تروا بعض النتائج فى غضون فترة زمنية محددة ، ولكننى أتوجه اليكم برد محدد هو أمر من شأنه أن يجعـل المهمة أكثر صعوبة • ان العرب يطالبوننى دائما بأن أعلن عن مبادىء التسوية ، لكننى أرى أنه من الافضل أن نحرز تقدما فى ذلك الشأن أولا ، والاعلان يأتى فيما بعد •

ومعروف أن « كيسنجر » أبلغ السادات بذلك فى اجتماعه السابق الذى تم فى ٧ من نوفمبر ، كما أكد ذلك أيضا للرئيس حافظ الاسد فى ١٨ من مايو حين كان يجرى المفاوضات الخاصة بفك الاشتباك • « لقد أعلن سلفه علانية تفسيره الخاص للقرار رقم ٢٤٢ ، بيد أن ظل طـوال أربع سنوات يواجه هجوما عنيفـا • ومن الواضح ، أنه بالنسبة لكم ، يتعين عليكم الموافقة على التسوية ، أما بالنسبة لنا فانه اتخاذ موقف محدد بشأن الحدود النهائية هو أمر من شأنه تدمير طاقتنا وقدراتنا على السير قدما فى المفاوضات • ومن ثم يتعين علينـا انتهاج سياسـة الخطوة ـ خطوة •

وقال الاسد « هل سيعترض الشعب الامريكى على الانسحاب الاسرائيلى التام فى حالة ما اذا أرادت الحكومة الامريكية ذلك ؟ » فأجاب كيسنجر قائلا « ان ذلك من شأنه اثارة نزاع لا يمـكن لاحد أو يتصـوره » بمعنى أنه فى حالة ماذا صرحت الولايات المتحدة علانية بأنها تؤدى فكرة العودة الى حدود عام ١٩٦٧ فسوف يثير ذلك عاصفة من الضغوط المحلية غير المحتملة ، ومن ثم تقلل من قدرتها على السيطرة على اسرائيل •

ومن المؤكد أن « كيسنجر » جعل العرب يعتقدون ذلك اذ أنه كان عليه أن يحبذ ضمنيا ، على الاقل ، انسحاب اسرائيل التام أو الجزئى ، وقـد أبلغنى الرئيس السـادات فى يناير عام ١٩٧٤ خلال الزيارة التى قام بها لابوظبى قائلا « لقد تعهد لى « كيسنجر » بالانسحاب التام » ولكن قد يكون ذلك بمثابة آمال راودت السادات لتفسير لغز « كيسنجر » •

وتتسم ردود « كيسنجر » على الاسرائيليين بنفس القدر عن الغموض الذى تتسم به ردوده على العرب . ففى ٢ من مايو عام ١٩٧٤ ، وفى بداية المفاوضات الخاصة بالجولان ، قام كل من رابين وايبان يسير غور « كيسنجر » فيما يتعلق بالحدود النهائية . فأجاب قائلا : « ليس في وسعى التكهن بما ستفسر عن المفاوضات » والمهم هو كيفية سير المفاوضات ذاتها ـ وأن تعمل على استمرار المفاوضات ، والحيلولة دون تجميدها » . بيد أن « كيسنجر » كان أكثر وضوحا فى الاجتماع الذى عقده فى ٦ من ديسمبر عام ١٩٧٣ مع المثقفين اليهود والامريكيين . فقد قال أنه لا يتعين على اسرائيل الانسحاب الى حدود ١٩٦٧ ، وأعرب عن اعتقاده بأنه سيتم الاتفاق بشأن الوضع الامثل للحدود من خلال المفاوضات . ولكن حتى فى هذه المناسبة أكد أن اسرائيل سوف تكون مرغمة على اعادة « جزء كبير من الاراضى » .

لقد كان « نيكسون » قلقا أثناء وجوده فى مصر . ربما لانه كان مشغولا بقرب موعد تقرير مصيره كرئيس لامريكا ، فضلا عن أنه كان يعانى أيضا من الناحية النفسية . لقد كان « نيكسون » فى واقع الامر ، يعانى مرضا خطيرا ، حيث اكتشف أطباؤه وهو فى طريقه الى القاهرة قادما من سالزبورج أنه يعانى من جلطة فى ساقه اليسرى ، وقد حثه الاطباء على الغاء رحلته الى الشرق الاوسط ، اذ قد يؤدى الارهاق الى انتقال الجلطة من ساقه الى رئته أو الى قلبه ومن ثم قد تؤدى بحياته . ولكن التهديد بالموت نفسه لم يثن الرئيس عن الرغبة فى التمتع بالنتائج المرضية المترتبة على آخر انتصار يحققه . وقد تحمل آلاما مبرحة وسط الملايين الذين احتشدوا لاستقباله والترحيب به .

وقد بدأ « نيكسون » سواء وهو أمام الجماهير المحتشدة ـ أو أمام أهرامات الجيزة أو على طول الطريق بين مصر والاسكندرية والذى مر به القطار الذى أقل الرئيسين المصرى والامريكى ـ وكأنه مرح ويشعر بالسعادة وهو فى صحبة السادات ، لكن ذلك كان من الناحية المظهرية فحسب . ذلك أن الرئيسين كانا يبحثان عن الكلمات أثناء وجودهما بمفردهما اذ كانت فترات صمتهما تطول وتثير شعورا بالحرج . وكان « نيكسون » يرفع رأسه من آن لآخر ليقول « يوم جميل ... » وفى الاسكندرية كانت الكآبة تبدو على جميع تصرفات « نيكسون » الى حد أن « كيسنجر » كان غالبا ما يجد نفسه مضطرا الى التدخل كى يضفى بعض الحيوية على المناقشات . أما بالنسبة للسادات ، الذى لا يعد متحدثا بارعا ، فقد كان يشعر بسعادة بالغة لمجرد استضافته لرئيس الولايات المتحدة الامريكية ، وكان يشعر بالرضا التام (مثله فى ذلك مثل غالبية المصريين) الامر الذى دفعه الى التركيز على مدى اتسام موقف « نيكسون » بالعدل والانصاف منذ حرب أكتوبر ، متجاهلا تأييده لاسرائيل طوال السنوات الخمس السابقة . وقد كان كل من « نيكسون » و « كيسنجر » يهدفان ، بالتناوب ، الى دعم سياستهم العربية ، ومن ثم قدما للسادات العديد من الوعود ـ وعودا بتقديم مساعدات اقتصادية . وأخرى بتزويد مصر بقوة نووية تستخدم فى الاغراض السلمية . ذلك فضلا عن أن نيكسون أحضر معه الى القاهرة طائرة هليوكوبتر حربية قدمها هدية للرئيس السادات .

مع ذلك فقد قال « نيكسون » ردا على تساؤلات الرئيس السادات ان هدف أمريكا بالنسبة لسيناء هو العودة الى الحدود المصرية الدولية القديمة . وكان « كيسنجر » موجودا عندما صرح « نيكسون » بذلك . بالاضافة الى أن السادات

قام بسبر غور « نيكسون » فيما يتعلق باستعداد أمريكا للاعتراف بمنظمة التحرير الفلسطينية فقال « نيكسون » ، قد تحاول الولايات المتحدة الامريكية فى وقت ما فى المستقبل أن تجعل منظمة التحرير الفلسطينية طرفا فى المفاوضات وكان رده هذا يتسم بالحذر ، ولكنه دل على أمور كثيرة • (ومن الواضح أن السادات صرح فى ضوء ذلك البيان وبيانات أخرى أدلى بها « كيسنجر » من قبل ـ لمجلة الحوادث اللبنانية أنه حصل على أكثر من وعد من جانب الولايات المتحدة بالاعتراف بمنظمة التحرير الفلسطينية ، ولكن الموقف لا يسمح له بالكشف عنه) •

وبعد ذلك ، وفى دمشق وعمان ، وأيضا فى حضور دكتور « هنرى كيسنجر » ، واستجابة لبعض التساؤلات التى كانت تتردد أبلغ الرئيس « نيكسون » الرئيس الاسد والملك حسين أن الولايات المتحدة تؤيد العودة الى حدود ١٩٦٧ بالنسبة لمرتفعات الجولان والضفة الغربية للاردن على أن يتم ذلك داخل اطار للسلام الشامل •• ومن ثم فقد أصبح واضحا بالنسبة لزعماء الدول الثلاث من خلال ما دار بينهم وبين « نيكسون » من محادثات أن الرئيس الامريكى يتوقع من تلك الحكومات العربية أن تتفق فيما بينهما على اقرار السلام التام والاعتراف باسرائيل مقابل العودة الى الحدود القديمة •

وقد أبلغ الرئيس السورى حافظ الاسد الرئيس « نيكسون » (مثلما أبلغ « كيسنجر » من قبل) أن سوريا لن تتنازل عن أى جزء من المرتفعات لاسرائيل •
~~العربية أن تتفق فيما بينهما على اقرار السلام التام والاعتراف باسرائيل مقابل~~
وقد رد « نيكسون » بقوله أننا نفهمك •• ونحن على علم بالنهاية •• ومضى « نيكسون » ينسج صورة حية فقال « ان الغرض من الدبلوماسية المؤقتة هو دفع اسرائيل الى الخلف بالنسبة لمرتفعات الجولان خطوة ـ خطوة ، أن تصل الى الحافة ، ثم تسقط فى الهاوية » •

وكثيرا ما ردد دكتور « كيسنجر » شفويا للرئيس السادات موقف « نيكسون » من حدود عام ١٩٦٧ الذى أعلنه فى يونية عام ١٩٧٤ • وقد أكد الرئيس «فورد» موقف « نيكسون تجاه الحدود النهائية للرئيس السادات فى يونية عام ١٩٧٥ أثناء الاجتماع الذى ضم كليهما فى ساليزبيرج (*) •

---

* ان مصادرى الخاصة بتلك البيانات السرية التى ادلى بها كل من الرئيس « نيكسون » والرئيس « فورد » فيما يتعلق بحدود عام ١٩٦٧ انما هى مصادر اولية ـ وهى بعض المشتركين فى تلك الاجتماعات ولم يكن جميعهم من العرب • وعندما قمت بنشر جزء من تلك التصريحات فى مجلة « فورن بوليسى » التى صدرت فى ربيع عام ١٩٧٦ ، انكر دكتور « كيسنجر » والرئيس « فورد » على الفور حقيقة ما نشرته • وقد كتب « مستر برنارد جويرتزمان » فى مجلة « نيويورك » تايمز فى ٦ من مارس عام ١٩٧٦ يقول « ان المسئولين فى وزارة الخارجية الامريكية اعلنوا سرا أنهم يعتقدون ان تعليق « مستر شيهان » على الحدود النهائية انما يعتمد من أساسا على تفسير الرئيس السادات لتعليقات الرئيس « نيكسون » و « مستر فورد » وهى تلك التى يحيط بها غموض متعمد والتى تعرف عن تعاطفهما مع رغبة الرئيس المصرى فى استرداد الاراضى المحتلة كافة بالرغم من عدم التزامهما بمساعدته على تحقيق ذلك •

وفى رسالة اخرى نشرتها صحيفة « التايمز » يوم الخميس الموافق ١٨ من مارس عام ١٩٧٦ نقل « مستر جويرتزمان » رد فعل الرئيس « فورد » تجاه ذلك الامر • ففى اجتماع عقد فى البيت الابيض الامريكى فى ١٧ من مارس حضره مجموعة من زعماء اليهود الامريكيين نفى « فورد » (من الواضح انه كان يشير الى مقالتى) انه ابلغ الرئيس السادات أن الولايات المتحدة تؤيد فكرة اعادة جميع الاراضى المصرية التى احتلتها اسرائيل فى حرب ١٩٦٧ •• وقد ابلغنى احد الحاضرين ان « فورد » افتتح الجلسة بالتأكيد على حقيقة انه كان حريصا على أن لا تلزم الولايات المتحدة الامريكية باى شىء يزيد من مجرد تأييد قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ لسنة ١٩٦٧ الذى يتسم بالغموض ، والذى دعا اسرائيل الى الانسحاب من اراضى محتلة على أن تحتفظ بحدود آمنة ومعترف بها • ويعتقد الاسرائيليون =

ومما لا شك فيه أن العـرب كانوا يتطلعون الى الحصـول على تلك التصريحات كتابة ، ولكن كلا من « نيكسون وفورد وكيسنجر كانوا قد رفضوا تقديمها لهم • وعلى أى حال ما الداعى الى تغيير التكتيك ؟ فطالمـا أن الساعـة ظلت تدق بانتظام بعد انتهاء حرب أكتوبر ، وان اسرائيل اتخذت موقفـا راسخا فيما يتعلق بمعظم الاراضى التى احتلتها ، فمن الواضح أن الامريكيين يسعون من أجل دعم وتعزيز ثقة العرب بهم وذلك عن طريق الالتجاء مرة أخرى الى التأكيدات الشفوية •

وينبثق من كل ذلك مظهر آخر من مظاهر غموض « كيسنجر » وازدواجه أيضا • فمن الواضح أن « كيسنجر » أكد لكل طرف من خلال دبلوماسية الخطوة ــ خطوة امكانية استثناء بعض الامور • فقد أكد الاسرائيليون على التلال ، أما فيما يتعلق بالعرب فقد أكد على الوديان • ولكن ماذا عن الازدواج ؟

بالمفهوم الدقيق يكون هناك غموض فى حالة ما اذا كان « نيكسون » و « فورد » و « كيسنجر » قد قدموا وعودا متضاربة للاسرائيليين كأن يتعهدوا لهم بامكانية الاحتفاظ بجزء كبير من الاراضى التى احتلوها فى التسوية النهائية • ولكن ليس هناك أى دليل يبرهن على أنهم قدموا بالفعل تأكيدات فى ذلك الشأن •

وقد وافق « نيكسون » بالفعل فى المؤتمر الصحفى الذى عقده فى يولية عام ١٩٧٠ على اقامة « حدود آمنة لاسرائيل » • وقد عاد وأكد ذلك فى أعقـاب حرب أكتوبر حتى يتمكن من اقناع الاسرائيليين بقبول مقترحات السـلام الامريكية • (وقد تعهد « نيكسون » و « كيسنجر » أيضا ، بعد الحرب ، بأن لا تفسر الولايات المتحدة قرار رقم ٢٤٢ على نحو قد يكون من شأنه تغيير « شخصية دولة اسرائيل »، كما تعهدا بمعارضة عودة عدد ضخم من اللاجئين الفلسطينيين الى اسرائيل فى ظل تسوية سليمة) • ويرى الاسرائيليون من وجهة نظرهم أن الحدود الآمنة « تعنى ضمنا » حدودا واسعة النطاق بيد أن نيكسون لم يفسر قط ماذا تعنى تلك العبارة بالنسبة له أو بالنسبة للحكومة الامريكية • وقد دافع الدبلوماسيون الامريكيون فى مواجهة العرب عن عبارة « حدود آمنة » بوصفها تتفق مع العبارة التى وردت فى قرار رقم ٢٤٢ والتى تدعو الى حدود آمنة ومعترف بها » • وليس ثمة شك فى أن ذلك ينطوى على غموض ، ولكن هل يتم أيضا عن الازدواج •

= ان ذلك يعنى أنه فى وسعهم الاحتفاظ ببعض الاراضى المحتلة ومن ثم قال « فورد » ان الحـدود النهائية يجب ان يتم التفاوض بشانها بين الاطراف المعنية •

وانني لاقر بان البيانات السرية التى صرح بها الرئيس « نيكسون » والرئيس « فورد » فى عامى ١٩٧٤ ، ١٩٧٥ اصبحت غير واضحة فى ضوء الموقف الغامض الذى اتخذه الرئيس فى ١٧ من مارس عام ١٩٧٦ • وقد جاء فى رسـالة من تل أبيب نشرتها « النيويورك تايمز » فى ٨ من مارس عام ١٩٦٧ أن ثلاثة من الوزراء الاسرائيليين وجهوا تساؤلات لرابين رئيس الوزراء بشان مدى صدق تاكيدات « مستر شيهان » •• فقال رابين ان السفير « دينتز » أجرى اتصالا رسميا بوزارة الخارجية بشان ذلك الامر • وقد اكد له « مستر كيسنجر » ان الولايات المتحدة ما زالت عند موقفها وهو أن الحدود النهائية يجب ان يتم تحديدها من خلال التفاوض بين الاطراف المعنية وذلك وفقا لما نصت عليه قرارات مجلس الامن • بيد ان عددا من الاسرائيليين المطلعين قالوا انهم يثقون فيما ذكره « شيهان » •

ولست مندهشا من أن يصرح الاسرائيليـون المطلعون بذلك • لقد ابلغنى احـد كبار المسئولين الاسرائيليون فى نوفمبر عام ١٩٧٥ بانه « سـمع » عن التصريحات السرية التى ادلى بهـا الرئيس « نيكسون » و « فورد » والتى اشرت اليها • ولم يقف تلك التصريحات ، على الرغم من انه قلل من شانها ومن مدى خطورتها • ذلك أنه اعتبرها بمثابة « دردشة مهذبة فى حفل كوكتيل » وقد اثرت ملاحظة فى ذلك الشأن وهى ان العرب لا يقدمون لزائريهم شراب « الكوكتيل » • فرد قائلا « حسنا » فلنقل فى جلسة قدموا فيها القهوة التركية ••

الباب العاشر

ملك القدس

هل تعني التأكيدات الشفوية شيئا له أي أهمية بالنسبة للأردن ، على سبيل المثال ؟ لقد حظيت المملكة الهاشمية والفلسطينيون الذين يعيشون على أراضيها بأهمية خاصة في الصيف الاخير من فترة رئاسة « ريتشارد نيكسون » ـ ولكن مما يدعو الى الدهشة ان « هنرى كيسنجر » لم يلحظ ذلك الامر ٠

ان « كيسنجر » مثله مثل « نيكسون » و « جونسون » من قبله ، أخذ الملك حسين على علاته ٠ وبغض النظر عن ذلك كله فان الاردن كانت شـــبه محميـة أمريكية ٠ ولكنها على العكس من اسرائيـل لا يوجد فيها عدد كبير ممن يناصرون أمريكا ، ومن ثم كان يتعين عليها أن تشـعر الرضا والقناعة بأى فتات قد تقدمها اليها واشنطون ٠ وقد حاول الملك حسين فى عام ١٩٦٧ أن يقنع العرب الآخرين بقبول قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ ، وفى مقـابل ذلك حصل على وعود فارغة من جانب « جونسون » ونيكسون من بعده بأن الولايات المتحدة سوف تقنع اسرائيل بالانسحاب من الاراضى المحتلة ٠

واحقاقا للحق ، فقد وقف «نيكسون» الى حد كبير الى جانب الاردن فى سبتمبر عام ١٩٧٠ ٠ وعندما قام عدد من الدبابات السورية بغزو الجزء الشمالى من المملكة الهاشمية لمساعدة الفدائيين الفلسطينيين الذين كانوا يخوضون حربا ضـد الملك حسين ، فى حين وافقت اسرائيل بناء على طلب « كيسنجر » على صد السوريين ٠

وقد سردا الاخوة « كالب » فى كتابهم الذى تناولوا فيه حياة « كيسنجر » بعض جوانب تلك الازمة :

لقد عقد « نيكسون » العزم على عدم الاطاحة بالملك حسين ، وعدم تغيير ميزان القوى فى منطقة الشرق الاوسط ٠٠ وقد تم ابلاغ القائم بالاعمال السوفيتى « فورد لسنتوف » ان السلام سوف يتعرض لخطر حقيقى ما لم تتراجع الدبابات السورية ٠

وكانت اسرائيل تستعد لشن هجوم عسكرى على القوات السورية المرابطة فى منطقة أربد (الواقعة قرب الحدود السورية) ٠٠ وسوف يحصل حسين على ضمانات تؤكد له انسحاب القوات الاسرائيلية من الاردن فى اللحظة التى تنتهى فيها العملية ٠٠ أما سوريا فلها شأن آخر ٠

وقد أبلغ (السفير) رابين دكتور « هنرى كيسنجر » فى تواضع بأنه فى حالة ما اذا قامت سوريا بارسال تعزيزات جديدة الى الاردن ، واذا ما بدأ الجيش الاردنى فى الانهيار (كما هو متوقع) فسوف تذعن اسرائيل لمطلب الملك حسين الذى يتم أبلاغه عن طريق الامريكيين اذ ستصدر الاوامر للطائرات

التابعة للسلاح الجوى الاسرائيلى بضرب الدبات السورية • ولكن اسرائيل احتفظت بحقها فى أرسال قوات قتالية الى الاردن فى حالة ما اذا كانت هناك ضرورة ملحة لذلك • بالاضافة الى أن اسرائيل لن تقصر عملياتها العسكرية على الاردن • لان كل ما يطلب منها أيضا هو أن تشن هجوما جويا وأرضيا على سوريا كي تحقق « الهدف السياسي » الذى يتمثل فى انقاذ نظام حكم الملك حسين الموالى للدول الغربية •

وقد قامت سوريا بتحريك عدد صغير من الدبابات الاضافية عبر الحدود وبدا الامر حينئذ وكأنها حركة حربية واسعة النطاق وشبكة الحدوث • لان الجيش الاردنى لم يتمكن من طـرد القـوات السـورية من أربد • وكان الفدائيون الفلسطينيون يشنون أعنف وأجرأ هجوم ضد قوات الملك حسين ومن ثم ناشدا الملك حسين واشنطن مرة أخرى تقديم مساعدة عاجلة •

وقد أجتمع كيسنجر و « رابين » مرة أخرى ، أكد فيها السفير الاسرائيلى أن أسرائيل تود الحصـول على وعـد من جانب الرئيس « نيكسون » بأن الولايات المتحدة سوف تحول دون أى تدخل سوفييتى قد يترتب على أى تحرك من جانب اسرائيل فى الاردن أو سوريا •• وقد تعهد « نيكسون » بذلك فى الوقت نفسه ، وكان التفاهم المتبادل بين البلدين تاما وتاريخيا على أن تشن اسرائيل هجوما على القوات السورية الموجودة فى الاردن ، وفى حالة ما اذا تحركت القوات المصرية أو السوفيتية لمواجهة أسرائيل فسوف تتدخل الولايات المتحدة وتتصدى لكل منهما وبالفعل تحركت الدبابات الاسرائيلية بأعـداد ضخمة نحو نهر الاردن • وبدأت مرتفعات الجولان فى الانتعاش أثر عمليات الاعداد للحرب • كما تأهبت الطائرات الاسرائيلية فى جميع القواعد العسكرية ، وتم تحميلها بالصواريخ والقنابل • ورابطت حاملة طائرات أمريكية على بعد ستة أميال بحرية من الشاطىء الاسرائيلى •

وفى يوم الخميس الموافق ٢٢ من سبتمبر عام ١٩٧٠ توقف التوتر على نحو مفاجىء • وشن حسين فى ضوء تأكده من التنسيق الامريكى — الاسرائيلى هجوما شاملا على السوريين ، إذ تحركت دباباته نحو أربد •• وفى الوقت نفسه وجهت طائراته ضربة عنيفة للمدرعات السورية المحيطة بأربد • وقد وصلت «كيسنجر » فى المساء أنباء تفيد بأن الدبابات السورية بدأت تتأرجع وتتجه شمالا نحو الحدود •

ان السبب الرئيسى وراء تقهقر القوات السورية هو رفض الرئيس السورى حافظ الاسد (لخوفه جزئيا من رد الفعل الامريكى والاسرائيلى) أقحام السلاح الجوى السورى فى المعركه التى كانت دائرة فى أربد • وقبل نقطة التحول هذه ، كان الملك حسين نظرا لما يعانيه من يأس — فى ضوء الحقيقة التى تشير الى أن حكمه فى الاردن أصبح معرضا للخطــر — على استعداد لان يشجع التدخل الاسرائيلى • ولم يكن حسين يطوق الى رؤية المدرعات الاسرائيلية أو القـوات البرية الاسرائيلية داخــل الاردن • ذلك خشـية أنه بمجـرد قيــام القوات الاسرائيلية بمحـاصرة الضـفة الشرقيـة للاردن ، فقـد يتمسك الاسرائيليون بوجودهم فيها مثلما حدث فى الضفة الغربية • لقد كان حسين يرب فى توجيه ضربة جوية عاجلة للدبابات السورية الموجودة فى أربد • ولكن عندما قام سلاحه الجوى بانجاز تلك المهمة فى ٢٢ من سبتمبر لم يعد

فى حاجة الى الاسرائيليين • ومن ثم بادر « نيكسون » و « كيسنجر » بابلاغ الاسرائيليين على وجه السرعة بالكف عن القيام بهجومهم الجوى • وبذلك فان انقاذ ملك عربى من طائرات الفانتوم الاسرائيلية يعد أمر لم يحدث من قبل • وقد أخذ « كيسنجر » و « نيكسون » القيام بتلك المخاطرة على عاتقهما ليس بدافع من حبهما للاردن ــ ولكن لان سوريا تعد دولة عميلة للسوفييت ، والاردن دولة عميلة لامريكا ، ومن ثم فان الرئيس الامريكى ومستشاريه كانوا عازمين ، وهم دائما وأبدا كذلك ، على الحيلولة دون تغلب المدافع السوفيتية على المدافع الامريكية • ومن ثم فان كيسنجر قد أغرق الجيش الاردنى بالسلاح والمعدات الحديثة بهدف القضاء على الفدائيين فحسب ، وليس كتحدى لاسرائيل •

ان الاردن تمثل قطعة صغيرة من الارض • وكانت قبل الحرب العالمية الاولى صحراء غير محدودة المعالم ، ذلك أنها كانت جزءا لا يتجزأ من سوريا الكبرى ، يتنقل منها البدو من مكان الى آخر ، ويتم حكمها وادارتها على نمط حكم الباب العالى فى أسطنبول نفسها وقد أدى دخول الهاشميين مكة والجيوش التابعة لهم فى الحرب الى جانب بريطانيا لطرد الاتراك من سوريا الكبرى الى أرغام بريطانيا على الوفاء بالوعود التى تعهدت بها للامراء الهاشميين أثناء القتال • وتعهد البريطانيون بتنصيب الآمير فيصل (ابن شريف مكة) ملكا على دمشق ــ ولكنهم بدافع الخيانة المتوقعة منحوا سوريا للفرنسيين وأخذوا هم فلسطين من نصيبهم • فى حين أخذت انجلترا تماطل فيصل بأن وعدته بالعراق وأعلنته ملكا عليها ومن ثم لم يعد أمامهم سوى الامير عبد الله ، الاخ الاصغر لفيصل ، الذى كان يتوق بشدة الى أن تكون له مملكة خاصة

به • وقد قام « ونستون تشرشل » الذى كان حاكما لاحدى المستعمرات البريطانية فى ذلك الوقت بوضع خريطة لمنطقة الشرق الاوسط ، رسم عليها بعض الزوايا وبعض الخطوط المستقيمة ، وانتهى بوضع الخطوط الرئيسية لامارة شرق الاردن • وبعد مضى سنوات قليلة ، قامت عائلة سعود بطرد العائلة الهاشمية من أرض الحجاز المقدسة (وهى المنطقة التى كانوا يحكمونها منذ القرن الثانى عشر) محتفظين بملكية العراق وفى عام ١٩٥٨ تم قتل أعضاء العائلة الهاشمية فى بغداد أثناء الثورة التى قامت هناك ، ومن ثم لم يبق لديهم سوى عمان باعتبارها المقر الوحيد المتبقى لتلك السلالة الحاكمة التى تدعى أنها سلالة الرسول محمد عليه الصلاة والسلام •

وقد ظلت مملكة شرق الاردن فى ظل حكم الامير عبدالله أى بعد عام ١٩٢١ محمية تابعة لبريطانيا العظمى وكانت تعانى من الفقر المدقع ، وكان جيشها العربى تحت قيادة ضابط بريطانى يعرف باسم سير جون باجوت جلوب (جلوب باشا) • وظلت عمان قرية يمارس فيها البدو من وقت لآخر مهام التجارة ، أو يقومون عن طريق الزواج بالترابط بين القبائل المختلفة كما يسعون من أجل التمتع بعطف ومساعدة الامير عبدالله • وقد غيرت الحرب العربية ــ الاسرائيلية عام ١٩٤٨ تلك الاوضاع كلها ، فعلى الرغم من أن العرب عاشوا فى فلسطين فترة تزيد عن المليون عام ، وعلى الرغم من أن تعدادهم ما يزال يفوق تعداد اليهود وأنهم من الناحية القانونية والشرعية يمتلكون غالبية الاراضى فان ، هؤلاء العرب المقيمين غرب نهر الاردن ــ الذين فروا هاربين خوفا وفزعا أمام الجيوش الصهيونية التى عملت على طردهم من

تلك الاراضي ــ فروا هاربين بالمئات بل بالآلاف من الاجزاء التي تبقت لهم من أرض فلسطين أو عبر نهر الاردن متوجهين الى عمان • ولم تعد شرق الاردن منذ ذلك التاريخ كما كانت عليه من قبل •

وكان الجيش العربى الوحيد الذى قاتل على نحو مشرف وجدير بالاكبار فى حرب ١٩٤٨ هو الجيش الذى كان تحت قيادة « جلوب باشا » وتمكن اليهود من توسيع نطاق ذلك الجزء الذى نص مشروع التقسيم الذى وضعته الأمم المتحدة على منحهم اياه من أرض فلسطين ، وقد بذل الجيش العربى بقيادة « جلوب باشا » قصارى جهده للاحتفاظ بالضفة الغربية من نهر الأردن وبالقدس الشرقية ــ وهى تلك المناطق التى بادر الأمير عبد الله الى ضمها للمملكة الهاشمية فى الأردن •

وتم ايواء غالبية اللاجئين الفلسطينيين فى معسكرات حقيرة أقيمت اما فى الضفة الغربية أو فى أماكن محيطة بعمان ذاتها وفرض الفلسطينيين أنفسهم فى الحال على ادارة الشئون السياسية لتلك المملكة الجديدة ــ ولم يتحقق ذلك بالأساليب السليمة أبدا ــ وتمكنوا من ذلك نظرا لكونهم أكثر تقدما وأكثر ثقافة وتعليما من سكان الاردن الذين يتكون معظمهم من البدو • وقد اعتبر الكثير من الأردنيين الملك عبد الله خائنا ، ذلك أنه لجأ خلال الاجتماعات السرية التى عقدها مع الاسرائيليين الى أسلوب التعايش السلمى بين اسرائيل والاردن الذى من شأنه القضاء على مطالب اللاجئين التى تتمثل فى استرداد بلادهم بجميع أجزائها ومن ثم قام أحد الفلسطينيين باغتيال الملك عبد الله فى عام ١٩٥١ ، فى طريقه لأداء صلاة يوم الجمعة فى المسجد الأقصى فى القدس وكان حسين أكبر أبناء الملك عبد الله الذى يبلغ من العمر ١٥ عاما بصحبة الملك وقد تناثرت بعض قطرات الدماء على ملابس حسين فحاول نفضها فسقطت من جيبه رصاصة دون أن يشعر •

وقد اعتلى طلال العرش ، ولكنه بالنسبة لأنه كان يعانى من اختلال عقلى فقد تم خلعه وارساله الى احدى المصحات العقلية فى اسطنبول • وتولى حسين مهام منصبه كملك للبلاد وهو فى السابعة عشرة من عمره وكان حينئذاك لم يستكمل تعليمه الذى كان قد بدأه فى « هارو اند ساند هيرست » فضلا عن أنه كان قليل الخبرة • وكان حسين خجولا ومحبا للدعابة والمرح وكان مولعا بالنساء وواقعا تحت تأثير مستشاريه • وكان نجم عبد الناصر قد بدأ يسطع • وكانت مملكة حسين ترحب بالفلسطينيين المتذمرين الذين كانوا يستلهمون حماسهم من خطب الرئيس عبد الناصر التى كانت تنطوى على قدر كبير من الخيال وشعاراته التى تنادى بالقومية العربية • وقد أطاح حسين بجلوب باشا من منصب قائد الفيلق العربى وعين مكانه شخصا أردنيا كفء دبر بعد ذلك مؤامرة لخلع الملك •

وقد قابلت حسين أول مرة فى ذلك الحين ، أى فى عام ١٩٥٦ ، قبل حرب السويس بفترة وجيزة وكان يجيد الانجليزية ، بيد أن شعوره بالحياء كان أمرا محرجا بالنسبة له • وكان حسين يجلس فى مقر مجلس الوزراء بقصر «باسمان» ، وكان مرتديا حلة زرقاء ، وقد أعرب لى مرارا عن مدى ترحيبه بقدومى الى الأردن، واننى يجب أن أعتبر قصره بمثابة منزل خاص لى • وقد وجهت اليه بعض التساؤلات السياسية ، وكانت ردوده تنم عن مدى ارتباكه • فقد سألنى قائلا « هل يقوم جلالتكم حقا بالاشراف المباشر على الحكومة ؟ وقد تأمل سؤالى برهة ثم قال « اننا نعمل كل ما فى وسعنا أن نعمله • ثم اصطحبنى بعد ذلك فى نزهة قصيرة فى سيارته الأسبور الجديدة (وأعتقد أنها ماركة فيرارى) • وسرنا عبر

الطرق الصحراوية بسرعة تزيد عن ١٠٠ ميل فى الساعة • وكلما كان يزيد من سرعة السيارة كان يلتفت الى قائلا وهو يضحك « اننا نستمتع بالسير على نحو مسرعة » •

وانتابنى شعور بأن حسين سوف يتم اغتياله فى وقت قريب ، أو أن ــ على أفضل الاحوال ــ سوف تقوم الجماعات المتآمرة المحيطة به ، بالاطاحة به من منصبه كملك على البلاد • وقد كنت مخطئا فى ذلك ، بالرغم من أن القتلة فشلوا فى القيام بتلك المهمة التى حاولوا بالفعل القيام بها بما يقرب من ١٢ مرة ولكن على الرغم من كونه قليل الخبرة فان المؤامرات والمؤامرات المضادة كانت غالبا ماتنبثق من عروق دماء الأسرة الهاشمية وقد حدث فى عام ١٩٥٧ أن كان قائد الجيش العربى على وشك الاطاحة به بالفعل بيد أن حسين أحبط المؤامرة بمساعدة عميل المخابرات المركزية الامريكية الذى كان حسين قد زج به سرا داخل قصر باسمان•

ومنذ ذلك الحين بدأ حسين يتحول على نحو أكبر من بريطانيا متجها الى الولايات المتحدة الامريكية للحصول على المساعدات والاسلحة • ومن ثم بدأ يتطور على نحو تدريجى الى أن أصبح حاكما قويا • غير أنه لم يكن واثقا من نفسه بالقدر الذى يجعله حاكما قاسيا وعنيفا ، وقد ضحى بكل شىء فى سبيل الاحتفاظ بمملكته • وبعد أن أصبح حسين حاكما قويا أصبح أيضا (على نحو تدريجى) سياسيا داهية ، وبارعا فى مجال اجراء تعديلات وزارية ، وفى التلاعب بالوزراء والتحايل على أصحاب الطموح وذلك لشرائهم بالمال ، فضلا عن براعته فى اغراء قبائل البدو المتحاربة من خلال تقديم الهدايا المتمثلة فى القمح أو الساعات الذهبية أو الحاق بعض أفراد القبيلة بالجيش •

وكما تطور الملك ، كذلك تطورت مملكته • فان عمان التى كانت تعد فى وقت ما قرية أصبحت مدينة لها أبعاد أى عاصمة أخرى وقد انبثق الفلسطينيون الكادحون من معسكراتهم وازدهروا بوصفهم تجارا أو رجال بنوك • وقد ألحق حسين العديد من الفلسطينيون بوزارته ومن ثم بدأوا يسيطرون ويحكمون المملكة بالفعل • حقا انهم لشعب متميز فهم على الرغم من ذلك بدأوا يتوقون الى أرض فلسطين أكثر من أى وقت مضى ، وقد جعلوا من التعليم هدفا راسخا وقويا أمامهم وكان الآباء الاميون يحثون أولادهم وبناتهم على التفوق فى التعليم • تماما كما كان اليهود الشتات يفعلون فى الحقب السابقة • والفلسطينيون شأنهم شأن اليهود ، شعب موهوب ، باستثناء بعض العيوب والاخطاء التى تميزهم وتجعلهم يختلفون عن اليهود فى قدرتهم على تحويل الخيال الى حقائق سياسية ــ ان الانتصار الذى حققه الصهاينة فى فلسطين كان من شأنه الكشف عن تلك العيوب • ولكن بالامكانيات والطاقات الفلسطينية نمت الأردن وتطورت ، الى أن تمكنت المملكة فى عام ١٩٦٧ من أن تكف عن الاستدانة ، ومن ثم فانها لم تسترد احترامها لذاتها فحسب بل حققت رصيد فى خزانة الدولة يقدر بنحو ١٠٠ مليون جنيه استرلينى • وفى يونيو من عام ١٩٦٧ ارتكب حسين أبشع خطأ ففى ضوء تطلعه لأن يبدو متشددا حيال اسرائيل مثله فى ذلك مثل جمال عبد الناصر ، واقتناعه بأن عبد الناصر رغم كونه متسرعا الا فانه لا يعتزم حرب ضد اسرائيل ، ومن ثم بادر على وجه السرعة بالتحالف مع الرئيس جمال عبد الناصر لمواجهة قضية مشتركة وهى الدولة الصهيونية • وأعلن تشكيل مبادرة مشتركة تضم الجيش الاردنى والمصرى وعندما قامت اسرائيل بمهاجمة مصر فى ٥ يونيو خاضت الأردن الحرب • ولكن

على العكس ما حدث فى حرب ١٩٤٨ كان أداء الجيش الاردني فى يونيو ١٩٦٧ مخزيا . ومن الطبيعى أن تخضع الجبهة الاردنية لقيادة كبار الضباط المصريين ، بيد أن تباين المعدات المصرية (ومعظمها سوفيتية الصنع) والمعدات الاردنية (ومعظمها غربية) كان كبيرا الى حد بعيد ، بحيث لم يكن فى وسع الطائرات المصرية والاردنية أن تتصل فيما بينها . وقد دافع الجيش الاردنى بشدة عن القدس . أما بالنسبة للضفة الغربية فلم يبل الاردنيون بلاء حسنا . الامر الذى يترتب عليه اندفاع الاسرائيليين نحو نهر الاردن فى غضون أيام قليلة مما أدى الى حرمان حسين من جزء من أكثر أجزاء مملكته خصوبة وهو يمثل بنحو خمس الدولة الهاشمية وخلال الفترة المتبقية من صيف ذلك العام تدفق الى عمان عدة مئات الآلاف من اللاجئين الفلسطينيين الجدد .

وقد انبثق عن تلك الهزيمة ـ التى تعد أخطر هزيمة فى التاريخ العربى الحديث ـ أمر بدا للعرب على الاقل ـ وكأنه رائع وممتاز : ألا وهو دور المقاومة الفلسطينية . حيث شن الفدائيون الفلسطينيون فى تلك الفترة حملات تتسم بالشجاعة والاقدام من الضفة الشرقية لنهر الاردن داخل الاراضى التى انتزعها الاسرائيليون ، وكانت غالبية تلك الحملات تتسم بالضعف من الناحيةالعسكرية الا أنها كانت كافية لاثارة سخط المحتلين وغضبهم وعندما شدد الاسرائيليون اجراءاتهم المضادة ، اتجه الفدائيون داخليا ـ أى ضد الملك حسين « الجاسوس الأمريكى » كما يطلقون عليه ، وقد كان على استعداد للتفاوض مع اسرائيل . .وفى سبتمبر عام ١٩٧٠ بدأ الفدائيون وجيش حسين المكون جزئيا من البدو وكأنه مقدر لهما خوض حرب أهلية كل ضد الآخر .

وقد قام فدائيون الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين (الماركسية ـ اللينينية) فى بداية شهر سبتمبر باختطاف ثلاث طائرات تابعة لخطوط جوية دولية وهبطوا بها فى احدى الممرات الجوية غير المستعملة فى عمق الصحراء الاردنية . وقد وصلت أنا الى عمان فى اليوم التالى لذلك الحادث ، حيث شاهدت الفدائيين الذين ينتمون الى منظمة فتح والجبهة الشعبية والجبهة الديمقراطية الشعبية والى جماعات ومعظمهم سفاحين محملين بالقنابل اليدوية ومسلحين بالاسلحة الأوتوماتيكية وهم يتجولون فى طرقات العاصمة ، ويوقفون المرور بحثا عن السلاح ، ويقومون بمصادرة السيارات والكاميرات والراديوهات ويقومون أيضا بتسديد الطلقات الى مبانى السفارات ومراكز البوليس ومواقع الجيش . وفى المساء استمرت أصوات الطلقات النارية وعمليات اراقة الدماء . ومن ثم تم قطع التيار الكهربى فى حين أضاءت طلقات الرصاص ونيران مدافع الهاون القرى المظلمة .

وتوقفت الطلقات عند مطلع الفجر ، ثم استؤنفت مرة ثانية ثم هدأت حدتها. وقد غادرت عمان عن طريق مدينة الزرقاء مارا بالصحراء وذلك كى أقوم بزيارة لمطار « الثورة » حيث الطائرات المختطفة . وكان الطريق ممتلئا بالمتاريس وبأكوام الحجارة واطارات السيارات . وقد حالت متاريس الفدائيين الفلسطينيين بينى وبين الوصول الى المكان الذى كنت أقصده . والأماكن المحيطة بها . وقد مررنا خارج عمان بالعديد من مخيمات اللاجئين ـ وهى عبارة عن خيام ممزقة وبالية ، أو أكواخ ذات حجرة واحدة بشعة وقد أشار سائق سيارتى وهو أحد اللاجئين بقوله « ان أمريكا ترسل طائرات الفانتوم لاسرائيل ، بينما ترسل البطاطين والخيام للفلسطينيين ، ثم تعجب لماذا نحن جاحدين للجميل ؟ .

ان ما شاهدته فى مطار الثورة أمر لا يمكن نسيانه • لقد أحاط الجيش الملكى الأردنى بالطائرات المختطفة ، الى جانب عشرات الدبابات من طراز سنتوريون ، وعدد من العربات المدرعة ، ومدافع مضادة للطائرات وعربات جيب ، ومع ذلك فلم يجرؤ أى من هؤلاء على الاقتراب من الطائرات خوفا من أن يقوم الفدائيون بقتل الرهائن • وقد انبثق وميض عن تلاحم تلك المدرعات الحديثة مع قافلة جمال كانت مارة بالصحراء فى ذلك الوقت ، وبدت الصورة كما لو كانوا جميعهم يسبحون فى بحر يقع على مسافة بعيدة • وفى وسط ذلك المحيط ، كانت تقف الطائرات الثلاث تبدو وكأنها جزء مغطاة بالملح ••

وقد اختلط ضباط الجيش بقوات البدو بالفدائيين الذين أطلقوا لحاهم وقال أحد القواد الأردنيين « أن هؤلاء الرهائن لفى غاية السعادة ذلك أن ما حدث انما يعد بمثابة رحلة محببة اليهم • وقد خرج الرهائن من الطائرة وساروا فى نزهة فى حين أخذ أطفالهم يلهون فى الرمال وبعد أيام قليلة ، أخلت الجبهة الشعبية الطائرات من الركاب ثم فجرتهم جميعا •

وكان الملك فى ذلك الوقت يقيم فى قصره ، الواقع خارج عمان ، فقد كان يتابع باهتمام بالغ الاذاعة التى كانت تفتقد من وقت الى آخر تلك الفوضى السياسية والاجتماعية ، بيد أنه لم يكن مستقر الرأى فيما يجب عليه عمله • لقد كان حسين ، كما كان فى بداية عهده بالحكم ، ضحية مستشاريه المتناقضين • فالذين ينتمون الى « الحمائم » يحثونه على استرضاء الفدائيين حتى يتجنب اراقة الدماء ، فى حين يحذره الآخرون ممن ينتمون الى « الصقور » من الفدائيين باعتبار أن ذلك هو السبيل الوحيد لاعادة تأكيد شرعيته الملكية وانقاذ عرشه المهتز •• بينما يؤيد الاسرائيليون والامريكيون الذين لا يتوقون الى اقامة دومة فلسطينية ثورية على طول نهر الأردن ، حسم الأمر • وثمة حكمة أردنية تقول « ان آخر شخص يتحدث مع الملك لهو انسان محظوظ ، ذلك أن جلالته سينام وهو متأثر بما دار بينهما من حديث » • ومن الواضح ان الصقور هم الذين يتمكنوا من

الملك • فقد قام فى منتصف شهر سبتمبر بتشكيل حكومة عسكرية ، وشن حربا أهلية ربما راح ضحيتها ما يقرب من ٢٠٠٠ أو ٣٠٠٠ فدائى • وقد تمكن الفدائيون الذين نجوا من المذبحة ولا يزيد عددهم عن بضعة آلاف ــ من الفرار الى غابة عجلون ، التى لا تبعد كثيرا عن حطام الآثار الرومانية فى أريحا التى تقع فى الجزء الشمالى الغربى للمملكة الهاشمية ، حيث عسكروا مؤقتا فى مخيمات وفى كهوف الجبال وعانوا من شدة الجوع الذى وصل الى حد المجاعة • وفى الربيع وفى بداية الصيد هاجمتهم قوات البدو مرة ثانية ــ بعد أن قامت واشنطن بتزويدهم بمعدات حربية جديدة ــ وبدأوا يطلقون النيران على كل فرد • مما ترتب عليه قتل بضع مئات أخرى من الفدائيين • وقد فر الباقون الى سوريا ، بينما قام الآخرون بعبور نهر الأردن سباحة وسلموا أنفسهم للاسرائيليين ، ويزعم بعض الفلسطينيين أن الذين ظلوا هناك استسلموا للبدو الذين قاموا بقتلهم رميا بالرصاص •

وثمة ظاهرة جديدة انبثقت من الاحداث المؤلمة التى شهدتها غابة عجلون ــ وهى جماعة « أيلول الأسود » ذلك التاريخ المشهود بالنسبة للفلسطينيين • وقد عانى الفدائيون أشد المعاناة فى شتاء عام ١٩٧١ ، فقد كانوا يحومون حول أسلحتهم الهزيلة ، لا يكادون يغادرون كهوفهم حتى تقوم قوات الملك بتصويب نيران المدافع

عليهم ، وذلك فضلا عن أنهم كانوا يتخبطون فى مسيرتهم نظرا لغياب زعمائهم ، ونتيجة لتلك الكارثة التى كانوا قد تعرضوا لها فى عمـان فى سبتمبر الماضى ، وتؤكد الاسطورة الفلسطينية على أن أبو على أياد ــ جيفارا العرب ــ هو الذى ألهب حماس رفاقه قائلا « لقد أصبحت زعامتنا فاسدة ومن ثم لم نعد نسير فى الطريق السليم ٠٠هل تقدمنا ولو بوصة واحدة فيما يتعلق باسترداد فلسطين ؟ انه يتعين علينا أن نعمل سرا ــ يتعين علينا قتل حسين (ورئيس الوزراء الأردنى) وصفى التل ، وأن نشن حربا ضد كل حكومة عربية رجعية ، يجب أن ننقل المعركة الى قلب أوروبا والى شواطىء أمريكا ذاتها ، يجب علينا أن نبث الرعب فى القلوب الى أبعد الحدود ٠ فلنتذكر الجزائر ٠ ان العالم لن يستجيب لأى احتجـاج من نوع آخر ٠ ذلك أن استرداد فلسطين لن يتم الا من خلال العنف وبث الرعب ٠ »

وما لبث أبو على أن لقى مصرعه على يد البدو ٠ وقد توجه بعد ذلك ما يقرب من ١٠٠٠ من الفدائيين الذين ظلوا على قيد الحياة فى عجلون ، ومعظمهم جنود ليسوا ذوى شأن وليس لهم أى تأثير وهم تابعون لمنظمة فتح الى بيروت حيث قام بعضهم بوضع النواة التأسيسية لمنظمة « أيلول الأسود » وأقسموا على العمل سرا لتحقيق مآربهم ٠ وقد قاموا بالفعل باغتيال وصفى التل رئيس وزراء الأردن أثناء وجوده فى القاهرة فى نوفمبر ، كما قتلوا فى شهر فبراير خمسة من الأردنيين فى ألمانيا ثم قتلوا أحد عشر لاعبا اسرائيليا أثناء انعقاد دورة الاوليمبياد فى ميونيخ فى شهر سبتمبر مما دفع سلاح الطيران الجوى الاسرائيلى الى شن هجـوم انتقـامى ضد معسكرات اللاجئين فى لبنان وسـوريا ترتب عليـه هلاك وفناء بعض فئات من الفلسطينيين (*) ٠

---

* عقب مصرع ١٦ شابا اسرائيليا فى مذبحة (معـالوت) التى وقعت يوم ١٥ من مايو عام ١٩٧٤ (وقد توفى ستة آخرون متأثرون بجراحهم) قامت الطـائرات الاسرائيليـة بقصف عدة مدن لبنانية ومعسكرات اللاجئين الفلسطينيين ، مما اسفر عن مصرع ٥٠ فردا على الاقل من المدنيـين واصابة ٢٠٠ آخرين ، من بينهم عـدد كبير من النساء والاطفال ٠ وفى يوم ٢١ من يونيـو عام ١٩٧٤ كتب « جيم هوجلاند » فى صحيفة واشنطن بوست « ان الغارات الاسرائيليه التى شنت على مدى شهر قد كشفت عن وجود قنابل فسـفورية متطورة لدى اسرائيل احدثت نيرانا مكثفـة فى بساتين الزيتون اللبنانية وحقول القمح واحدثت أضرارا بالغة فى المحصول ٠ واكتشف أيضاوجود شظايا قنابل أمريكية الصنع مضادة للافراد » ٠

واعلن « السـناتور فولبرايت » ان رجال العصابات الفلسطينية تقع عليهم مسئولية جسيمة لاثارة الهجمات الاسرائيليـة الانتقامية وذلك من اجراء الاعمال الارهابية التي يرتكبونهـا داخـل اسرائيل ٠ غير أنه على اسرائيل ان تتحمل المسئولية النهائية لارتكاب أعمال انتقامية دون تمييز ٠٠ ولا يمكن التغـاضي قط عن الدور الامريكى الذى يصل الى حد الاشتراك فى جريمة الهجمـات الاسرائيلية على لبنان ٠ ان الطائرات الحربية التى يستخدمها الاسرائيليون طائرات امريكيـة قامت الولايات المتحدة ببيعها أو منحهـا لاسرائيل ٠٠ وينطبق الامر أيضا على معظم القنـابل التى فى حوزتها ان لم يكن كلها ولم تبد وزارة الخارجية حتى الآن الا احتجاجات وهمية ضد حملة اسرائيل التى جعلت من منطقة جنوب لبنان منطقة مقفرة يتعذر العيش فيها ٠

وفى يوم ٢ من ديسمبر عام ١٩٧٥ ، قامت الطائرات الاسرائيلية ، انتقاما فيمـا يبـدو من اشتراك منظمة التحرير الفلسطينية فى مناقشات مجلس الامن الخاص بالشرق الاوسـط ، قامت بمهاجمة المعسكرات الفلسطينية التى تقع شمال لبنان وجنوبه واسفر الهجـوم عن اصابة مائتى شخص بين قتيل وجريـح ٠ ووالت الغـارات الاسرائيلية حملات تتردد واسـعة النطاق داخل لبنان ذاتها ٠ وقامت اسرائيل بعشرات من تلك الهجمات على مدى عدة أعوام ، مما اوضح أن أى دولة يمكن أن تقوم بأعمال ارهابية على مستوى رسمى وبصورة وحشية تفوق ما ترتكبه العصابات المشهورة التى تقدم على أى عمل يائس ٠

ومما يدعو الى السخرية ، أن أسلوب تشكيل منظمة أيلول الأسود هو نفس الاسلوب الذى يتبع فى تشكيل جماعة شيترن وأرجون زفاى ليومى ــ تلك الجماعات اليهودية الارهابية التى شكلت فى الاربعينات ·

وقد قامت جماعة « شيترن » فى عام ١٩٤٤ باغتيال « اللورد مون » المندوب البريطانى فى منطقة الشرق الأوسط أثناء وجوده فى القاهرة · وفى عام ١٩٤٦ قامت جماعة « أرجون » بتفجير الجناح الذى كان ينزل به المندوب السامى البريطانى فى فندق الملك داود بالقدس مما ترتب عليه قتل نحو ١٠٠ شخص بعضهم من العرب والآخرون من البريطانيين · وعندما قامت بريطانيا بأعمال انتقامية ردا على ذلك تمثلت فى اعتقال بعض المتهمين واعدام بعضهم الآخر شنقاء أخذت جماعة « أرجون » بعض الرهائن ، وقامت بشنق بعضهم ثم قامت بتصدير عملياتها الارهابية الى أوروبا ــ وذلك من خلال قصف السفارة البريطانية فى روما · وفى ١٩٤٨ قامت « جماعة شيترن » باغتيال وسيط الامم المتحدة فى فلسطين وهو « الكونت فولك برنادوت » هذا فضلا عن قيام المنظمتين معا بذبح ٥٤ عربيا فى دير ياسين متعمدين بذلك تحريض العرب على الهرب من أجزاءأخرى فى فلسطين · وقد ظل الارتباط بين الجماعات الارهابية وبين « الهاجانا » (أى الجيش اليهودى النظامى) أمرا غامضا ، وينطبق ذلك أيضا على الارتباط الأخير الذى تم بين « فتح » و « أيلول الأسود » · وما يمكن قوله حقا أن أى حركة وطنية بالرغم من تنصلها من مسئوليتها تجاه بعض الأعمال ، فانها يجب أن تضم جناحا ارهابيا · وليس ثمة شك فى أن الجميع يستنكرون الارهاب الا اذا كان يخدم الغرض الذى يستخدم الارهاب من أجل تحقيقه ــ ويدخل ضمن ذلك تلك الحرب الارهابية التى شنتها الولايات المتحدة فى الهند الصينية ·

وقد تعاونت وكالة المخابرات الاردنية مع وكالة المخابرات المركزية الامريكية (أيضا وربما تعاونت الى حد ما مع المخابرات الاسرائيلية) فى محاولة لسحق جماعة « أيلول الأسود » · ومن المؤكد أن ذلك كان لصالح الاردن ، فضلا عن أنه كان أيضا دليلا على رغبة حسين فى اقرار السلام مع اسرائيل · وبعد أن تم طرد الفدائيين ، عمل الملك على أن يسود الهدوء الضفة الشرقية وبسط يد السلام ــ بوصفه أمرا واقعا ان لم يكن أمرا شرعيا ــ عبر نهر الأردن · بيد أن الاسرائيليين لم يتعهدوا فى مقابل ذلك باعادة أية أجزاء من الاراضى المحتلة · وعلى الرغم من ذلك ، فانه عندما اندلعت حرب أكتوبر عام ١٩٧٣ لم يخض حسين ــ الذى تلقى الدرس قبل ذلك التاريخ بستة أعوام والذى كانت قواته الجوية تتسم بالضعف الشديد فى هذه الحرب ، وظل محتفظا بمملكته بعيدا عن نطاق الحرب ·

ومن أجل ذلك وفى ضوء ما أبداه من خلق حسن فى أوقات سابقة ، توقع الدكتور هنرى كيسنجر أن يفى للملك حسين بوعود « نيكسون » فان كان قد تعهد بانسحاب الاسرائيليين وبادراج الاردن فمن دبلوماسية كيسنجر الجديدة · ولم يبد بعض أفراد الاسرة الملكية تذمرا شديدا تجاه ذلك ، ولكن حسين كان يتوق مرة أخرى لأن يكون ملكا على القدس ·

ملك القدس ؟ ان ذلك الحلم الذى كان حسين يرنو الى تحقيقه قد أصبح بعيد المنال ، ومن المتعذر تحقيقه وتمثلت خطة الدكتور/كيسنجر الخاصة بمؤتمر جنيف ، فى أنه حالما يتم فك الاشتباك بين اسرائيل ومصر ، يبدأ فى التو العمل

على فك الاشتباك على الجبهات السورية والاردنيـة ، ثم يعقد اجتماعا يضم كافة الاطراف لصياغة تسوية نهائيـة • ولم تحقق تلك الخطة نتيجـة التأخير لفك الاشتباك السورى ونتيجة للمنافسات القائمة بين العرب ، واعتراضات اسرائيل، ونتيجة أيضا لخطأ فى حسابات الدكتور « كيسنجر » ذاته •

وفى يناير عام ١٩٧٤ ، طرح الملك حسـين ورئيس وزرائه زيد الرفاعى على الدكتور « كيسنجر » خريطة تقترح انسحاب اسرائيل من منطقة نهر الاردن الى مسافة من ثمانية الى عشرة كيلو مترات داخل الضفة الغربية • وكان الملك حسين على استعداد لقبول انسحاب شكلى ، ونزع المنطقة والسماح للامم المتحدةبالاشراف عليها • وعرض « كيسنجر » الخريطة على الاسرائيليين الذين رفضوها • وفىشهر يوليو طرحت اسرائيل خريطة أخرى ، لا تتضمن فك الاشتباك فحسب وانما اقرار تسوية نهائية مع الاردن • ولم تكن المقترحات خطيرة فحسب وانما مهينة أيضا • ذلك أنها تقضى باحتفاظ اسرائيل بمدينة القدس العربية وبأجزاء هامة من الضفة الغربية ، ووضع حدود يمكن الدفاع عنها على طول النهر ، فى حين تعيـد الاردن المناطق الباقية والممرات ، شريطة أن تتخلل تلك المنـاطق مواقـع يرابط فيهـا الجيش الاسرائيلى وقد رفضها حسين •

وعقب ابرام فك الاشتباك على الجبهة السورية ، حذر الاردنيون « كيسنجر » من أنهم اما أن يستعيدوا بسرعة الضفة الغربية واما أن تطالب بها منظمة التحرير الفلسطينية التى تعد العدو اللدود للملك حسين • وقد اقتنع « كيسنجر » بمنطق ذلك التحذير ، وبالتالى وجه تحذيرا للاسرائيليين فى عدة مناسـبات • بيد أنه انشغل فى مهام أخرى من جراء الحرب الدائرة فى قبرص وفضيحة ووترجيت ، ونظرا لما أصاب « نيكسون » من شلل ، لم يتمكن « كيسنجر » من ممارسة ضغط فعال على اسرائيل •

وفى يوم ٩ من أغسطس استقال « ريتشارد نيكسون » من الرئاسة واثر ذلك بفترة وجيزة قام حسين بزيارة لواشنطن ، حيث أكد له « كيسنجر » والرئيس « فورد » أن فك الاشتباك فى وادى الاردن يحتل مركز الأولوية فى المرحلةالقادمه وشعر الملك ببعض الابتهاج ، غير أنه كان يدرك تماما أنه فى ضوء تجربتهالسابقة يتعين عليه أن يضع فى الاعتبار مكائد أقرانه المصريين • اذ كان اسماعيل فهمى موجودا فى واشنطن فى الوقت نفسه • وكان المصريون يتوقعون اجراء انسحاب اسرائيلى ثانى فى سيناء ومن ثم طالبوا بتفضيلهم على الهاشميين •

ومع حلول شهر أكتوبر انتاب « كيسنجر » قلق بالغ من جراء تزايد ظهـور منظمة التحرير الفلسطينية على الصعيد العالمى • ذلك أنه لم يكن يضمن العداء لمطامح الفلسطينيين لكنه لم يكن يتعاطف مع حركتهم التحررية • اذا أنه كان يعتبر منظمة التحرير الفلسطينية بمثابة مجمـوعة من المتناقضـات . فان الراديكاليين يشلون حركة المعتدلين ، وتخضع سياساتها للخيـال والوهم • وكان زعيمهـا ياسر عرفات بمثابة بهلوان يحاول السير على حبل ، ويتوق الى الهبوط علىالارض غير أن أتباعه يحثونه على المضى الى عنان السماء وذلك لتحقيق قيام دولة فلسطينية علمانية ، وهو أمر متعـذر المنـال • ومع افتراض أن عرفات قد يوافق خـلال المفاوضات على الحصول على جزء أصغر من الجنة ويتمثل فى الصفة الغربية وقطاع غزة الا أنه ليس ثمة ما يدعو « كيسنجر » الى تقديم العون له حتى يتمكن هو من

العمل على استتباب الأمور فى بلاده وعلى افتراض أن الحصول على جزء من فلسطين أمر محتمل ، فان تلك الفكرة لم تأسر لب « كيسنجر » بعد ذلك أن تأخيره الذى مر به قد علمه أن مثل تلك المبادىء الصغيرة تولد المشاعر الوحدوية التحزبية ، وتؤدى الى انفجارات متوالية وتثير منازعات خطيرة بين الدول العظمى وقد يكون من حق الفلسطينيين اقامة دولة خاصة بهم غير أنه ينبغى أن تكون جزء من الاردن ، وهو الهدف الذى فشل « كيسنجر » فى تحقيقه ٠

وطار « كيسنجر » الى القاهرة يوم ٩ من أكتوبر ، لا لاجراء مفاوضات جديدة خاصة بسيناء مع السادات فحسب وانما لابراز تأييده للاردن أمام مؤتمر قمة عربى كان على وشك الانعقاد ٠ وتعهد السادات بمحاولة تحقيق ذلك ، غير أنه لم يحاول على نحو جاد ابان انعقاد المؤتمر ٠ وعقب مرور أسبوعين تساءل الملوك الرؤساء العرب المجتمعون فى الرباط حول التعهدات التى قدمها « كيسنجر » لحسين واحتمالات الانسحاب الاسرائيلى من نهر الاردن ٠ عندئذ رفع حسين يديه الخاويتان الى أعلى ٠

وبالتالى ونتيجة لاعتراف حسين هذا انهارت قضيته ٠٠ وطالبت الحكومات العربية الاخرى وعلى رأسهما سوريا بأن يكون لمنظمة التحرير الفلسطينية حق السيطرة على الضفة الغربية ، ومنح الفلسطينيين حق تقرير مستقبلهم بأنفسهم ٠ وحقيقة الامر أن ذلك القرار كان مواتيا لمصر ، ذلك أنه يحمى السادات من الجانب الفلسطينى فى الوقت الذى يناضل فيه لتحقيق مصالحه الوطنية ، ويعمل على استئناف المفاوضات مع اسرائيل ٠ وقد وافق المؤتمر سرا (أو هكذا أبلغ السادات كيسنجر فيما بعد) على قرار يوصى باقامة دولة فلسطينية فى قطاع غزة والضفة الغربية على طول حدود ما قبل عام ١٩٦٧ وأذعنت منظمة التحرير الفلسطينية للامر ٠ وعاد حسين الذى طالما تعرض للسباب من أشقائه العرب عاد يتلقى هباتهم ، اذا قدم الملك فيصل معونة تبلغ ٣٠٠ مليون دولار ٠ غير أنه مع ابعاد الاردن عن الميدان ، وعدم وجود أى احتمال لاجتماع اسرائيل فى المستقبل القريب مع منظمة التحرير الفلسطينية فقد يرى « كيسنجر » بحكم الظروف الرجوع الى سيناء كمكان يحقق فيه معجزته القادمة ٠

وقد صرح لى الملك حسين فى الآونة الاخيرة بقوله « لقد انتابنى شعور بالاستياء حيال القرار الذى اتخذه مؤتمر الرباط ٠ وأعتقد أنه سوف يضعف الموقف العربى عند تنفيذ القرار رقم ٢٤٢ ٠ غير أننى وافقت عليه ، وليس فى مقدور الاردن الآن التفاوض بشأن الضفة الغربية ما لم يخول لى الزعماء العرب المجتمعون ومن بينهم منظمة التحرير الفلسطينية سلطة ذلك » وكان مؤتمر الرباط هو أول هزيمة كبرى تلحق « بكيسنجر » منذ اندلاع حرب أكتوبر ، واعتبره بمثابة عقبة كبرى فى سبيل الدبلوماسية المؤقتة ٠ وعندما قام فيما بعد بزيارة عمان أقر فشله وصرح بذلك للملك حسين وزيد الرفاعى ٠ وقال أنه ما تزال هناك فرصة لاستعادة الضفة الغربية الى الاردن ٠

وصرح الرفاعى قائلا « لقد أخطأت » ٠

وأجاب كيسنجر « لقد أخطأنا تقدير قدراتنا على المناورة » ٠

(وقد جاء ذلك التصريح على لسان المسئولين الاردنيين ٠ أما فى رواية أمريكية فقد صرح كيسنجر لزيد الرفاعى بقوله « لقد أخطأتم تقدير قدراتنا فى المناورة »)

وعقب انقضاء مؤتمر الرباط وفي صباح اليوم التالي ، عاد الدكتور « كيسنجر » الى القاهرة • وكان السادات متوعكا ومصابا بنزلة برد واستقبل ضيفه فى غرفة نومه بمنزله بالجيزة • وتبادلا المداعبات فى رقة ولباقة (وقال كيسنجر : انه لا يمكننا أن نمضى فى الطريق بدونك يا سيدى الرئيس •• « دكتور هنرى انك ساحرى المفضل ») • وكان كلا الرجلين يشعر بالحرج • اذ فشل السادات فى الرد على مطالبة منظمة التحرير الفلسطينية بالضفة الغربية ، وعجزت دبلوماسية « كيسنجر » عن التقدم وبدأت ثقته تتزعزع وتتلاشى • وفى الرباط ظل الزعماء العرب الآخرون يحذرون السادات ، كما فعل مستشاروه فى القاهرة ، من أن كيسنجر يقوم بمناورة معك » • وازداد انزعاج السادات وتفاقمت شكوكه فى نوايا « كيسنجر » • ولم يكن « كيسنجر » يفكر فى أن يفعل مرساة سياسته العربية ، وعقب تبادل الثقة والود المعتاد تعهد « كيسنجر » بمحاولة تحقيق انسحاب اسرائيلى آخر فى سيناء • وأبلغه السادات بأنه يود الحصول على ممرى ميتلا والجدى وآبار بتروله التى تقع على خليج السويس ، وأنه لن يقبل بأقل من ذلك •

الفصل الحادى عشر

الماسادا

كان الدكتور « كيسنجر » يعلم أن لن يكون من السهل تحقيق المهمة التى اضطلع بها ، ذلك أن مأساة « ووترجيت » والعار · الذى لحق « بريتشارد نيكسون » ثم انتقال الرئاسة بصورة مضطربة الى « جيرالد فورد » كل ذلك أضعف من قوة أمريكا في العالم ، والحق ضررا بالغا بقدرة « كيسنجر » على ممارسة السياسة الخارجية · وفى مقدمة الخسائر التى تمخضت عنها فضيحة « ووترجيت » ما لحق بالقوة الدافعة الدبلوماسية الخطوة خطوة ، ذلك أن هذه الدبلوماسية افترضت وجود رئيس قوى ويتمتع بشعبية وعلى استعداد تام لان يفرض ارادته على أى من الطرفين اللذين يتسمان بالتعنت ، ولا سيما الاسرائيليين · الا أنه « نيكسون » الذى شلت قدرته على الحركة يتمكن من أن يفعل ذلك ، ولم يكن « فورد » الذى تعوزه بالثقة يدرك كيفية تطبيق ذلك · وكان من المحتم أن تسفر المائة يوم الاولى لحكم « فورد » عن الاضطراب وليس عن القوة ·

وفضلا عن ذلك فان مؤتمر الرباط وما أحدثه من انعكاسات وعلى سبيل المثال ظهور ياسر عرفات مرتديا الكوفية وقراب المسدس أمام الجمعية العامة للامم المتحدة فى نوفمبر عام ١٩٧٤ ، قد أدى الى إثارة حنق الاسرائيليين · وقد إفترض كبار المسئولين فى منظمة التحرير الفلسطينية بصفة خاصة أنه فى مقابل الاعتراف بالحقوق الفلسطينية واشتراك الفلسطينيين فى مفاوضات السلام ، فان المنظمة ستكون على استعداد للتوصل فى نهاية الامر الى حل وسط مع اسرائيل · بيد أن الخطاب الذى ألقاه عرفات ، بالرغم من أنه تضمن بعض الهراءات ، فقد كان يستهدف من أساسه أنصاره المتشددين بين العرب ، وكان يخاطب مشاعر العالم الثالث ، ولم يكن مجرد مقال ينشر على صفحات جريدة « نيويورك تايمز » · وأعلن قائلا « انني من الثوار ، وقضيتي هى قضية الحرية · واذا اتجهنا الآن الى الجذور التاريخية لقضيتنا ، فاننا نفعل ذلك لانني فى تلك اللحظة التى يجلس فيها بيننا أولئك الذين يحتلون ديارنا ، وترعى ماشيتهم الكلأ فى مراعينا ، وتقطف أيديهم الثمار من أشجارنا ، يزعمون فى الوقت نفسه أننا أرواح بدون جسد ، وخيال ليس له وجود وأننا ليست لنا تقاليد أو مستقبل » ·

« أليس من حقى أن أحلم وأن تراودنى الآمال ؟ أليست الثورة هى التى تصنع الاحلام والآمال ؟ فلنعمل معا حتى يتحقق حلمى ، وأعود مع شعبى من المنفى الى أرض فلسطين كى نعيش فى عدل ومساواة وأخوة فى دولة ديمقراطية تضم المسيحيين واليهود والمسلمين ·· أليس ذلك حلما نبيلا جديرا بكفاحى الى جانب جميع محبى الحرية فى أرجاء المعمورة كافة ؟

« ولنتذكر ، يا سيدى الرئيس ، أنه من المعروف أن يهود أوربا والولايات المتحدة يتزعمون الكفاح من أجل بناء دولة علمانية وفصل الكنيسة عن الدولة ، ومن المعروف أيضا أنهم يحاربون التفرقة الدينية فكيف اذن يرفضون ذلك المثال الانساني للارض المقدسة ، وكيف يواصلون تأييد أكثر الدول اتساما بالتعصب والتمييز فى سياستها ؟ كيف ؟ » ٠

« أننى أعلن بصفتى الرسمية كرئيس لمنظمة التحرير الفلسطينية وزعيم الثورة الفلسطينية ، أعلن أمامكم أننا عندما نتحدث عن آمالنا العامة المتعلقة بدولة فلسطين فى الغد فاننا نضع نصب أعيننا كافة اليهود الذين يعيشون الآن فى فلسطين ، والذين سوف يحبذون العيش معنا فى سلام ودون تفرقة ٠

وبصفتى رئيسا لمنظمة التحرير الفلسطينية وزعيما للثورة الفلسطينية ، فاننى أناشد اليهود فردا فردا التخلى عن الوعود الخادعة التى قدمتها لهم الايديولوجية الصهيونية والزعامة الاسرائيلية ، تلك الوعود التى لا تقدم لليهود الا اراقة الدماء وحروبا لا نهاية لها ومهانة مستمرة ٠ اننا ندعوهم الى الخروج من عزلتهم المعنوية والانفتاح على عالم حرية الاختيار ، بعيدا عن الجهود التى تبذلها زعامتهم الراهنة لغرس عقدة « الماسادا » فيهم ٠ اننا نقدم لهم أكثر الحلول سخاء ، وتتمثل فى أن نعيش معا داخل اطار سلام دائم فى دولتنا الفلسطينية الديمقراطية ٠ وبوصفى رئيسا لمنظمة التحرير الفلسطينية ، أعلن أمامكم أننا لا نعتزم اراقة ولو قطرة واحدة من دماء العرب أو اليهود ، فضلا عن أننا لا نبتهج باستمرار عمليات القتل التى سوف تنتهى حالما يتم التوصل فى النهاية الى سلام دائم يستند الى حقوق شعبنا ٠

« وبوصفى رئيس منظمة التحرير الفلسطينية وزعيم الثورة الفلسطينية ، أناشدكم أن تشاركوا شعبنا فى كفاحه الرامى الى الحصول على حقوقه ٠٠ أناشدكم مساعدة شعبنا على العودة الى وطنه من منفى لم يكن له يد فيه بل فرض عليه بقوة السلاح ، وباستخدام أساليب الطغيان والقمع ، ومن ثم ينبغى استرداد ممتلكاتنا وأراضينا كى نعيش فى وطننا القومى أحرارا ذوى سيادة ونتمتع بامتيازات الوطن كافة ٠٠

« واليوم يا سيدى الرئيس ـ جئت أحمل غصن الزيتون وبندقية المناضل الحر ٠ فلا تتركوا غصن الزيتون يهوى من يدى ٠ لا تتركوا غصن الزيتون يسقط من يدى » ٠

لقد كان فى وسع عرفات أن يطالب ليس بفلسطين كلها فحسب وانما بالكواكب السماوية كذلك انه يدرك تماما أن « حلمه » لا يمكن أن يتحقق خلال الجيل الحالى أو ربما الجيل القادم أيضا ٠ ويرى هذا الجيل أن حلم عرفات يعنى التخلى عن الخيال والهبوط الى أرض الواقع كى تجرى مفاوضات جادة ترمى الى اقامة دولة فلسطينية على الضفة الغربية وقطاع غزة الامر الذى يدرك عرفات أنه أمر معقول يمكن تحقيقه ٠

وبيد أنه مما لا يبعث على الدهشة أن « يوسف تكواه » المندوب الاسرائيلى لدى الامم المتحدة شاء أن يفسر خطاب عرفات بصورة حرفية ٠ وقد اتهم « تكواه » الامم المتحدة بأنها خضعت لمنظمة التحرير الفلسطينية التى تؤيد عمليات قتل المدنيين الابرياء عن عمد ، وتنكر على الشعب اليهودى حقه فى الوجود ، وتعمل على تحطيم

الدولة اليهودية بالقوة المسلحة » • وليس هناك حاجة الى قيام دولة فلسطينية منفصلة في أى مكان • « ما هي الاردن اذا لم تكن دولة فلسطينية عربية ؟ •• ان اسرائيل لن تسمح بقيام سلطة لمنظمة التحرير الفلسطينية في أى جزء من فلسطين ولن تفرض هذه المنظمة على الفلسطينيين العرب • ذلك أن يهود اسرائيل لن يقروا ذلك » • وفي شهر يوليو الماضي أعلن الجنرال « أهارون باريف » ، عندما كان يعمل وزيرا لاعلام اسرائيل لفترة وجيزة ، ان اسرائيل قد تجرى مفاوضات مع منظمة التحرير الفلسطينية وذلك في حالة ما اذا تخلت عن الارهاب ووافقت على حق اسرائيل في الوجود • غير أن الحكومة الاسرائيلية قد تنصلت من ذلك البيان ، والآن وقد اعتلى عرفات منبر الامم المتحدة ، أضحت اسرائيل أكثر تعنتا عن ذى قبل •

وسرعان ما بدت هواجس اسرائيل حيال استئناف مفاوضات الخطوة ـ خطوة مع مصر • وقد طالب اسحق رابين رئيس الوزراء ، في مقابل اجراء انسحاب آخر من سيناء ، عقد معاهدة انهاء حالة الحرب مع أنور السادات • وتحدث الاستراتيجيون الاسرائيليون بصراحة عن فصل مصر عن سوريا ، واقصاء مصر من النزاع العربي الاسرائيلي • ولم يبد أن رابين في عجلة من أمره حتى بالنسبة لانهاء حالة الحرب • وأدرك « كيسنجر » ومساعدوه الآن ان الهدف الاسرائيلي الاسمى يتمثل في ارجاء واطالة أمد المفاوضات التي قد يرى اجراؤها •

ان الوقت في تل أبيب يمر بلا ريب على نحو أبطأ منه في واشنطن • وكان السفير « سيمحا دينتز » مولعا بأن يقص أسطورة تدور حول حاخام فقير عاش في روسيا القيصرية في القرن الماضي • وكان القيصر الحاكم مختلي العقل ، وقرر ضرورة أن يتعلم كلبه الكلام • ومن ثم استدعى عددا من السحرة والعرافين ، وعندما فشل كل منهم في تعليم الكلب الكلام ، أصدر أمرا بقطع رؤوسهم • وسمع أن الحاخام يتمتع بقوى خارقة فقام القيصر باستدعائه الى قصره • وقال « أيها الحاخام ـ سوف تعلم ذلك الكلب الحديث ـ والا أطحت برأسك » •

أصابت الحاخام الدهشة ، غير أنه كان رجلا يتسنم بالدهاء ، وبعد أن فكر مليا قال للقيصر : « سيدى ، انني سوف أعلم كلبك الكلام ـ ولكن ذلك سوف يستغرق بعض الوقت » •

سأله القيصر : كم من الوقت ؟

خمسة عشر عاما

« خمسة عشر عاما » !

أجاب الحاخام : « نعم ، غير أنه خلال الخمسة عشر عاما سوف يصبح كلب جلالتكم كلبا ثرثارا » •

« حسنا » ، قال القيصر « ولكن اذا لم يتحقق ذلك فسوف أطيح برأسك » •

واصطحب الحاخام الكلب معه الى داره في الحي اليهودى وقالت زوجته كيف ستحقق مثل ذلك الوعد ؟ انك لن تعلم هذا الكلب الكلام على الاطلاق •

قال الحاخام « أعلم ذلك ، غير أنه خلال خمسة عشر عاما فاما أن يموت الملك أو أموت أنا أو يموت الكلب » •

وقارن السفير « سيمحا دينتز » بين النتيجة التى ترمى الى تحقيقها دبلوماسيا الخطوة ـ خطوة ـ التى ينتهجها « كيسنجر » ، وهى ايجاد تسوية نهائية فى الشرق الاوسط مع وضع حدود نهائية ، وبين نهاية رواية كلب القيصر • وهكذا فعل « اسحق رابين » رئيس الوزراء أيضا ، ولكن كلا منهما كانت له طريقته الخاصة •

ففى حديث أجراه « رابين » مع صحيفة « هاآرتس » الاسرائيلية يوم ٣ من ديسمبر ١٩٧٤ ، أعلن قائلا « ان هدف اسرائيل الرئيسى هو كسب الوقت الذى قد يمتد الى سبع سنوات ، وهى الفترة التى تتطلبها أوربا والولايات المتحدة حتى تتحرر من اعتمادها على البترول العربى • وخلال تلك الفترة سوف تواصل اسرائيل العمل على عقد اتفاقيات جزئية ، غير أنه أشار ضمنا الى أنها سوف تتجنب عقد تسوية كاملة حتى تشعر الولايات المتحدة أنها لم تعد مقيدة بقيود الحاجة الى البترول الأمر الذى يدفعها الى فرض شروط غير مواتية لاسرائيل • ولم يعر « رابين » فى ذلك الحديث على انهاء حالة الحرب مع مصر بيد أنه طوال شتاء ذلك العام ازدادت ضغوط الجناح اليمينى فى الكنيست وأصبحت مسألة انهاء حالة الحرب أمرا حيويا بالنسبة له •

وفى الوقت نفسه قام « كيسنجر » بقذف عدة كرات استراتيجية فى آن واحد، اذ قام فى يناير عام ١٩٧٥ بتحذير العرب علانية من أنه ليس من المستبعد غزو آبار بترولهم ، وذلك فى حالة ما اذا حاولوا خنق الولايات المتحدة عن طريق رفع أسعار البترول بصورة باهظة أو فرض حظر جديد • وفى شهر فبراير عاد الى منطقة الشرق الاوسط ووجد أن المواقف المصرية والاسرائيلية ماتزال متضاربة • وفى القدس وواشنطن وعلى مدى الاسابيع الثلاثة التى تلت ذلك ، ظل يضغط على الاسرائيليين المرة تلو الاخرى كما يعترفوا بالقيود التى تكبل السادات ذلك أنه ليس فى وسع السادات المخاطرة بتمزيق العلاقات مع الدول العربية الاخرى ومن ثم فان انهاء حالة العداء لا يمكن ألا أن تكون فى اطار معاهدة سلام رسمية ، الامر الذى يعسر تحقيقه فى تلك المرحلة • ووافق « كيسنجر » على أن أمن اسرائيل ينبغى أن يكون بمثابة تقدم وليس شرطا مسبقا • ولم يكن الاسرائيليون مقتنعين أو على استعداد للمخاطر باجراء مفاوضات عميقة فى سبيل تحقيق هدف كسب الوقت •

وصرح لى أحد كبار المسئولين الاسرائيليين قبيل بدء دبلوماسية المكوك فى شهر مارس ، بأنه انتحى « بكيسنجر » جانبا وقال له ، « هنرى ، ينبغى أن لا تخضع لاية أوهام • اذ أن اسرائيل لن تنسحب قط من ممرات سيناء الا فى مقابل اعلان مصر انهاء حالة الحرب الكلية » • واعتقد « كيسنجر » أنه يمكن التغلب على ذلك الموقف ، وصرح فيما بعد بأن الاسرائيليين قد خففوا من اصرارهم على انهاء حالة الحرب ثم عادوا واتخذوا موقفا متشددا مرة أخرى عندما وصل الى القدس • واكتشفت أنهم قد أعادوه الى منطقة الشرق الاوسط بعملية خداع متعمدة •

ففى القدس ، فى ٩ من مارس ، استهل « رابين » المفاوضات الجديدة بتحديد سبع نقاط « لكيسنجر » كأساس للموقف الاسرائيلى ، وبعد ذلك بيومين طرح تلك النقاط وثيقة رسمية تضمنت « العناصر الاساسية المقترحة للاتفاق بين اسرائيل ومصر » • وفى ايجاز ، طالبت الوثيقة بابرام اتفاق منفصل مع مصر ، على الرغم من أن اسرائيل ما تزال على استعداد للتفاوض مع كل من جيرانها » • وينبغى أن يكون الاتفاق بمثابة خطوة حيال السلام باتخاذ بعض الاجراءات

العملية ، وينبغي أن يضع حدا لاستخدام القوة » • مهما كانت الصيغة القانونية لانهاء حالة الحرب أو العداء ، ويتعين أن يتضمن الاجراءات العملية لضمان وجود منطقة عازلة حقيقية ، « وينبغي أن يستمر لفترة طويلة كافية لحل أزمة الغموض التى تحيط بدوام الاتفاق » ، وينبغي أن يحدد الصلة بين ذلك الاجراء المؤقت ، والمفاوضات التى ستعقبه في جنيف ، وفى النهاية فانه يحول دون اجراء المناقشات الخاصة بالخط الاسرائيلي الجديد في سيناء حتى تستجيب مصر للنقاط الست الاولى •

وقد انتاب الدكتور « كيسنجر » الزعر ، ذلك أنه كان من الواضح للوهلة الاولى أن الاسرائيليين يطالبون بانهاء حالة الحرب • وبمقتضى النقطة الثانية ، وهى اتخاذ خطوات عملية حيال تحقيق السلام طالبوا (ضمن أشياء أخرى) بأن تستنكر مصر المقاطعة العربية وتتيح حرية انتقال الافراد بين الدولتين • وبمقتضى النقطة الثانية وتتمثل فى عدم استخدام القوة ، طالبوا بالتخلي رسميا وعلى نحو واضح عن حالة العداء في عبارات قانونية ملائمة • « وطالبوا بتحقيق عدة سمات من اتفاق السلام النهائى ، بالرغم من أنهم سوف يظلون بعد انسحابهم مسيطرين على معظم أجزاء سيناء • واحتج « كيسنجر » على ذلك قائلا « انكم لستم واقعيين » ، وسوف نرى ما يمكن أن أبذله فيما يتعلق بتحقيق مبدأ عدم استخدام القوة » •

وخلال الايام التالية وفى أسوان ، حث « كيسنجر » السادات على أن يطرح على اسرائيل « صورة عملية مساوية » لانهاء حالة العداء بالمعنى العسكرى ــ أى عدم اللجوء الى استخدام القوة حتى يتم أبدال الاتفاق ، الذى يتجدد سنويا ، بآخر • وعلى المستوى السياسي وافق السادات على الحد من المقاطعة والدعاية العدائية ، وأن يسمح بعملية تبادل محدودة بين الشعبين ، وقد تكون فى صورة تبادل بعض الطلبة ، واعادة الصلة بين العائلات ، غير أنه لم يقر الطيران السياحى بين البلدين •• وقال السادات أنه بالرغم من أن ذلك البعد سيكون أمرا واقعا ، الا أنه ليس فى وسعه أن يتعهد بالالتزام به على الورق • وقام «كيسنجر» ومساعدوه بصياغة وثيقة عمل ، ورقة تحوى نقاطا سياسية ، تعد بمثابة محاولة لصقل المواقف المصرية والاسرائيلية • وقاموا بتعديلها مرارا غير أن « كيسنجر » وابان تنقله بين القدس وأسوان ، لم يتمكن من التوفيق بين المواقف المتضاربة • وفى ١٧ من مارس كان الاسرائيليون ما يزالون يتشبثون بانهاء حالة العداء رسميا •

وسأل السادات « كيسنجر » فى اليوم نفسه « عمن سيقف على الطرف الشرقى من ممرات ميتلا والجدى » ؟

وأجاب « كيسنجر » قائلا انه كلما اقترب المصريون من الطرف الغربى اقترب الاسرائيليون من الطرف الشرقى • ولم يحدد الاسرائيليون حظا بعد •

وانتاب السادات قلق بدا عليه فى وضوح ، وقال « انه لا ينبغى للاسرائيليين أن يتوهموا أنهم سوف يظلون فى الممرات » •

وبدا واضحا ما انتابه من خيبة أمل ، وطار « كيسنجر » الى اسرائيل ثم عاد الى أسوان يوم ١٨ مارس وأبلغ السادات قائلا : « يمكننى أن أضيف شيئا الى حديث الامس وأتوقع رد فعلكم • ويتعين على أن أطرح الورقة الاسرائيلية خشية أن أتهم بالتحيز • واذا حددت لى الموقف المصرى النهائى ، فسوف أحمله الى اسرائيل •

وفى حالة فشل ذلك • فاننا سوف نجرى مشـاورات حول اتخاذ اسـتراتيجية مشتركة كى نساير الموقف » •

وأجاب السادات قائلا « انه على أثر محادثاتنا الاخيرة كنت على وشك القول بأنه لم يطرأ أى جديد على الموقف الاسرائيلى بحيث يتيح الاستمرار فى المحادثات • غير أننى لم أتعرف على ذلك النحو • ومن الافضل أن تقوم بمحاولة أخرى » • وأصر السادات على الانسـحاب الاسرائيلى الـكامل من الممرات وحرية المرور الى حقول البترول التى تقع فى أقصى الجنوب عند أبو رديس والمناطق المحيطة بها ، وكان ذلك هو قراره النهائى •

وكان « رابين » مثله مثل السادات يتعرض لضغوط ، اذ لم تكن أمامه فرصة للتفاوض على انفراد مع « كيسنجر » مثلما فعل خلال محادثات فك الاشتباك الاول فى سيناء • وكان قد وضع حدودا لاسماعيل فهمى وزير الخارجية المصرية والفريق عبد الغنى الجمسى فى تلك المفاوضات الا أنه لا يستطيع الآن • وقد أبدى القادة المصريون تحفظا على فك الاشتباك الاول نظرا لانه يضعف فرص الحرب أمامهم فى المسـتقبل فى حالة ما اذا فشـلت الجهود الدبلوماسـية فى اسـتعادة جميـع « الاراضى » • وكانت قوة السادات ترتكز على الجيش ، ولم يجرؤ أن يخاطر باثارة حنقه مرة أخرى •

ويعد ممرا الجدى وميتلا ، اللذان يقعان على بعد نحو ١٥ و ٢٠ ميلا من الطرف الجنوبى لقناة السويس على التوالى ، بمثابة ممرين من الجـرانيت طويلين مقفرين محاطين بصحراء شاسعة مكسوة بالصـخور • ومن الناحية الاسـتراتيجية فان الممرين ليسا على درجة من الاهمية البالغة (ويجمع على ذلك عدد كبير من الجنرالات الاسرائيليين) كما يزعم كل من الاسرائيليين أو المصريين ، الا أن عملية السيطرة عليهما من الناحية الرمزية تعد ذات أهمية قصوى • ذلك أنه بالنسبة للرأى العام الاسرائيلى ، فان ممرى ميتلا والجدى يشكلان حدود دفاع لا تقدر بثمن حيث تبعد أكثر من مائة ميل عن اسرائيل ذاتها • وبالتالى فان الاسرائيليون أقاموا جهاز رادار ومعدات تصنت على الارض المرتفعة الامر الذى يمكنهم من التقاط تحركات طائرات الميج المصرية على الجانب الآخر من قناة السويس • وانفقوا نحو ٢٥٠ مليون دولار فى بناء خنادق تستهدف اخفاء كتائب المدرعات وأحاطوا الجبال المجاورة بحصون طليت باللون الاصفر ، ومحطات الاستطلاع الالكترونية ، وكانت الولايات المتحدة قد أمدتهم بمعظم تلك المعدات •

وفى مقابل عدم التجاء السادات الى استخدام القوة طرح الاسرائيليون فى نهاية المناقشات اقتراح الانسحاب حتى منتصف الممرات واعادة حقول البترول شريطة أن تقام نقط مراقبة تابعة للامم المتحدة • ولم تطرح على السادات قط أو «كيسنجر» أية خريطة اسرائيلية ، حتى نشرها الاسرائيليون فى صحيفة « نيويورك تايمز » • ولم يعبروا رفض السادات أى اهتمام • اذا أنه لم يطالب باحتلال جيشه الممرات فحسب ، وانما كان يطالب أيضا بتخلى الاسرائيليين عنها ، وكان ينتابه الشعور بالقلق الا أنه يتسم بالهدوء •

وتنهد « كيسنجر » قائلا « انه لا يدور فى ذهنى أى شىء آخر كى أطرحه على مصر » •

وقال السادات « اننى أود نزع فتيل تلك القنبلة الزمنية ، واذا أصر الاسرائيليون على — موقفهم فليس هناك داع للمضى في المناقشات » .

وتساءل « كيسنجر » قائلا : فى حالة ما اذا أصروا على موقفهم هل أعود الى أسوان ، أو أنهى المفاوضات ..

أجاب السادات بوضوح ولكن بأسلوب مهذب « اذا لم يغيروا موقفهم ، فمن الافضل أن تترك المنطقة بأسرها وان لا تعود الى مصر » .

وطوال المفاوضات ، كان « كيسنجر » يشكو بمرارة الى السادات والاسد وحسين خلال زيارات جانبية قام بها لعواصمهم ، من موقف الاسرائيليين المتعنت . وقال « انه لا يمكنكم أن تتخيلوا مدى ما أواجهه . ومن المرجح أن يكون «كيسنجر» بحديثه هذا يحاول التودد الى العرب غير أن مساعديه يؤكدون على بأنه قد فاض به الكيل » . وفى ذلك الوقت كانت الهند الصينية فى حالة انهيار ، وكانت سياسة الوفاق غير محددة المعالم ، وكان النفوذ الامريكى يتهاوى فى تركيا والبرتغال وفى أماكن أخرى فى الغرب . وشرع الاسرائيليون فى اتخاذ «كيسنجر» هدفا لهم أو هكذا كان يعتقد ، ذلك أنهم كانوا قد ضجروا من الضغوط التى يمارسها عليهم كى يقدموا تنازلات . وقال للزعماء العرب « ان الاسرائيليون يحاولون الاطاحة به » .

وفى يوم الجمعة الموافق ٢١ من مارس عاد الدكتور « كيسنجر » الى القدس . وعندما كان فى طريقه الى مقابلة « رابين » ، وصلت رئيسة الوزراء الاسرائيلى رسالة عاجلة من الرئيس « فورد » . وكتب الرئيس قائلا « انه من المؤسف أننى أعلم بأن اسرائيل تتشبث بموقفها ولا تتقدم كما يجب » وحذر قائلا ان الولايات المتحدة لن تقوم بتمويل دولة فى حالة جمود الامر الذى يدمر مصالحها السياسية ، واذا لم تصبح اسرائيل أكثر مرونة فان الولايات المتحدة سوف تعيد تقييم سياستها فى الشرق الاوسط على نحو جذرى — « بما فى ذلك سياستنا حيال اسرائيل » . وكان ذلك بمثابة تهديد واضح بوقف المساعدات الاقتصادية والعسكرية الامريكية ، وبمثابة أعنف تأنيب رسمى وجهته أمريكا الى الاسرائيليين منذ ضغط عليهم الرئيس « أيزنهاور » لوقف حرب السويس .

وأدرك « كيسنجر » على الفور التهديد كان له تأثير عكسى ، ذلك أن الاسرائيليين شددوا ببساطة من رفضهم قبول شروط السادات . وفى فتور اتهم « رابين » « كيسنجر » باعداد التحذير الذى وجهه الرئيس « فورد » . وأنكر « كيسنجر » ذلك غير أنه مما لا شك فيه أن « كيسنجر » هو الذى أوصى بارسال تلك الرسالة .

وقال « رابين » فى تجهم « أننى سوف أبلغ مجلس الوزراء أن وفدنا فى المفاوضات سوف يتمسك بمقترحاته ولا يمكن التنازل عن ذلك . اذ أننى لا أرى أى مبرر لمطالبتنا بتنفيذ مقترحات السادات ، واقحام علاقاتنا بالولايات المتحدة فى المسألة » .

وأجاب « كيسنجر » بحنق « أننى سوف ألغى مهمتى ، وفى مقدورك عقد مجلس الوزراء فيما بعد » .

وتراجع « رابين » قليلا وقال « لا ينبغي عقد مجلس الوزراء أولا • اذ أنني لست مخولا سلطة العقول أن هذا هو موقفنا النهائى » •

وافترقنا فى فتور ، هذان الرجلان اللذان كانا على علاقة وثيقة للغاية منذ عدة أعوام فقط • وفى اليوم التالى قام « كيسنجر » بزيارة قلعة الماسادا تلبية لدعوة « رابين » • وجدير بالاشارة أن « الماسادا » بمثابة قلعة تقع على قمة جبل مهجور حيث رفض نحو ألف يهودى الاستسلام للرومان الذين كانوا يحاصرون وذلك فى القرن الاول ، وفضلوا قتل أنفسهم بأيديهم بدلا من الاستسلام •

وعقب غروب شمس يوم ٢٢ من مارس ، عقـــد الدكتور « كيسنجر » اجتماعين حاسمين ونهائيين مع الاسرائيليين واستمر الاجتماع الاول من الساعة ٣٠ر٦ الى الساعة ١٥ر٨ وامتد الاجتماع الثانى من الساعة ٣٥ر١٠ الى ما قبل منتصف الليل بخمس دقائق • وواجه « رابين » أو « آلون » ، و « جور » و « دينتيز » و « شيمون بيريز » وزير الدفاع ، « كيسنجر » و « سيسكو » و « ثبرتون » ، و « سوندرز » والسفير الامريكى « كيتنج » •

آلون : أننا مانزال نحبذ اجراء مفاوضات ترمى الى ايجاد حل مؤقت أو اتفاق شامل ، ولكن ليس على أساس الابتزاز الموجه من جانبكم •

كيسنجر : ليس ثمة انذار البته ، ونظرا لعدم وجود أية اقترحات اسرائيلية جديدة ، فاننا بالتالى لم نتلق أية مقترحات مصرية • ولا يدور فى ذهننا أية أفكار جديدة • وسوف تتزعزع ثقة الزعماء العرب الذين يعتمدون على الولايات المتحدة • أن دبلوماسية الخطوة ـ خطوة قد تعرضت للفشل ، بالنسبة للاردن أولا ، ثم مصر فيما بعد • لقد بدأنا نفقد السيطرة على الموقف • ان العرب يعملون الآن يدا واحدة ، وسوف يكون هناك مزيد من التركيز على القضية الفلسطينية ، وترابط بين التحركات على جبهة سيناء والجولان • وسوف يعاود السوفيت الظهور على المسرح • ان الولايات المتحدة بدأت تفقد السيطرة على الاحداث ، وسوف يكون من الافضل أن نكيف أنفسنا مع تلك الحقيقة • وسوف يتعين على الدول الاوربية تحسين علاقاتها مع العرب • ولو أنه كان قد قدر للاتفاق المؤقت الذى طرح فى عام ١٩٧١ النجاح ، لما كانت حـــرب أكتوبر عام ١٩٧٣ قد نشبت • وتجرى العملية نفسها فى القدس الآن • وليس فى ذهننا حاليا استراتيجية للموقف القادم • وكان قد تم تحـديد استراتيجيتنا الســـابقة بعنــاية ، والآن لا ندرى ماذا نفعــل ــ وسوف نبذل محاولات لوضع اسفين بين اسرائيل والولايات المتحدة ، وذلك ليس لاننا نريده أن يحدث وانما لان ديناميكية الموقف هى التى ستحدده • ويتعين علينا أن لا نضحك على أنفسنا وأن نعترف بأننا قد فشلنا •

آلون : لماذا لا نبدأ من جديد مرة أخرى فى غضون بضعة أسابيع ؟

كيسنجر : ان الامور لن تسير كما هى مرة أخرى • ذلك أن العرب سوف ينزعون ثقتهم فينـا كما كانت الحال فيمـا مضى • ان موقفنـا ضعيف فى فيتنام وفى تركيا والبرتغال • وآمل أن لا تسيئوا فهمنا • ذلك أننى أحلل هـذا الموقف مع أصدقاء • وثمة سبب واحد يثير حنقى أنا وزملائى ألا وهو أننا نرى صديقا يحطم نفسه بيديه لاسباب سوف تبدو تافهة بعد خمس سنوات من

الآن ، مثل الاقتراح الذى طرح فى عام ١٩٧١ ويقضى بعبور سبعمائة جندى مصرى لقناة السويس ٠٠ أن الاحداث تعمل على فرقتنا ولا أدرى كيف سنطرح مبادرة أمريكية أخرى فى المستقبل القريب ٠ وقد نذهب الى جنيف لبذل جهود متعددة الجوانب بالاشتراك مع السوفيت ، وهو الامر الذى لم يكن تتخيل على مدى خمسة أعوام أنه أفضل أمل لتحقيق النجاح ، وكنت أفترض أنه عندما ينعقد مؤتمر جنيف فان كل فرد سوف يتطلع الينا طلبا لتحقيق النجاح ٠ غير أن ذلك الامر لا يمكن أن يتحقق الآن ٠

آلون : ان المصريين فى حقيقة الامر لا يقدمون تنازلات كبيرة ٠

كيسنجر : ان التوصل الى اتفاق سوف يمكن الولايات المتحدة من أن تظل متحكمة فى العملية الدبلوماسية ذلك أن تحديد خط على مسافة ثمانية كيلومترات لا يبدو أمرا بالغ الاهمية على الاطلاق ٠ ولقد حصلتم على جميع العناصر العسكرية التى تنم عن انهاء حالة العداء ٠ فقد حصلتم على موافقه « بعدم استخدام القوة » أما العناصر التى لم تحصلوا عليها وهى انتقال الافراد بين البلدين ، وانهاء المقاطعة ، فانها تتعلق بذلك الخط الذى حدد لتوه ٠ ويوضح ذلك أن ما لم تحصلوا عليه ليس له صلة بتلك الخطة ٠٠

بيريز : ان الامر لا يتعلق بمسألة الممرات وانما بوضع منشآتنا العسكرية التى لا تستهدف أية أغراض هجومية ونعتبرها ذات أهمية أن الحكومة السابقه لم تتمكن من التغلب على الضربة النفسية ، التى نجمت عن قيام السوريين والمصريون بتوجيه ضربة مباغتة ٠ ومن ثم نحن فى حاجة الى جهاز انذار مبكر ٠ ذلك أننا نحتاج الى فترة تحذير تصل الى اثنتى عشرة ساعة ٠ والاتفاق المقترح يقضى بمنحنا فترة ست ساعات ٠ واذا كان المصريون قد قدموا أية تنازلات فيما يتعلق باستمرار الاتفاق وجهاز الانذار ، فان ما قلته سوف يعد أمرا مؤثرا للغاية ، غير أنه سوف يتعين علينا حينئذ اجراء مفاوضات جديدة مع سوريا ٠

كيسنجر : أنها لمأساة حقيقية ٠٠ لقد حاولنا التوفيق بين تأييدنا لكم وبين مصالحنا الاخرى فى الشرق الاوسط كى لا تضطروا الى اتخاذ قراراتكم كلها فى التو ٠٠ وقد تمثلت استراتيجيتنا فى محاولة انقاذكم من مواجهة جميع تلك الضغوط فى آن واحد ٠ واذا كان ذلك بمثابة حزب من التكتيكات السلمية ، واذا كنا نريد أن تعودوا الى حدود ما قبل عام ١٩٦٧ ، فانه فى وسعنا تحقيق ذلك نظرا لان الرأى العام العالمى والغالبية العظمى من الرأى المحلى تؤيدنا وتقف وراءنا ٠ الا أن الاستراتيجية استهدفت حمايتكم من مواجهة ذلك كله ٠ وقد تحاشينا وضع خطة شاملة لايجاد تسوية عالمية ٠٠ اننى أرى أن الضغوط تتفاقم لارغامكم على العودة الى حدود عام ١٩٦٧ ، وبالمقارنة بذلك فان الانسحاب لبضعة كيلومترات يبدو أمرا تافها ٠ اننى لست غاضبا منكم ، ولا أطلب منكم تغيير موقفكم ٠ الا أنها مأساة أن أرى أشخاصا يحكمون على أنفسهم بالسير فى طريق محفوف بالمخاطر ٠

وقال رابين بنبرة ملؤها الاسى والمرارة : لقد زرت قلعة « ماسادا » اليوم ٠

ووصف الامريكيون الآخرون الذين حضروا الاجتماع جو الاجتماع بأنه كان رهيبا ويدعو الى الفزع وكان موقف الاسرائيليين سلبيا طوال حديث

« كيسنجر » وهم لم يوجهوا أي اعتراض . وبدا الامر كما لو كانوا قد عقدوا العزم منذ البداية على عدم الاتفاق وعلى تدمير دبلوماسية الخطوة ـ خطوة ولو لفترة وانتاب الاسرائيليين قلق بالغ حيال ثراء العرب وقوتهم المتزايدة . في حين دب الضعف في الولايات المتحدة وكان « فورد » في موقف ضعيف وكذلك « كيسنجر » . وقد تضحي أمريكا وهي في حالة الضعف هذه باسرائيل في سبيل كسب ود العرب . أن الضعف الامريكي في جانب والقرار الاسرائيلي في جانب آخر ، وقد عقدت اسرائيل العزم الآن على أن تكون قوية .

ان مفهوم اسرائيل شيء ومفهوم « كيسنجر » شيء آخر .

إن «رابين » ليس قويا وهو يفتقر الى الكياسة كما أنه متردد وغير كفء . وقبل المفاوضات طرح رابين اقتراح انهاء حالة الحرب جانبا الا أن جماعة « ليكود » تحدته في الكنيست ، الامر الذي جعله يتبناها مرة أخرى . وربما يكون « رابين » متفقا مع « كيسنجر » الا أن منافس «رابين » شيمون بيريز وزير الدفاع ، هو الذي كان يهيمن على تلك المفاوضات . ويتسم « بيريز » بشخصية قوية وأنه طموح وحازم وبعيد عن السطحية وعلى استعداد لخوض المخاطر التي استحدثها « كيسنجر » . كما أنه أكثر شعبية من « رابين » و « آلون » مجتمعين ، ولم تكن شكوكهم تلقى أية استجابة لديه .

وبدا أن عددا من الوزراء يتفقون مع « كيسنجر » الا أنهم كانوا يتناحرون فيما بينهم ، غير أنه لم يكن في وسعهم الا الموافقة بصورة جماعية وايجابية . وكان « كيسنجر » يتوق الى لقاء « جولدا مائير » ذلك أنه كان في اعتقاده أن في وسعها حث مجلس الوزراء على الاذعان لمطالبه . وافتقد « ديان » نظرا لان خياله كان يصور له أنه في مقدور ديان التوصل الى حل .

وجلس الدكتور « كيسنجر » يفكر مليا في هزيمته وقال ، « ان اسرائيل لا تضع سياسة خارجية لها وانما تهتم بالسياسة الداخلية فحسب » .. وقد عرف عن اليهود على مدى التاريخ أنهم من المثقفين بصفة عامة ويعتبرون العالم بأسره وطنا لهم وذو بصيرة ثاقبة . غير أن الحال تختلف في اسرائيل فان المثل الاعلى هو الجندي المزارع . ولا يعد الجندي من المثقفين ويتسم عدد قليل من الجنود ببعد النظر . ويعرف المزارع بتمرده وحذره البالغ . ويرجع سبب رفض الاسرائيليين لذلك الاتفاق الى هذا التمرد والحذر البالغ وفقدان البصيرة وتمسكهم الشديد بما ورد في التلمود .

الفصـــل الثانى عشر

الروح التى سادت عام ١٩٧٦

وقبيل فشل المفاوضات قام الدكتور « كيسنجر » بزيارة الملك فيصل فى الرياض ٠ ولم تكن علاقاتهما بالامر اليســير على الاطلاق ، غير أن ما لاقاه « كيسنجر » من عذاب مع الاسرائيليين أثار شفقة الملك وتعهد بتأييد دبلوماسية « كيسنجر » واتسم لقاؤهما بالود البالغ ٠ وبعد مرور أسبوع على هـذا اللقاء لقى الملك حتفه على يد أحد أبناء أشقائه وكان يعانى مرضا عقليا ٠ وبدا أن وقوع ذلك الحادث بالاضافة الى فشل محادثات سيناء هى التى جعلت من جميع الكوارث التى تكهن بها « كيسنجر » فى القدس أمرا أكثر احتمالا ٠ وانتاب « كيسنجر » حنق بالغ ازاء الاسرائيليين ، واعتبر رفضهم بالاتفاق مسألة شخصية بحتة ، ذلك أن الرفض ليس موجها الى الولايات المتحدة فحسب وانما موجه اليه شخصيا ٠

وأثر عودته الى واشنطن ظل « كيسنجر لبضعة أسابيع فى ثورة عارمة ينقد حماقة الاسرائيليين لمساعديه وللزائرين على السواء ، وقد اضطر الى الاتصال تليفونيا بكبار الشخصيات اليهودية فى جميع أرجاء البلاد يشكو اليهم تعنت اسرائيل ورددت بعض صحف أمريكا بل واسرائيل ذاتها مدى الرعب والفزع الذى اجتاح « كيسنجر » ٠ وكتب « ميلتون فورست » المحلل السياسى البارز فى صحيفة « واشنطن بوست » يقول : أن ما قدمه السادات لاسرائيل انما هو فى الواقع حسرة : اذ قال لـ « رابين » ، عن طريق « كيسنجر » أنه سوف يعمل بوصفه سمسارا لاسرائيل فى العالم العربى ، وذلك فى حالة ما اذا تمكن من الحصول على أية مساعدة ملحوظة من قبل الاسرائيليين ٠ ومن الواضـح أن السادات يعتبر كل ما يقوله الاسرائيليون عنه ذا أهمية بالغة المعنى فى تنمية اقتصاده بدلا من الاستمرار فى شن حروب لا طائل من ورائها ٠ وقد كتب « يوئيل ماركوس » فى صحيفة « هآرتس » الاسرائيلية انه اذا حاولت اسرائيل أن تبرهن للولايات المتحدة على أن مصر لا تهتم بابرام اتفاق سلام ، فانها تحقق العكس ٠٠ ذلك أن مصر أثبتت أنها على استعداد لخوض المخاطر ، واذا حاولت اسرائيل التوصل الى اتفاق محـــدود « لكسب الوقت » كما هو واضح ، فانها تتراجع فى اللحظة الاخيرة ولا تحقق شيئا ٠٠ وهذا من شأنه أن يلقن اسرائيل درسا كى تنسق تحركاتها مع الولايات المتحدة ٠

وقد تميل انتقام كيسنجر من التمرد الاسرائيلى فى اعادة تقييم « السياسة الامريكية فى الشرق الاوسط ، وهو الامر الذى اثيرت حوله ضجة شديدة ٠ وأسفر عنه فرض حظر على شحن بعض المعدات العسكرية للدولة الصهيونية ٠ وتم ارجاء البت لبضعة أشهر فى طلب تقدمت به اسرائيل للحصول على

مساعدات مالية وعسكرية جديدة تربو عن ٥ر٢ بليون دولار ، واقتـــرح « كيسنجر » على « شيمون بيريز » و « ايجال آلون » ووزير المالية الاسرائيلية « يهوشع رابينوفيتز » ، الذين كانوا يزعموا زيارة واشنطن ، أن يظلوا في بلادهم الى حين الانتهاء من اعادة تقييم الســـياسة وأوقفت المفاوضات الخاصـة بارسال طائرات مقاتلة جـــديدة من طراز ف ــ ١٥ الى اسرائيل ، وأرجأ تسليم صواريخ لانس أرض أرض التى كان قد تم التعهد بتسليمها بالفعل ٠

وفضـــلا عن ذلك ، قام باستدعاء « دين راسك » ، و « جـورج بول » و « دافيد روكفلر » ، و « روبرت مكنمارا » ، و « مكجورى بندى » ، و « ويليام سكرانتون » ، و « جون ج ٠ مكلوى » ، « س٠د » و « جلاس ديلون » (« دافيد ك ٠ أى بروس » ، و « أفريل هاريمان » ، وعدد آخر من كبار الشخصيات في مجال السياسة الخارجية ، بالاضافة الى السفراء الامريكيين ذوى الاهمية فى الشرق الاوسط (اثنين منهم من المستشرقين) وذلك للاسهام فى ذلك العمل الموسع الذى يحتاج الى جهد ٠ وكان الاسرائيليون يرون معظم هؤلاء غير متعاطفين معهم ، وكان عدد من كبار الشخصيات المسئولة عن السياسة الخارجية تنتقد أسلوب الخطوة خطوة الذى ينتهجه « كيسنجر » نظرا لانه يستبعد من الناحية العلمية الاتحاد السوفيتى والدول الاوربيـة العظمى ، ذلك أنه دون اشتراك السوفييت عمليا ، يكون من المتعذر على الاطلاق ايجاد تسوية نهائية بين العرب واسرائيل ٠ وطالب « جورج بول » بالعودة الى مؤتمر جنيف واشتراك الاتحاد السوفيتى وأمريكا فى وضع حل يفـرض على الطرفين ، كملاذا أخير ، وهو ماكان « الجنرال ديجول » قد تكهن به ٠

واجتمع الدكتور « كيسنجر » كذلك بأعضاء مجلس الشيوخ ورجـــال الكونجرس وزعماء اليهود وكبار الشخصيات الاكاديمية ٠ وكانت توقعـات اعادة تقييم السياسة توحى بأحداث هائلة ٠ ولكن ما هى النتائج التى يترتب عليها ؟

وسرعان ما لاحت فى الافق ثلاثة مجالات للاختيار :

١ ــ يتعين على الولايات المتحدة أن تعلن عن تصورها لاى تسوية نهائية فى الشرق الاوسط ، تركز على عودة اسرائيل الى حدود ما قبل عام ١٩٦٧ مع اجراء تعديلات طفيفة تشمل منح ضمانات قوية لامن اسرائيل ٠ يضاف الى ذلك ضرورة انعقاد مؤتمر جنيف ، ويتعين على الاتحاد السوفيتى تشجيع التعاون فى ذلك المضمار كى تحل جميع المسائل البارزة (ومن بينها وضع مدينة القدس) الامر الذى ينبغى أن يحدد فى أجزاء ملائمة ويناقش فى لجان فرعية ٠

٢ ــ وفى حالة عدم تحقيق الخيار الاول ، يتعين على الولايات المتحدة أن تعمل على ايجاد تسوية شبه كاملة فى المستقبل القريب على أن تكون مصر هى المستفيدة ٠ وينبغى أن تنسحب اسرائيل من معظم اجزاء سيناء فى مقـابل انهاء حالة العداء السياسى ، على أن تتقرر حدودها النهائية مع مصر فى مرحلة لاحقة ٠

٣ ــ واذا لم يتحقق الخياران الاول والثانى ، تحاول الولايات المتحدة أحياء دبلوماسية الخطوة ــ خطوة ٠

وقد أيد غالبية كبار الشخصيات والاكاديميين الذين استدعاهم الدكتور كيسنجر الخيار الاول • وفى أول مايو عام ١٩٧٥ حضرت اجتماعا ضم عشرات من الاكاديميين من بينهم البروفيسير زينجيو بريزنيسكى والبروفيسير مالكولم كير ، والبروفيسير ستانلى هوفمان وناداف سارفان ، وتشارلز بوست السفير السابق لدى الامم المتحدة ، اجتمعوا فى حجرة المؤتمرات بالطابق السابع بوزارة الخارجية • وبدا الدكتور « كيسنجر » مبتهجا • واستهل حديثه بقوله « أننا لم نتوصل الى نتائج بعد فيما يتعلق باستراتيجيتنا حيال الشرق الاوسط ، ويرجع ذلك الى حد ما الى انشغالنا فى بعض المهام الاخرى خلال الاسابيع الاخيرة • وكان يشير الى سقوط « سايجون » منذ يوم أويومين ، وانهيار مفاوضات السلام التى كان يجريها بكر ، على مدى أربع سنوات فى الهند الصينية ، كما كان يقول للعرب دائما • ومضى يقول أن الهدوء يسود منطقة الشرق الاوسط فى الوقت الراهن نظرا لان العرب والروس يعتقدون أننا توصلنا الى شىء • والا فان حالة الجمود تحمل فى طياتها خطرا عظيما • وأمامنا نحو شهرين » •

وسرعان ما أجمع الاكاديميون على تأييد الخيار الاول • وقال « كيسنجر » دون أن يلزم نفسه بشىء « أنه حالما تقرر أنا والرئيس اتخاذ الاجراء السليم فسوف نحققه فى الحال • أن الموقف السياسى الامريكى يتميز بالمرونة فى الوقت الراهن ، وفى وسعنا اتخاذ الاجراء السليم » • وكان من الواضح أنه يشير ضمنا الى أنه اذا قرر هو والرئيس عقد مؤتمر جنيف من جديد مع طرح مشروع أمريكى يرتكز على حدود ما قبل عام ١٩٦٧ ، فانه لن يكون فى وسع أية معارضة قوية من جانب مؤيدى اسرائيل أن تقف أمامهم وأن تعوقهم عن تنفيذ قرارهم • ووجهت اليه سؤالا حول الخطط التى تدور فى خلده فيما يتعلق بالفلسطينيين وأجاب قائلا : « مستر شيهان » أتود أن تبدأ ثورة فى الولايات المتحدة ؟ « وما هو الحال بالنسبة للروس » ألا يمكن أن نشركهم على الاقل فى مرحلة المفاوضات ؟

وكانت اجابته واضحة للغاية •

اذ قال الدكتور « كيسنجر » أن العرب أنفسهم يروقهم النمط الذى ينتهجه الروس فى المفاوضات ذلك أن العرب يرون أن الروس أيضا يلتزمون وعلى نحو مفرط بحرفية القانون • فالروس يعقدون آية مفاوضات • ويفدون الى المفاوضات حاملين معهم قوائم طويلة من الاعتراضات ويتوقون الى فصل كل نقطة كى تبحث على حدة • وقد قام « جروميكو » بزيارة واشنطن فى الآونة الاخيرة • وأعد له « كيسنجر » مقابلة مع الرئيس « فورد » • وكان يحمل قائمة طويلة بشأن الحد من الاسلحة الاستراتيجية وقال : « أنه يمكن تطبيق كل فقرة على الصعيد العالمى ولكنها لن تكون سارية المفعول عالميا أو أنها سارية المفعول عالميا ولكنها غير صالحة للتطبيق عالميا •• ولم يستطع كيسنجر أن يتذكر ما قاله جروميكو على وجه التحديد واستدار الرئيس اليه وهمس له قائلا « عم يتحدث بحق السماء » ؟ •

وجنح الجميع بالضحك غير أننى غادرت الاجتماع مضطربا بعض الشىء • وترددت فى ذهنى بعض التساؤلات اذا تم استبعاد الروس والفلسطينيين من

مشروع السلام الامريكي فما هو الهدف من طرح المشروع وما هو الغرض من اعادة تقييم السياسة ، أو هل كانت كل تلك المشاورات مجرد عرض لمسرحية زخرفية ميلودرامية حتى يعد الدكتور كيسنجر حلا منفردا خاص به ؟ .

ومما لا شك فيه أنه في مستهل الامر ومنذ نهاية شهر مارس الى بداية شهر مايو بدا أن ثم فرضه لتحقيق الخيار الاول . وقد ساهم أبرز سفراء الدكتور كيسنجر في منطقة الشرق الاوسط ، هيرمان اليتس (لدى مصر) وريتشارد مورفي (لدى سوريا) وتوماس بيكرنج (لدى الاردن) ساهموا جميعا في اعداد ورقة يوضحون فيها موقفهم ويحثون على انتهاج ذلك الطريق ، وانضم اليهم بتحفظ كينيث كيتنج السفير الامريكي لدى اسرائيل الذي توفى أثر ذلك بفترة وجيزة . وعلى الرغم من أنه تم الاشارة ضمنيا في الخيار الاول الى ضرورة حل المسألة الفلسطينية الا أنه تم ارجاء تلك المسألة في الورقة السرية وفي عديد من المناقشات التي أجراها كيسنجر . وتمثلت رغبة العرب الكبرى في تخلي الولايات المتحدة عن أسلوب كيسنجر الغامض واعلان مفهومها الخاص بايجاد تسوية عالمية ترتكز على الانسحاب الاسرائيلي الكامل أو شبه الكامل ، الامر الذي كان الاسرائيليون يشعرون حياله ببغض شديد . وقد حث أشخاص غير موالين للصهيونية من أمثال ويليام فولرايت عضو مجلس الشيوخ السابق كيسنجر والرئيس فورد على العمل على ايجاد تسوية غير أن كليهما أحجم على ذلك خوفا من ردود فعل الناخبين الامريكيين الموالين لاسرائيل .

وقد ساهم أيضا في عملية اعادة تقييم السياسة الامريكية ، كبار مساعدي الدكتور كيسنجر لشئون الشرق الاوسط ، سيسكو وكيل وزارة الخارجية ، وأثيرتون نائب الوزير ، وسوندرز نائب وكيل الوزارة وروبرت أوكلي عضو مجلس الامن القومي ، وجميعهم من أبرع الفنيين .

وكان سيسكو هدفا لدعابات كيسنجر اللاذعة غير أنه كان يقدره بوصفه أستاذا سابقا في التكتيكات وفي العمل على كسب الوقت وتنفيذ السياسة الامريكية على مدى أسبوع يبدأ من يوم الخميس وظل لعدة سنوات مواليا لاسرائيل ، وكان شاغله الرئيسي يتركز حول الابعاد المحلية للسياسة الخاصة بالشرق الاوسط ، التي تتمثل فيما سوف يقبله أو مالا يقبله اليهود الامريكيون . وقام سيسكو بالاشتراك مع السوريين باعداد صيغة خاصة بقوة الطوارىء التابعة للأمم المتحدة لمراقبة تنفيذ فك الاشتباك على مرتفعات الجولان، واعتبر ذلك بمثابة محاولة لانقاذ ماء الوجه وترتيبات سياسية قوية ومثالا على مايتميز به من مواهب . ويقول أحد زملائه السابقين «أن جو ، له مقدرة فائقة على الحيلولة دون وقوع الكوارث ، ماذا كان الخندق على وشك الانهيار فان جورسوف يندفع ويضع حوله سدا من الوعود أو حتى من قطعة من الورق كما أنه يقول لكل فرد ما يريد أن يسمعه ـ وقد فعل ذلك مع المصريين والاسرائيليين قبل عام ١٩٧٣ ، وحققت تلك السياسة نجاحا لبعض الوقت .. أما الاستراتيجية ؟ فهي أمر يفوق ادراكه » .

وقام سوندرز وأوكلي بجمع وتنسيق عدد من الاوراق التي توضح فرص الخيار المتعلقة بالمشاكل الكبرى وذلك قبل أن يبحثها كيسنجر . وخلال المناقشات التي جرت في شهري مارس وأغسطس عام ١٩٧٥ أعد سوندرز وأوكلي

(بالاشتراك مع أثيرتون) مسودة صيغة تضم عدة نقاط تم الموافقة عليها أولا تزال قيد البحث ، وسوف يقوم كيسنجر بتنفيذها ، وفى الوقت الذى كانوا يعدون فيه تلك الصيغة ، والمفاوضات لا تزال ، جارية ، بزغت عناصر وعقبات جديدة ، كانوا يواصلون عملهم حتى منتصف الليل لصقل تلك الصيغ التى أعدوها .

وأن هارولد سوندوز يعمل محللا لوكالة المخابرات المركزية قبل انضمامه الى مجلس الامن القومى فى عام ١٩٦١ . ومع حلول عام ١٩٦٧ ، أى قبل عامين من تولى كيسنجر رئاسة المجلس ، تولى سوندرز منصب مدير مجلس الامن القومى لشئون الشرق الاوسط . وفى ايجاز كان سوندرز على درجة عالية من الكفاءة والدهاء . وذاع صيته فى وزارة الخارجية وذلك لما يتسم به من دقة وبعد نظر وقدرة على الاقناع فى تحليل الوثائق الاستراتيجية . غير أنه ساهم فى الحكمة الاستراتيجية التقليدية قبل حرب أكتوبر وهى التى تمثلت فى ارسال الاسلحة الى اسرائيل لمنحها مزيدا من الثقة فى أية مفاوضات . وفى حالة ما اذا طرأ على ذهنه أية أفكار أخرى مبتكرة فانه لايتمكن من اقناع رؤسائه بها . ونقل كيسنجر سوندوز من البيت الابيض وضمه الى وزارة الخارجية عقب مرور عشرة أشهر من توليه منصب وزير الخارجية .

وخلف روبرت أوكلى هارولد سوندرز فى منصبه بمجلس الامن القومى . وعلى عكس سوندوز وسيسكو اللذين لم يتخصصا قط فى شئون الشرق الاوسط . كان أوكلى على دراية تامة بالمنطقة . ورغم أنه لم يكن من المستشرقين ، الا أنه كان يعمل ، حتى عودته الى واشنطن ، ضابطا سياسيا فى السفارة الامريكية فى بيروت ، حيث أجرى ، ضمن مهام أخرى ، وعلى مدى عدة أعوام اتصالات غير رسمية بكبار الشخصيات الفلسطينية . وكان أوكلى مثله مثل سوندرز متواضعا الى أبعد حد فى حديثه ، ويمتلك مقدرة عقلية تحليلية حادة واستقلالا هائل فى الفكر . وعلى غرار سوندرز ، كان أوكلى لا يعرف الكلل فى محاولاته لاضفاء الحياة على أفكار كيسنجر التجريدية ، غير أنه كان حريصا للغاية على التظاهر (حتى مع كيسنجر) بأنه يوافقهم على طول الخط . وكان يعتبر شخصية جديدة على كيسنجر بحيث بذل جهدا كبيرا حتى ينال ثقته كما فعل أثيرتون سوندوز . وهو بالنسبة للمسألة الفلسطينية كما يحبذ انتهاج سياسة أمريكية أكثر جرأة بيد أنه أدرك الضغوط المحلية التى تحاصر وزير الخارجية .

غير أنه ربما يكون الفريد لوى أثيرتون مساعد وزير الخارجية لشئون الشرق الادنى وجنوب شرق آسيا هو أفضل مساعدى كيسنجر المقربين الى نفسه . وتلقى تعليمه فى بيتسبرج ، سبرنج فيلد وساشوستس وعمل ضابطا فى المدفعية أبان الحرب العالمية الثانية . والتحق بالسلك الدبلوماسى وعمل به على مدى نحو ثلاثين عاما . ووصل الى مرتبة سفير . وعمل فى بون وشتوتجارت وفى دمشق أيضا ، وحلب وكلكتا ، غير أنه استقر فى واشنطون لمدة اثنى عشر عاما . وكان يعمل نائبا لوكيل وزارة الخارجية خلال حرب أكتوبر ، ثم خلف سيسكو (فى عام ١٩٧٤) كرئيس للمكتب عندما تم ترقية سيسكو الى منصب وكيل الوزارة .

ويعد أثيرتون بمثابة تجسيد للاخلاقيات المسيحية ، وهو من المتحمسين وعضو في تلك الطائفة ويميل الى تكريس نفسه خلال فترات راحته لقضايا كنيسته الا • أنه لا ينعم بفترات راحة طويلة • ويقوم هو وزوجته (بيتى) وأبناؤه وبناته ، باستضافة الشـــباب الذين لا مأوى لهم وذلك فى مقرهم بالقرب من فندق شيراتون بارك الذى يقع شمال غرب واشنطن • (وتساعد بيتي أيضا فى ادارة مدرسة للاطفال المعوقين) • ويستيقظ أثيرتون فى السادسة صباحا ، ويصل الى مكتبه فى حوالى الثامنة • وغالبا ما يظل هناك حتى الساعة العاشرة أو الحادية عشرة مساء ، ويميل الى بحث المشاكل المزمنة مثل مشاكل الشرق الاوسط والهند وباكستان وشمال أفريقيا وكل ما يدخل فى نطاق اختصاصه • ويعمل طوال أيام السبت بل وفى أيام الاحاد وذلك حينما يستدعيه كيسنجر أو عند انفجار أية أزمة جديدة • وعندما كان يصحب كيسنجر فى طائرته الى الشرق الاوسط لم تكن عيونه تغفل اذ كان يتولى انجاز مهام ذات أهمية بالغة وكان يظل قابعا بجوار التليفون الذى يصله بمكتب الوزير فى الطابق الذى يعلوه ، كى يقوم بصياغة برقية الى القاهرة أو دمشق أو كتابة مذكرة أخرى ليتم التفاوض بشأنها مع الاسرائيليين أو يعد بيانا لطرحه على بعض لجان الكونجرس وغالبا ما يفقد كيسنجر وسيسكو أعصابهما غير أن أثيرتون لا يفعل ذلك أبدا • ونادرا ما يرفع صوته وأينما زرت مكتبه كان هدوؤه وقدرته على ربط جأشه ، أمرا مثيرا للدهشة ، وذلك مهما كان مجهدا أو كان هناك ما يقلقه • الا أنه كان يبدو متوترا عندما يثقل عليه الوزير بالطلبات ويقفز مسرعا الى الباب ويقول « اننى آسف يا ادوارد ، اذ أنه ينبغى اعداد مسودة برقية عاجلة » أو يقول ببساطة « آسف فان الوزير يريدنى » • « وقد حاولت الاعتراض أكثر من مرة ووددت أن أقول له » أمن الضرورى أن تهرع عندما يطلبك ؟ « ألا تستطيع أن تسير اليه ؟ هل سيموت اذا لم تفعل ذلك ، ، أو أن العالم سينهار اذا جعلت كيسنجر ينتظر لمدة خمس دقائق » •

قد أكون مبالغا فى انطلاق روى أثيرتون بسرعة أو مبالغا فى تفانيه واخلاصه • اننى أدرك أنه يتوق الى الفرار من العمـــل فى واشنطن ، والعمل فى ســفارة يسودها الهدوء حيث يمكن أن يتأمل البحر المتوسط ويأخذ سنة من النوم فى وقت الظهيرة ويتمتع بضحكات زوجته • وأعلم أنه ارتكب بعض الاخطاء ، ومن بينها مشاركته فى قصر نظر السياسة الامريكية قبل حرب أكتوبر ، وحتى اذا أدرك نواحي القصور فى استراتيجية كيسنجر ، فانه يلزم الصمت أو لا تكون لمعارضته أية فاعلية • وكما هو الحال بالنســـبة للذين يعملون فى السلك الدبلوماسى ، فقلما يدرك المرء ما يدور فى خلد أثيرتون • ومع ذلك فانه مثلي الاعلى فى انكار الذات فضلا عن قدراته الفنية الفائقة ، تدفعه على الدوام رغبـة فى أن يثبت لرئيسه أنه جدير بالثقة •

ويعد الدكتور كيسنجر من الساميين الذين يطالبون بتلك التضحيات الرهيبة ضاربين عرض الحائط بكل من حولهم • وهو صارم فى أغلب الاحيان وقلما أن يوجه الشكر لاحد • يحمل مساعديه أكثر من طاقتهم واحتمالهم ، ويوجه اليهم نقدا قاسيا ومريرا فى حالة ما اذا لم ينجزوا أعمالهم على أكمل وجه ، ويستوعب

افضل أفكارهم ويستغلها لمآربه الخاصة ثم ينفرد باصدار قراره • وعندما تنجح سياسته ، فانه يتلقى الهتاف والتصفيق بمفرده •

وقد تكررت تلك العملية خلال فترة اعادة تقييم السياسة وبالرغم من ذلك المجهود الفكرى الخارق للعادة ، وبرغم تحذيراته التى وجهها للاسرائيليين يوم ٢٢ مارس ، فان كيسنجر لم يحبذ الخيار الاول على الاطلاق • ومع مرور الايام والاسابيع فترت مشاعره ، وتشتت قدرته على التحليل الهادى ووهنت عزيمته فى عملية اعادة تقييم أسس السياسة الخارجية نتيجة لتأثير قوى أخرى •

ولم يكن للعرب أية استراتيجية مشتركة أو اجماع فى الرأى حول التنازلات التى ينبغى عليهم تقديمها لاسرائيل فى حالة اعادة انعقاد مؤتمر جنيف الامر الذى جعل الروس يترددون فى اعادة عقد مؤتمر ومن ثم لم يتعجلوا عقد مؤتمر مآله الى الفشل • ويتوق السادات الى استرداد الاراضى بسرعة ، غير أنه لا يستطيع المخاطرة بالموافقة على الخيار الثانى ، الذى يتمثل فى التوصل الى تسوية شبه كاملة ، دون احراز تقدم مماثل على كافة الجبهات ذلك أنه سوف يصبح منبوذا بين أشقائه العرب • أضف الى ذلك أن السادات كان يتوق الى تجفيف الاعباء من اقتصاده المعتل ، فضلا عن أن المجادلات العقيمة فى مؤتمر جنيف قد تصيب المستثمرين الاجانب بالرعب • غير أن الرسالة الاخيرة التى وجهها كيسنجر الى الاسرائيليين يوم ٢٢ مارس قد أعدت بدقة بالغة ، بيد أن رغبتهم فى انتهاج سياسة واقعية لم تكن تقل عن رغبته ، ولم يخدعهم كيسنجر • اذ أن السادات لم يكن لديه أى استعداد لخوض حرب أخرى ، وكان الاسرائيليون يدركون ذلك تماما ، وساعد على ذلك ، تلك المساعدات العسكرية التى أرسلها كيسنجر الى تل أبيب وتفاقم الموقف بين السادات والروس وازداد تدهور العلاقات بينهما اذ اقتصر السادات على الاتصال بالامريكيين بمفردهم وتمسك بهم • وظل الراديكاليون من العرب يهددون ويصيحون دون فاعلية عندما آكد السادات مرة أخرى ايمانه بكيسنجر ، وجدد صلاحية قوات الطوارىء فى سيناء ، وفى مستهل شهر يونيو أعاد فتح قناة السويس • وقد جاءت كل تلك العوامل مجتمعة مخيبة لتوقعات كيسنجر ، أو أرجأت تحقيقها على الاقل غير أن جماعات الضغط الاسرائيلية هى التى وجهت لعملية اعادة تقييم السياسة الامريكية الضربة القاضية •

وقد لعب التفاعل بين الدكتور « كيسنجر » واليهود الامريكيين دورا حاسما فى تشكيل سياسته الخاصة بالشرق الاوسط ذلك أنه اذا لم يتمكن من اقناع اليهود الامريكيين فكيف اذن يتسنى له اقناع اسرائيل ؟ ومنذ صباح حرب أكتوبر ظل يجتمع على نحو منتظم مع زعماء اليهود والمفكرين ، كى يفسر لهم الدوافع وراء دبلوماسيته ويطلب منهم تعضيده • ولم تتغير رسالته الاساسية قط • وقد أدت الحرب الى بزوغ حقائق جديدة ، اذ أضحى المعتدلون العرب على استعداد لاقرار السلام ، وعلى اسرائيل أن تستجيب ، من أجل الحفاظ على بقائها ، فى حين أنه فى مقدور أمريكا اقناع العرب ، أن السلام لا يمكن تحقيقه قط ما لم تقدم اسرائيل تنازلات • وبدأ « كيسنجر » بعض الوقت أنه قد حقق نجاحا بانتهاج تلك الخطة ، غير أنه مع نهاية عام ١٩٧٤ ، اعتبره عدد كبير من اليهود الامريكيين بمثابة عدو لاسرائيل ، وبالنسبة لبعضهم الآخر بمثابة خائن

لجنسه • وترددت في وزارة الخارجية الامريكية حقيقة بديهية هي أن ديانة « كيسنجر » اليهودية قد ساعدته في مهمته معه العرب ، وأساءت الى علاقاته مع الاسرائيليين • وفي صيف عام ١٩٧٥ ، كان أحد جماعات الضغط البارزين في واشنطن يردد عبارة كنت أسمعها دائما في كل مكان • اذ قال لي لقد قابلت « كيسنجر » مرة في « هارفارد » • واستعنت بجملة عبرية • وعند سماعها بدأ عليه الخنوع ذلك أنه اليوم بمثابة يهودي يكره نفسه » •

ولم أتمكن من التوغل الى أعماق «كيسنجر» ، غير أن مساعديه المقربين لاحظوا أن شيئا لم يسبب له حزنا عميقا مثل هذا الاتهام • وقال أحدهم : « انه يتسم بالموضوعية حيال اسرائيل غير أنه لم يكن متحيزا • اذ كيف كان في وسعه أن يكون كذلك • أنه يفخر بشعبه الى حد بعيد ويفخر دوما بكونه يهوديا • وعندما يطالب باجراء تغييرات في السياسة الاسرائيلية ، فان ذلك يرجع بالتحديد الى أنه يريد الرخاء لاسرائيل والجنس اليهودي • ان اتهامه بخيانة اليهود أمر يحز في نفسه ويجعله يذرف الدموع • » وخلال تلك الاسابيع المفعمة بالمشاعر أثر فشل المحادثات ، طرح « كيسنجر » سؤالا على بعض زائريه من اليهود ، « كيف يمكن بوصفي يهوديا الاقدام على أي شيء يعتبر خيانة لعشيرتي » ؟ وفي أكثر من مرة يكاد يبكي •

وخلال شهر أبريل عام ١٩٧٥ ، تردد في أروقة وزارة الخارجية أنه تم اتخاذ قرار جريء بانتهاج الخيار الاول • علينا أن ننقذ الاسرائيليين من أنفسهم لقد نفذ صبر «الكونجرس » ، ومن ثم فانه سوف يوافق على أي قرار نتخذه على الفور والواقع أنه كانت هناك تكهنات عامة ، تنم عن أفول المشاعر الموالية لاسرائيل في «الكونجرس» ، وقد أقرت جماعات الضغط تلك الحقيقة • واذا كان من المقدر أن يتوقف «كيسنجر» عن أداء تلك المهمة فمن المحتم أن يقول « الكونجرس » بذلك ، وقد كانت لجنة العلاقات العامة الامريكية الاسرائيلية ، وهي طليعة جماعات الضغط ، تمارس نشاطا كبيرا خلال تلك الفترة ، لم يتعرض بالهجوم لشخصية وانما هاجمت أيضا سياساته في الشرق الاوسط وقبرص وتركيا ، وفضلا عن ذلك فقد قام المتشددون من جماعات الضغط بحث أعضاء مجلس النواب والشيوخ على تقديم مزيد من المساعدات المعنوية والعسكرية لاسرائيل • وفي الوقت نفسه قامت شرذمة من الاسرائيليين مكونة من أشخاص مثل « آلون » و «ايبان» ، و «ديان» بالتجول في جميع أرجاء الولايات المتحدة يردون على اتهامات « كيسنجر » بالنسبة لمفاوضات مارس ويحاولون تدعيم صورة اسرائيل بأنها بوصفها مركز الديمقراطية فانها ما تزال متحمسة في سعيها من أجل السلام •

وبالرغم من أن عددا كبيرا من رجال « الكونجرس » قد أظهروا بعض الاستياء حيال الضغوط العنيفة التي تمارسها جماعات الضغط الا أن النظام الامريكي ذاته حتم عليهم الاستسلام ذلك أن اسرائيل تتمتع بنفوذ قوي على الناخبين الأمريكيين، وليس الأمر كذلك بالنسبة للعرب ، ذلك أنه بالرغم من ثرائهم ، فان تأثير السياسات العرفية على شركات البترول كان متفاوتا • وكان يدور في أذهان مساعدي « كيسنجر » عند صياغة الخيار الأول ، أن يتوجه الرئيس « فورد » الى الشعب الأمريكي ليشرح له في اسهاب على شاشات التليفزيون مشكلات الحرب والسلام في الشرق الاوسط ، ويطالب بضرورة انسحاب اسرائيل مقابل حصولها

على أقوى الضمانات • وكان الرئيس يشعر أيضا بالحنق من جراء تصرفات اسرائيل وأحيانا ما راودته فكرة مقاومة جماعات الضغط والكونجرس ومخاطبة الشعب مباشرة • وتردد في الاقدام على ذلك وقال متسائلا كيف سيكون وقع ذلك على مدينة بيوريا فأجابه ويليام فولبرايت قائلا : ــ انك لن تعرف حتى تقوم بذلك بالفعل • وحثه قائلا : « افعل ذلك أولا ثم أنك تستطيع بعد ذلك أن تعرف رد فعل بيوريا » غير أن فورد » كان يخشى ردود الفعل السياسية وكذلك كانت الحال بالنسبة لـ « كيسنجر » ولقد قال لى أحد كبار الدبلوماسيين مرات عدة ، وكان يزور « واشنطن » ذلك الوقت فى كل مرة أعود فيها الى « واشنطن » الاحظ تضاؤل الفرص أمام الخيار الأول •

وفي يوم ٢١ من مايو عام ١٩٧٥ بعث ٧٦ عضوا فى مجلس الشيوخ برسالة جماعية الى رئيس الجمهورية كي يوافق على طلب اسرائيل الخاص بحدود يمكن الدفاع عنها ، وحصولها على مساعدات عسكرية واقتصادية هائلة ، وهذا نص الرسالة •• سيدى الرئيس :

منذ عام ١٩٦٧ ، كانت السياسة الامريكية تتمثل في ضرورة ايجاد تسوية للنزاع العربى الاسرائيلي تقوم على أساس وجود حدود آمنة معترف بها ويمكن الدفاع عنها ، واجراء مفاوضات مباشرة بين الدول المعنية • ونحن نعتقد أن ذلك الاتجاه مايزال يمثل أفضل أمل لاقرار سلام دائم وعادل• وفي الوقت الذى يدعو بيه توقف المرحلة الثانية من المفاوضات الى الأسف ، فان تاريخ النزاع العربى الاسرائيلي يوضح أن أى انسحاب لاسرائيل ينبغى أن يقابله اتخاذ الدول العربية المجاورة خطوات ملموسة فى طريق السلام •

وقد أوضحت الأحداث الأخيرة حاجة أمريكا الى حلفاء يمكن الاعتماد عليهم ، وضرورة اشتراك « الكونجرس » على نحو أكبر فى تشكيل السياسة الخارجية الأمريكية • ذلك أن التعاون بين « الكونجرس » والرئيس أمر ضرورى لمدى تأثير أمريكا على العالم •• اننا نعتقد أن اقامة علاقات خاصة بيننا وبين اسرائيل لا تعوق عملية تحسين العلاقات مع الدول الاخرى الموجودة فى المنطقة • ونعتقد أن وجود دولة اسرائيلية قوية انما يشكل أكبر عائق يمكن الاعتماد عليه أمام أية محاولات تقوم بها أطراف خارجية لبسط سيطرتها على المنطقة • وفي ضوء تدفق الاسلحة السوفيتية على المنطقة بكميات هائلة فى الآونة الاخيرة ، فان ذلك يدفعنا الى أن لا نسمح لميزان القوى بأن ينقلب ضد اسرائيل •

ونعتقد أن الحفاظ على السلام يتطلب أن تحصل اسرائيل على مستوى من المساعدات الاقتصادية والعسكرية يمكنها من ردع أى حرب جديدة تشنها الدول المجاورة لها • ان وقف العتاد العسكرى عن اسرائيل سيكون أمرا خطيرا ، ويحبط محاولات تسوية للنزاع مع جيران اسرائيل ، ويشجعهم على استخدام القوة • ويتوقع « الكونجرس » خلال الاسابيع القادمة أن يحصل على موافقتكم على نبذ المساعدات الاجنبية لسنة ١٩٧٦ المالية ونحن نثق فى أنكم سوف تستجيبون لاحتياجات اسرائيل العاجلة الاقتصادية والعسكرية • ونناشدكم أن تعلنوا بوضوح ، كما نفعل الآن ، أن الولايات المتحدة ، خدمة لمصالحها الوطنية ، تقف بثبات الى جانب اسرائيل فى سعيها من أجل اقرار السلام فى المفاوضات التي تجرى فى المستقبل وأن تلك المقدمة هى أساس لعملية اعادة تقييم سياسة الولايات المتحدة الراهنة حيال الشرق الاوسط •

ووقع تلك الرسالة أبرز شخصيات مجلس الشـــيوخ ومن بينهم « تشارلز بيرس » و « مليك مانسفيلد » ، و « مارك هاتفيلد » وقد أثار (جورج مكجفون) ، وهو من بين الموقعين على الرسالة ، قلق كل فرد فيما بعد عندما ما أوضح قائلا أنه سوف يكون من الحماقة بالنسبة لاسرائيل أن تفترض أن المساعدات الامريكيـة تعنى الموافقة على الحدود الراهنة في الشرق الاوسط • ذلك أن الحدود الراهنة لا يمكن الدفاع عنها ، وهى بمثابة تأكيد فعلى على استمرار النزاع •• وفى مقابل الاعتراف باسرائيل فانه يتعين عليها اعادة الاراضى المحتلة ، وأن توافق على حق الفلسطينيين فى تقرير مصيرهم وذلك يعنى أن يكون لهم الحق فى وجود كيـان سياسى خاص بهم » •

وكتب توم ياردين فى صحيفة « واشنطن بوست » على نحو أكثر وضوحا :

« ان رسالة أعضاء مجلس الشيوخ لم تجعل من كيسنجر سوى مجرد « ساعى بريد » وأكدت للدول العربية أنه لا يتمتـع بأية قوة تمكنـه من عقد اتفاق • والمعروف أن زعماء اسرائيل قد عقدوا العزم على المطالبة بتقديم مزيد من التنازلات واعتبروا رسالة أعضاء مجلس الشيوخ بمثابة وسيلة لكى يدرك « كيسنجر » من هو الرئيس • وفى تلك الحالة قد تؤتى دبلوماسية الخطو ـ خطوة ثمارها • الا أنه ما لم يتحقق ذلك فان المهمة تعتبر ملغاة ، وينبغى أن لا يغادر « كيسنجر » بلاده• ووفقا للقواعد التى أرساها مجلس الشيوخ فانه ينبغى ارسال أحد أعضائه لاجراء المفاوضات •

ومن الواضح أن تلك الرسالة كانت بمثابة انتصار مذهل لجماعات الضغط ، وهجوم عنيف على « كيســنجر » فى « الكونجرس » • (وقد أعادت جمـاعات الضغط تأكيد قوتها فى الصيف ، ووجهت ضربة « لكيسنجر » والملك حسين عندما اعترضت فى مجلس الشيوخ على بيع صواريخ « هوك » الدفاعية للاردن • وكانت رسالة مجلس الشيوخ بمثابة طعنة خاطفة من قبل اسرائيل • لعمليـــة اعادة تقييم السياسة الامريكية، وبالرغم من أنه بدا فيما بعد أنها ماتزال مستمرة• وفى ذلك الوقت ، أسدى « سيسكو » و « أثيرتون » و «سوندرز » و « أوكلى » نصيحة جماعية لـ « كيسنجر » توضح أنه ليس أمام الخيار الاول أى أمل فى أن ينجو من الهجمات المضادة لجماعات الضغط ، وليس ثمة خيار الا اسـتئناف الخطوة خطوة • واستجاب (كيسنجر) لتلك النصيحة وأرجأ طرح اختيار آخر، ذلك أنه فى يوم ما فى المستقبل ، عندما يزداد نفوذ الرئيس ويضحى أكثر قوة ، وعندما تبشر احتمالات النجاح فانه قد يتوجه الى الشعب حاملا معه مشروعا أمريكيا لاقرار سلام يقوم على أساس الخيار الاول •

ومن ثم فعندما اجتمع (فورد) بالرئيس الســادات فى (ســالزبورج) فى مستهل شهر يونيو رفض طلبا طرحه الســادات بالالتزام بالعودة الى حدود عام ١٩٦٧ الا أنه بعث فى نفسه الطمأنينة وذلك بإقراره تعهدا سريا كان (نيكسون) قد التزم به • وقبل السادات على مضض النتيجة التى توصل اليها « كيسنجر » بالفعل ، وهى تتمثل فى أنه ليس ثمة خيار قائم الا استئناف المفاوضات المؤقتة غير أنه تشبث بضرورة تخلى اسرائيل عن منطقة الممـرات وآبار البترول • وقام

الرئيسان ببحث التنـازلات الجـديدة التي قد تقدمهـا مصر ، ولأول مرة يوافق السادات على وجود الفنيين الامريكيين في المنطقة العازلة (مع استبعاد الاسرائيليين)

وساد جو من الوئام بين السادات و (فورد) • وعلى العكس من « نيكسون » ، كان « فورد » يقدم التبغ للسادات ، وتحدث معه في أمور عامة ، حيث كان يدرك ان ذلك الامر يجعل السادات مطمئنا ويبدد عنه مشاعر القلق والارتباك • وكان « نيكسون » قد ألمح الى أنه سوف يقوم بمد خط ساخن لمناقشة المسائل العاجلة بين واشنطن والقاهرة ، وأنه في وسع مصر أن تعتمد في نهاية الامر على الاسلحة الامريكية • ولم يكن « فورد » قد أنشأ الخط الساخن بعد ، ولكنه أبلغ السادات في حضور « كيسنجر » أنه سوف يلغي في الحال الحظر الذى تفرضه أمريكا على ارسال الاسلحة الى مصر ، وأنه سيتم شحن عتاد بسيط في بادىء الامر •

وعندما زار « رابين » « واشنطن » أثر ذلك بأسبوع ، كان كل من « كيسنجر » و « فورد » متجهما للغاية • وأقر مرة أخرى المطـالب المصرية وأكد أنه لا ينبغي لاسرائيل أن تعتمد على المساعدات الامريكية الهائلة حتى تجرى مفاوضات بشأن ايجاد تسوية جديدة خاصة بسيناء • ولوح « فورد » بأسلوب بارع غير مألوف بالخيار الاول أمام أعين « رابين » اليقظة • وحذره بقوله أنه اذا لم تقدم اسرائيل تنازلات كثيرة خلال المفاوضات ، فانه سوف نضطر الى احياء مؤتمر جنيف وأشار ضمنيا الى أن الولايات المتحدة سوف تحبذ العودة الى حدود عام ١٩٧٦ • والواقع أن « كيسنجر » احتج على استمرار بناء مستعمرات اسرائيلية في الاراضي العربية المحتلة ، وقال « لرابين » في صراحة أنه على اسرائيل أن تتخلى في نهاية الامر عن فكرة توطين المهاجرين في الاراضي المحتلة ، وأن تعود الى حدود ما قبل عام ١٩٦٧ •

وتلقى (رابين) الرسالة ، وكما فعل السادات ، قرر مجلس الوزراء الاسرائيلي بالفعل أنه ليس أمام اسرائيل أى خيار الا استئناف المفاوضات المؤقتة • ومع ذلك فقد كان « رابين » يدرك تماما أن الولايات المتحـــدة في مسيس الحاجة الى ذلك الاتفاق كي تدعم من سياستها تجاه الدول العربية ، ومن ثم فانه عقد العزم على المطالبة بثمن باهظ للغاية • واستأنف الاسرائيليون محاولة كسب الوقت الذى يبحثون فيه موضوع الثمن وأرجئت اجتماعات مجلس الوزراء في القدس ، وطلبت « ايضاحات » و « تفسيرات » من « كيسنجر » والسادات ، وكان الاسرائيليون يتوقون الى الاحتفاظ بموقع على الأقل في الممرات • وانقضى شـــهر يونيو وتلاه يوليو وجزء كبير من أغسطس وهم مايزالون يســاومون مع « كيســنجر » حول موضع الخط الجديد •

وتعهد (كيسنجر) بتقديم نحو ١ر٨ بليون دولار في شكل أسلحة ومساعدات اقتصادية جديدة ، وتحقيق طلب اسرائيل الذى لم يبت فيه بعد والخاص بالحصول على ٢ر٥ بليون دولار غير أنه مع حلول منتصف أغسطس ارتفـع ذلك الرقم الى ٣ر٥ بليون دولار • وفي ذلك الحين وصل « موردخاى جازيت » مدير عام مكتب « رابين » الى « واشنطن » حاملا معه مســودات مذكرات اسرائيليـــة سرية تتوقع اسرائيل أن تلحقها الولايات المتحدة بالاتفاق الجديد • ويقول أحد كبار مساعدى

(كيسنجر) أن تلك المسودات تشكل ببساطة أمر لا يمكن تصديقه · ذلك أنها تطالب باقامة تحالف سياسي وعسكري رسمي بين الولايات المتحدة واسرائيل · والأمر الذى يمنح اسرائيل حق استخدام الفيتو حيال مستقبل السياسةالامريكية في الشرق الاوسط ·

وفي الوقت نفسه ، كان «كيسنجر» منزعجا من الخرائط الاسرائيليــة وكان عليه أن يتأكد من أن اسرائيليين سوف يرحلون عن الممرات ومن ثم فقد أرسل مسئولا كبيرا فى وكالة المخابرات المركزية للتأكد من وضع خططهم فى المكان المحدد وفى يوم ١١ من أغسطس قام المسئول بجولة فى ممر الجدى مع «موردخاى جور» ·· وقال : « جنرال ، انكم لا تزالون داخل الممر » ·

الفصل الثالث عشر

وفرة الســلاح

ومع ما تقدم فقد استأنف كيسنجر مهمة المكوك فى ٢٠ من أغسطس عام ١٩٧٥ اذ طار من قاعدة أندروز الجوية فى منتصف الليل تقريبا ، وقد بدأ مهمته الثانية عشرة للشرق الاوسط مساء اليوم التالى فى القدس حيث أقام « اسحق رابين » رئيس الوزراء الاسرائيلى مأدبة عشاء فى الكنيسيت ترحيبا « بكيسنجر » والوفد المرافق له ٠وقد وصل « كيسنجر » متأخرا نظرا لعدم تمكن سيارته من المرور فى الشوارع التى ازدحمت بالشباب الذين كانوا يتهمونه بالتحيز واضطرت السيارة الى السير فى طرق جانبية غير معبدة ، وكان العشاء قد انفض بالفعل ساعة وصولنا غير (أننا استمتعنا بمقابلة مجلس الوزراء الاسرائيلى بأكمله، وعدد آخر من الشخصيات الصهيونية البارزة) ٠

وعندما كنا نجتاز الحجرة الواسعة رحب بى « اسحق رابين » ٠ وأمسك بيدى وأمعنت النظر لحظة فى عينيه البنية اللون اذ كان « رابين » جنديا محترفا فقد حارب بشجاعة فى صفوف الحلفاء فى سوريا خلال الحرب العالمية الثانية ، وقاد كتيبة اخترقت الحصار العربى لمدينة القدس فى عام ١٩٤٨ ، وكان يتولى منصب رئيس الاركان خلال حرب الايام الستة ٠ غير أنه فيما يبدو لى كان هادئا مترددا فى أغلب الاوقات ٠ وبعد مرور بضع دقائق وجدت نفسى أقف الى جوار رجل بهى الطلعة ذى شعر ذهبى ينم عن القوة والعنف الى حد ما سألته قائلا هل أنت مستر بيريز ؟ أجاب وزير الدفاع « أعتقد ذلك » ٠

وتساءلت عما اذا كان الجانب الذى ينم عن قوة بيريز قد استمده من « دافيد بن جوريون » ذلك أنه كان تحت رعايته ٠ وكان (بيريز) من يهود بروسيا وهم جنس يتسم بالعنف والقوة ٠ وقلت له : أعتقد أن مهمة المكوك هذه التى يقوم بها الدكتور « كيسنجر » سوف تسفر عن ابرام اتفاق جديد بين اسرائيل ومصر ـ ولكن ماذا سيحدث بعد ذلك ؟ هل ستتحرك اسرائيل حيال اقرار سلام عام ٠ أو تظل متمسكة لعدة أعوام بالجزء الباقى مما حصلت عليه نتيجة لغزواتها ؟

بيريز : عقب ابرام الاتفاق مع مصر ، سوف نحاول ابرام اتفاق جديد معسوريا فى أسرع وقت ممكن ٠ وسوف يكون بمثابة اتفاق « تجميلى » ٠

الكاتب : لكن السوريون يقولون أنهم لن يوافقوا على مجرد انسحاب اسرائيل من مرتفعات الجولان الى مسافة من خمسة الى عشرة كيلو مترات

بيريز : من أشار الى الانسحاب الى مسافة نحو خمسة أو عشرة كيلو مترات ؟ ان ذلك كثير للغاية ٠

الكاتب : ان السوريين سوف يرفضون مجرد اجراء انسحاب « تجميلى » على الجولان ٠

بيريز : اننا لا نهتم بذلك ٠٠ وفى وسع دكتور « كيسنجر » التحدث مع الأسد فى ذلك الشأن فهو الصديق الصدوق له ٠

الكاتب : وماذا عن التسوية السلمية ؟٠

بيريز : انها أمر بعيد المنال ٠

الكاتب : هل هناك فرصة ما لاقامة دولة مستقلة للفلسطينيين ؟

«بيريز» : اطلاقا أن الفلسطينيين منتشرون فى اسرائيل والضفة الغربية ومتداخلون مع اليهود ومن ثم لا يمكن انتزاعهم ومنحهم دولة مستقلة ٠ وتتمثل أفضل الآمال فى اقامة اتحاد كونفدرالى بين اسرائيل والضفة الغربية ، ولكن هذا على المدى البعيد ٠

الكاتب : يبدو أن مثل ذلك الاتحاد الكونفدرالى سوف يخضع لاسرائيل ٠

بيريز : ليس هناك شك فى شك ٠

ثم انتقلت الى الحديث مع « رابين » رئيس الوزراء ٠ وتذكرت أننى منذ ثلاثة أعوام كنت قد أجريت حوارا مع « جولدا مائير » وقد عرضت عليها سيجارة أردنية (فردت قائلة : ولم لا ؟ وأخذتها شاكرة) ولكن عندما قدمت الآن الى من خلفها سيجارة من ذلك النوع ٠ قدم هو الى سيجارة « كنت » ٠ وقد حدثنى رئيس الوزراء قائلا « لا يروق لى ماتكتبه فى مجلة (النيويورك تايمز) ذلك أن هذا الاتفاق الجديد لن يكون بالضرورة مطابقا للاتفاق الذى رفضناه فى مارس اذ أن بينهما اختلافات جوهرية ٠

وقد هاجمنى الكثير من الموجودين ٠ الامر الذى حال بين «رابين» وبين استكمال سرد وجهة نظره ٠ وقد تساءلت مرة أخرى ، ماذا عن التسوية الشاملة ؟

وأجاب « رابين » قائلا سننتظر لنرى كيفية تنفيذ الاتفاق المصرى ٠

ماذا لو رفض العرب الانتظار ؟ قال « رابين » اذا ستكون هناك حرب أخرى٠

ثم انسحبت من الجلسة بعد ذلك ٠ وكان الدكتور « كيسنجر » يقف الى جوار شخص يرتدى قلنصوة اليهود المعتمرين ويحيط به عدد من الوزراء وأعضاء آخرون فى الحكومة الاسرائيلية ، الا أننى قررت ألا أنضم الى تلك الجماعة ٠ ووقفت أتبادل الحديث لبضع دقائق مع « ايجال آلون » وزير الخارجية ، وهو شخص قصير القامة بدين ، جندى قديم آخر من المحنكين ، كان يعمل بين صفوف (الهجانا) وقائدا للجليل الأعلى ووسط فلسطين والأرض الممتدة الى القدس وصحراء النقب خلال حرب عام ١٩٤٨ ٠ والمعروف عنه أنه من الحمائم « من وجهة النظر الاسرائيلية » وقمت بسبر غوره حيال اقامة دولة فلسطينية ٠ وقال « انه فى وسعنا أن نوحد بين سكان الضفة الشرقية والضفة الغربية ٠ »

غير أن الحكومة الاسرائيلية كانت تفصح عن ذلك الرأى قبل حرب أكتوبر ، ومضيت أقول : ان مئات من القيود كانت تحول دون تنفيذ ذلك الاقتراح ٠ ومن

بينها ضرورة اتخاذ الجيش الاسرائيلي مواقع دائمة له على طول نهر الاردن ، ألم يطرأ أى تغيير على التفكير الاسرائيلي منذ نشــوب الحرب ، أو منذ صيف عام ١٩٧٤ ، عندما رفض الملك حسين ذلك الاقتراح على وجه التحديد ؟ ألن يكون فى وسع الجيش الاسرائيلي أن يظل مرابطا على نهر الاردن لفترة محدودة ، ثم ينسحب فيما بعد ، كما اقترح حسين ، بصورة تدريجية كلما تم احراز تقدم حيال السلام ؟

أجاب وزير الخارجية « ان تلك مشكلة أجيال • اذ ينبغى أن تظل حدودنا الآمنة على نهر الاردن ، ويمكن أن تكون ثمة ممرات لإعادة توحيد السكان والتقائهم والسماح بتبادل التجارة •• ان الاردن هو الوطن الطبيعى للفلسطينيين •

ان الفلسطينيين قد يختلفون فى ذلك مع وزير الخارجية • وأصر « آلون » قائلا : « ان الاردن كان جزءا من فلسطين حتى شطرها « ونستون تشرشل » فى عام ١٩٢٢ • وقد يثير الفلسطينيون تساؤلات بشأن ذلك أيضا • اذ أنه أمر مشروع على أفضل الاحوال ، نظرا لان الغالبية العظمى من الفلسطينيين ٩٨ أو ٩٩ فى المائة كانوا يعيشون فى الضفة الغربية لنهر الاردن فى الفترة السابقة على على انشاء دولة اسرائيل •

رد « آلون » قائلا : « ان هذه مشكلة معقدة • ينبغى أن تأتى لمقابلتى فى وزارة الخارجية وتوجه بالحديث الى شخص آخر •

وعلى مقربة ، كان « روى أثيرتون » يتبادل الحديث مع شلومو هيليل « وزير البوليس » وهو رجل ضئيل الحجم أشيب الشعر والجنرال « موردخاى جور » رئيس الاركان وهو رشيق يضع على عينه نظارة ، ويرتدى قميصا من « الكاكى » قصير الاكمام •

وقال (شلوموهليل) ان ثمة شعورا كبيرا بالمرارة يسود اسرائيل حيال اعادة تقييم السياسة الامريكية ، ذلك أنها تستهدفنا• وتعد بمثابة ضغط على اسرائيل• وأجاب « أثيرتون » فى ابتهاج « أيراودكم شعور بالقلق ؟ » وأصر وزير البوليس قائلا : لا البتة ، وانما شعور عميق بالمرارة •

وتدخل الجنرال « جور » فى الحديث قائلا : « كنت أزور الجيش أمس ووجدت ان ٩٨ فى المائة من الجنود النظاميين والاحتياطيين يعارضون ذلك الاتفاق الجديد•

واتجهت مرة أخرى الى تلك المجموعة التى تضم بعض الامريكيين وأعضاء الحكومة الاسرائيلية ووقفت أصغى الى أجزاء من حديثهم •

« ••• ثمة اختلافات واضحة بين الموقف الآن وبين ماحدث فى مارس •• لقد أدلى وزير الخارجية الامريكية ببيان معتدل فى المطار•• اننا لن نستسلم للضغوط الامريكية •• لقد تم اعداد مهمة المكوك على أكمل وجه •• ان « كيسنجر » مارس ضغطا كبير على اسرائيل •• واستخدم أسلوب الترغيب والترهيب •• ثمة اختلافات واضحة وبدا الامر كما لو كانت تلك المجموعة تقوم بتمثيل مسرحية ، وكما لو كان لكل مسئول اسرائيلى دور فى الحديث ويدور موضوع المسرحية حول مدى ما تحملته اسرائيل وأنها قدمت تضحية ضخمة بمجرد قبولها الدخول فى مفاوضات ، اذ أنها لن تقدم شيئا فى حالة عدم حصولها على أى مقابل • ان اسرائيل قد تلقت فى حقيقة الامر بعض التنازلات من المصريين غير أنها كانت

تتوقع المزيد ، ولن يكون في وسع الدكتور « كيسنجر » أو أى فرد آخر زحزحة إسرائيل عن موقفها ، ومن ثم فان اسرائيل سوف تلجأ الى المساومة ٠

وكانت الساعة تقترب من منتصف الليل ، عندما تساءل « سيسكو » وكيل وزارة الخارجية الامريكية قائلا : « متى تغادر ذلك المكان ؟ اننى أود الذهاب الى حجرتى لكى أستريح » ٠ وكان وزير الخارجيـــة الامريكية يجلس مع زوجته على مائدة « مسز تون » و « مسز دينتز » وقد نال منهم التعب وظلوا يتبادلون بعض العبارات القصيرة ٠ وذهبت الى شرفة الكنيسيت وتطلعت الى الشـوارع حيث احتشد الشباب ، وحاصرهم البوليس والجنود فى محاولة لتفريقهم بالقاء القنابل المسيلة للدموع واستخدام خراطيم المياه ٠ وتبادر الى ذهنى أننا فى مصيدة ، فلم يكن فى وسع الدكتور « كيسنجر » أو أى أحد منا مغادرة المكان وأن يضمن لنفسه السلامة ٠ وفى نهاية الامر غادرنا الكنيسيت الا أن سيارة « أثيرتون » تعرضت للهجوم ، ووقف الغوغاء أمام سيارة الاتوبيس التى تقل الصحفيين وهم يكيلون الينا الشتائم ويضربون على السيارة بقبضات أيديهم ٠ وكان الآلاف من الشباب والنساء يحيطون بمبنى الكنيسيت والشـــوارع الخلفية ٠ وتمكن « كيسنجر من العودة » ٠ وقد نددت الحكومة الاسرائيلية فيما بعـــد بذلك الحادث ، الا أن ذلك التظاهر يعد دليلا آخر على مد مدى اضمحلال شـــعبية الدكتور « كيسنجر » ودبلوماسيته فى اسرائيل ، ويعد بمثابة ذريعة أخرى للمساومة فى المفاوضات التى سوف تجرى فى صباح اليوم التالى ٠

وعندما وصل وزير الخارجية الامريكية الى فندق الملك دواد ، لم يتح له الشباب فرصة للراحة ٠ وكانت غرفتى تقع فى الطوابق السفلى وفى الساعة الرابعة صباحا استيقظت على أصـــوات مكبرات صوتية تصيح « عـــد الى بلادك يا كيسنجر » ٠ عد الى بلادك أيها اليهودى ٠٠ عد الى بلادك أيها الفتى اليهودى ٠٠ ونهضت من فراشى وفتحت النافذة ٠ وكان الظلام الذى يخيم على المكان يحجب أولئك الشباب ، ومن خلفهم الحوائط القديمة للمدينة العربية ، ولاح فى الافق جبل الزيتون ٠

« أيها اليهودى عد الى بلادك » كان ذلك نداء اليهود الشباب الذين ينتمون الى جماعة « جوش أمونيم » أى جبهة الاوفياء ، وكلما أسكت البوليس أحد مكبرات الصوت انطلق آخرفى مكان آخر ٠ وفى الصباح قال « كيسنجر » لمرافقيه بحنق « لم أتمكن من النوم طوال الليل ٠ وأود الانتقال الى فندق هيلتون » ٠ غير أن فندق الملك داود كان صورة أخرى من وزارة الخارجية الامريكية اذ تم تجهيزه بحشد من الاجهزة الالكترونية وأعداد ضخمة من الموظفين وأضحى بمثابة حصن أمن بحيث كان من المتعذر الانتقال منه ٠

وانتقل « كيسنجر » فيما بعد الى منزل « رابين » لاجراء المفاوضات (وتم ذلك سرا كى يضلل جبهة الاوفياء) وخلال الصيف تم اعداد المبادىء الاساسية للاتفاق غير أنها أصبحت الآن فى حاجة الى صياغة جديدة ووافق الاسرائيليون مبدئيا على الانسحاب من الممرات ومن منطقة آبار البترول ، غير أن الخط الذى حددوه كان يتناقض مع ما وافقوا عليه وكان على المصريين تحديد « عدم استخدام القوة » ومدى اســتمراره أيضــا ٠ وقال « كيسنجر » للمتفاوضين الاسرائيليين « لقد بحثنا مع المصريين استعدادكم للانسحاب من الممرات ، غير أننى فى حيرة لان خطكم لا يزال داخل الممرات » ٠ وكان الســـادات قد وافق فى اجتماع « سالزبورج » على اقامة محطـــات انذار أمريكية فى ممرى الجدى ومتلا شريطة ألا يقـــوم الاسرائيليون

بتشغيلها • ترى هل سيوافق السادات على اقامة محطات يقوم بتشغيلها الامريكيون أو الاسرائيليون والمصريون كل على حدة ؟ وركز « كيسنجر » فى المقــام الاول على الوجود الامريكي •

كيسنجر : انى واثق من أن مصر لن تقبل تلك الفكرة • فضلا عن أنى لا أعتقد أن الوجود الامريكى فكرة طيبة وأعتقد أنها فكرة خاطئة •

بيريز : انها فكرة منطقية ولها أهدافها • نظرا لان أجهزة الاستطلاع الجوية التى أمدتنا بها الولايات المتحدة أثر اتفاق فك الاشتباك الاول قد خففت من حدة التوتر، وساعدت على استقرار الموقف العصيب • ونحن نضيف الآن الى أجهزة الاستطلاع الجوية أجهزة أخرى أمريكية للاستطلاع البرى فى أكثر المناطق حساسية فى سيناء •• أو أن الممرات تعد موقعا رمزيا واستراتيجيا • ان مجرد وجود ولو مجموعة رمزية من الفنيين الامريكيين سوف يكون رادع لاى جانب يفكر فى شن هجوم • وقد خاضت اسرائيل تجربة غير مرضية مع القوات الدولية • ولذلك السبب يراودنا شعور خاص حيال الوجود الامريكى ، وأدرك تماما أن الامريكيون قد يقولون « أن الامور قد بدأت هكذا فى فيتنام » وأنا لا أرى أى وجه للمقارنة بين الموقفين • فان المنطقة العازلة هى منطقة خارجة عن نطاق الاراضى الاقليمية •

كيسنجر : تلك فكرة خاطئة اذ أن رد الفعل سيكون فى الولايات المتحــدة ازاء اجراء كهذا وسوف تثار تساؤلات حقيقية فى الولايات المتحدة فى الحكمة من وراء ذلك ••• فكيف يكون الحال أمام الشعب الامريكى أن الامريكيين يعارضون فكرة الهجوم المباغت •

وفي الاسكندرية بدا الرئيس السادات وكأنه مستسلم على نحو غريب لمـا قــد يقدم الدكتور « هنري » اليه • ولم يكن فى وسع السادات قبول أقل من الانسحاب من الممرات وحقول البترول الا أنه وافق على غالبية الشروط الاسرائيلية • وقضى « كيسنجر » فترة قصيرة فى مصر ، ذلك أن السادات لم يلجأ الى أسلوب المراوغة • ورأس المفاوضات لكنه مع ذلك ترك مهمة مناقشة التفاصيل لاسماعيل فهمى وزير الخارجية والفريق الجمسى وعندما كان السادات يخلد الى الراحة وقت الظهيرة كان كيسنجر يتوجه الى منزل اسماعيل فهمى فى قصر المنتزه الذى يطــل على البحر المتوسط • وعندما كان الوزيران يخوضان فى الماء في بعض الاحيان كانا يحاولان التوصل الى قرار بشأن بعض المسائل المعقدة مثل : نقط المراقبة التابعة للامم المتحدة ، وأجهزة الانذار المبكر ، والحد من اســتخدام صواريخ ســكود • وكان السادات ينضم اليهما لتناول الغذاء والسباحة فى بعض الاحيان •

وقد فاجأ « كيسنجر » الجمسى النحيل البنية الذى يتميز بالدقة ، وهو يقص عليه التفاصيل العسكرية مثل مدى صواريخ سكود ولانس ومواقع الجيش فى سيناء على وجه الدقة • ولم تكن مشاعر الجمسى ازاء المفاوضات الجديدة بأفضل منها ازاء المفاوضات الاخرى ، ذلك أن التنازلات الخاصة بالاراضى واهية للغاية ، فضلا عن أن « كيسنجر » لم يتح لهم فرصة كافية لمناقشــة أدق التفاصيل ، كما فعل فى اسرائيل • ولم يكن شعور فهمى يختلف عن شعور الجمسى ، وكان يبذل جهــدا ويقول لــ (كيسنجر) أن له طريقته الخاصة فى المراوغة الا أنه لم يكن متعنتا مثل الاسرائيليين ، ولكنه متحمسا فى مناقشة التفاصيل الفنية وكان النزاع يشتعل دوما عندما يجتمع مع (كيسنجر) وغالبا ما كان يتسم بالقسوة والفظاظة ويقول

« أن ما تفعله ينم عن الغباء ، ولاجدوى مما تقدمه منحجج وكان « كيسنجر » يرد عليه ، في أكثر الاحيان بروح المداعبة والفكاهة وكان يلجأ للسادات مباشرة عند الضرورة •

وبعد أن أمضى « كيسنجر » أسبوعا في اسرائيل ، توجه الى القاهرة لاستئناف المحادثات مع الجانب المصرى • وقد رافقت وزير الخارجية في رحلته الى الاسكندرية وكان الشعور السائد في الاسكندرية يختلف تماما عنه في القدس وبدأت المفاوضات في فيلا السادات بالمعمورة • وجلس السادات والوفد المرافق له المكون من فهمي والجمسيوحسني ومبارك نائبرئيس الجمهورية (ولميكن يمثل الجانبالعسكري فحسب شأنه شأن الجمسي وانما كان يمثل العنـــاصر التكنوقراطية وغيرها في حكومة السادات) جلسوا في الحديقة على شكل دائرة ينتظرون وصول «كيسنجر» وهم يتناولون عصير البرتقال أو المانجو • وكانت الفيلا ذاتها على الطراز الحديث ذات بنـاء أصفر ذكرني بأحد الموتيلات الامريكيـــة • وسـألني أحد الصحفيين الفرنسيين عن وجهة نظري بالنسبة للفيلا وقال « ألا تدل على أنه شخص حديث العهد بالثراء ؟ » وأجبت ضاحكا أنه فعلا كذلك •

وتحيط بالفيلا حديقة شاسعة أمامها ممر طويل يفضي الى البحر المتوسط حيث ترسو زوارق الرئيس • وينتشر رجال البوليس والامن في كل مكان • وحتى خلف الاشجار الكثيفة القصيرة• وتعد فيلاالمعمورة واحدة منتسع أو عشر فيلاتوقصور يمتلكها السادات في جميع أرجاء مصر وأشرت الى أحد أصدقائه قائلا « أليس من الغريب ميله الواضح للثراء في دولة فقيرة كمصر » وكانت اجابة الصـــديق وهو أستاذ في علم النفس مصرية صميمة « ان الرئيس الســـادات يتمنى الثراء لكل مصري • وأن يمتلك كل مواطن مصري قصرا وسيارة مرسيدس • ولكن اذا كان ذلك أمرا من المستحيل تحقيقه بالنسبة لكل مصري ، فانه يحققه بالنسبة لنفسه »•

وكنا نقف في تلك اللحظة عند نهاية الحديقة نرقب الســادات ومساعديه وهم يرشفون عصير المانجو • وكان الوقت بعد ظهر أحـد الايام الاخيرة في شـــهر أغسطس • وأخيرا سمعنا أزيز طائرة هليكوبتر تحلق فوق أشجار النخيـــل • وهبطت في أقصىالحديقة ، وهبط الدكتور « كيسنجر » و « سيسكو » وغيره من المرافقين ثم هبطت طائرة أخرى تحمل المراسلين الامريكيين • ونهض السادات من مقعـــده وأخرج منديلا أبيض من ســـترته وجفف به عرقه • وتقدم يعقبه فهمي والجمسي وحسني مبارك للترحيب بوزير الخارجية الامريكية والتقيا بالقرب من الممر المفروش بالحصى حيث اندفع الصحفيون وتحركت كاميرات التليفزيونوتعانقا بصورة تلقائية • واتجها الى الكراسي الموجودة في الحديقة وجلسا متجاورين وبدأ مؤتمرهما الصحفي المعتاد وسط احتشاد الصحفيين وكاميرات التصوير •

ميس بيرجر : سيدى الرئيس تردد قبل حضورنا الى هنا اليـــوم أن مصر قـد طلبت وضع عدد أكبر من القوات يصل الى ١٢ ألف جندى في منطقـــة محدودة

هل هذا صحيح ؟

وقال كيسنجر الى السادات مبتسما : لا أعرف سبب منحك اياها تأشيرة دخول الى بلادكم •

السادات : انني لا أعرف كيف حصلت على تلك المعلومات •

كانسنجر : سيدى الرئيس لقد طرحت على ذلك السؤال من قبل •

السادات : سوف أناقش ذلك الامر مع الدكتور « كيسنجر » ٠

س : هل هذا النبأ خاطىء ؟

السادات : اننى لا أستطيع أن أجزم بالنفى أو الايجاب ٠

س : سيدى الرئيس هل هناك مسألة خاصة تبطىء من خطى التقـــدم فى هذه المرحـــلة ؟

السادات : مـــاذا ؟

س : هل هناك مشكلة معينة تتسبب فى اعاقة عقد الاتفاق ولو الى حد ما ؟

السادات : من جانبى ؟

س : لا بصفة عامة ، من جانبكم أو من جانب اسرائيل ؟

السادات : من جانبى ليست هناك أية مشكلة ٠

س : هل هناك مشكلة معينة من الجانب الاسرائيلى ؟

السادات : ربمـــا ٠

س : دكتور « كيسنجر » هل تشعر أن هناك أية عقبات تواجهك ؟

كيسنجر : أعتقد أننا نواجه مسائل فنية على درجة كبيرة من التعقيد ٠ وعندما نصل الى المرحلة الاخيرة ، فان تلك المسائل هى التى تظل معلقة ٠ اننى لا أجد ثمة مشاكل أو جمود ليس له حل ٠ لقد انجزنا مهامنا فى مصر أمس فى ظل ظروف مواتية ٠ وكذلك كان الحال على الجانب الاسرائيلى ٠

س : سيدى الرئيس هل تلك المسائل الفنية متروكة الآن لكى يحلها شخص آخر غير الدكتور « كيسنجر » ؟ هل من الضرورى أن يعـــود مرة أخرى لمناقشـة مثل تلك المسائل ؟ هل يمكن حلها تليفونيا أو بارسال مبعوث ؟

السادات : كيف يمكن أن يحدث ذلك ؟

س : عن طريق مبعوث أو السفراء ٠ أهذا ممكن ؟

السادات : حسنا لقد تناول الدكتور كيسنجر كافة الامور منذ البداية ٠

س : سيدى الرئيس ، هل تشعر أن اسرائيل قد طرحت بعض المطالب غـــير المتوقعة خلال هذا الاسبوع ؟

السادات : انهم دائما يثيرون ضجة كبيرة ٠

س : سيدى الرئيس ، هل تتصور أن الفشل ما يزال ماثلا وبخاصـــة بعد أن قطعتم هذا الشوط ؟

السادات : لقد مررت بتجربة من قبل وما حدث فى مهمة مارس يوضح أننا قد نصل الى تلك النتيجة ٠ ولكن لن يكون الجانب المصرى هو السبب فى ذلك الفشل ذلك لأننا على استعداد تام ولدينا تفهم بالغ لأبعاد الموقف ، غير أنه ليس لدى علم بما يدور على الجانب الاسرائيلى ٠

س : حسنا ، أن النتيجة الوحيدة التى يمكن أن نستخلصها ، بما أنكم تقولون أنكم على استعداد لعقد اتفاق وليس ثمة أية مصاعب من جانبكم ، هى أنك تفترض وجود عقبات يثيرها الجانب الاسرائيلى ؟

وقال كيسنجر ضاحكا : ما لم أكن أنا الذى أثير تلك العقبات .

وفى مشهد استعراضى أكثر منه الى أى شىء آخر ، وضعت منضدة مستطيلة مغطاة بالقطيفة الخضراء ، على المروج الخضراء بالقرب من سياج مرتفع ، وعندما انسحب الصحفيون جلس « كيسنجر » و « سيسكو » والسفير « اليتس » على الجانب المواجه للسادات وفهمى والجمسى ومبارك ، لبحث المشكلات البارزة التى تواجه المفاوضات . ثم انفض الاجتماع كى يحاول فهمى والجمسى مناقشة التفاصيل الخاصة مع «كيسنجر » . وخلال زيارات « كيسنجر » للاسكندرية كان يشكو للمصريين ما لقيه من تعنت الاسرائيليين . وقال « ان ما يطالبون به أمر لا يمكن تصديقه » ان « رابين » و « بيريز » و « آلون » لا يتفاوضون بوصفهم وفدا متكاملا وانما لكل منهم يتبع أطماعه الشخصية أو يتساءل قائلا : « ترى هل يحاولون مرة أخرى تدمير المفاوضات واسقاطه ؟ » .

وقد ظلت مشكلة الممرات المشكلة الكبرى حتى قاربت المفاوضات الانتهاء وزعم الاسرائيليون أن الخط الذى يقفون عليه يبعدهم الى مسافة كبيرة غير أن « كيسنجر » فحص الصوز التى التقطت عن طريق الجو وفند مزاعمهم . وفي يوم ٢٦ من أغسطس وافق المصريون على اقامة محطات انذار اسرائيلية وأمريكية ، غير أنهم لم يرضوا عن الخرائط الاسرائيلية ، وكان خطهم ما يزال يثير الشكوك .

وفى الساعة الحادية عشرة ، أذعن الاسرائيليون على الرغم من أنه لم يكن اذعانا كاملا . وكان من الصعب تحديد موقع المدخل الشرقى فى ممر متلا لكنهم كانوا خارج الممر . وبالنسبة لممر الجدى تخلو عنه ولكنهم تشبثوا ببعض الاراضى المرتفعة التى تقع على المحيط الخارجي الشمالى وحددوا خطهم فى اتجاه الغرب بين الممرات كى يحتفظوا ببعض التلال . وانتاب السادات بعض القلق من جراء عدم امكان « كيسنجر » اقناعهم بالانسحاب الى مسافة أبعد الا أنه أذعن فى نهاية الامر .

وفى الوقت الذى كان « كيسنجر » يتخذ فيه قرار بشأن الخط وعمق المناطق العازلة ، وخفض عدد القوات والاسلحة ، أو الاحتفاظ بها كما هى حتى تحين اللحظة الملائمة للتراجع وقيام اسرائيل ومصر بتقديم مزيد من التنازلات ، ظل « أثيرتون » فى القدس يجرى مفاوضات بشأن الالتزامات التى ستتعهد أمريكا بتقديمها الى اسرائيل . وكانت تلك المهمة بمثابة تعذيب ، ذلك أنها تضمنت محاولة التخفيف من المطالب التى اشتكى منها « كيسنجر » للسادات وتمت صياغة المسودات الاسرائيلية التى أصروا على تغيير اسمها الى « مذكرات الاتفاق » كى تتيح لهم فرصة الحصول على مزيد من الالتزامات تمت صياغتها بلغة غير محددة الامر الذى حاول « أثيرتون » الاقلال من شأنه وعندما كان « كيسنجر » يعود الى القدس كل ليلة ، كان يحاول ذلك أيضا . وكان الاسرائيليون يريدون على سبيل المثال أن تلتزم أمريكا بالتدخل فى حالة ما اذا هدد الاتحاد السوفيتى بشن هجوم على اسرائيل، وتعهد « كيسنجر » باجراء مشاورات مع اسرائيل فقط . وكانوا يأملون فى أن تكفل لهم الولايات المتحدة امدادات البترول فى كل الظروف الممكنة ، وفى ذلك المضمار أدرج « كيسنجر » فقرات تتهرب من ذلك المطلب . وكانوا يريدون أن تقوم

الولايات المتحدة بتمويل نحو نصف برنامج إدخال النظم الحديثة فى الجيش الاسرائيلى الذى يتكلف نحو ٤ بلايين من الدولارات سنويا وذلك خلال الحقبة التالية • وقال « كيسنجر » أن ذلك الأمر محال •

ان العقل يغــرق فى ذلك الفيض من التفاصيــل • لقد وقف « سيسكو » يتفحص الخرائط للتأكد من صحة دقائق الخط الاسرائيلى فى منطقة «أبو رديس» وكانت المذكرات التى تشمل ما دار من محادثات بالنسبة لجلســة واحدة فى القدس تقع فى ٦٠ صــفحة • وكانت مســودات الاتفــاق ابتداء من مارس ، ومحــادثات « سالزبورغ » والمفاوضات التى جرت فى الصيف ، تضاهى عــدد صفحات دليل تليفونات واشنطن • وفى نهاية المفاوضات ظل «أثيرتون» يعمل طــوال الليل حيث كان الاسرائيليون ما يزالون يطالبون بتغيير بعض الكلمات فى الاتفاق الرئيسى والملاحق العسكرية • ولم يكن «بيريز» يود أن يجدد المصريون فترة قوات الطوارىء «سنويا» ولكن سنة تلو الاخرى • واســتمر النزاع حتى لحظة ابرام الاتفاق وســافر «كيسنجر» للمرة الاخيرة الى الاسكندرية فى أول سبتمبر • وقال لى أحد الزعماء الاسرائيليين : ان كل التفاصيل أمر حيوى بالنسبة لاسرائيل اذ أننا لا نتفاوض مع الامريكيين بل نتفاوض مع العرب •

واحتفل المصريون بالتوقيع على الاتفــاق بالاحرف الاولى ، وذلك على المروج الخضراء فى المعمورة ، بحضور الرئيس السادات و «كيسنجر» فى اليوم الاول من سبتمبر مساء • ووافق الاسرائيليون على الانسحاب الى خط جــديد يبعد مسافة ما بين عشرين الى أربعين ميلا من قناة السويس وسلموا الممرات الى الامم المتحدة وحقول البترول الى المصريين • وما يزالون يسيطرون على تسعة أعشار سيناء تقريبا •

وسمح للقوات المصرية بالتقدم فى اتجاه الشرق حيث كانت المنطقة العازلة التى ترابط فيها قوات الامم المتحدة وفقا لاتفاق فك الاشتباك الذى أبرم فى عام ١٩٧٤ • وتمت اقامة منطقة عازلة جديدة تخضع للامم المتحدة تقع بين الحدود الاسرائيلية والمصرية الجديدة وتتراوح مساحتها ما بين ثمانيــة الى ٣٥ ميلا • وســمح للاسرائيليين بالاحتفاظ بموقع للمراقبة فى «أم خشيب» التى تقــع داخل المنطقة العازلة مباشرة شــمال غرب «ممر الجــدى» والاحتفاظ بقاعدتهم الجوية العسكرية فى «دفيديم» التى تقــع على بعد نحو ٢٠ ميلا شــمال شرق ذلك الممر •

وفى داخل الممرات ، سمح لكل من اسرائيل ومصر باقامة محطات مراقبة تضم مائتين من الفنيين المدنيين الامريكيين وست محطات خاصة لكل منهما ، الامر الذى يضمن عدم شن أى من الجانبين هجوما مباغتا ، وهذا ما يجعل من الولايات المتحدة بمثابة «شاهد» (على حد قول السادات) على الاتفاق ، ومن ثم يدعم من الالتزام الامريكى بضمان مزيد من السلام فى المستقبل وفى المنطقة التى تشمل حقول البترول وسمح للمدنيين المصريين فقط بالمرور فى طريق طويل يشتركون فيه مع الاسرائيليين ، وتقوم نقط مراقبة تابعة للامم المتحدة بالاشراف عليه •

وفى مقابل التنازل عن الممرات وحقول «أبو رديس» وافقت مصر على ضرورة تسوية نزاع الشرق الاوسط بالســبل الدبلوماسية وحظر استخدام القــوة

المسلحة او اللجوء الى الحصار البحرى ، واعلان الموافقة على مرور البضائع الاسرائيلية غير العسكرية عبر قناة السويس ، وأن يظل الاتفاق ملزما حتى يحل محله اتفاق آخر • على أن يتم تجديد فترة صلاحية قوات الطوارىء سنويا ويسرى مفعولها الى ثلاثى سنوات كاملة • وفى الوقت نفسه يكون على كل طرف أن يخفض قواته المرابطة على كل من جانبى المنطقة العازلة الى ثمانية آلاف جندى و ٧٥ دبابة و ٦٠ قطعة مدفعية ثقيلة •

هذا ومن الامور المثيرة للانتباه أكثر من غيرها من وجهة النظر الامريكية الالتزامات السرية التى تعهد بها كيسنجر «لاسرائيل والتى سرعان ما نشرت فى صحيفة «نيويورك تايمز» اذ أقر مساعدو «كيسنجر» أنه حتى أثر التعديل الذى أدخله وزير الخارجية الامريكية على مذكرات الاتفاق النهائية الامريكية الاسرائيلية فانها لا تزال تثير الفزع • وعلى سبيل المثال :

١ ـ أن حكومة الولايات المتحدة وحكومة اسرائيل سوف تعدان خطة طوارىء لامداد اسرائيل بالعتاد الحربى فى حالة ظهور أى موقف طارىء ••

٢ ـ أن حكومة الولايات المتحدة سوف تعمل على الحيلولة دون تنفيذ المقترحات التى توافق اسرائيل على انها تضر بمصالحها وقررت الولايات المتحدة الحفاظ على قوة اسرائيل الدفاعية وذلك عن طريق امدادها بأحدث المعدات الحديثة مثل طائرات ١٦ ـ ف واجراء دراسة مشتركة للمعدات التى على درجة عالية من التكنولوجيا ومن التعقيد ومن بينها صواريخ بيرشنج أرض أرض التى تحمل رؤوسا تقليدية مع الوضع فى الاعتبار تقديم رد ايجابى •

٣ ـ أن الولايات المتحدة لن تعترف بمنظمة التحرير الفلسطينية أو تجرى مفاوضات معها طالما أن المنظمة لا تعترف بحق اسرائيل فى الوجود ولم توافق على قرارات مجلس الامن رقم ٢٤٢ و ٣٣٨ •

٤ ـ أن حكومة الولايات المتحدة سوف تجرى مشاورات كاملة مع حكومة اسرائيل وتحاول تنسيق مواقفها واستراتيجيتها معها فى مؤتمر جينيف للسلام بشأن تلك المسألة • وفى ضوء تلك التعهدات ، بدا أن التزام الدكتور «كيسنجر» الخاص بارسال مائتين من الفنيين الامريكيين الى سيناء لا صلة له بالموضوع •

بيد أن بالرغم من نفى « كيسنجر » والرئيس « فورد » لذلك النبأ فان المذكرة بدت وكأنها عقد زواج ذلك أنه اذا كان يتعين على أمريكا • دفع مهر بهذا الحجم فى مقابل جزء صغير من سيناء ، فكم ستدفع فى مقابل اقرار سلام تام حقيقى ؟

وقد كان ذلك هو مصدر انزعاج « الكونجرس » الامريكى ، الذى أدت رسالته التى بعث بها ووقع عليها ٧٦ فردا من أعضائه الذين ثبت أنهم كانوا مخطئين ، الى القضاء على التيار الاول الذى طرحه «كيسنجر» أنى لا أملك الدليل على ذلك ولكننى لا أستبعد أن ماكان يدور فى ذهن الدكتور «كيسنجر» هو أقل من ذلك بكثير فيما يتعلق بمحاولة الاسرائيليين التأثير على مؤيديهم الامريكيين واحراج القاعدة العريضة التى يعتمدون عليها فى « الكونجرس » واذا كان هذا هو الفخ الذى نصبه « كيسنجر » فان الاسرائيليين قد وقعوا فيه • اذ أن طلب شراء صواريخ « بيرشنج » ذات القدرة على حمل رؤوس

نووية من تل أبيب الى أسوان يعد خطأ فادحا ولم يكن تردد الاسرائيليين فى وقت لاحق حيال تلك الصفقة أمرا مثيرا للدهشة (*) ٠

ورغم ذلك فان اتفاق سيناء الثانى كان بمثابة انتصار تكتيكى كبير بالنسبة لاسرائيل ٠ اذ تخلت عن الممرات التى لم تكن ذات اهمية استراتيجية كبرى (باعتراف عدد من الجنرالات الاسرائيليين) إلا انها انتزعت من الولايات المتحدة مساعدات معنوية ومادية وعسكرية لم تحصل عليها أى دولة اجنبية أخرى قط ، وفضلا عن ذلك فان الاتفاق يحقق جزءا من أغراض رابين الرئيسية وصرح مسئول اسرائيلى كبير لمجلة « تايم » الامريكية بقوله :

« نظرا لعدم أعتراف العرب باسرائيل ، فقد ظللنا نناور منذ عام ١٩٦٧ على كسب الوقت واعادة أقل قدر ممكن من الاراضى وكانت وجهة نظر الحكومة السائدة تتمثل فى أن حالة الجمود فى صالحنا وكان مشروع « روجرز » والسياسة الامريكية الرامية الى اعادتنا الى الخطوط عام ١٩٦٧ هما اكبر خطر واجهنا ٠ وكان الاتفاق مع مصر بمثابة مسمار آخر فى تابوت تلك السياسة ٠ ونحن ندرك تماما أن العالم بأسره يقف ضدنا فيما يتعلق بمسألة الحدود واعتمادنا الى حد كبير على دولة واحدة للحصول على الاسلحة المتطورة ٠

وبالرغم من ذلك ، فقد حققنا نجاحا على مدى السنوات الثمانى الماضية ، وقد نضطر الى المضى فى المناورة لمدة عشر سنوات اخرى ٠ واذا كان الاتفاق المؤقت يمنحنا فرصة تمتد لستة أشهر بدلا من ثلاث سنوات فاننا سوف نذعن للامر الواقع ونرضى به ، ذلك ان البديل سيكون التوجه الى جنيف ومواجهة مزيد من الضغوط للعودة الى حدود عام ١٩٦٧ ٠ ان الاتفاق قد ارجأ من عقد مؤتمر جنيف ، فى حين كفل لنا الحصول على الاسلحة والاموال وتنسيق سياستنامع واشنطن واما فيما يتعلق بسيناء فقد قدمنا الشىء اليسير فى مقابل حصولنا على مغانم كثيرة » ٠

وفضلا عن ذلك فانه على الرغم من ان الاتفاق لن يكفل لاسرائيل فترة جمود قد تمتد لعدة سنوات ، فانها بلا ريب لن تتزحزح قيد أنملة قبل اجراء انتخابات الرئاسة الامريكية فى عام ١٩٧٦ وتعد تلك الفترة بمثابة فترة لالتقاط الانفاس تمكن الحكومة الاسرائيلية من انتهاج المستوى الثانى من سياستها ، وهو تحصين مواقعها فى الاراضى المحتلة ٠ ذلك أنه فى قطاع غزة وفى أرجاء الجولان كافة ، فى « ياميت » و « شرم الشيخ » فى « سيناء » وفى ((القدس)) وبالقرب من ((اريحا)) ، وبالقرب من ((الخليل)) و ((نابلس)) و ((بيت لحم)) و ((رام الله)) على الضفة الغربية ، تمت مصادرة الآلاف من الافدنة واجلاء الآلاف من العرب من أراضيهم وديارهم ٠ وتوطين آلاف من الاسرائيليين فى المزارع والمنشآت الصناعية ٠ واستمرت عملية التحصين هذه بسرعة متعمدة ٠

وعلى مرتفعات الجولان مضت الحكومة الاسرائيلية فى اقامة مزيد ومزيدمن المستعمرات وقامت بتسكينها لأعضاء الاحزاب المتشددة كى لا يكون فى وسعها أو فى مقدور أى حكومة اسرائيلية فى المستقبل التخلى عن تلك الاراضى ٠ وانتهكت حرمة التلال المقدسة فى القدس وذلك ببناء وحدات سكنية عالية

(*) عاود الاسرائيليون طلب صواريخ بيرشنج فى مارس عام ١٩٧٦ ٠

خصصت لسكنى مئات من العائلات الاسرائيلية الامر الذى جعل مرتفعات « بروكلين » تبدو جميلة اذا قورنت بتلك الوحدات • وتمت اقامة المستعمرة الكبرى فى « جبل الشيخ » على ارض زراعية عربية ، واحيطت بسياج من الصلب ، وتبدو مبانيها ونوافذها الضيقة وابراج المراقبة كما لو كانت حصنا مسلحا •

وأشار « كيسنجر » لبعض الخاصة بقوله : انى لا أرى تلك المنشآت انها شفافة واستطيع أن ارى من خلالها • وعندما يحين الوقت وافتح ملفاتى الخاصة بالجولان والضفة الغربية اننى لن ادعها تعترض سبيل أية تسوية وعندما يحين الوقت أعتقد ان الرئيس سوف يحاول اقناع الاسرائيليين بالانسحاب (*) •

وفيما يتعلق بمصر ، فقد تعهد السادات بانهاء حالة العداء بالنسبة لاسرائيل وتعهد لـ « كيسنجر » بالامتناع عن الاشتراك فى القتال فى حالة ما اذا قامت

---

* ترددت علانية اصداء مشاعر الدكتور « كيسنجر » الخاصة ، وبدت على نحو أكثر قوة فى مجلس الامن عن طريق « ويليام سكرانتون » المندوب الامريكى فى الامم المتحدة يوم ٢٣ من مارس عام ١٩٧٦ • اذ اعاد تأكيد الموقف الامريكى حيال وضع القدس ، وأكد السفير « سكرانتون » بقوله ان الولايات المتحدة تعتبر الاجراءات التى تتخذ من جانب واحد وتتضمن مصادرة الاراضى والاجراءات الادارية الاخرى التى تتخذها حكومة اسرائيل ، ما هى الا اجراءات مؤقتة ولا يمكن أن تؤثر على الوضع الدولى الراهن أو تعد بمثابة حكم سبق على لوضع النهائى والدائم لمدينة القدس • وذلك أن مستقبل القدس سوف يتقرر من خلال المفاوضات والاتفاق والمصالحة •• أن المحاولات الفردية الرامية الى تحديد سابق لمستقبل تلك المدينة ليست مجدية •

وانتقل السفير « سكرانتون » الى مسألة اقامة مستعمرات اسرائيلية فى جميع أرجاء الاراضى المحتلة • فقال ان حكومتى تعتقد ان القانون الدولى يحدد المعايير الملائمة • ويقضى بأنه على أى محتل أن لا يمس أو يدخل أية تغييرات على المناطق المحتلة بقدر الامكان ، وأن لا يتدخل فى الحياة العادية لتلك المناطق وتنص اتفاقية جنيف الرابعة بوضوح على مسألة نقل السكان فى المادة ٤٩ اذ تقول : انه لا ينبغى على الدولة المحتلة أن تتصرف أو تنقل جزءا من مواطنيها المدنيين الى الاراضى التى تحتلها •

ومن الواضح أن اعادة توطين السكان المدنيين الاسرائيليين فى الاراضى المحتلة ومن بينها القدس الشرقية ، يعد امرا غير قانونى بمقتضى الاتفاقية ، ولا يمكن أن يعتبر بمثابة حكم سابق على نتائج المفاوضات التى ستجرى فى المستقبل بين الاطراف المعنية حول وضع دول منطقة الشرق الاوسط • ان حكومتى تعتبر وجود تلك المستعمرات فى حقيقة الامر بمثابة عقبة أمام نجاح المفاوضات الرامية الى ايجاد سلام عادل ونهائى بين اسرائيل والدول المجاورة لها •

وبالرغم من ذلك ، واثر الاحتجاجات الاسرائيلية العنيفة استخدمت الولايات المتحدة حق الفيتو ازاء قرار معتدل اتخذه مجلس الامن يندد بالسياسات الاسرائيلية فى الاراضى المحتلة وقد اثار خطاب السفير « سكرانتون » الذى يندد فيه بالمستعمرات ابتهاج العرب • اذا كان ذلك بمثابة دليل على التأكيدات الشفوية التى تلقاها العرب من « كيسنجر » فى مراحل مختلفة ، والتى اعتبروها بمثابة بديل عن احراز تقدم ملموس حيال اجراء مزيد من الانسحاب الاسرائيلى قبل انتخابات الرئاسة الامريكية •

سوريا بمهاجمة اسرائيل • وقد أبلغه كيسنجر بالمذكرة الامريكية الاسرائيلية الا انه لم يشر الى تعهد أمريكا بامداد اسرائيل بالاسلحة المتطورة •

وفي مذكرة سرية اخرى ، تعهد « كيسنجر » للسادات بأن الولايات المتحدة سوف تسعى جاهدة وستعمل على اجراء مفاوضات أخرى بين سوريا واسرائيل حول مرتفعات الجولان ونقل وزير الخارجية الامريكية أيضا على نحو غير رسمي الى السادات تعهد اسرائيل بعدم مهاجمة سوريا ، وتعهد بأن الولايات المتحدة سوف تكفل مسألة اشتراك الفلسطينيين في أى تسوية سلمية •

وكان السادات يمقت الاتفاق ، غير أنه لم يكن أمامه مجال للاختيار • ذلك أن اقتصاد مصر فى حالة يرثى لها وسوف ينهار فى حالة عدم وجود الاستثمارات الاجنبية • ولن يتمكن الجيش الذى يفتقر الى الاسلحة التى تجعله ندا لاسرائيل ، من استئناف الحرب لعدة سنوات • وقال محمد حسنين هيكل الاستراتيجي المستاء : ليس هناك خيار ؟ ما هذا الهراء وقال لى هيكل فى القاهرة أثر ابرام الاتفاق ان « كيسنجر » يقضى على استغلاله لشخصية السادات • الذى بات فى عزلة عن بقية العالم العربى ، ولن يتمكن نتيجة لتلك العزلة من الحصول على أموال البترول التى تحتاج اليها مصر • وليس أمام « كيسنجر » أى استراتيجية الا تفتيت النزاع العربى الاسرائيلى • أن مصر بمفردها لن تساوى الكثير بالنسبة للولايات المتحدة، كما انها عاجزة عن التغلب على ما « تعانيه من فقر » •

وكان هيكل يخشى من أن تكون وفرة الاسلحة التى تعهد « كيسنجر » بتقديمها الى اسرائيل ، دفعا للسادات على تبديد كل ما يحصل عليه من أموال البترول العربى فى طلب اسلحة تعويضية لمصر • وقال انه فضلا عن ذلك فان حكومة السادات والمجتمع المصرى ذاته قد أبتلى بالانتهازيين الطفيليين الجشعين الامر الذى قد يدفع الجماهير الى العصيان المسلح • وقد طرحت جانبا المكاسب الاشتراكية التى حققها ناصر باسم التحرير الاقتصادى وقد عانى الفقراء الكثير فى سبيل الحصول على أحتياجاتهم • وأعاد هيكل الى الاذهان احداث الشغب التى اجتاحت القاهرة فى الشتاء الماضى طلبا للطعام • وكانت الجماهير تصيح قائلة يا بطل العبور ، أين طعام الفطور ؟

انني أدرك فى حقيقة الامر انه بالرغم من كل ما يتمتع به السادات من مكانة مرموقة فى العالم كرجل دولة فانه ليس على دراية كبيرة بالشئون الاقتصادية ويعم الفساد اجزاء من حكومته والسعوديون ، الذين يعتمد عليهم السادات يفرضون قيودا حوله الامر الذى يجعله يتوسل اليهم فى كل مرة يكون فى حاجة الى الاموال وقد قام الملك فيصل قبيل وفاته بزيارة لمصر وكانت خزانة حكومة السادات تكاد تكون خاوية ، ولم يتمكن من الوفاء بقروضه القصيرة الاجل وحينئذ حرر الملك فيصل شيكا بمبلغ ١٢٥ مليون دولار ، غير أنه لم يصرف لعدة أسابيع ذلك أن السادات كان منهمكا فى المفاوضات ، ولم يكن أحد من مساعديه يملك سلطة صرفه •

ووقفت على كورنيش النيل على مقربة من فندق هيلتون أتأمل مصر التى تعانى العوز وأرقب حشدا من الناس يقف تحت وهج شمس الظهيرة ينتظرون سيارة أتوبيس • ووصل الاتوبيس أخيرا ، واندفع مئات من الاشخاص يحاولون الركوب بالرغم من انه لم يكن فى داخله أو حتى على السطح مكان لعشرة أفراد

وخرجت سيدة من بين الجماهير من داخل الاتوبيس تحمل طفلا رضيعاوزجاجة لبن ، وسقطت الزجاجة من يدها على الرصيف ، الا انها لم تعر الامر أى اهتمام ومضت فى طريقها · وتركت ذلك الحشد ينتظر تحت وهج الشمس مرور سيارة أتوبيس أخرى ومرقت بجانبى سيارة مرسيدس تحمل أحد الكويتيين أو واحد من البيروقراطيين بمفرده مع سائقه ·

وعلى طول الطريق المؤدى الى الاهرامات ، تنتشر الملاهى الليلية مثل ، ملهى رمسيس ، والاريزونا والباريزيانا وملهى كوكا عبده · وخلف تلك الواجهة البهيجة يلوح الحى الذى تقع فيه شركة البيبسى كولا للمياه الغازية ، وهو حى فرعونى بدائى فى قذارته شوارعه غير ممهدة ، ومنداة بالبول وتتراكم فيها أكوام النفايات · وتنحشر أكواخه المتلاصقة فى حيز ضيق ، غير أنها ليست منحشرة بالصورة التى يعيش عليها الاشخاص فى داخلها ، ذلك أنه فى كل حجرة يقطن خمسة أو ستة أفراد وبدون مياه أو دورات مياه وكهرباء · ويندفع الشيوخ والشباب والجدات والزوجات وهن ينشحن بالسواد ، ويندفعون من الحجرات مثل حبات البازلاء · ويشق الاطفال طريقهم باعداد كبيرة كالذباب فى ارض موحلة وينعت بعضهم بعضا بالفاظ بذيئة ان أولئك الاشـــــخاص يعيشون فى فقر مدقع « مثل الابرة التى تحيك ملابس الاثرياء ولكنها تظل عارية · » ترى هل تعد مصر بمثابة « بنجالاديش » الوطن العربى ؟ هل سيكون لسكان حى البيبسى كولا نصيب فى أموال السعودية والكويت ومبلغ ال ٧٠٠ مليون دولار التى تعهد « كيسنجر » بتقديمها للسادات ·

ان نفقات مصر العسكرية تربو على ٣٠٪ من انتاجها القومى (فى حين أن نفقات اسرائيل تربو على ٤٠٪ ويربو العجز التجارى فى مصر على ٣ بلايين دولار ، وقد تصل مديونياتها للاتحاد السوفيتى الى ٦ بلايين دولار ؛ وليس فى استطاعة مصر بمفردها أبدا تتحمل تلك الاعباء ، غير أن قبول السادات لاتفـــاق سيناء الثانى ، الامر الذى بدا أنه بمثابة اتفاق سلام منفصل مع اسرائيل قد مزق البقية الباقية من الوحدة العربية · وكما ساعدت مبادرة « روجرز » على انفجار الحرب الاهلية فى الاردن منذ خمس سنوات ، فان دبلوماسية « كيسنجر » الخاصة بسيناء قد مزقت أواصر الصلة بين سوريا ومصر ·

وقد زار الدكتور « كيسنجر » الرئيس الاسد فى مستهل شهر سبتمبر وهو فى طريق عودته الى بلاده قادما من الاسكندرية وعلى مدى ١٥ شهرا ومنذ اتفاق فك الاشتباك على الجولان حاول « كيسنجر » جاهدا المحافظة على ثقة السوريين فى الوقت الذى كان يركز فيه جهوده على سيناء وقدر « كيسنجر » موهبة الاسد فى احداث شقاق بين الاطراف ، وعقد العزم على أن لا تقف سوريا عقبة فى طريق السلام مع الاطراف الاخرى ·

وكان الاسد يكرر دائما أمام « كيسنجر » كلما زار دمشق « أننا لسنا من هواة الحرب » ان عمليات القتل ليست رياضتنا · غير أننى أحذرك من أنه اذا لم يتحقق تقدم مماثل على جميع الجبهات ، وبالنسبة للفلسطينيين أيضا ، فأننا لن نوافق حينئذ على ما يقومون به على الجبهة المصرية » ·

والآن وبعد ابرام اتفاق سيناء الثانى ، أبلغ الاسد « كيسنجر » بأنه

لا يريد أن تقوم اسرائيل بمجرد انسحاب « تجميلى » على مرتفعات الجولان ٠ واتهم « كيسنجر » ببث بذور الفتنة والشقاق فى الامة العربية ، وأنذر بصب جام غضبه على السادات ٠ وقال الاسد إن اتفاق سيناء الثانى قد أبعد مصر عن ساحة النزاع العربى الاسرائيلى وترك سوريا وحيدة ٠ وكرد فعل لسياسة مصر التى تركزت حول نفسها بادر الإسد بالفعل بتشكيل تحالف جديد مع عدو سـوريا اللدود ألا وهو ملك الاردن وخـلال اجتماع غاضب عقده « كيسنجر » فى عمان فى اليوم السابق هاجم زيد الرفاعى رئيس وزراء الاردن اتفاق سيناء ورفض أن يؤيده علانية ٠ وكان لقاء الملك حسين أكثر ودا بالرغم من أنه كان لا يقل عن الرفاعى شعورا بالاستياء ٠

وقد التقيت بكل من الاسد وحسين فى أواخر شهر سبتمبر ٠ واستقبلنى الرئيس الاسد فى قصره فى منتصف الليل تقريبا ، وظللنا نتبادل أطراف الحديث حتى الخامسة صباحا تقريبا وكان يرتدى حلة زرقاء وحذاء أسود ، وبالقرب من جانب فمه لاحظت ثمة سنا ذهبية ٠ وأنه يشرب على الدوام القهوة والشاى ويحرك بسرعة حبات مسبحته مما ينم عن قلقه ٠

الاسد : عندما التقيت بالدكتور « كيسنجر » لاول مرة ، لم يشأ أن يتطرق الى المسائل الجانبية ذلك لانه كان يتصور تحقيق السلام فى خطوات كبيرة ٠ ويبدو لنا الآن أن الولايات المتحدة تود تحقيق ثلاثة أهداف هى تدعيم اسرائيل ، وأضعاف الامة العربية ، والقضاء على النفوذ السوفيتى فى منطقة الشرق الاوسط ٠ وبمتابعة تلك الاهداف نجد أنه من المستحيل تحقيق سلام ٠ توضح تلك الاهداف الاسباب التى حالت دون تحقيق الكثير ٠

الكاتب : يعتقد الاسرائيليون أن الدكتور « كيسنجر » يؤيد سوريا ٠

الاسد : أنه شخص لماح وذكى غير أن سياسته تتعارض مع ذكائه ومع تحمسه لدولة اسرائيل وأدرك ان تحمسه هذا لاسرائيل يتعارض مع مصالح الولايات المتحدة ٠ هل من مصلحة الولايات المتحدة منح اسرائيل بليون دولار فى شكل أسلحة وأموال فى حين أن المواطنين الامريكيين يعانون من البطالة ؟

الكاتب : أعتقد أن بعضهم قد يصف ذلك بأنه الجنون بعينه ٠

الاسد : الجنون له فنون عديدة ، هكذا نقول ٠ غير أن الولايات المتحدة تكون بمثابة المؤيد لاسرائيل عندما تعترف بأن العرب أصبحوا ندا لاسرائيل ٠ صدقنى أن الامر باهظ التكاليف اذ أن الولايات المتحدة فى هذه الحـالة ستصل الى اتفاق مع العرب ٠

وبعد ذلك ببضعة أيام التقيت فى عمان بالملك حسين فى مكتبه بفيلا تقع بالقرب من « قصر بسمان » ٠ وقال الملك حسين وهو يدخن سجائر « مارلبورو » الواحدة تلو الاخرى ، أنه يشعر بالقنوط حيـال الولايات المتحدة ذلك أنه أصيب بصدمة من جراء أعتراض جماعات الضغط الاسرائيلية فى « الكونجرس » على طلبه الخاص بشراء بطاريات صواريخ « هـوك » الدفاعية الامر الذى أعتبره بمثابة أهانة موجهة اليه ، واشتكى من أمور أخرى أيضا (*) ٠

(*) فى أوائل عام ١٩٧٦ ، كانت ما تزال مسـألة امداد الاردن بصواريخ « هوك » أمرا مشكوك فيه ٠

حسين : لقد سمعنا مرارا فى هذا الجزء من العالم عن توازن القوى بين العرب واسرائيل ، غير أننى أعتقد أن هذا أمر لم تقم له قائمة على الاطلاق . اذ أنه حتى لو لم تستخدم أسرائيل صواريخ « بيرشنج » ذات الرؤوس النووية ، وحتى لو لم تحصل على تلك الأسلحة على الاطلاق فان قائمة الاسلحة الاسرائيلية سوف تكون كافية لتدمير أى مظهر لذلك التوازن ليس بين اسرائيل والدول المجاورة لها فحسب وانما بين اسرائيل والعالم العربى بأسره .

الكاتب : هل تعتقد جلالتك أن أسرائيل قد صنعت القنبلة الذرية .

حسين : يراودنى شعور بأن اسرائيل تمتلك بالفعل منذ فترة طويلة القنبلة الذرية ، ذات القدرة على انتاج عدة رؤوس نووية . وتتمتع أسرائيل منذ بضع سنوات بالامكانيات التى تسمح لها بأن تنتج سنويا ذلك النوع من القنابل التى استخدمت فى « هيروشيما » و « ناجازاكى » . وأؤكد لك أن هذه معلومات دقيقة .

الكاتب : هل تلقيت تلك المعلومات من المخابرات الاردنية ؟

حسين : ليس من المخابرات الاردنية بمفردها وانما من عدد من المراقبين فى أنحاء العالم كافة ويراودنى شعور بأن اسرائيل قد تلقى بالقنبلة اذا واجهت ظروفا معينه . غير أنه بصرف النظر عما اذا كانت ستستخدمها أولا ، فان عملية امتلاكها من وجهة نظرى سوف تدفع العرب الى الاقدام على كل ما هو محتمل كى يتوصلوا الى قدرة تضاهى ما تتمتع به اسرائيل .

الكاتب : يبدو أن جلالتك متشائم .

حسين : لقد تلاشى شعورى بالتفاؤل أثر التجارب التى مررت بها . ان بوادر السلام ضعيفة . وسوف نصل الى نقطة اللا عودة عندما يتبدد أمل العرب فى أحتمال احراز أى تقدم حيال تنفيذ قرارى ٢٤٢ ، ٣٣٨ . وحينئذ سوف يعد المسرح لوقوع كوارث جديدة . وقد تنفجر تلك اللحظه النفسية فى أقرب وقت . وأنى لاستيقظ فى منتصف الليل فى بعض الاحيان وأظل أفكر فى تلك المشكلة .

ولم يكن الأسد وحسين يشعران بالحنق حيال الاسلحة الاسرائيلية بنفس الدرجة التى كان يشعر بها عدد كبير من المسئولين فى الحكومة الامريكية . وعلى رأسهم « جيمس شليزنيجر » وزير الدفاع وغالبية أعضاء « البنتاجون » و «وكالة المخابرات المركزية » ووزارة الخزانة ومكتب الادارة والميزانية وعدد كبير من المسئولين فى وزارة الخارجية لقد كانوا يعترضون بشدة على كميات الاسلحة الجديدة الهائلة التى ترسل الى اسرائيل . وفى حالة اذا تم تنفيذ الالتزامات التى تعهد بها « كيسنجر » فى الوقت الراهن على مدى السنوات الاربع القادمة ، فان اسرائيل سوف تحصل على مساعدات تتراوح ما بين ١٠ بلايين من الدولارات و ١٢ بليون دولار فى شكل أسلحة خلال الحقبة الراهنة ، وقد تعتبر جزء كبير منها بمثابة معونة . ترى هل اسرائيل فى حاجة حقا الى مئات من الطائرات (١٥ ــ ف ، و ١٦ ــ ف) وصواريخ (هوك ، ولانس) التى يمكن ادخال تعديلات عليها كى تحمل رؤوسا نووية ودبابات من طراز (٣ أ ــ ٦٠ أم) وقنابل (سمارت) الموجهة وذلك لكى تظل

قوة رادعة ضد العرب ؟ وقال أحد المسئولين فى « البنتاجون » أن اسرائيل تود الاطمئنان على أمنها بنسبة ألف فى المائة ، وهى تحصل على ماتريد وفى وسعها انزال الهزيمة بأية جيوش عربية مجتمعة فى عام ١٩٨٠ على الاقل » ٠

ومنذ حرب أكتوبر قامت الولايات المتحدة بامداد اسرائيل بما يربو على ماقيمته ٣ بلايين دولار من ذخيرة توجه بدقة ، ووحدات قنابل « كلستر » ودبابات وناقلات جنود مدرعة ، ومدافع أتوماتيكية ، وشاحنات ، وطائرات بضائع وبنادق و (طائرات هليكوبتر) ، وصواريخ موجهة مضادة للدبابات ، وأجهزة اليكترونية مضادة للرادار ، وطائرات (فانتوم) و (سكاى هوك) ٠ وقبيل اندلاع حرب أكتوبر كان الاسرائيليون يعتمدون على سلاحهم الجوى غير أن الولايات المتحدة قامت الآن بمعالجة دواعى فشلهم فى مجالى المشاة والمدفعية ، ولقنتهم علم الحرب المنسقة ٠٠ وقامت شركة (جنرال اليكتريك) و (روك ويل) والشركات الامريكية الاخرى بنقل تكنولوجيا تصنيع الاسلحة الالكترونية الى اسرائيل ٠ وتقوم اسرائيل بدورها بتطوير جهاز صواريخها فى « أريحا » بحيث يصل مداها الى ٢٥٠ ميلا ٠

ويقول أحد المسئولين فى « البنتاجون » أنه من ناحية الكيف بل والكم ، فان مصر وسوريا والاردن لن تتمكن مجتمعة من مضاهاة قوة اسرائيل ، حتى على مدى الحقبة القادمة ٠ ذلك أن « طائرات الميج » التى تمتلكها تلك الدول لا يمكن أن تقارن بطائرات (ف ــ ١٥ ، ف ــ ١٦) أضف الى ذلك افتقار طياريهم الى المهارة ٠ أما فيما يتعلق بصواريخ (سكود) التى تمتلكها ، فانه فى حالة اطلاقها فان عشرات منها سوف يصيب (تل أبيب) وقد يسقط نصفها على بيروت ٠

ان أى سباق للتسلح قد يصبح فى الوقت الملائم نبوءة ذاتية لاراقة الدماء ٠ وقد انشق عدد كبير من الوزراء فى حكومة « رابين » عن سياسة جمع الاسلحة التى ينتهجها هو و « بيريز » احتجاجا على تلك السياسة قائلين أنه اذا ما استمرت اسرائيل تشير على سياستها هذه فقد تتعرض للافلاس والهلاك ٠ وفى أوائل عام ١٩٧٥ ، اشتكى « كيسنجر » لأصدقائه قائلا (لقد طلبت من « رابين » تقديم تنازلات فأجاب أنه لا يستطيع أن يقدم على ذلك نظرا لأن اسرائيل دولة ضعيفة ٠ ومن ثم أغدق عليه مزيدا من الأسلحة ، ويعود يقول : أنه ليس فى حاجة الى تقديم تنازلات نظرا لأن اسرائيل دولة قوية) ٠ وخلال المفاوضات العقيمة التى جرت فى مارس من عام ١٩٧٥ ظل « كيسنجر » يندب فشله فى الحصول على تنازلات ، وقال أن شحنات الاسلحة الهائلة التى أرسلتها الى اسرائيل كانت أكبر خطأ ارتكبته « وعقب اتفاق سيناء الثانى قال « كيسنجر » أن الاسلحة الجديدة سوف تشجع اسرائيل على أن تكون أكثر مرونة ٠ وكان قد ردد هذه العبارات نفسها منذ خمس سنوات ، عندما افترض أنه سيكون فى وسع اسرائيل تقديم تنازلات حالما تصبح قوة لا تقهر » ٠

الفصل الرابع عشر

رؤى المستقبل

لقد شهدنا في رحلات الدكتور « كيسنجر » بين اسرائيل والبلدان العربية (أوديسا) ديبلوماسية لا نظير لها في أيامنا· بيد أن المساعى السلمية التى أخذ على عاتقه القيام بها فى أكتوبر ١٩٧٣ تبدو معلقة ـ بعد انقضاء ثمانية أشهر على اتفاق سيناء الثانى ، وأنا بصدد الانتهاء من هذا الكتاب ، بين عدم الثقة والجمود· وقد واجهت « كيسنجر » فى أواخر ١٩٧٥ فى « واشنطن » ببعض التحفظات حول سياساته التى سجلتها على هذه الصفحات · كان فيما يبدو لى مرهقا ومنهكا ، غير أنه برر سياساته تبريرا تأكيديا بفلسفة ما هو قائم لا ماكان أن يمكن أن يقوم · وقد تساءل « ماذا كانت البدائل ؟ ان تاريخ النزاع فى الشرق الاوسط يرجع الى عشرات السنين · وفى غضون السنتين الماضيتين فقط أمكن لنا احراز تقدم · ومن السهولة بمكان القول بأن ما فعلناه ليس كافيا ، غير أن الخطوات التى اتخذناها وهى أكبر خطوات اتخذت حتى الآن · انها الخطوات التى كان فى الامكان بلوغها لو أخذنا بين الاعتبار موقفنا الداخلى السائد » ·

« موقفنا الداخلى السائد » ـ يبدو أنه قصد بهذه العبارة ضغوط الاوساط الاسرائيلية المؤثرة · أما قوله المأثور بأن « اسرائيل ليست لها سياسة خارجية ، وانما سياسات داخلية فقط » ، ترى هل كان يعبر بذلك عن الولايات المتحدة ـ وخاصة فيما يتعلق بالشرق الاوسط · وعندما أبديت لأحد مساعدى «كيسنجر» فى احدى المرات ملاحظة هى أن أنصار اسرائيل الامريكيين يشكلون أعظم قيد على سياستنا « أجاب بقوله » هذا بديهى · وهذا القيد يصبح العامل الحاسم · وحيال هذه القيود تصرف ، «كيسنجر» بالرغم من أخطائه بصورة بطولية في أغلب الاحيان· لقد ناضل من أجل مصالح ـ لا اسرائيل ولا العرب ـ وانما من أجل مصالح الولايات المتحدة وهو حين يراعى مصالحها ضمن حدود الممكن ، فهو لهذا يستحق عرفان الجمهورية بجميلة ·

ثم أن المستوى الثانى لسياسته ـ الدعوة للتكنولوجيا الامريكية بين صفوف العرب وهو يذلل صعوبات النزاع العربى ـ الاسرائيلى ـ قد تكشف عن نجاح ملحوظ · ففى العربية السعودية (بالرغم من الخلافات المتعلقة بالمقاطعة العربية) وفى مصر والاردن والجزائر وأبو ظبى ، بل وفي سوريا والعراق ، تجاوزت التجارة والتكنولوجيا الامريكيتان كل الحسابات السابقة · وينبغى على « كيسنجر » أن يتقاسم أمجاده التى نالها على هذا مع وكالات عديدة من وكالات الحكومة · ومع التكنولوجيا الامريكية بوجه عام ، غير أنه شجع الظاهرة وساعد على ازدهارها · وأنه لمن الغريب أن اسرائيل ، بالرغم من انتصارها التكتيكى فى اتفاق سيناء الثانى ، قد تصبح في نهاية الأمر أكثر من يعانى من سياسة « كيسنجر » المتوازية

اذا لم تعقد سلاما نهائيا قبل أن يستوعب العرب كافة أعاجيب التكنولوجيا الامريكية ٠

ان سياسة « كيسنجر » العربية ـ التي ما تزال معتمدة على السادات ـ مانزال ثابتة ، بالرغم من أنها تتعرض لرياح هوجاء ٠ لقد أخطأ « كيسنجر » فى افتراضه أن في وسع السادات السيطرة على بقية رؤساء وملوك البلدان العربية ٠ وكانت قطيعة الأسد القاسية مع مصر فى سبتمبر ١٩٧٥ هي النتيجة المباشرة لديبلوماسية « كيسنجر » ؟ لقد كان على « كيسنجر » أن يتنبأ بأثر اتفاق سيناء الثاني على سوريا والاردن والفلسطينيين ٠ والخطأ خطأ السادات أيضا ٠ فلو كان السادات أقل حماسا في دفع (كيسنجر) الى العطف على المصالح المصرية وأكثر وفاء للوحدة العربية التى حققها من أجل شن حرب أكتوبر ، لكان من المحتمل أن يكون العالم العربى اليوم أكثر ثقة بتقديم تنازلات وأكثر قربا الى السلام مع اسرائيل٠

ربما كان هذا الافتراض موضع شك ـ غير أن الاستراتيجية تقوم على الافتراض ومن حقنا أن نتساءل عن افتراض (كيسنجر) ٠ هل تخيل (كيسنجر) قط استراتيجية منسجمة لانهاء النزاع العربى ـ الاسرائيلي ؟ ان الرئيس الاسد لو كان قد استرق السمع وعرف ما دار فى ذلك الاجتماع المثير الذى انعقد فى القدس فى ٢٢ من مارس ١٩٧٥،لكان من المحتمل أن يؤكد مخاوفه من أن المقصود باستراتيجية « كيسنجر » هو مجرد حماية لاسرائيل من الاضطرار الى الانسحاب الى حدودها القديمة ٠ اننى أشعر بأن « كيسنجر » كان يخطط لرد الاسرائيليين الى هذه الحدود بعينها ، وبصورة أسرع بكثير ٠ الا أن ظروفا ساعد هو نفسه على خلقها قد وقفت في سبيله ٠ وأنا متفق مع « البروفيسور ستانلى هوفمان » ، الاستاذ بجامعة هارفارد ، الذى أبدى لى ملاحظة هى أن (كيسنجر) قد وقع فى مأزق « لعب عدة أدوار فى وقت واحد » ٠ أنه واضع للمفاهيم ومفاوض ومشرف يمارس اشرافه يوميا ٠ واضع للمفاهيم يبدأ بتحديد هدفه ، ثم يتعرف على العقبات التى تعترض طريقه ، ويحاول الحد منها ٠ أما المفاوض فتلاحقه تعقيدات اليوم ، ولم تعد مهمته تحديد الهدف لذاته وانما الاستقرار على أن الهدف هو ما يتبقى بعد الاخذ بكل العراقيل بعين الاعتبار ٠ لقد فعل « هنرى » ذلك فى « فيتنام » وفى الشرق الاقصى ٠ أنه يحبذ المدى القصير على المدى الطويل وهذا غريب ، لأنه موهوب فى أى من الاتجاهين بنفس الدرجة ٠ انه يبدأ بالتوصل الى تحليل رائع لمفهوم احدى المشكلات ، ثم يطرح مقترحات تكاد تكون « تكتيكية تماما » ٠

وهكذا أصبح النجاح التكتيكى هدفا فى حد ذاته ٠ فلو أن عرفات كان أشبه براكب دراجة تسير فوق حبل مشدود ، فان « كيسنجر » أشبه ببحار يقفز من مركب الى مركب ،متمنيا أن يقوده النهر الى مكان آخر ٠ وقد كتب (هنرى براندون) يقول لقد اتسم (كيسنجر) بابداء غطرسة نفوذ ، بيد أن عيبه اذا كان هناك ما يعاب عليه هو غطرسة ذكاء تجعله يظن أن فى وسعه السيطرة على الواقع وترويضه ، وخلال اجتماعه الاول مع الملك فيصل تفوه الدكتور «كيسنجر» بكلمات معناها « لقد رتبت الانفراج مع روسيا ٠ وفتحت الباب الى الصين ٠ وحملت السلام الى فيتنام ٠ وأريد أن أحمل السلم الى الشرق الاوسط ٠٠ اننى أكره الفشل ٠ وأنا لم أفشل ٠ ولن أفشل » ٠ اننا اذا ما رفعنا الانانية الضخمة التى يكشف عنها هذا الكلام نرى الاعتقاد الموجود لدى كيسنجر بأن فى وسعه

ترويض الواقع ، الى جانب دقة تشخيص « البروفيسور هوفمان » ، فقد نلمح جوهر منهج « كيسنجر » في الشرق الاوسط • لقد وضع حدودا قاسية جداً على الواقع الذي كان يصبو الى ترويضه ، لأنه كان يعاني ، باعترافه هو ، من أعراض النجاح • انه يريد السلام • بيد أنه لن يسعى الى السلام الكامل بسرعة شديدة اذا كان عليه أن يغامر بالفشل باقدامه على ذلك • ومع أن تكتيكاته الخاصة بالسلام الجزئي كانت رائعة ، وكذلك كانت أساليبه ، فانه على صعيد الاستراتيجية قد ارتكب خطيئة من جراء حذره •

ولعل أعظم انجاز حققه الدكتور « كيسنجر » هو أنه اشترى وقتا ، ومنع الحرب وشيد الأساس للسعي من أجل سلام فعلي • بيد أن الطريقة التي اختارها كانت ببساطة بطيئة للغاية ، واذا ماتمسكنا بها فانها قد تهددالسلام بالنسبة للمستقبل البعيد • ان في الامكان تصور أن في مقدور الديبلوماسية المرحلية التوصل الى انسحاب اسرائيلي محدود آخر على مرتفعات الجولان ، غير أنها لا يمكنها مواجهة المسائل المحورية للنزاع العربي ـ الاسرائيلي كمسألة مستقبل الشعب الفلسطيني، وتلك المسائل لا يمكن تأجيلها أطول من ذلك •

أما وقد وقلت هذا كله ، فانني أعترف بأن من واجبي الاحتفاظ بجانب من حكمي المتعلق بالأثر المقبل لسياسات كيسنجر • فلم تحسب كافة النتائج بعد ـ الا أنها عندما تحسب ، ربما في غضون سنة أو سنتين ، فمن المرجح أن يكون قد أنجز أكثر مماقد يتخيله أى منا الآن ، مثلا ، عن طريق تحالفه ، أو شبه تحالفه، مع مصر •

ان انفصال السادات الاستراتيجي عن الاتحاد السوفيتي قد يؤدى الى نتائج تاريخية بالنسبة للشرق الاوسط وبالنسبة للسياسة الامريكية وبالنسبة للنزاع العربي ـ الاسرائيلي • وهذا ، الى حد ما ، هو ماحدث بالفعل ـ فالواقع أن الانفصال يتضمن سلسلة من الأحداث التي بدأت بطرد السادات للفنيين السوفييت في صيف عام ٧٢ ومنذ ذلك الحين ، فان معاداةالسادات للاتحاد السوفيتي قد أصبحت أكثر اثارة ، يدفعها الى ذلك جزئيا بخل موسكو الشديد في سد نقص الترسانة المصرية • وفي مارس ١٩٧٦، قام السادات الذي استفزه كذلك رفض «الكريملين» اعادة جدولة دين مصر الذي يبلغ ٦ بلايين دولار ، والذي رسخ اعتقاده بأنالروس ما زالوا يخططون للاطاحة به ، انتقاما منه لمحاباته للامريكيين ، بتوجيه ضربة جديدة أخرى لهم • فبعد أن أعلن السادات أمام مجلس الشعب « أن الاتحاد السوفيتي يحاول أن نركع بين يديه » و « انني لن أسجد لاحد غير الله » ، ألغى رسميا ومن جانب واحد معاهدة الصداقة والتعاون المصرية مع الاتحاد السوفيتي ! •

وكانت المعاهدة ، التي وقعها السادات في عام ١٩٧١ والتي كان من المفروض أن تستمر ١٥ سنة ، قد أعلنت في وقار اقامة روابط صداقة وطيدة لا يمكن فصم عراها بين مصر والاتحاد السوفيتي ، وكانت تلزم مصر بـ (تحول اشتراكي) يرتكز على صلة حميمة بين الحزب الشيوعي والاتحاد الاشتراكي العربي • (ان وعد السادات « تحول اشتراكي » لم يكن وعدا جادا قط ، وهو في الحقيقة قد نقض في نهاية الامر بسياسته الخاصة بالتحرر الاقتصادي ، وفضلا عن ذلك ، فقد قام السادات ، بالاضافة الى الغاء المعاهدة باغلاق الموانىء المصرية امام سفن البحرية السوفيتية •

وقد أصبح مخطط استراتيجية السادات واضحا منذ ذلك الحين • وقد كتب (البروفيسور ويليـام ا • جريفيث) الاسـتاذ بمعهد التكنولوجيا فى ولاية (ماساشوسيتس) ، وهو متخصص فى الشئون السوفيتية ، كتب يقول : « انه حتى أغسطس ١٩٧٢ ، كان للاتحاد السوفيتي قواعد جوية وبحـرية فى مصر ، وكان أهم قوة أجنبية فى سوريا والعراق ، بينما كان النفوذ الامريكى قاصرا على اسرائيل الى حد كبير • أما اليوم فان النفوذ السوفيتى مايزال أساسيا فى اليمن الجنوبية وحدها وهاما فى ليبيا والصومال ، بينما تزايد النفوذ الامريكى فى العالم العربى تزايدا عظيما وبخاصة فى مصر ، ويرجع ذلك الى حد كبير الى أن «واشنطن» قد أصبحت وسيطا نشيطا وعادلا ، بين اسرائيل والعرب • ان هـذه الثـورة الدبلوماسية ، حتى ولو كان من المحتمل أن تكون مجرد ثورة مؤقتة ، كانت بدءا من نوفمبر ١٩٧٥ أعظم هزيمة سياسية بالنسبة لموسكو وأعظم انتصار سياسى بالنسبة لواشنطون منذ الانشقاق الصينى ـ السوفيتى • »

ولعل فى وسعنا أن نضيف الى هذا أنه ، فى الفترة الأخيرة ، شنت العربيـة السعودية عملية تغلغل ديبلوماسى ومالى ضخم داخل اليمن الجنوبية لابعادها عن الوصاية السوفيتية • ومع ذلك ، فان تحليل « البروفيسور جريفيث » لا ينبغى أن يثير نشوة سابقة لاوانها • فسـوريا والعراق ، مع أنهما أيضـا قد رفضتا نموذج التنمية السوفيتى ، مازالتا تعتمدان على موسكو فى الحصول على أسلحتهما • أما لبنان فهو يزخر بالميلشيات اليسارية ، ان الاسـتقطاب الاستراتيجى الجديد الذى يصفه « البروفيسور جريفيث » لن يتكشف عن كسب دائم للولايات المتحدة الا اذا عززته « واشنطن » بتدابير مشددة لانهاء النزاع العربى ـ الاسرائيلى •

وكما لاحظنا فى الفصل السادس ، فان السادات قد حث الولايات المتحدة منذ بداية صداقته مع «كيسنجر» الى انتهاج (استراتيجية مشتركة) معه لاستئصال النفوذ السوفيتى من الشرق الاوسط • ومن المؤكد أن « كيسنجر » كان يود أن يتقلص النفوذ السوفيتى ، غير أن من المشكوك فيه أن يكون قد اعتبر مصر قط حليفا استراتيجيا لمحو مجال الوجود السوفيتى ـ فهذا الامر من شأنه أن يكون بالغ الفجاجة وهو ينطوى على مخاطر عظيمة ويهدد الانفراج تهديدا شديدا • على ان السادات وقد حطم سـورة مع الاتحاد السوفيتى ، يبدو أنه قد عقد العزم الى أبعد مدى على تحويل مصر ـ ركيزة شرقى البحر المتوسط وقلب العالم العربى والاسلام ومفترق طرق قارتين وبوابة أفريقيا والمحيط الهندى ـ الى حليف استراتيجى للولايات المتحـدة • لانه مع وجود حليف كهذا ، يحتل مركزا رائعا ممتازا ، سوف تتقلص حاجة أمريكا الى اسرائيل بالمثل ، وفى سعيها الى الاحتفاظ بصداقة مصر ، سوف تضطر واشنطن الى الضغط بصورة أشد على اسرائيل حتى تتخلى عن مكتسباتها الحربية •

وقد سلم الدكتور « كيسنجر » والرئيس « فورد » بضرورة مكافأة مصر على اختيارها الولايات المتحدة ، كى يظهرا للعالم كله والعرب الآخرين بوجه خاص أن ولاء السادات سوف يكافأ نقدا وهذا يفسر قرار « فورد » الخاص ببيع السادات طائرات نقل عسكرية لا شك فى أنها مجرد مقدمة لكميات أخرى من الاسلحة أكثر أهمية بيد أن اكتساب مصر للاسلحة فى المستقبل ، مهما كان حيويا من وجهـة نظرها ، سوف يؤدى الى تبديد ثرواتها • ثم أن تمكن السادات من الاعتماد على « واشنطن » وأوربا الغربية لتحصين دفاعاته ليس بديلا عن استراتيجية سلام •

انه يشتري وقتا أطول لـ « واشنطن » ، وللسادات غير أنه لا يحل شيئا · ويمكن للولايات المتحدة بالسعي الى تسوية نهائية محددة بوضوح أن تستعيد صك ولاء مصر ، وتحتفظ بمصالحها الاستراتيجية الخاصة في الشرق الاوسط · لقد استنفذت الديبلوماسية المرحلية أغراضها · أن السلام الشامل يفرض نفسه ، ولا مندوحة من بعث « الخيار الأول » ـ الذى اقترحه فى ربيع ١٩٧٥ أغلب المسئولين الامريكيين المعنيين بالشرق الاوسط · ان على الرئيس أن يذهب الى الشعب الامريكي ويعلن أن الولايات المتحدة تحبذ حدود ١٩٦٧ ، ويواجه النتائج ·

وبموجب هذا المشروع الامريكي للسلام ، سوف تنسحب اسرائيل الى الحدود القديمة بعد تعديلها تعديلا طفيفا لحسابها على أن يتم التفاوض على مثل هذه التعديلات · وسوف تتضمن التسوية بالضرورة نزع سلاح مرتفعات الجولان ، وأغلب سيناء بما فى ذلك شرم الشيخ ، وأغلب الضفة الغربية أو كلها وقطاع غزة ، ومرابطة قوات تابعة للامم المتحدة في المناطق المنزوعة السلاح لايمكن ابعادها الا بموافقة كل من الطرفين ، وتقديم ضمانات من الدول الكبرى تودع مجلس الامن · وسوف تظل القدس مدينة متحدة · مع احتمال ادارتها عن طريق مجلس بلدى يتكون من أعضاء اسرائيليين وعرب · غير أن السيادة الاساسية فى القدس الشرقية سوف ترد الى العرب · ويمكن للولايات المتحدة ، اذا ما أرادت اسرائيل ذلك ، أن تضمن أمنها بمعاهدة دفاع رسمية أيضا ·

وباستثناء الحكومة الاسرائيلية ، يوجد اجماع عالمي على اقامة تسوية من هذا النوع · لقد لقيت موافقة ضمنية من جانب الاطراف العربية الرئيسية ومن جانب الروس وقد أعلن « جروميكو » وزير الخارجية فى ٢٣ من ابريل ١٩٧٥ أن اسرائيل « قد تحصل ، اذا أرادت ذلك ، على أدق الضمانات بمشاركة الاتحاد السوفيتي ـ طبقا لاتفاق مناسب » · فضلا عن أن اسرائيل لن تطالب بالانسحاب فورا · ان عليها مجرد الموافقة على المبدأ ، ثم التفاوض على جدول زمنى يرتبط بتنازلات من العرب · ومقابل كل التزام عربى جديد بالسلام ـ انهاء حالة الحرب ، وانهاء المقاطعة والحرب الاقتصادية ، والاتفاقيات البريدية ، وحرية مرور البضائع والاشخاص الخ ـ سيتعين على اسرائيل الانسحاب أكثر فأكثر الى حدودها القديمة حتى تبلغ العملية ذروتها بسلام نهائي واعتراف عربى رسمى بشرعية وجود اسرائيل ·

وقد تستغرق العملية كلها عدة سنوات ، غير أنه لا يجب اطالتها الى أجل غير مسمى · ومن الامور التي لها أهمية موافقة اسرائيل من حيث المبدأ على انسحاب كامل (ولو من الناحية العملية) فى مقابل سلام تعاقدى ·

ان هذا تصور عام لا برنامج عمل · وفى الامكان اثارة مائة حجة ضده ، وهو ينطوى على ألف مجازفة ـ بالنسبة للمعتدلين العرب والاسرائيليين على السواء · غير أن بدائله اما أن تكون بطيئة جدا أو غير أكيدة الى حد بعيد أو عقيمة تماما ، وهى تنطوى على مخاطر أعظم بكثير ·

لقد جرى التفكير فى أغلب ضمانات أمن اسرائيل بوصفها موانع سلبية ـ مناطق منزوعة السلاح وقوات عازلة ، ومعاهدات دفاع وماأشبه ذلك · أما المثقف اليسارى المصرى محمد سيد أحمد فقد طرح ، فى كتاب مثير ، يحاول فيه استطلاع المستقبل ، اسمه « عندما تسكت المدافع » (صدر بالعربية فى ١٩٧٥) ، طرح

بعض الحوافز الايجابية لكل من العرب والاسرائيليين ــ اذا ما توصلوا الى السلام فى أى وقت ــ للعزوف عن استئناف الحرب وللتعاون بعضهم مع بعض • يقول سيد أحمد أنه اذا ما سويت الاسباب الدينية والقومية و « الاستعمارية » للنزاع العربى ــ الاسرائيلى فى أى وقت ، فانه لن تبقى هنـــاك سوى عقبة واحدة أمام تحقيق « التكامل العربى الاسرائيلى » تلك هى توجس العرب من سيطرة اسرائيل التكنولوجية • غير أنه حتى هذه العقبة يمكن تذليلها اذا ما تحقق السلام • وقد ردت حرب أكتوبر نفسها للعرب اطمئنانهم الى أن النوعية الاسرائيليـــة لا تعنى بالضرورة قهر الكم العربى دوما ، وأن فى وسع النوعية العربية أن تعادل نوعيـة اسرائيل فى نهاية المطاف •

ويتساءل سيد أحمد « هل من المستحيل فى ضوء حقائق جديدة كهذه تصور انتهاء بعض الاوساط العربية الى اعتبار المهارات التكنولوجية الاسرائيلية عاملا من شأنه حفز تطور «المنطقة» ، بدلا من عرقلته ؟ » ألا يحتمل أن تنظر هذه الاوساط فى المزج بين الأموال العربية والبراعة التكنولوجية الاسرائيلية الفائقة سعيا وراء ذلك الهدف ؟

(ان كافة جوانب هذا « التكامل » ــ اذا ما قدر له أن يحـدث ــ لن تتـوفر بصورة محدودة مرة واحـدة • وقد تكون « متطلبات الامن » هى المفتاح للشروع فى هذه العملية (أى) مناطق منزوعة السلاح أو قوات طوارىء تابعة للامم المتحدة (أما فيما يتعلق) بـ « الحوافز الايجابية » (فى مقابل) « الروادع السلبية » • فان بعض الاوساط ترى أن أحد الحوافز الرئيسية يمكن أن يتمثل ، على سبيل المثال ، فى اقامة « حزام » من الصناعات الثقيلة على كل من جانبى خطوط المواجهة على أمل اثناء كل الاطراف عن تعريض بنيان صناعى مربح للدمار •

« ويمكن التفكير فى اقامة مشروعات صناعية فى سيناء وفى النقب وفى قطاع غزة وفى الضفة الغربية وفى مختلف مناطق الدولة الفلسطينية التى ينتظر قيامها ، بل وعلى الحدود التى تفصل اسرائيل عن سوريا وجنوب لبنان وربما أمكن تشييد منشئات للصناعات البتروكيمائية فى بعض هذه المناطق ويمكن الاحتفاظ بالمزيد والمزيد من البترول الخام الذى يذهب الآن الى الغـرب لتغـذية هـذه المجمعـات البتروكيمائية • فهذا الرصيد العربى يمكن تصديره ليس فقط على شكل بترول خام وانما أيضا على شكل منتجات مصنعة أو شبه مصنعة •

« ان اقامة مشروعات كهذه فى هذه المنـاطق مغرية لأكثر من سـبب • فهى تستجيب « لمتطلبات الامن » بالنسبة لمختلف الاطراف • وفى وسع السـعى الى تعزيز الامن أن يجتذب رأس المال اللازم لهذه الصناعات الحديثة ، التى سـوف تكون على أية حال أقل تكلفة من نفقات السلاح الحالية • ومن شأن هذا الاعتبار الأخير التغلب على نفور الأوساط المالية من تقديم مبالغ ضخمة لمجرد التنمية أو من مساعدة البلدان العربية فى نضالها من أجل دخول ميدان الصناعات الحديثة الذى كان قاصرا حتى الآن على البلدان المتقدمة » •

وفى تفصيله لهذا التصور ، يقول سيد أحمد أن مثل هذه الصناعات المتقدمة (التى لا تقتصر بالضرورة على البتروكيمائيات) يمـكن أيضا أن تسـاعد بلدان المنطقة ــ وبخاصة مصر ــ على تخفيف كثافة سكانها وعلى استصلاح صحاريها • ويمكن فى نهاية الامر بناء مشروعات نووية لازالة ملوحة مياه البحر من أجل رى

الصحارى وزيادة الامدادات الغذائية • « ثم أن المشروعات الصناعية التى ستقام داخل الدولة الفلسطينية سوف تبطل الحجة القائلة بأن هذه الدولة غير قابلة للحياة . أو للنمو • وفى مصلحة العرب اثبات أنها قابلة لهما • ان الفلسطينيين حتى فى الوقت الراهن ، يتمتعون بأعلى معدل للخبراء والمثقفين فى العالم العربى بالنسبه الى عدد الافراد • ولابد لهذا المعدل من أن يتزايد اذا ما توفرت الفرص لتنمية قدراتهم » •

وينظر سيد أحمد الى ضمانات الامن (السلبية) الاولية بين اسرائيل والعرب بوصفها (رأس الجسر المؤدى الى التكامل والتعاون) عبر الحدود فى المستقبل فضلا عن أن مثل هذا التعاون قد يصبح سبيلا الى الغنى •

« ان فى امكانه أن يمتد الى منطقة أوسع من العالم العربى • فبمجرد قبوله من حيث المبدأ يمكن أن تمضى بعض الاطراف العربية الى حد التفكير فى مرحلتين مميزتين بعد التسوية : مرحلة أولى تسعى فيها الى الحصول على مساعدة المجموعة الدولية فى « استئناس » اسرائيل واستيعابها ضمن المنطقة ، ومرحلة ثانية « تلجأ فيها الى اسرائيل ، مستخدمة امكانياتها البشرية والتكنولوجية من أجل تقوية المجموعة العربية فى مواجهة المجموعة الدولية ، اذ من المنتظر أن تتألف خريطة العالم ــ فى نهاية القرن ــ من كتل جغرافية عظمى ، لا تدع مجالا للكيانات الصغيرة » •

ان رؤية سيد أحمد للمستقبل مفرطة فى مثاليتها ومليئة بالمحاذير ــ ليس أقلها التغيرات الجذرية التى يؤكد على أنها جوهرية فى التفكير الاسرائيلى • ومع ذلك فان رؤيا تعكس بصورة رائعة أحد الاحلام المتقدة لمثاليى الصهيونية ــ أن يعمل العرب والاسرائيليون معا من أجل اثراء المنطقة لصالح الشعبين الساميين •

ان تلك التخيلات ، اذا ما قدر لها أن تتحقق فى وقت ما ، انما تتعلق بالمستقبل البعيد • أما بالنسبة للمستقبل القريب ، فان أية تسوية ترتكز على حدود ١٩٦٧ يجب أن ترضى الشعب الفلسطينى ، بشكل ما ، اذا ما أريد لها أن تكون مناسبة وواقعية وعادلة فى نهاية الامر •

وبالرغم من عناد حكومة « رابين » فى رفضها تصور قيام دولة فلسطينية منفصلة تتألف من الضفة الغربية وغزة ، وتؤثر أو تسيطر عليها منظمة التحرير الفلسطينية ــ فانها لا تعبر عن وجهة نظر جميع الاسرائيليين • فالتقارير العديدة التى يبعث بها المراسلون من داخل اسرائيل (وبعضهم اسرائيليون) تشير الى أن ثمانية وزراء على الاقل من وزراء « رابين » ــ من بينهم وزراء الخارجية والمالية والاسكان والعدل ــ يعارضون فى اجتماعاتهم الخاصة سياسة « رابين » و « بيريز » العقيمة ومن المعروف عن الوزراء المنشقين احساسهم بأن اسرائيل يجب أن تتطوع بالتفاوض مع أية جماعة فلسطينية تعترف بحق اسرائيل فى الوجود وتتخلى عن الارهاب •• انهم يشعرون أن اسرائيل يجب أن تكون على استعداد للاعتراف بدولة فلسطينية فى الضفة الغربية وغزة ــ شريطة أن يوقع الفلسطينيون اتفاق سلام نهائى ، وأن يتخلوا عن سائر المطالبات الاخرى بأراضى كانت تسيطر عليها اسرائيل قبل ١٩٦٧ •

وهناك جماعة أخرى ، أكثر ليبرالية ، وأكثر حسما هى المجلس الاسرائيلى للسلام الاسرائيلى الفلسطينى الذى يتألف من شخصيات مثل «الميجور جنرال

السابق ما تيتيا هوبيليد» و «أرييه الياف» ، وهو سكرتير عام سابق لحزب العمل و (مائير بيل) ، زعيم حزب (موكيد) اليسارى ، وكلاهما عضو فى الكنيست: و « أورى أفنيرى » و « عاموس كيغان » ، وكلاهما صحفى سياسى مرموق • انهم يدعون علنا الى انسحاب اسرائيلى الى حدود ما قبل عام ١٩٦٧ (باستثناء تغييرات تقبلها الاطراف) ، والى ادارة بلدية اسرائيلية ـ عربيـة مشتركة للقدس ، والى اقامة دولة فلسطينية مستقلة ـ عن طريق المفاوضات ـ تتضمن منظمة تحرير فلسطين • ان تأثير الجماعة على الرأى العام الاسرائيلى بصفة عامة مايزال هامشيا بالرغم من أن أجزاء من برنامجها تستثير شوق الكثير من الاسرائيليين الىالتوصل الى السلام مع الفلسطينيين •

ولقد سعى «الجنرال بيليد» ، وهو اسـتاذ للغة العربية بجامعة تل أبيب بشجاعة وبلا كلل من أجل التوصل الى طرق تؤدى الى هذا الهدف • وبعد انهيار مفاوضات الدكتور «كيسنجر» في مارس ١٩٧٥ ، أصدر هو والدكتور «الياس هـ• توما ، وهو فلسطينى وأستاذ للاقتصاد بجامعة كاليفورنيا ، بيانا مشتركا جاء فيه :

اننا ندرك ادراكا تاما صعوبة التوصل الى مصالحة ومن أجل تسـهيل عملية التفاوض بروح من المصالحة ، فاننا نقترح تسلسلا رباعى الخطوات من الافعال وردود الافعال وندعو حكومة اسرائيل ومنظمة تحرير فلسطين الى تنفيذها ، قبل مؤتمر جنيف ، وفقا للتسلسل التالى :

أولا : يجب على حـكومة اسرائيل ومنظمة تحرير فلسطين اصـدار اعلانات تدينان عن طريقهما الحرب والتوسع الاقليمى وتتمسكان فيها بمبدأ أن كافة المكاسب الاقليمية التى تتحقق عن طريق الحرب يمكن اعادتها •

ثانيا : يجب على حكومة اسرائيل اصـدار اعـلان تعترف عن طريقه بحق الفلسطينيين فى تشكيل دولة لهم غربى نهر الاردن ضـمن حدود معترف بها دوليا •

ثالثا : يجب على منظمة التحرير الفلسطينية أن ترد على ذلك باصـدار بيان يعترف بحق الشعب الاسرائيلى فى العيش فى دولته بصورة سليمة وآمنة •

رابعا : يجب أن تعلن حكومة اسرائيل عن اسـتعدادها للتفاوض مع منظمة التحرير الفلسطينية ومباشرة ، وبوصفها ممثلة للشعب الفلسطينى ، فى جميع العلاقات المقبلة بين الدولتين •

وبديهى أن المشـكلة تتمثل فى مهمـة حث كل من اسرائيل ومنظمة تحرير فلسطين على اعتراف كل منهما بالاخرى • قد أكد ياسر عرفات بصـورة قاطعة لـ لسناتور أدلاى سيتفينسون » ولـ « لسناتور تشارس بيرس » بالاضافة الى عديد من رجال الكونجرس الاخرين والامريكيين البارزين على امتداد عدة سنوات أنه سوف يعترف باسرائيل فى ظروف معينة • وممـا له مغزاه ، أن البيـان المشترك الصـادر عن زيارة عرفات لموسكو في نوفمبر ١٩٧٥ قد تجنب دعوة منظمة التحرير الفلسطينية المعتادة الى قيام « فلسطين علمانية ، ديموقراطية » وأكد انه من الممكن التوصـل الى تسـوية اذا ما انسحبت اسرائيل من جميع الاراضى العربية « التى استولت عليها فى ١٩٦٧ ، واذا سمح للفلسطينيين باقامة

دولتهم القومية على أراضى فلسطينية » • وقد كانت هذه اشارة عامة واضحة ، غير أنه من المرجح جدا أن عرفات لن يمضى الى ما هو أبعد من ذلك حتى يعرف سلفا نوع التسوية التى يمكن أن ينالها ومن المرجح جدا أنه لن يبرز علنا أكثر أوراقه قـــوة ـ الاعتراف الصريح بحق اسرائيل فى الوجود ـ حتى تؤكد له الولايات المتحدة تأكيدا صريحا أنها سوف تعمل من أجل خلق دولة فلسطينية فى الضفة الغربية وغزة •

وبالرغم من التكذيبات الامريكية ، فقـد جرت اتصـالات سرية بين الولايات المتحدة ومنظمة التحرير الفلسطينية بصورة متقطعة لســـنوات عدة ـ فى مقر الامم المتحدة وفى بيروت وفى أماكن أخرى فى الشرق الاوسط وشمال افريقيا (عبر وكالة المخابرات المركزية احيانا) • الا أنه اعتبارا من أوائل ١٩٧٦ ، لم تنجم عن ذلك أية مفاوضات هامة • وقد كلف الدكتور « كيسنجر » مسئولين أمريكيين بتبادل الاراء مع الفلسطينيين ولم يسفر ذلك عن شىء • وقد أشـــار الفلسطينيون فى أكثر من مناسبة ، عن طريق عدد من الوسطاء ، الى انهم يرغبون فى اجراء مفاوضات هامة مع الولايات المتحدة ـ على أمل أن يسفر ذلك عن قبول اسرائيل سرا لمنظمة تحرير فلسطين ، قبل احتمال طرح صيغة للترضية العامة المتبادلة • وقد قيل للفلسطينيين ان الدكتور « كيسنجر » مهتم بالامر ، لفترة على الاقل ـ بيد أن شيئا لم يحدث •

وقـد ذكرت ، فى صفحات سـابقة من هذا الكتاب ، اعتقـادى بأن الدكتور « كيسنجر » فى تعامله مع العرب والاسرائيليين ، لم يكن ملزما بالازدواجية فيما يتعلق بالحـدود النهائية • ان تهمـة الازدواجية تكاد تصدق عليه عندما ندرس تأكيداته لرؤساء الدول العربية على الدور الذى سيلعبة للفلسطينيين فى تسوية سلمية • ففى مناسبات عدة ، أكد للرئيسين السادات والاسد وزعماء عرب آخرين أنه سيسعى الى العثور على سبيل لاشراك الفلسطينيين فى المفاوضات ، بيد أننا لو اعتمـدنا على النتائج لوجـدنا ان أبسط ما يقال أنه لم يكن جادا • فقد رضخ للاسرائيليين كما أعربوا عن احتجاجاتهم •

كان هذا هو الوضع حتى أواخر عام ١٩٧٥ ، على الاقل • أما بعد ذلك ، فقد بدأت تظهر ايماءات غير صريحة من واشنطون بأن الدكتور «كيسنجر» ـ الحريص على ارضاء السادات وبعث ثقة الاسد ـ يخفف من موقفه ازاء الفلسطينيين • مثال ذلك ، تصريح «سوندرز» نائب وزير الخـــارجية الســـابق الذى يعرف البعد الفلسطينى بأنه «قلب» النزاع العربى ـ الاسرائيلى وقبول «كيسنجر» لاشتراك منظمة تحرير فلسطين فى مناقشة حول المسألة الفلسطينية فى مجلس الامن فى يناير ١٩٧٦ •

وقد أعلن «سوندرز» فى بيانه أمام احدى لجان «الكونجرس» الفرعية فى ١٢ من نوفمبر عام ١٩٧٥ :

أن المطلوب كخطوة أولى هو عملية ديبلوماسية تســاعد على تحديد معقول للمصالح الفلسطينية أى على تحـــديد موقف يمكن ان تبدا منه مفاوضات حول ايجاد حل للجوانب الفلسطينية فى المشكلة أن المسألة ليست مسألة ما اذا كان من الضرورى التعبير عن المصالح الفلسطينية فى تســوية نهائية أولا ، بل هى مسألة كيفية حدوث ذلك • ولن يتحقق السلام حتى يتم التوصل الى جواب •• اننا على استعداد لدراســـة أى اقتراح معقول تقدمه أية جهة ، واننا ننتظر من الاطراف الاخرى فى المفاوضات أن تبدى سعة أفق مماثلة •

لقد كانت هذه الجملة الاخيرة اشـارة الى الحكومة الاسرائيلية بأنه من الافضل لها أن تعيد دراسة موقفها العنيد ازاء منظمة التحرير الفلسطينية • وكانت وثيقة «سوندرز» الى حد بعيد خلاصة وافية لتصريحات أمريكية سابقة حـول المسألة الفلسطينية ، بيد أنها قد جرت الحكومة الامريكية ـ لاول مرة ـ الى عرض علني للجوانب السياسية للمشكلة • وقد اقترحت شروطا معينة ـ قبول اسرائيل ، التخلي عن الارهاب ـ يمكن بموجبها تحديد منظمة التحرير الفلسطينية من وجهة نظر الامريكيين كشريك في المفاوضات •

وكانت الحكومة الاسرائيلية ساخطة • فقـد قام مجلس الوزراء في القدس بدراسة نص التصريح بتحليل مستفيض ثم قدمت احتجاجا الى الدكتور«كيسنجر» ورفض وزير الخارجية الوثيقة بوصفها «تمرينا آكاديميا ونظريا» ونفى السفير «دينتيز» أية علاقة له بها • والواقع أن «كيسنجر أشرف بعناية على تحريرها بل اشتراك بالفعل في عملية التحرير • وكان هذا الموضوع بمثابة الخطوة الأولى، وان كانت مترددة ، نحو اعتراف امريكا بمنظمة التحرير الفلسطينية •

وقد قيل ان الدبلوماسية هى في التأجيل ما هو حتمي الى أطول فترة ممكنة • ويبدو لى أن المسألة الكبرى ليست ما اذا كنا سنشهد قيام دولة فلسطينية أولا ، بل هى مسألة السرعة التى سيحدث بها ذلك أن هذه الدولة ـ المقتصرة على غزة وعلى الضفة الغربية ، والمنزوعة السلاح الى حد بعيد والمستقلة تماما أو الداخلة في اتحاد مع المملكة الاردنية الهاشمية سوف تواجه عقبات هائلة قبل أن يتسنى لها أن تخرج الى حيز وجود ، غـير أن البديل لذلك سـوف يكون اضطرابا لا ينتهى في الشرق الاوسط • وينبغى أن يكون أسـلوب خلق تلك الدولة أمرا سهلا نسبيا وذلك رهنا باتفاق الاطراف على الهدف مثال ذلك انه يمكن « لمؤتمر قمة » عربى أن يجيز للملك حسين الاحتفاظ بالضـفة الغربية كوديعة الى أن يتقرر مصيرها النهائى • أو يمكن للامم المتحدة أن تدير الضـفة الغربية وغزة لفترة انتقـالية من سنتين أو ثلاث أو خمس سنوات حتى يدرس الفلسطينيون تكوين قيادتهم في المستقبل • ويمكن أن يفوض مجلس الامن لاحدى اللجـان صلاحيات اجراء استفتاء للفلسطينيين في أرجاء الشرق الاوسط ، وللتشاور مع منظمة التحرير الفلسطينية والقادة المحليين في غزة والضفة الغربية وللاشراف في نهاية الامر على اجراء انتخابات واقامة حكومة مؤقتة • والواقع أن لغز الاعتراف المتبادل من جانب اسرائيل ومنظمة التحرير الفلسطينية يمكن ـ في البداية ـ أن يحله مجلس الامن نفسـه • ذلك أن المجلس سـوف يبدأ عملية خلق دولة فلسطينية وسـتوافق اسرائيل ومنظمة التحرير الفلسطينية ثم سينتهيان الى التفاوض فيما بينهما ـ ربما تحت اشراف الامم المتحدة ـ لتحديد الإطوار التى يجب أن تلى ذلك •

الاطوار والمراحل ـ كلمتان تلوحان أعلاما حمراء • أن كثيرا من الفلسطينيين قد يقنعون بنصف رغيف ـ بجزء من فلسطين وليس بها كلها ـ غير أنه من الكذب انكارأن اخرين سوف ينظرون الى هذه الشريحة من فلسطين كمجرد مرحلة من أجل استعادة بقية وطنهم • ولا يمكن لاية تسـوية أن ترضى الجميع ، لا يمكن لاية تسـوية أن تلف في باقة تامة ، ولا مفر من مواجهة الحقيقـة فكما رفض الجيش الجمهورى الايرلندى تقسـيم « أولستر » بعـد الحرب العالميـة الاولى ، سوف ترفض فصائل من الفدائيين دولة فلسطينية مهلهلة • وسـوف يرفعون

السلاح اعتراضا على وجود فلسطين مهلهلة أو سينسعون الى استخدامها كقاعدة لمواصلة الهجمات على اسرائيل • وستتمثل مهمة صانعي السلام في عزل هؤلاء «الرافضين» وقصر ثوراتهم على الازعاج الجانبي ــ دون التسيب وهذا ما نرجوه من اراقة دماء كثيرة بين الاسرة الفلسطينية نفسها .

أن الرافضين سوف يتم عزلهم أو ردعهم بمقدار ما تطبقه الدولة الفلسطينية الجديدة لاكبر عدد من الفلسطينيين • ويبدو لى أن الدولة ، ما أن تتمتع باستقلالها ، حتى تسعى الى اقامة نوع معين من الاتحاد الكونفيدرالى مع الاردن ــ دفاعا عن نفسها وحتى تتمكن من الاستمرار والبقاء • ولا داعى لان تكون دولة يسارية راديكالية • فلا اسرائيل ولا الاردن الملكي ولا العربية السعودية الملكية سوف تسمح بوجود نظام للراديكاليين على حدودهما • وستصبح مراعاة رغبات السعوديين أمرا لازما لانهم سوف يدعون الى تقديم العون لفلسطين الجديدة • كما يجب على السوريين أن لا يشتهوا وجود جمهورية راديكالية فى الضفة الغربية ــ وقد أثبتوا ، خلال الحرب الاهلية ، أنهم لم يشتهوا وجود جمهورية مماثلة فى لبنان •

ويقول مثقف فلسطيني مرموق ان « الجمهورية الفلسطينية يجب أن تكون دولة تعيش معها اسرائيل دون أبراج مراقبة ودون مصابيح كشافة ودون كلاب بوليسية ودون حقول ألغام » • ولعله لا يمكن التوصل الى اطمئنان اسرائيل كهذا الا بعد مضى الوقت ، بيد أن تفكير اسرائيل والفلسطينيين لابد له من أن يتطور بعد التسوية نفسها • فسوف يتعين على الفلسطينيين حتى يتمتعوا بدولتهم ، أن يتخلوا عن الارهاب الى الابد • غير ان الفلسطينيين واليهود سوف ينطلقون بالضرورة من هناك الى حوار دائم وسلمى حول مصيرهم المشترك فى أرض فلسطين • وسوف يضطر الفلسطينيون الى تخفيف حلمهم بدولة علمانية تستوعب فلسطين كلها ، بيد أنهم لن يتخلوا عنه تماما • أن اليهود يرفضون اليوم هذا التصور تماما • ولكن هل من الهرطقة أن نتخيل أن اسرائيل بعد خمس أو ١٥ سنة من الآن ــ قد تعدل اعتمادها على الولايات المتحدة ، وتراجع دورها فى النظام الدولى ، وتشرع فى السباحة فى تيار الشرق الاوسط ؟ هل من المبالغة تخيل أن اليهود والعرب ــ بعد ٢٠ أو ٣٠ أو ٥٠ سنة من الان ــ قد ينجزون معا واقعا جديدا معينا يسمح لكل من الشعبين بأن يتقاسما فلسطين كلها حكومة وأرضا ؟ •

مرة أخرى ، هذه رؤى مستقبلية • أما فيما يتعلق بالملموس والراهن ، فان مهمة الديبلوماسية الامريكية تتمثل فى النضال من أجل تسوية شاملة بقوة وسرعة فعلى الولايات المتحدة أن تقدم للرئيس السادات ربما حتى منتصف أو نهاية ١٩٧٧ تعهدا ملموسا بالعمل من أجل التوصل الى تسوية شاملة ررد أراضيه • والا فان السادات سوف يفقد اعتباره نهائيا فى مصر وفى أرجاء العالم العربى ــ واذا لم يسقط هو فان سياسة أمريكا العربية سوف تسقط بالتأكيد ان الاجماع السائد بين أغلب مستويات الحكومة الامريكية ــ فى وزارة الخارجية وفى وكالة المخابرات المركزية وفى «البنتاجون» وغير ذلك من الاوساط ــ والذى يحبذ التوصل الى تسوية تستند الى حدود ١٩٦٧ ، ودولة للفلسطينيين ،

وضمانات قوية لاسرائيل ، يجب أن يترجم الى متطلبات السياسة العليا (*) ٠

وليس أمام الولايات المتحدة واسرائيل من خيار اخر ٠ أن حرب اكتوبر والحظر البترولى قد كلفا الولايات المتحدة (حسب تقدير مجلس البترول القومى) ما بين ٣٠ و ٦٠ بليون دولار خسائر فى الناتج القومى الاجمالى ٠ أما الحرب القادمة فى الشرق الاوسط ، اذا نشبت ، فسوف تكلف الولايات المتحدة وأوربا الغربيه أكثر من ذلك بكثير ٠ والواقع أن أمريكا فى الثمانينات سوف تظل معتمدة على البترول العربى ــ وليس فى مقدور اسرائيل اضاعة الوقت عشر سنوات أخرى كما أن اسرائيل ، حتى على فرض كسبها للحرب القادمة ، لن تدفع تكاليف الحرب من جيبها الخاص ٠

ذلك أن اسرائيل ، حتى في الوقت الراهن تتأرجح على شفا الافلاس ٠ لقد خفضت قيمة عملتها عشر مرات فى غضون ١٨٠ شهرا ٠ ويتجاوز عجزها عن عام ١٩٧٦ ٤ بلايين دولار ، كما أن دينها القومى يتجاوز ٧ بلايين دولار ٠ بل أن اقتصادييها يحتجون على أن هذه الامة الصغيرة ٠ بمالها من قاعدة مالية ضيقة كهذه وبعدد سكانها الذى يزيد قليلا على الثلاثة الملايين نسمة ، لا تحتمل مواصلة الانفاق كدولة عسكرية كبرى ٠ أن حرب اسرائيل القادمة لا يمكن أن يدفع تكاليفها غير الولايات المتحدة ــ والولايات المتحدة كذلك لا يمكنها تحمل ذلك ٠ انها تقوم ، فى الواقع بتمويل جزئى لاحتلال اسرائيل الراهن لسيناء والجولان وقطاع غزة والضفة الغربية ٠ ويصعب ان تفكر فى تمويل هجوم اسرائيلى صوب مداخل القاهرة ودمشق ٠

---

* يؤكد « المستر مارك بروزونسكى » ، عند تحليله لمقال المنشور فى مجلة « فورن بوليسى ان » أن الخيار الاول الذى وصفته فى الفصل الثانى عشر يجرى تنفيذ بالفعل ٠ ففى نشرة انترتشينج (ابريل ١٩٧٦) التى تصدرها جماعة « بريرا » وهى جماعة يهودية مستنيرة الى حد بعيد ، كتب « المستر بروزونسكى » يقول : ان اعادة التقييم التى جرت عام ١٩٧٥ كانت ، فى الواقع نقطة الانطلاق بالنسبة للتعبير عن هذه (الازمة المزمنة التى وصفها « المستر شيهان » بين اسرائيل والولايات المتحدة وقد بدأت مع رسالة الرئيس فورد الفظة الى ٠٠٠ « رابين » ٠٠٠ مارس (١٩٧٥) التى أكد فيها على ان اسرائيل يجب أن تبدى مزيدا من المرونة ٠ واستمرت مع تصريح « سوندرز » بشأن الفلسطينيين فى نوفمبر (١٩٧٥) وفى مارس (١٩٧٦) جاء ردع « فورد » للزعماء اليهود بخصوص مسألة بيع طائرات من طراز سى ــ ١٣٠ لمصر ، وخفض المساعدة العسكرية لاسرائيل فى سنة ١٩٧٧ المالية ، ثم مؤخرا هجوم « ويليام سكرانتون » المحسوب على المستعمرات الاسرائيلية فى الاراضى المحتلة بوصفها انتهاكا لاتفاقية جنيف ٠٠

ان الرسالة التى وجهها ستة وسبعون عضوا من اعضاء مجلس الشيوخ (فى مايو ١٩٧٥) ٠٠٠ وقد اوقفت المنطوق اللفظى لمفهوم امريكا عن احلال سلام فى الشرق الاوسط (بيد) انها لم توقف تنفيذه والواقع ، ان الرسالة ربما تكون قد سهلت الامور على كيسنجر اذ انها تمنع مؤيدى اسرائيل من الاعتراض على أسس السياسة الامريكية ، مرغمة لهم على التركيز على المظاهر البطيئة والنوايا الخبيثة للضغوط الآخذة فى الازدياد منذ شهر مارس ١٩٧٥ ٠ والواقع ، ان اسرائيل قد تعرضت لجميع الضغوط الكامنة فى الخيار الاول دون الاعتراض على سياسة شاملة معلنة تقف منها موقف التحدى ٠

انى اعتبر تحليل المستر « بروزونسكى » عبثا لا وزن له ٠ فاننى لا أوافق على أن اسرائيل « تتعرض بالفعل لاى ضغوط فى الخيار الاول » ٠ اما فيما يتعلق باتجاه السياسة الذى يصفه « المستر بروزونسكى » فاننى اتفق معه الى حد بعيد ٠

للاطلاع على تصور مستقبلى ساحر ــ واكثر ازعاجا بكثير ــ انظر ما كتبه « السناتور السابق ج ٠ ويليام فولبرايت » فى الملحق العاشر ٠

لقد صاغ الدكتور «كيسنجر» الخطوات الصغيرة الاولى للشرق الاوسط نحو السلام ، بيد أنه من المشكوك فيه أنه سيمكث فى السلطة لاتمام المهمة الاسمى· وسوف يقع ذلك على كاهل الرئيس القادم أيا كان ، وعلى كاهل وزير الخارجية القادم · ذلك أن السلام فى الشرق الاوسط سوف يكون من حيث جوهر الامر مشكلة رئاسية ، أن السلام سوف يتطلب رئيسا حازما على استعداد لاتخاذ قرارات صعبة ، وعلى استعداد لتشجيع قوى المصالحة فى كل من اسرائيل والعالم العربى — وعازما ، عند الضرورة — على الضغط بقوة على اسرائيل من أجل الحصول على التنازلات التى سوف تؤدى الى السلام · وسوف يكون ذلك الامر صعبا جدا، بيد أن بديلى الحرب والانقلاب الراديكالى سوف يكونان أسوأ من ذلك بكثير ·

أم أن السلام الحقيقى وهم خالص ؟ أنه لمن سخرية الاقدار أن يكون نوع التسوية الذى دعوت اليه فى هذه الصفحات ربما كان ممكنا غداة حرب اكتوبر لو كان « هنرى كيسنجر » قد انتهز حقا الفرص التى كانت متاحة خلال تلك الفترة · غير أنه كان يخشى أنئذ من أن يكون الفشل نصيب السعى الى انجاز أشياء كثيرة بهذه السرعة · اننا لن نقف بعد على الحقيقة · وعلينا أن نوليه الاحترام لما تمكن من انجازه · وللاسف أن ما أنجزه ، كما أشرت اليه فى بداية هذا الكتاب يشابه المصالحة بين اسقف ت·س· اليوت والملك — « لو سألتنى عن رأيى ، فان السلام ، لا قبله السلام ، هو الذى يجب حله » ·

اننى لارجو أن يبدى الرئيس القادم ووزير خارجيتة القدرة على احتمال الفشل ويساعد أن العرب واليهود فى نهاية الامر على صياغة شىء اكثر أهمية من الحلول المؤقتة ·

الملحق الاول

قرار مجلس الامن التابع للامم المتحدة
رقم ٢٤٢ (١٩٦٧)

أقره مجلس الامن فى جلسته ١٣٨٢ ،

المنعقدة فى ٢٢ من نوفمبر ١٩٦٧

ان مجلس الامن ،

اذ يعبر عن قلقه المستمر ازاء الموقف الخطير فى الشرق الاوسط ·

واذ يؤكد استحالة الموافقة على الاستيلاء على الارض عن طريق الحرب وضرورة العمل من أجل سلام عادل ودائم يمكن لكل دولة فى المنطقة أن تعيش فى ظله فى أمن ·

واذ يؤكد أيضا أن كل الدول الاعضاء بقبولها لميثاق الامم المتحدة قد أخذت على عاتقها تعهدا بالعمل بموجب المادة ٢ من الميثاق ·

١ — يؤكد ان تحقيق مبادىء الميثاق يتطلب اقامة سلام عادل ودائم فى الشرق الاوسط ينبغى أن يتضمن تطبيق كل من المبادىء التالية :

اولا : انسحاب القوات المسلحة الاسرائيلية من أراضى أحتلت فى النزاع الاخير·

ثانيا : انهاء كل دعاوى أو حالات الحـرب والاعتـراف بسيادة كل دولة فى المنطقة وتكامل اراضيها واستقلالها السياسى وبحقها فى العيش فى سلام ضمن حدود آمنة ومعترف بها خالية من التهديدات أو أعمال القوة ،

٢ ـ ويؤكد ايضا ضرورة

(أ) ضمان حرية الملاحة عبر الممرات المائية الدولية فى المنطقة ،

(ب) تحقيق تسوية عادلة لمشكلة اللاجئين ،

(جـ) ضمان حرمة اراضى كل دولة فى المنطقة واستقلالها السياسى ، عن طريق اجراءات تتضمن اقامة مناطق منزوعة السلاح ،

٣ ـ ويطلب الى السكرتير العام تعيين ممثل خاص للذهاب الى الشرق الاوسط لايجاد الاتصالات ومتابعتها مع الدول المعنية من أجل تشجيع التوصل الى اتفاق ومساعدة الجهود الرامية الى تحقيق تسوية سلمية ومقبولة وفقا لبنود ومبادىء هذا القرار ،

٤ ـ ويطلب الى السكرتير العام تقديم تقرير الى مجلس الامن حول تقدم جهود الممثل الخاص باسرع ما يمكن ٠

الملحق الثانى

سلام دائم فى الشرق الاوسط

وجهة نظر أمريكية

كلمة « ويليام ب ٠ روجرز » وزير الخارجية

فى ٩ من ديسمبر ١٩٦٩

يسعدنى غاية السعادة أن أكون بينكم هذا المسـاء وأن أكون جزءا من هـذا المؤتمر الجدير بالاعجاب ٠ أن مؤتمر «جالاكسى» (للمتفوقين) يشكل واحدا من أضخم وأهم الجهود فى تاريخ البلاد للمضى قدما بأهـداف جميع مراحل تعليم الراشدين والاستمرار فى تعليمهم ٠

وان وزارة الخارجية كما تعلمون ، مهتمة اهتماما ايجابيا بهذا الموضـوع ٠ ونحن نعتقد أن مسائل السياسة الخارجية يجب أن تحظى بالفهم والدراسـة على أوسع نطاق ٠ ونحن كما تعلمون ، نبذل جهودا كثيرة جدا من أجل تقديم تفهم جاد فى حقل الشئون الخارجية ٠ ويسعدنى الليلة أن أنضم الى العديد من مثل هؤلاء الحلفاء المخلصين فيما يبذلونه من جهود ٠

وأملا فى أن أتمكن من تعزيز هذه القضية ، أود أن اتحدث اليكم الليلة عن مسألة من مسائل السياسة الخارجية ذات أهمية قصوى بالنسبة لبلادنا ٠

السياسة الامريكية فى الشرق الاوسط ٠

سوف اتحدث الليلة عن الموقف فى الشرق الاوسـط ٠ وأود أن اشـير الى سياسة الولايات المتحدة ازاء هذا الوضع آملا أن يتسنى وجود تفهم أفضل لهذه السياسة ودواعيها ٠

كان هناك فى أعقاب الحرب العربية الاسرائيلية الثالثة فى غضون ٢٠ سنة نمو سريع للامل فى امكانية تحقيق سلام نهائى • ومما يؤسف له أن هذا الامل لم يتحقق • وليس هناك فى العالم اليوم منطقة أهم ، ذلك أن من الممكن أن تغدو هذه المنطقة بسهولة من جديد مصدر انفجار حرب خطيرة أخرى •

وعندما تولت هذه الحكومة مقاليد الامـور ، كان احـد اجراءاتها الاول فى الشئون الخارجية دراسة الموقف من جميع نواحيه فى الشرق الاوسط بعناية • وكان واضحا أن استمرار النزاع الذى لم يجد حلا هناك سوف يكون خطيرا للغاية وان أطراف النزاع لن تتمـكن بمفردها من التغلب على هــذه المشـكلة وتحقيق تسوية سياسية وان الجهود الدولية من أجل مساعدتها فى حاجة الى الدعم•

وقد قررت الولايات المتحدة أن عليها مسئولية القيام بدور مباشر سعيا لايجاد حــــل •

ومن ثم ، فقد قبلنا اقتراحا تقدم به كل من الحكومة الفرنسية والسكرتير العام للامم المتحدة واتفقنا على أن القوى الكبرى ــ الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى والمملكة المتحدة وفرنسا يجب أن تتعاون لمساعدة السفير يارنج ، مندوب السكرتير العام • فى وضع تسوية طبقا لقرار مجلس الامن التابع للامم المتحدة الصادر فى نوفمبر ١٩٦٧ • كما قررنا التشاور مباشرة مع الاتحاد السوفيتى آملين تحقيق أكبر قدر ممكن من الاتفاق فيما بيننا •

وقد اتخذت هذه القرارات فى ضوء اعتراف كامل بالعوامل الهامة التالية :

أولا ــ أدركنا أن البلدان غير المتورطة مباشرة لا يمكنها أن تصنع سـلاما دائما للشعوب والحكومات المتورطة • ان السلام يعتمد على أطراف النزاع • وجهود القوى الكبرى يمكنها أن تساعد كما يمكنها أن توفر حافزا ويمكنها أن تدفع الاطراف الى التحدث ويمكنها أن تشجع ويمكنها أن تساعد فى تحديد اطار واقعى للاتفاق ، غير أن الاتفاق بين قوى أخرى لا يمكنه أن يغنى عن الاتفاق بين الاطراف نفسها •

ثانيا ــ أدركنا أن السلام الدائم يجب أن يستجيب للمطالب المشروعة لكل من الجانبين •

ثالثا ــ كان من الواضح لنا أن الاطار الوحيد لتسوية يتم التوصـل اليها عن طريق المفاوضات هو الاطار الذى يتمشى مع مجمل نص قرار مجلس الامن التابع للامم المتحدة • لقد تم الاتفاق على هذا القرار بعد مفاوضات طويلة وصعبة ، وهو متوازن بدقة ، ويقـدم الاساس لسـلام عادل ودائم ــ تسوية تامة لا مجرد حد فاصل بين حربين •

رابعا ــ اننا نعتقد أن فترة طويلة الامد من اللاحرب واللاسلم والعنف المتكرر وانتشـار الفوضى لن تخـدم مصالح أية دولة ، سـواء فى الشرق الاوسـط أو خارجه •

المباحثات الامريكية ــ السوفيتية

لقد واصلنا هذه المشاورات لمدة ثمانية أشهر فى محادثات الاربعة الـكبار فى الامم المتحدة وفى محادثات ثنائية مع الاتحاد السوفيتى •

وقد انطلقنا في محادثاتنا مع السوفيت من الاعتقاد بأن المخاطر من الكبر بحيث يتعين علينا تحمل المسئولية لمعرفة ما اذا كان في وسعنا التوصل الى وجهات نظر متوازية من شأنها تشجيع الاطراف على وضع حل مستقر ومتكافيء · ونحن لا تخامرنا أية أوهام ، كما أننا على وعى كامل بالمصاعب السابقة والحقائق الراهنة · وقد أدت محادثاتنا مع السوفيت الى تحقيق قدر من التفاهم ، الا أنه ما تزال هناك خلافات جوهرية جدا · ونحن نأسف لتأخر السوفيت فى الرد على الصياغات الجديدة التى قدمت اليهم فى ٢٨ من أكتوبر · الا أننا سنواصل مناقشة هذه المشكلات مع الاتحاد السوفيتى ما دام هناك أى أمل واقعى فى احتمال مساعدة مثل هذه المحادثات على السير قدما بقضية السلام ·

وقد أبلغ مضمون المحادثات التى أجريناها مع الاتحاد السوفيتى الى الاطراف المعنية بالطرق الديبلوماسية · وقد ساعدت هذه العملية على ابراز العقبات الرئيسية التى تعترض بدء مفاوضات مفيدة بين الاطراف ·

فمن ناحية ، يخشى القادة العرب من أن اسرائيل ليست مستعدة فى حقيقة الامر للانسحاب من الاراضى العربية التى احتلت فى حرب ١٩٦٧ ·

ومن ناحية أخرى ، يخشى القادة الاسرائيليون من أن الدول العربية ليست مستعدة فى حقيقة الامر للعيش فى سلام مع اسرائيل ·

وفى وسع كل جانب أن يذكر من ناحيته أدلة واضحة تؤيد مخاوفه · وقد سمح كل جانب لانتباهه بأن يتركز بشكل ثابت ووحيد الى حد ما على هذه المخاوف ·

فما الذى يمكن للولايات المتحدة أن تفعله للتغلب على هذه العقبات ؟

ان سياستنا سياسة متوازنة وسوف تستمر كذلك · اذ أن لنا علاقات صداقة مع كل من العرب والاسرائيليين · وسوف تكون الدعوة الى انسحاب اسرائيل بموجب قرار الامم المتحدة دون التوصل الى اتفاق بشأن السلام تحيزا للعرب · كما أن دعوة العرب الى قبول السلام دون انسحاب اسرائيلى سوف تكون تحيزا لاسرائيل · ولذا فان سياستنا هى تشجيع العرب على قبول سلام دائم يرتكز على اتفاق ملزم وحث الاسرائيليين على الانسحاب من أراضى محتلة عندما تتأكد سلامة أراضيهم كما ينص على ذلك قرار مجلس الامن ·

العناصر الرئيسية لقرار الامم المتحدة

وفى محاولة لتوسيع نطاق المناقشة استأنفنا مؤخرا مفاوضات الاربعة الكبار فى الامم المتحدة ·

دعونى أستعرض سياستنا حول مختلف عناصر قرار مجلس الامن · ان المسائل الاساسية وما أشبهها يمكن أن توصف بأنها مسائل السلام والامن والانسحاب والاراضى ·

السلام بين الاطراف · ان قرار مجلس الامن يوضح ان الهدف هو اقامة حالة سلام بين أطراف بدلا من حالة الحرب التى ميزت العلاقات لاكثر من عشرين سنة · ونحن نعتقد ان شروط وتعهدات السلام يجب أن تحدد تحديدا دقيقا · فمثلا ،

ينبغي الاشارة بصورة لا لبس فيها الى حقوق الملاحة في قناة السويس وفي مضيق تيران • ويجب الاشارة بشكل محدد الى احترام سيادة وتعهدات الاطراف ازاء بعضهما البعض •

بيد أن السلام ، بطبيعة الحال ، يتضمن ما هو أكثر من ذلك بكثير • انه يتعلق أيضا بمواقف ونوايا الاطراف وهل هي على استعداد للتعايش فيما بينها ؟ هل يمكن لاسلوب « عش ودع غيرك يعش » أن يحل محل الشك وعدم الثقة والكراهية؟ ان اتفاقا للسلام بين الاطراف يجب أن يرتكز على نوايا واضحة ومحددة وعلى استعداد لادخال تغييرات أساسية على المواقف والظروف المميزة للشرق الاوسط اليوم •

الامن : ان اتفاق السلام يجب أن يدعمه احساس بالامن لكلا الجانبين • ولهذا الهدف كما نص عليه في قرار مجلس الامن، فانه ينبغي أقامة مناطق منزوعة السلاح وترتيبات أمن مماثلة يمكن الاعتماد عليها أكثر من تلك التي كانت قائمة في المنطقة في الماضي • ان الاطراف نفسها بمساعدة السفير يارنج ، تعتبر في وضع يمكنها من تحديد طبيعة وتفاصيل مثل هذه الترتيبات الامنية • ان مصالحها ، هي التي تتعرض للخطر قبل كل شيء كما أن الارض التي يدور الحديث عنها هي أرضها • وينبغي لها أن تتعايش مع النتائج •

الانسحاب والارض : ان قرار مجلس الامن يقر مبدأ عدم الاستيلاء على أرض عن طريق الحرب ويدعو الى انسحاب القوات المسلحة الاسرائيلية من أراضي احتلت في حرب ١٩٦٧ • ونحن نؤيد هذا الجزء من القرار ، بما في ذلك الانسحاب مثلما نؤيد عناصره الاخرى •

ان الحدود التي بدأت منها حرب ١٩٦٧ قد حددت في اتفاقية الهدنة لعام ١٩٤٩ التي حددت مناطق السيادة القومية في الشرق الاوسط طيلة عشرين سنة • لقد كانت هذه الحدود خطوطا للهدنة ، لا حدودا سياسية نهائية • وقد احتفظت اتفاقيات الهدنة للاطراف بحقوقها ومطالبها ومواقفها في تسوية سلمية نهائية •

وان قرار مجلس الامن لا يؤيد ولا يستبعد خطوط الهدنة هذه بوصفها الحدود السياسية النهائية • غير أنه يدعو الى الانسحاب من أراضي محتلة ، وعدم الاستيلاء على أراضي عن طريق الحرب واقامة حدود آمنة ومعترف بها •

ونحن نعتقد أنه بينما يجب اقامة حدود سياسية معترف بها والاتفاق عليها من جانب الاطراف ، فان أية تغييرات في الخطوط التي كانت قائمة سلفا لا يجب أن تعكس ثقل الغزو ويجب أن تكون قاصرة على تعديلات طفيفة يتطلبها الامن المتبادل ونحن لا نؤيد التوسع • ونعتقد أن القوات يجب أن تنسحب كما يقضي القرار • ونسائد أمن اسرائيل وأمن الدول العربية أيضا وندعو الى سلام دائم يتطلب الامن لكل منهما •

مسألتا اللاجئين والقدس

بالتأكيد على المسائل الاساسية الخاصة بالسلام والامن والانسحاب والارض ، لا أريد أن يتكون انطباع بأن المسائل الاخرى ليست على نفس الدرجة من الاهمية • فهناك مسألتان بالذات تستحقان اشارة خاصة وهما مسألة اللاجئين والقدس •

ولا يمكن أن يقوم سلام دائم دون تسوية عادلة لمشكلة أولئك الفلسطينيين الذين جعلتهم حرب ١٩٤٨ و ١٩٦٧ بلا مأوى . ان هذا البعد الانسانى للنزاع العربى ـ الاسرائيلى يتحلى بأهمية خاصة بالنسبة للولايات المتحدة منذ أكثر من عشرين سنة . فخلال هذه الفترة ساهمت الولايات المتحدة بحوالى ٥٠٠ مليون دولار لاعاشة اللاجئين الفلسطينيين وتعليمهم ونحن على استعداد للمساهمة بسخاء جنبا الى جنب مع الآخرين من أجل حل هذه المشكلة . ونحن نعتقد أنه للتسوية العادلة لهاتين المشكلتين لابد من أن تأخذ فى الحسبان رغبات اللاجئين وتطلعاتهم ، والمصالح المشروعة لحكومات المنطقة .

ان المشكلة التى يمثلها اللاجئون سوف تتزايد خطورة اذا لم يسو مستقبلهم . فهناك وعي جديد بين الشبان الفلسطينيين الذين شبوا عن الطوق منذ ١٩٤٨ وانه لوعي يحتاج الى التحول بعيدا عن الاحساس بالمرارة والاحباط فى اتجاه الامل والعدل .

أما مسألة وضع القدس فى المستقبل فانها على جانب هام من التعقيد نظرا لكونها تمس ينابيع عاطفية وتاريخية ودينية . وقد أوضحنا مرارا فى السنتين ونصف السنة المنصرمة أننا لا يسعنا قبول أعمال من جانب واحد يتخذها أى طرف لتقرير الوضع النهائى للمدينة . واننا نعتقد أن وضعها لا يمكن أن يتقرر الا عن طريق اتفاق الاطراف المعنية ، أى حكومتى اسرائيل والاردن أساسا من الناحية العملية ، مع مراعاة مصالح البلدان الاخرى فى المنطقة والمجموعة الدولية. بيد أننا نؤيد بعض المبادىء التى نعتقد أن فى وسعها تقديم اطار متكافىء لتسوية مسألة القدس .

وبشكل محدد ، فاننا نعتقد أن القدس يجب أن تكون مدينة موحدة لا توجد داخلها قيود على حركة الافراد والبضائع ، ويجب أن تتوفر فيها حرية دخول المدينة الموحدة للافراد المنتمين لكافة الديانات والقوميات وينبغى للترتيبات المتعلقة بادارة المدينة الموحدة أن تراعى مصالح جميع سكانها ومصالح الطوائف اليهودية والمسلمة والمسيحية . ويجب أن تكون هناك أدوار لكل من اسرائيل والاردن فى الحياة المدنية والاقتصادية والدينية للمدينة .

ونحن نأمل أن يؤدى الاتفاق على المسائل الاساسية المتعلقة بالسلام والامن والانسحاب والارض الى خلق مناخ يمكن فيه حل هاتين المسألتين المتعلقتين باللاجئين والقدس ، بالاضافة الى جوانب النزاع الاخرى ، كجزء من التسوية الشاملة .

صيغ تتعلق بجوانب التسوية بين الجمهورية العربية المتحدة واسرائيل

خلال الاسابيع الاولى للدورة الحالية للجمعية العامة للامم المتحدة ، دخلت الجهود الرامية الى تحريك الامور فى اتجاه التسوية مرحلة مكثفة بشكل خاص . وما تزال هذه الجهود مستمرة الى اليوم .

وقد سبقت الاشارة الى محادثاتنا مع الاتحاد السوفيتى . وكانت هناك بخصوص هذه المحادثات مزاعم مؤداها أننا نسعى الى التفرقة بين الدول العربية

بحث الجمهورية العربية المتحدة على التوصل الى سلام منفرد ٠ ان هذه المزاعم زائفة ٠ وترجع الى حقيقة أننا نحن والسوفيت نقوم بالتركيز على المسائل المتعلقة بالتوصل الى تسوية بين اسرائيل والجمهورية العربية المتحدة ونحن نفعل ذلك وكل منا يدرك تمام الادراك أنه قبل أن يكون بالامكان التوصل الى تسوية للنزاع العربي ـ الاسرائيلي ، لابد من وجود اتفاق بين الاطراف حول الجوانب الاخرى للتسوية ليس فقط الجوانب الخاصة بالجمهورية العربية المتحدة وانما أيضا الجوانب الخاصة بالاردن والدول الاخرى التي تقبل قرار مجلس الامن الصادر في نوفمبر ١٩٦٧ ٠

لقد بدأنا بالجانب الخاص باسرائيل والجمهورية العربية المتحدة لاهميته الاساسية بالنسبة للاستقرار في المنطقة فيما بعد ولانه لابد من البدء من نقطة معينة ٠

ونحن على استعداد أيضا لدراسة الجانب الاردني من التسوية ، والواقع أن الاربعة الكبار قد بدأوا محادثات كهذه في نيويورك ٠ ودعوني أوضح بشكل تام أن الموقف الامريكي يتلخص في أن تنفيذ التسوية الشاملة لن يبدأ الا بعد التوصل الى اتفاق تام حول الجوانب المتصلة بالمشكلة ٠

وقد ناقشنا في اجتماعاتنا الاخيرة مع السوفيت بعض الصيغ الجديدة في محاولة للتوصل الى مواقف مشتركة ٠ وهي تتألف من ثلاثة عناصر أساسية :

أولا : يجب أن يكون هناك تعهد ملزم من جانب اسرائيل والجمهورية العربية المتحدة بالعيش في سلام جنبا الى جنب مع الاشارة دون لبس الى جميع تعهدات السلام المحددة ، بما في ذلك التعهد بمنع شن أعمال عدوانية على أراضي كل منهما ٠

ثانيا : يجب أن تقوم الاطراف بالتوصل الى بنود السلام التفصيلية المتعلقة بضمانات الامن الملموسة ، تحت اشراف السفير يارنج ، مع الاستفادة من التدابير التي اتبعت في التفاوض على اتفاقيات الهدنة تحت اشراف رالف بانش في ١٩٤٩ في جزيرة رودس ٠ وقد استخدمت هذه الصيغة فيما مضى بنجاح في المفاوضات بين الاطراف بخصوص مشكلات الشرق الاوسط ٠ ونحن نعتقد أن أحد الاهداف الاساسية لمحادثات الاربعة الكبار ، يجب أن يتمثل في مساعدة السفير يارنج في اشراك الاطراف في عملية مفاوضات وفقا لصيغة رودس ٠

وفيما يتعلق بالتسوية بين اسرائيل والجمهورية العربية المتحدة ، فان هذه الضمانات تتعلق أساسا بمنطقة شرم الشيخ التي تتحكم الدخول الى خليج العقبة ، والحاجة الى مناطق منزوعة السلاح كما جاء في قرار مجلس الامن والترتيبات النهائية في قطاع غزة ٠

ثالثا : في نطاق السلام والاتفاق حول ضمانات الامن الملموسة ، سوف يكون من المطلوب سحب القوات الاسرائيلية من أراضي مصرية ٠

ان ذلك النهج يستجيب مباشرة للمصالح القومية الاساسية لكل من اسرائيل الجمهورية العربية المتحدة وهويتطلب من الجمهوريةالعربية المتحدة الموافقة على تعهد ملزم وملموس بالسلام ويتطلب انسحاب القوات الاسرائيلية من أراضي تابعة الجمهورية العربية المتحدة الى الحدود الدولية بين اسرائيل (أو فلسطين في ظل

الانتداب) ومصر والتي كانت قائمة لاكثر من نصف قرن . كما أنه يتطلب من الاطراف نفسها أن تتفاوض على ترتيبات الامن العملية لضمان السلام .
وانا نعتقد ان هذا النهج متوازن وعادل .

المصالح الامريكية فى المنطقة

اننا ما نزال مهتمين بالمحافظة على وجود علاقات طيبة مع جميع دول المنطقة . ومتى وحيثما أبدت الدول العربية التي قطعت العلاقات الديبلوماسية مع الولايات المتحدة استعدادها لاستعادتها ، فاننا سوف نستجيب بنفس الروح .

ومن ناحية أخرى ، لن يحول بيننا حائل عن مواصلة اتباع السبل الديبلوماسية الصبورة فى سعينا من أجل السلام فى الشرق الاوسط . ولن نتردد عن الدعوة الى المساومات الضرورية ، حتى لو كانت – ويحتمل أن تكون – مرة المذاق بالنسبة لكلا الجانبين . وننا ما نزال على استعدادنا للعمل مع الآخرين – فى المنطقة وفى العالم قاطبة – طالما سعوا باخلاص الى نفس الهدف الذى نسعى اليه : سلام عادل ودائم .

الملحق الثالث

قرار مجلس الامن رقم ٣٣٨ (١)

ان مجلس الامن :

١ – يدعو كافة أطراف القتال الحالى الى وقف اطلاق النار وانهاء كل نشاط عسكرى فورا ، فى فترة لا تتجاوز أثنتى عشرة ساعة من اتخاذ هذا القرار ، فى المواقع التى تحتلها الآن .

٢ – يدعو الاطراف المعنية الى البدء فورا بعد وقف اطلاق النار الى تنفيذ قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ (١٩٦٧) بجميع أجزائه .

٣ – يقرر بدء مفاوضات ، بصفة فورية ومتفقة زمنيا مع وقف اطلاق النار ، بين الاطراف المعنية تحت اشراف مناسب تستهدف اقامة سلام عادل ودائم فى الشرق الاوسط .

قرار مجلس الامن رقم ٣٣٩ (٢)

ان مجلس الامن :

اذ يشير الى قراره رقم ٣٣٨ (١٩٧٣) الصادر فى ٢٢ من أكتوبر ١٩٧٣ :
١ – يؤكد قراره حول وقف جميع انواع أطلاق النار ووقف الاعمال العسكرية كلها فورا ، ويدعو الى تراجع قوات الطرفين الى المواقع التى كانت تحتلها عند سريان وقف اطلاق النار .

---

(١) اقر فى ٢٢ اكتوبر ١٩٧٣ ، فى الساعة ٥٠ر١٢ صباحا ، بموافقة ١٤ مقابل لا شئ (لم تشترك الصين فى التصويت) .
(٢) اقر فى ٢٣ من اكتوبر بموافقة ١٤ مقابل لاشئ (لم تشترك الصين فى التصويت) .

٢ ـ يطلب الى السكرتير العام اتخاذ اجراءات لارسال مراقبين من الامم المتحدة فورا لمراقبة مراعاة وقف اطلاق النار بين قوات اسرائيل وجمهورية مصر العربية ، مستخدما لذلك الغرض أفراد الامم المتحدة الموجودين الآن فى الشرق الاوسط وبخاصة الافراد الموجودين الآن فى القاهرة .

قرار مجلس الامن رقم ٣٤٠ (٣)

ان مجلس الامن :

اذ يعيد الى الاذهان قراره رقم ٣٣٨ (١٩٧٣) الصادر فى ٢٢ من أكتوبر وقراره رقم ٣٣٩ (١٩٧٣) الصادر فى ٢٣ من أكتوبر ١٩٧٣ .

واذ يلاحظ آسفا ما تردد عن حدوث انتهاكات متكررة لوقف اطلاق النار مما يشكل خرقا للقرارين رقم ٣٣٨ (١٩٧٣) ورقم ٣٣٩ (١٩٧٣) .

واذ يلاحظ فى قلق من تقرير السكرتير العام ان مراقبى الامم المتحدة العسكريين لم يمكنوا بعد من الوجود على كل من جانبى خط وقف اطلاق النار .

١ ـ يطلب مراعاة وقف اطلاق النار الفورى والكامل وعودة الاطراف الى المواقع التى كانت تحتلها فى الساعة ١٦٥٠ بتوقيت جرينتش فى ٢٢ من أكتوبر ١٩٧٣

٢ ـ يطلب الى السكرتير العام ، كخطوة عاجلة ، زيادة عدد مراقبى الامم المتحدة العسكريين على كل من الجانبين .

٣ ـ يقرر الاسراع فورا بتشكيل قوة طوارىء تابعة للامم المتحدة وتحت اشرافها على أن تتألف من أفراد من دول أعضاء فى الامم المتحدة ـ باستثناء الاعضاء الدائمين فى مجلس الامن ويطلب الى السكرتير العام تقديم تقرير فى غضون ٢٤ ساعة حول الخطوات المتخذة فى هذا الصدد .

٤ ـ يطلب الى السكرتير العام تقديم تقرير الى المجلس على أساس عاجل ومستمر حول حالة تنفيذ القرار الحالى ، وكذلك القرارين رقم ٣٣٨ (١٩٧٣) ورقم ٣٣٩ (١٩٧٣) .

٥ ـ يطلب الى جميع الدول الاعضاء تقديم عونها الكامل الى الامم المتحدة فى تنفيذ القرار الحالى ، وكذلك القرارين رقم ٣٣٨ (١٩٧٣) ورقم ٣٣٩ (١٩٧٣) .

الملحق الرابع

نقلا عن « يديعوت أحارونوت » ، (اسرائيل)

١٥ من فبراير ١٩٧٤

(مترجم عن العبرية)

كيسنجر : ينبغى على اسرائيل التوصل الى تسوية

فى الوقت الذى ما يزال العرب يخشونها

ما الذى يفكر فيه الدكتور « هنرى كيسنجر » بشأننا ؟ ان هذا السؤال يزعج

---

(٣) اقر فى ٢٥ اكتوبر بموافقة ١٤ مقابل لا شىء (لم تشترك الصين فى التصويت) .

الكثيرين من الاسرائيليين • وهم ـ شأنهم فى ذلك شأن كثيرين غيرهم فى العالم بأسره ـ يتابعون فى جو من التساؤل ، وزير الخارجية الذى لا يعرف الكلل . والذى ينحدر فى أصل يهودى ان أساليبه تلهب الخيال • والانطباع الذى يخلفه هو انطباع بأنه يتمتع بنفوذ عالمى • غير أن المعروف عن محـادثاته مع صـانعى السياسة فى العالم ، وخصوصا فى أسرائيل ، قليل جدا • فالدكتور «كيسنجر» يلتزم عادة بحماية سرية محادثاته ـ وكذلك يفعل من يتحدثون معه •

غير أن فى مقـدورنا ، ولو لمرة واحـدة ، أن نتغلغل قليلا فى عالم « المحادثات الخاصة » لوزير الخارجيـة الامريكى • فقـد عقـد الدكتور « كيسـنجر » مؤخرا اجتماعات مغلقة مع جماعات مختلفة من المثقفين فى الولايات المتحدة • وقد وصل تقرير كامل عن أحد هذه الاجتماعات الى هيئـة التحرير ، ونحن ننشره فيما يلى كاملا • وقد جرت هذه المناقشة فى واشنطون فى ٦ من ديسمبر ١٩٧٣ •

ان التقرير التالى ليس نسـخة مطابقة للاصل جرى تسجيلها أثنـاء حـديث « كيسنجر » ، بل هو نسخة أعيدت صـياغتها فيما بعد على أسـاس ملاحظات سجلت أثناء محاضرته •

وفيما يلى نص التقرير :

كان الجميع ، بمن فيهم الدكتور « كيسنجر » وكذلك الاسرائيليون أنفسهم ، يفترضون (قبل حرب يوم كيبور) أن الموقف ليس ملحا ، وانه لا حاجة هناك الى اتخاذ أى اجراء ، اذ أن العرب تعوزهم القوة الى فرض تحرك ما •

وعندما نشبت الحرب ، كان الافتراض السائد ، عند « كيسنجر » وبين الخبراء العسكريين الامريكيين ، أن اسرائيل سوف تكسب الحرب فى غضون ثلاثة أو أربعة أيام • وكان الاسرائيليون أيضا ، يعتقدون أنهم سوف يحرزون النصر بسرعة • وكان أحد الاسباب وراء استغراق تنظيم شحن الذخيرة وقطع الغيار ، والاسلحة الى اسرائيل وقتا طويلا ان الاسرائيليين لم يطلبوها فى الوقت المناسب ، فلم يكونوا يعتقدون أنهم سيكونون فى حاجة الى مثل هذا الامداد الضخم •

وعنـدما جاء الطلب الملح على الاسـلحة ، كان من الضرورى الضـغط على البيروقراطية الامريكية ـ من أجل اقامة الجسر الجوى ـ وأيضا على البرتغال ، لكى تسمح بتوقف الطائرات فى مطاراتها ، بينما كان الروس من ناحية أخرى ، يقودون « اكسبريسهم الجوى » فى حرية عبر المجال الجوى لدول حلف شمال الاطلنطى •

وقد قال « كيسنجر » ان اسرائيل ، بالرغم من انتصارها التكتيكى ، قد خسرت الحرب من الناحية الاستراتيجية • ولابد من اعتبار تمكن الجيوش العربية من القتال لمدة ١٧ يوما دون توقف انتصارا ـ يجعلهم الرابحين الحقيقيين فى الحرب •

ان الاسلحة التى حارب بها العرب ـ وبخاصة صواريخهم المضـادة للطائرات والمضادة للدبابات قد أخرجت ٤٠٠ دبابة اسرائيلية و ٧٠ طائرة اسرائيلية من ميدان القتال وذلك فى الايام القليلة الاولى للحرب فقط • وقد استخدم احتياطى الذخيرة الاسرائيـلى • وأمرت الطائرات العائدة من غارات القصف ، والتى كان ما يزال بعضها محملا بالقنـابل ، أمرت بالرغم من خطورة ذلك الوضـع بعـدم التخلص منها قبل الهبوط ـ على عكس ما هو متبع ـ ممـا يدل على مدى خطورة النقص •

ولولا الاخطاء التى ارتكبها العرب ، لكان فى وسعهم احراز انجازات أعظم بكثير · لقد دفعوا بدباباتهم الى الهجوم وراء مدى صـواريخهم ، وبذلك أتاحوا للسلاح الجوى الاسرائيلى فرصة ضربها ، كما حدث فى ١٩٦٧ · وكان على الجيوش العربيـة بدلا من ذلك أن تتقـدم ببطء أكثر بعد أن تدفع بصـواريخها المضادة للطائرات الى الامام ·

وقال « كيسنجر » انه نبه الاسرائيليين منذ البداية الى أن الامم المتحدة سوف تامر بوقف اطلاق النار عندما تبدأ الكفة بالميل الى جانبهم · ولذا كان يتعين على استراتيجيتهم الاسترشاد باعتبارات سياسية : الحصول على أقصى حد ممكن من النتائج قبل وقف اطلاق النار ·

وعندما بدأ الضغط من أجل وقف لاطلاق النار ، استخدم وزير الخارجية كافة ما لديه من تكتيكات لتأجيله · لقـد سافر بالطائرة الى موسكو لـكسب الوقت · وطبقا لما رواه ، فقد كسب ٩٦ ساعة اضافية من وقت القتال لحساب الاسرائيليين ـ وكانوا يعرفون ذلك · وهو يزعم أن اسرائيل مع ذلك ، لم تقدم للولايات المتحدة معلومات دقيقة بشأن خططها العسكرية · فقد قيل له مثلا ، ان الهجوم الاسرائيلى المضاد (غربى قناة السويس) سوف يسير نحو الشمال ـ وبدلا من ذلك ، فقد سار نحو الجنوب ·

وكشف « كيسنجر » أنه قبل أن يقوم برحلته الى موسكو ، أبلغ اسرائيل أنه سيوافق على توقفه فى تل أبيب عند عودته فقط اذا وعدت اسرائيل بمراعاة وقف اطلاق النار · غير أنه لم يطلب (بصورة غير مشروطة) أن تطيع اسرائيل أمر وقف اطلاق النار · وعندما كان فى اسرائيل ، أبلغته « جولدا مائير » و « أبا ايبان » أن اسرائيل سوف تقبل وقف اطلاق النار ، الا أنه عندما ذهب الى لندن ، أبلغه البريطانيون أنه ما تزال هناك مشكلات · وقد اتصل بالسفير السوفيتى ونبهه الى أن على الاتحاد السوفيتى منع العرب من الاخلال بالاتفاق · وسأله « كيسنجر » كيف يمكن للامور أن تبدو ، اذا ما ذهب « جروميكو » الى القاهرة ، ثم قامت مصر بشن هجوم ، بعد رحيله بأربع سـاعات · من الذى سوف يصـدق أن الروس لا دخل لهم بما حدث ؟

وقال « كيسنجر » أن الانتصارات التى أحرزتها اسرائيل فى اللحظة الاخيرة على الجبهة المصرية لم تكن هامة · فلم يكن فى وسعها أن تغير الموقف بشكل أساسى حتى فى غضون يومين آخرين من القتال ·

ثم تحدث « كيسنجر » عن احتمال تعرض اسرائيل للخطر فى المستقبل ، فى أعقاب أزمة البترول · وكان من الواضح أن تأييد اسرائيل فى « الـكونجرس » يميل الى الهبوط · وقد واجه صعابا كثيرة فى محاولة الحصول على ضمان بتقديم مساعدة لاسرائيل تبلغ ٢ر٢ بليـون دولار · وكانت لجنة « الـكونجرس » تريد انقاص ٥٠٠ مليون دولار من هذا المبلغ ، ولم يمنعه الا ادعاء أن الولايات المتحدة قد تعهدت بتقديم المبلغ كله ، وان الاسلحة قد استهلكت فعلا فى المعركة · وهكذا فاذا خفض الكونجرس المساعدة بالفعل ، فان الحكومة ستجد نفسها مضـطرة الى تقديم طلب جديد بتخصيص ٥٠٠ مليون دولار ، كبند آخر فى الميزانية ، وهى خطوة سينظر العرب اليها بوصفها خطوة معادية جديدة ·

وقد أعرب « كيسنجر » عن قلقه العميق ازاء عواقب حرب أخرى واسعة النطاق

ان اسرائيل ستكون فى حاجة الى جسر جوى جديد ، وهو ليس على ثقة من أن « الكونجرس » وبقية الجهاز الحكومى سوف يستجيبان لهذا الطلب • ونتيجة لذلك فان اسرائيل سوف تكون عرضة ، فى حالة نشوب حرب أخرى ، لتركها بدون ذخيرة •

كما أشار الى أن عزلة اسرائيل الديبلوماسية سوف تزداد سوءا • فهو يعتقد أن اليابان سوف تقطع علاقاتها الديبلوماسية مع اسرائيل فى الشهور الستة القادمة وأن بلدانا أسيوية أخرى سوف تحذو حذوها • ولن تقطع أوربا العلاقات ، غير أنها ، من ناحية أخرى ، سوف تبذل كل ما فى وسعها لتقويض الموقفين الامريكى والاسرائيلى من أجل كسب « العرب » • وأشار الى بيان السوق المشتركة ، الذى يمثل تأييدا كاملا للموقف العربى ، والذى أعلن عنه عندما كان فى القاهرة • وكان هذا البيان مصدر قلق لا بالنسبة اليه فحسب ، بل بالنسبة للسادات الذى اتخذ موقفا أكثر اعتدالا من الموقف الذى دعته أوربا الى اتخاذه !

وقد غضب وزير الخارجية للغاية من الدول الاوربية • ووصف مسلكها فى مناسبات عديدة بأنه « جبان » أو « مخزى » أو « ضار » ووصف الدول الاوربية نفسها بأنها « وكر للتماسيح » • وهو يعتقد أنها سوف تواصل « تخريبها » على أمل كسب موطىء قدم فى العالم العربى • ولهذا السبب أصر على استبعادها فى مؤتمر السلام • وكان البلد الوحيد الذى وقف الى جانب الولايات المتحدة نفسها ، الذى وصفه بأنه مؤيد لاسرائيل ـ وان كان مع « تحفظات معينة » ـ هو « ايران » •

وقد أدت الجهود الرامية الى تهدئة العرب الى تقويض سمعة أوربا والى تقويض قدرتها على التأثير فى الشرق الاوسط • ويرى « كيسنجر » ان العرب لم يعودوا يحترمون أوربا ، بينما يحترمون الولايات المتحدة فعلا لتأييدها المكشوف لاسرائيل • واليابان ، أيضا ، تتصرف بغباء • لقد قدمت للملك فيصل ، ملك المملكة العربية السعودية ، بليون دولار ، مع أنه ليست لديه حاجة ولا رغبة فى المزيد من المال • كما أن اليابان لن تثاب على مساعيها • ويرى الوزير أن أزمة الطاقة فى الولايات المتحدة ، سوف تتفاقم فى الشهور القادمة ، وسوف تساعد على زيادة انحسار التأييد الشعبى لاسرائيل •

وفى حديثه عن الماضى ، انتقد « كيسنجر » كلا من اسرائيل والولايات المتحدة ، بما فى ذلك نفسه هو ، لعدم مسارعتهما بشكل أكبر الى تسوية سلمية • فهو يرى أن فرصة اسرائيل كانت مواتية غداة حرب الايام الستة مباشرة • فلو أن اسرائيل كانت قد عرضت أنذاك الانسحاب من الاراضى التى استولت عليها ، فى مقابل نزع سلاح تلك الاراضى لقبل العرب ذلك بسرور • لقد كان حسين مستعدا ، فى ١٩٧١ ـ ١٩٧٢ لتوقيع اتفاق سلام مع اسرائيل ـ هكذا أبلغ « كيسنجر » كما أشار الى أنه كانت هناك فترات أبدى فيها المصريون استعدادا للبدء فى مفاوضات حقيقية • وبعد طرد الروس ، كانوا ينتظرون ايماءة مماثلة من جانب اسرائيل والولايات المتحدة • ولام « كيسنجر » نفسه لانشغاله بمشكلة فيتنام بدرجة لم تجعله يلح على اسرائيل لاتخاذ خطوة كهذه •

وفى استعراضه لمشكلات التفاوض ، قال « كيسنجر » ان هناك خمسة

موضوعات هي : الحدود ، والامن (مناطق عازلة منزوعة السلاح) ، والضمانات ، والفلسطينيون ، والقدس ·

وهو يرى أنه ليس من الحكمة محاولة حل جميع المشكلات مرة واحدة ، في حين أن الوعود المتعلقة بالاهداف النهائية ، كالاعتراف الرسمي ، لا قدرة لها على منع الحرب · (دليل ذلك الهند وباكستان) · ان على المرء معالجة هذه المسائل مسألة مسألة · وأهم شيء ينبغي أن توجه اليه الجهود في جنيف هو اقامة مناطق عازلة واسعة بين الجيوش · وكهدف أمثل ـ نزع سلاح شبه جزيرة سيناء كلها ، التي ستنسحب منها اسرائيل وهو يرى أن التاريخ يظهر أن الجانب الذي يملك سيناء يكون الجانب الاضعف من الناحية العسكرية · أما سيناء منزوعة السلاح ، فهي من ناحية أخرى ، تعني أن دخول جيش سوف يكون بمثابة مبرر لبدء أعمال عدائية شاملة ، ويختلف الوضع في مرتفعات الجولان ، غير أنه سيتعين نزع سلاح أغلب المنطقة أيضا · اذ أنه في حرب تستخدم فيها الصواريخ ، لا تعتبر الحدود بل ولا الارض بمثابة حماية ·

وبمجرد الاتفاق على هذه الانسحابات وتنفيذها ، فانه سيكون في الامكان الاتجاه الى تناول المسائل الاخرى · ويجب ترتيب الانسحاب ونزع السلاح بأسرع ما يمكن ، ويستحسن أن يتم ذلك في غضون الشهرين أو الشهور الاربعة القادمة ، بل في غضون سنة على الاكثر ، والا فلا مفر من توقع قيام حرب أخرى مع جميع المشكلات التي سوف تنجم عن الحد من المساعدة الامريكية ·

وقال « كيسنجر » انه يعترض على الفكرة الداعية الى عقد معاهدة أمن (لاسرائيل) بضمانات أمريكية · فهو لا يرى بديلا للحدود المتفق عليها ·

وهو لا يعتقد أنه في الامكان حل المشكلة الفلسطينية في الوقت الراهن · « وسوف يتعين عليهم أن يصبحوا أكثر جوعا عما هم عليه الآن » قبل أن يوافقوا على الاستقرار والاعتراف بوضع اسرائيل · وينبغي أيضا بحث مشكلة القدس فيما بعد ·

ان الملك فيصل ، الذي وصفه « كيسنجر » بالتعصب الديني مهتم أساسا بالقدس · وهو لا يهمه مصير الفلسطينيين أو مصير سيناء · ويجد فيصل نفسه الآن ، ولاول مرة ، في حالة نفوذ في العالم العربي ، وفي وسعه كبح جماح العرب العلمانيين والراديكاليين · ولذا فلا ينتظر أن يبادر بمصالحه مع الولايات المتحدة · ان قدرته الوحيدة على السيطرة في العالم العربي تكمن في سياسته البترولية (المناوئة للامريكيين) ·

ويجب على اسرائيل أن تدرك أنه لا يمكن لها أن تتحمل نتائج ما تقوم به من اللجوء الى مماطلات في المفاوضات ، ومن ناحية أخرى ، فهو ليس هناك أمل في احتمال ميل الامور الى جانبها اذا لجأت الى مثل هذه المماطلات · والواقع أن العرب تصرفوا على نحو أفضل بكثير مما يتخيلون · انهم ما زالوا يخشون اسرائيل ، غير أنها اذا لم تجد من يحثها بسرعة على الانسحاب ، فهناك احتمالات كثيرة لتجدد القتال مع ما يحمله ذلك من نتائج مدمرة متوقعة بالنسبة لها · ومع ذلك فقد أكد « كيسنجر » أنه لا يعني بذلك أنه سيتعين على اسرائيل الانسحاب الى حدود ١٩٦٧ ، وبالاحرى فانه يعتقد أنه سوف يتم الاتفاق على حدود أكثر ملاءمة عن طريق المفاوضات · ومن ناحية أخرى فقد أكد مرة ثانية على أن اسرائيل لن يكون

أمامها خيار غير الانسحاب من (بعض) الاراضى المحتلة التى يأمل فى أنها سوف تكون منزوعة السلاح ، وسوف تحول الى مناطق عازلة •

وقد أعلن « كيسنجر » فى بداية تصريحاته ، وكرر عدة مرات فى مجرى المناقشة ، ان الولايات المتحدة ليس لديها اتفاقات مسبقة مع السوفيت أو مع العرب ، سواء حول مجرى المفاوضات أو حول نتيجتها • وهو يرى أن أطراف مؤتمر جنيف يجب أن « تسجل وجهة نظرها » • وقد عارض وجهة نظر أولئك الذين يريدون ، فى وزارة الخارجية أو فى البيت الابيض ، رسم استراتيجية لاتفاق شامل مقدما •

ويعتقد « كيسنجر » ان موقف اسرائيل ، المعلن يجب أن يتميز بالتشدد ، أما فى داخل الحكومة الاسرائيلية ، فانه يجب أن يكون هناك ادراك بأن يكونوا على استعداد للتخلى عن أرض أساسية • على أن تنازلا كهذا يجب أن لا يبدو دليلا على الضعف أو الخوف أو فقدان الاعصاب انه يجب أن يأتى كنتيجة طبيعية للمفاوضات •

وأبدى « كيسنجر » حساسية شديدة ازاء ردود الفعل الاسرائيلية المحتملة • وقال ان الجيل القديم ، أولئك الذين هاجروا الى اسرائيل ، وجففوا مستنقعاتها وبنوا مجتمعا جديدا ودولة جديدة هناك ، قد ذاقوا طعم النجاح فى مواجهة مصاعب عظيمة أكثر من مرة ، والآن ، فانهم وعلى غير انتظار ، يجدون أنفسهم فى موقف كان يخيل اليهم أنهم تجاوزوه الى الابد : موقف طائفة يهودية ضعيفة تواجه عالما قويا ومعاديا • وفى رأى « كيسنجر » ، ان هذا الفريق سوف يلقى أشد المتاعب فى التكيف مع الواقع الجديد •

وقال « كيسنجر » انه قيل له ان الاسرائيليين يخشون من احتمال أن تكون يهوديته مصدر ضعف لهم ، يجعله « يتراجع » فى اتجاه العطف على العرب • وقد رد « كيسنجر » على هذا بأنه مع أنه لا يمكنه ، بطبيعة الحال ، أن يحلل كافة دوافعه (اللاواعية) ، فانه لا يعتقد أن « ديانته » سوف تضعف تأييده لاسرائيل • فبوصفه واحدا أبيدت عائلته فى معسكرات الاعتقال ، لا يمكنه أن يتجنب الشعور بتورط عاطفى • ولو كان قد قدر له أن يعرف مقدما ، عندما عين وزيرا للخارجية كيف ستتطور الامور فى الشرق الاوسط فيما بعد ، لكان من المحتمل أن لا يقبل ذلك المنصب أما وأنه الآن يشغله ، فانه سوف يبذل كل ما فى وسعه لضمان التوصل الى أفضل سلام ممكن •

وقال « كيسنجر » أنه مع أن الحصول على عون أمريكى لاسرائيل ـ وبخاصة مد جسر جوى آخر ـ سوف يكون فى المستقبل أكثر صعوبة ، فان الحكومة الحالية سوف تساندها • وعندما وجهت اليه أسئلة ملحة عما سيحدث فى حالة استئناف القتال ، قال أنه سوف يتخذ نفس الموقف الذى اتخذه فى أكتوبر ، أى أنه ، لابد من تزويد اسرائيل بجميع الاسلحة والمواد الاخرى التى تحتاج اليها • (ويبدو أنه لعب دورا هاما فى اتخاذ قرار أكتوبر الخاص بارسال الاسلحة الى اسرائيل عبر الجسر الجوى) وهو يرى أن فرص النجاح (فى ضمان تقديم مساعدة عسكرية فورية لاسرائيل) تتراوح بين فرصتين وفرصة واحدة ، غير أنه لا يمكن ضمانها بصورة مطلقة ، اذ أن المعارضة فى الكونجرس وبين البيروقراطية لمد جسر جوى سوف تكون أعظم مما كانت عليه فى الماضى •

وفى رأيه أن أحد أسباب عدم توفر الوقت لمفاوضات مكثفة ــ ولحاجة اسرائيل الى الاستعداد للتوصل الى الاتفاق على وجه السرعة ــ هو أن السلام ليس فى مصلحة العرب ، الذين لن يكسبوا الا عن طريق نشوب حرب أخرى • غير أن الكثيرين منهم ليسوا على ثقة من ذلك فى الوقت الحاضر انهم ما زالوا يخشون ما يمكن لاسرائيل أن تفعله فى ميدان القتال ، وهم ، فى الوقت نفسه ، يريدون التخلص من الروس • وقد أفادت المخابرات الامريكية أن هناك احساسا واسع الانتشار فى مصر وسوريا والجزائر بأن الروس على أى حال فاترون فى تأييدهم • والنتيجة أنه ما تزال هناك فرصة معقولة فى التوصل الى اتفاق متوازن حول الحدود خلال الاشهر القليلة القادمة •

وقد أفصح « كيسنجر » عن اعتقاده بأن اسرائيل يجب أن تنهى مسألة الحدود وتنسحب قبل انتهاء ، أو حتى قبل بداية النقاش حول مسألتى الفلسطينيين والاعتراف الرسمى وقد أخطأت اسرائيل فى الماضى باصرارها على مفاوضات تحل كافة المشكلات ، دفعة واحدا ، ولم يعد فى وسع اسرائيل بعد أن أصبحت على هذه الدرجة من الضعف ، أن تتمسك بهذا الموقف •

وفى اعتقاده ، أنه لو كان قد تم التوقيع بعد حرب ١٩٦٧ على اتفاق يكفل انسحابا اسرائيليا هاما من الاراضى ونزع سلاح تلك الاراضى ، لوجد العرب أن من الصعوبة بمكان بدء الاعمال العدائية بدفع الدبابات الى المنطقة المنزوعة السلاح التى فى حوزتهم •

ان احتلال سيناء عامل هام جدا بالنسبة للسادات وكل المصريين • وقد زعم « كيسنجر » وفقا لهذا التقرير ــ أن المصريين يقولون ذلك منذ سنوات للولايات المتحدة ولاسرائيل أيضا وهم على استعداد للتوصل الى حل وسط حول ما هو دون حدود ١٩٦٧ •.

ان هدف « كيسنجر » على المدى الطويل هو اقامة سلام فى الشرق الاوسط بعشر سنوات أخرى • وسوف تتغير فى غضون ذلك الوقت عوامل كثيرة ــ كعامل البترول وربما الموقف الاوربى أيضا • وهو لا يعتقد أن الهدف يجب أن يحدد بمعايير « السلام الحقيقى » • فعلى المرء أن يتطلع الى أفضل ما يمكن تحقيقه ، أى ، الى ظروف تمنع نشوب حرب أخرى •

الملحق الخامس

رسالة بتاريخ ١٨ من ديسمبر ١٩٧٣ من السكرتير العام

الى رئيس مجلس الامن

تلقيب الرسائل المرافقة لهذه الرسالة من المندوبين الدائمين لاتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفيتية والولايات المتحدة الامريكية بشأن المؤتمر القادم الخاص بالوضع فى الشرق الاوسط • وسوف أكون شاكرا اذا نقلتم هذه الرسائل الى أعضاء مجلس الامن • وفى نيتى التصرف على أساس هذه الرسائل التى أعتبرها متمشية مع قرار مجلس الامن رقم ٣٤٤ (١٩٧٣) الصادر فى ١٥ من ديسمبر ١٩٧٣ •

(التوقيع) كورت فالدهايم

رسالة بتاريخ ١٨ من ديسمبر ١٩٧٣

من القائم بأعمال المندوب الدائم للولايات المتحدة الامريكية

لدى الامم المتحدة موجهة الى السكرتير العام

يشرفني أن أنقل اليكم الرسالة التالية من الوزير « كيسنجر » :

عزيزي السيد السكرتير العام :

« في ٢٢ من أكتوبر ١٩٧٣ ، اتخذ مجلس الامن القرار رقم ٣٣٨ (١٩٧٣) ، الذي قدمه الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة معا ، والذي يدعو الى بدء مفاوضات بين الاطراف المعنية تحت اشراف مناسب ، بهدف التوصل الى سلام عادل ودائم في الشرق الاوسط . وقد أبلغ الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة الآن من جانب الاطراف المعنية باستعدادها للاشتراك في مؤتمر السلام الذي سيبدأ في جنيف في ٢١ من ديسمبر . وينبغي للمؤتمر أن ينعقد تحت اشراف الامم المتحدة » .

« وقد وافقت الاطراف على أن يكون المؤتمر تحت الرئاسة المشتركة للاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة . كما وافقت الاطراف على أن مسألة حضور مشتركين آخرين من الشرق الاوسط سوف تناقش خلال المرحلة الاولى للمؤتمر .

« ونحن نأمل أن يتسنى لكم الاشتراك في المرحلة الافتتاحية للمؤتمر الذي ينتظر أن تمثل فيه الحكومات المعنية من جانب وزير خارجية كل منها وفيما بعد من جانب مندوبيها المعينين خصيصا بدرجة سفير . كما نأمل أن يتسنى لكم ايفاد مندوب يطالعكم بصورة تامة على مجريات المؤتمر وأخيرا سنكون مقدرين أيضا اذا ما تسنى للامم المتحدة اتخاذ الترتيبات المناسبة لتوفير التسهيلات الضرورية للمؤتمر .

« واذا وجدتم أن من الممكن لكم الاشتراك كما نرجو ، فان الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة بوصفهما مشتركين في الرئاسة سيكونان مقدرين اذا ما وافقتم على القيام بعقد المؤتمر ورئاسته في المرحله الافتتاحية .

« ونرجو أن تقوموا بتعميم هذه الرسالة على أعضاء مجلس الامن ليقفوا على ما جاء فيها . ونعتقد أنه سيكون من المناسب أن يجرى رئيس مجلس الامن مشاورات غير رسمية مع الاعضاء بهدف ضمان التوصل الى اجماع للرأى من جانب المجلس » .

(التوقيع) و. تابلي بينيت (الاصغر)

القائم بأعمال المندوب الدائم للولايات المتحدة الامريكية لدى الامم المتحدة .

(ملاحظة من المؤلف : ان رسالة المندوب الدائم للاتحاد السوفيتي الى السكرتير العام للامم المتحدة متفقة من حيث جوهرها مع هذه الرسالة) .

الملحق السادس

الاتفاق المصرى الاسرائيلى

حول فصل القوات

عملا بما تم فى مؤتمر جنيف للسلام :

(أ) ان مصر واسرائيل سوف تراعيان بدقة وقف اطلاق النار فى البر والبحر والجو الذى دعا اليه مجلس الامن التابع للامم المتحدة وسوف تمتنعان منذ توقيع هذه الوثيقة عن جميع الاعمال العسكرية وشبه العسكرية احداهما ضد الاخرى ·

(ب) سوف يجرى الفصل بين القوات العسكرية لمصر واسرائيل وفقا للمبادىء التالية :

١ ـ تنتشر القوات المصرية كافة على الجانب الشرقى من القناة غربى الخط المشار اليه بالخط (أ) على الخريطة المرافقة · وتنتشر القوات الاسرائيلية كافة ، بما فى ذلك القوات الموجودة غربى قناة السويس والبحيرات المرة ، شرقى الخط المشار اليه بالخط (ب) على الخريطة المرافقة ·

٢ ـ المنطقة الواقعة بين الخطوط المصرية والاسرائيلية سوف تكون منطقة فصل ترابط فيها قوة الطوارىء التابعة للامم المتحدة وسوف تظل قوة الطوارىء التابعة للامم المتحدة مكونة من وحدات من بلدان ليست أعضاء دائمة فى مجلس الامن ·

٣ ـ المنطقة الواقعة بين الخط المصرى وقناة السويس سوف تكون محدودة من حيث الاسلحة والقوات ·

٤ ـ المنطقة الواقعة بين الخط الاسرائيلى (الخط (ب) على الخريطة المرافقة) والخط المشار اليه بالخط (ج) على الخريطة المرافقة ، والممتدة على طول السفح الغربى للجبال التى يقع عندها ممرا الجدى ومتلا ، سوف تكون محدودة من حيث الاسلحة والقوات ·

٥ ـ التحديدات المشار اليها فى الفقرتين ٣ ، ٤ سوف تخضع لرقابة قوة الطوارىء التابعة للامم المتحدة · وسوف تستمر الاجراءات القائمة لقوة الطوارىء التابعة للامم المتحدة بما فى ذلك ضم ضباط اتصال مصريين واسرائيليين الى قوة الطوارىء التابعة للامم المتحدة ·

٦ ـ سوف يسمح للقوات الجوية للجانبين بالتحليق حتى خطوط كل منهما دون تدخل من الجانب الآخر ·

(ج) ان التنفيذ التفصيلى لفصل القوات سوف يحدد من جانب المندوبين العسكريين لمصر واسرائيل ، الذين سيتفقون على مراحل هذه العملية · وسوف يجتمع هؤلاء المندوبون لهذا الغرض بعد مضى فترة لا تزيد على ٤٨ ساعة من توقيع هذه الوثيقة عند الكيلومتر ١٠١ تحت اشراف الامم المتحدة · وسوف يقومون باستكمال هذه المهمة فى غضون خمسة أيام · وسيبدأ الفصل فى غضون ٤٨ ساعة من انتهاء عمل المندوبين العسكريين ولن يتجاوز ذلك بأى حال سبعة أيام

بعد توقيع هذا الاتفاق . وسوف تتم عملية الفصل مدة لا تزيد على ٤٠ يوما من بدئها .

(د) لا تعتبر مصر واسرائيل هذا الاتفاق اتفاق سلام نهائي وهو يشكل خطوة أولى نحو سلام نهائي وعادل ودائم طبقا لبنود قرار مجلس الامن رقم ٣٣٨ وضمن اطار مؤتمر جنيف .

عن مصر : اللواء محمد عبد الغني الجمسي

رئيس هيئة أركان القوات المسلحة المصرية

عن اسرائيل : اليفتنانت جنرال دافيد اليعازر

رئيس هيئة أركان قوات الدفاع الاسرائيلية

الشاهد : الليفتنانت جنرال انزيو ب. هـ. سيلاسفو قائد قوة الطوارىء التابعة للامم المتحدة .

الكيلومتر ١٠١ ، مصر

١٨ من ينـــاير ١٩٧٤

الملحق الســـابع

اتفاق حول الفصل بين القوات الاسرائيلية والســـورية

(أ) ان اسرائيل وسوريا سوف تراعيان بدقة وقف اطلاق النار فى البر والبحر والجو وسوف تمتنعان عن جميع الاعمال العسكرية احداهما ضـد الاخرى ، فور توقيع هذه الوثيقة ، تنفيذا لقرار مجلس الامن التابع للامم المتحدة رقم ٣٣٨ المؤرخ فى ٢٢ من أكتوبر ١٩٧٣ .

(ب) سوف يجرى الفصل بين القوات العسكرية لاسرائيـــل وســـوريا وفقا للمبادىء التالية :

١ ـ ستكون القوات العسكرية الاسرائيلية كلها غربى الخط المشار اليه بالخط (أ) على الخريطة المرافقة لهذه الوثيقة ، الا فى منطقة القنيطرة ، حيث ستكون غربى الخط (أ ـ ١) .

٢ ـ ستكون الاراضى الواقعة شرقي الخط (أ) كلها تحت ادارة ســـورية ، وسيعود المدنيون السوريون الى هذه الاراضى .

٣ ـ المنطقـــة الواقعة بين الخط (أ) والخط المشـــار اليه بالخط (ب) على الخريطة المرافقة ستكون منطقة فصل . وسوف ترابط فى هذه المنطقة قوة مراقبة الفصل التابعة للامم المتحدة والمكونة وفقا للبروتوكول المرافق .

٤ ـ ستكون القوات العسكرية السورية كلها شرقى الخط المشار اليه بالخط (ب) على الخريطة المرافقة .

٥ ـ ستكون هناك منطقتان متساويتان لتحديد الاسلحة والقوات ، واحـــدة غربى الخط (أ) والاخرى شرقى الخط (ب) وفقا للاتفاق .

٦ ـ سوف يسمح للقوات الجوية للجانبين بالتحرك حتى خطوط كل منهما دون تدخل من الجانب الآخر .

(ج) لن تـكون هناك قوات عسكرية فى المنطقـة الواقعة بين الخط (أ) والخط (أ ــ ١) على الخريطة المرفقة ٠

(د) سوف يوقع هذا الاتفاق والخريطة المرافقة فى جنيف فى موعد لايتجاوز ٣١ من مايو ١٩٧٤ من جانب الممثلين العسكريين لاسرائيل وسوريا فى فريق العمل العسـكرى المصرى ــ الاسرائيلى التابع لمؤتمر جنيف للسـلام تحت اشراف الامم المتحدة ، بعد انضمام ممثل عسكرى سورى الى ذلك الفريق ، وباشتراك ممثلين للولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى ٠ وسوف يتم وضع الرسـم الدقيق لخريطة تفصيلية وخطة لتنفيذ فصل القوات بواسطة الممثلين العسكريين وسوريا في فريق العمل العسكرى المصرى ــ الاسرائيلى الذى سيوافق على مراحل هـذه العملية ٠ وسوف يبدأ فريق العمل العسكرى المبين فيما سبق عمله من أجل تحقيق هـذا الغرض في جنيف تحت اشراف الامم المتحـدة فى غضون ٢٤ سـاعة من توقيع هذا الاتفاق ٠ وسوف يتم انجاز هذه المهمة فى غضون خمسة أيام ٠ وسيبدأ الفصل فى غضون ٢٤ ساعة من اتمام مهمة فريق العمل العسكرى ٠ وستتم عملية الفصل فى موعد لا يتجاوز عشرين يوما من بدايتها ٠

هـ ــ ان مراقبـة تنفيـذ شروط الفقرات أ و ب و ج سوف تتم من جانب أفراد الامم المتحدة الذين يشكلون قوة مراقبة الفصل التابعة للامم المتحدة ــ طبقا لهذا الاتفاق ٠

و ــ سوف يجرى فى غضون ٢٤ ساعة من توقيع هذا الاتفاق فى جنيف تبادل جميع الجرحى من بين أسرى الحرب الذين يحتجزهم كل جانب طبقا لشهادة اللجنة الدولية للصليب الاحمر ٠ وغداة اتمام مهمة فريق العمل العسكرى ، سوف يجرى تبادل أسرى الحرب الباقين جميعهم ٠

ز ــ تسلم جثث جميع الجنود القتلى التى فى حوزة كل من الجانبين لدفنها فى بلادهم فى غضون عشرة أيام من توقيع هذا الاتفاق ٠

ح ــ لا يعد هذا الاتفاق اتفاقية سلام نهائى ٠ انه خطوة نحو سـلام دائم على أساس قرار مجلس الامن رقم ٣٣٨ المؤرخ فى ٢٢ من أكتوبر ١٩٧٣ ٠

وقعته اسرائيل وسـوريا وشاهد عن الامم المتحـدة فى جنيف ، ٣١ من مايو ١٩٧٤ ٠

برتوكول للاتفاق حول الفصل
بين القوات الاسرائيلية والسورية
بشأن قوة مراقبة الفصل التابعة للامم المتحدة

توافق اسرائيل وسوريا على أن :

وظيفة قوة مراقبة الفصل التابعة للامم المتحدة هى ، طبقا للاتفاق ، بذل أقصى جهودها لصـون وقف اطلاق النار والتـأكد من مراعاته بدقـة ٠ وتراقب القوة تنفيـذ الاتفـاق والبروتوكول المرافق فيمـا يتعلق بمنـاطق الفصـل وتحديد القوات ٠ وهى فى تنفيـذها لمهمتها ، سوف تسـتجيب للقوانين والنظم السورية المطبقة بوجه عام ولن تعرقل عمل الادارة المدنية المحلية وسوف تتمتع

بحرية الحركة والاتصال وبالتسهيلات الاخرى الضرورية لاداء مهمتها • وسوف تكون القوة متحركة ومزودة بأسلحة خاصة ذات طابع دفاعي ولن تستخدم هذه الاسلحة الا فى حالة الدفاع عن النفس • وسوف يكون قوام قوة مراقبة الفصل التابعة للامم المتحدة حوالى ١٢٥٠ رجلا ، يختارهم السكرتير العام للامم المتحدة بالتشاور مع الاطراف من الدول الاعضاء فى الامم المتحدة الذين ليسوا أعضاء دائمين فى مجلس الامن •

وسوف تكون قوة مراقبة الفصل التابعة للامم المتحدة تحت قيادة الامم المتحدة ، الممثلة فى السكرتير العام وفقا لسلطة مجلس الامن •

وسوف تقوم قوة مراقبة الفصل التابعة للامم المتحدة بجولات تفقدية طبقا للاتفاق ، وستقدم تقارير بعد ذلك مباشرة الى الاطراف ، بصفة دورية ، مرة كل خمسة عشر يوما على الاقل ، وعندما يطلب أى من الطرفين ذلك • وسوف تحدد على الارض الخطوط الخاصة بكل الاطراف المبينة على الخريطة المرافقة للاتفاق •

وسوف تؤيد سوريا واسرائيل قرار مجلس الامن التابع للامم المتحدة الذى ينص على تشكيل قوة مراقبة الفصل التابعة للامم المتحدة التى يتطلب هذا القرار تشكيلها • وسوف تكون فترة الانتداب الاولى ستة أشهر قابلة للتجديد بناء على قرار جديد من مجلس الامن •

يلى ذلك نص الموقف الامريكى كما قدم للاسرائيليين :

بداية النص : ان موقف الولايات المتحدة فيما يتعلق بالفقرة الاولى من الاتفاق بين أسرائيل وسوريا حول الفصل العسكرى هو كما يلى :

ان الغارات التى تقوم بها جماعات مسلحة أو أفراد مسلحون عبر خط الفصل تتعارض مع وقف اطلاق النار • ويجوز لاسرائيل فى ممارستها لحقها فى الدفاع عن النفس أن تتصرف لمنع مثل هذه الاعمال بكل السبل المتاحة • ولن تعتبر الولايات المتحدة مثل هذه الاعمال من جانب اسرائيل انتهاكات لوقف أطلاق النار وسوف تؤيدها من الناحية السياسية • « انتهى النص » •

ثم يلى ذلك النص الفقرة المتعلقة بالارهاب نقلا عن الترجمة الانجليزية الرسمية التى أجرتها حكومة اسرائيل للكلمة التى وجهتها « مائير » رئيسة الوزراء الى الكنيست فى الساعة ١٥٠٠ يوم ٣٠ من مايو بشأن اتفاق الفصل السورى ــ الاسرائيلى •

بداية النص : أما فيما يتعلق بمنع النشاطات الارهابية ، فقد أبلغتنا الولايات المتحدة بموقفها ازاء الفقرة الاولى من الاتفاق ، وهذا الموقف هو : « ان الغارات التى تقوم بها جماعات مسلحة أو أفراد مسلحون عبر خط الفصل تتعارض مع وقف اطلاق النار • ويجوز لاسرائيل فى ممارستها لحق الدفاع عن النفس أن تتصرف لمنع مثل هذه الاعمال بكل السبل المتاحة • ولن تعتبر الولايات المتحدة مثل هذه الاعمال من جانب اسرائيل انتهاكات لوقف اطلاق النار وسوف تؤيدها من الناحية السياسية •

« انتهى الاقتباس » •

وأنني أفترض أن الولايات المتحدة ما كانت لتــدلى لنا بتصريح كهذا لو كانت تفتقر الى أساس متين للتصرف على هذا النحو ، وأنني أعلن هذا التصريح بمعرفة الولايات المتحدة .

« انتهى النص »

الملحق الثامن

الاتفاق بين مصر واسرائيل

ان حكومة جمهورية مصر العربية وحكومة اسرائيل قد اتفقتا على :

مادة ١

ان النزاع بينهما وفى الشرق الاوسط لن يحل بالقوة العسكرية وانما بالسبل السلمية .

ان الاتفاق الذى عقده الطرفان فى ١٨ من يناير عام ١٩٧٤ ، ضمن أطار مؤتمر جنيف للسلام ، قد شكل خطوة أولى نحو سلام عادل ودائم وفقا لبنود قرار مجلس الامن رقم ٣٣٨ الصادر فى ٢٢ من أكتوبر عام ١٩٧٣ .

وقد عزمت الدولتان على التوصل الى تسوية سلمية نهـائية وعادلة عن طريق المفاوضات التى دعا اليها قرار مجلس الامن رقم ٣٣٨ ، ويعتبر هذا الاتفاق خطوة هامة نحو ذلك الهدف .

مادة ٢

يتعهد الطرفان بموجب هذا الاتفاق بعدم اللجوء الى التهديد بالقوة أواستخدامها أو الحصار العسكرى أحدهما ضد الآخر .

مادة ٣

سوف يواصل الطرفان المراعاة الدقيقة لوقف اطلاق النار فى البر والبحر والجو والعزوف عن جميع الاعمال العسكرية أو شبه العسكرية أحدهما ضد الآخر .

كما يؤكد الطرفان أن التعهدات المتضمنة فى الملحق والبروتوكول ، حال ابرامه، سوف تكون جزءا لا يتجزأ من هذا الاتفاق .

مادة ٤

أ ـ سوف تنتشر القوات العسكرية للطرفين طبقا للمبادىء التالية :

(١) تنتشر القوات الاسرائيلية جميعهـا شرقى الخطين المشـار اليهما بالخطين (M.J) على الخريطة المرفقة .

(٢) تنتشر القوات المصرية كلها غربى الخط المشار اليه بالخط (E) على الخريطة المرافقة .

(٣) المنطقة الواقعة بين الخطين المشار اليهما على الخريطة المرافقة بالخطين (F, E) والمنطقة الواقعة بين الخطين المشار اليهما على الخريطة المرافقة بالخطين (K.J) سوف تكونان محددتين فى العتاد وعدد القوات ٠

٤ ـ التحديدات المتعلقة بالعتاد والقوات فى المنطقتين المبينتين فيما سلف فى الفقرة (٣) سوف يتفق عليها على النحو المبين فى الملحق المرافق ٠

٥ ـ المنطقة الواقعة بين الخطين المشار اليهما على الخريطة المرافقة بالخطين سوف تكون منطقة عازلة ٠ وفى هذه المنطقة سوف تواصل قوة الطوارىء التابعة للامم المتحدة أداء مهامها على النحو المبين فى الاتفاق المصرى الاسرائيلى المؤرخ فى ١٨ من يناير عام ١٩٧٤ ٠

٦ ـ فى المنطقة الممتدة جنوبا من الخط (E) وغربا من الخط (M) كما هو مبين على الخريطة المرافقة لن تكون هناك قوات عسكرية ، كما هو محدد فى الملحق المرافق ٠

ب) التفصيلات المتعلقة بالخطوط الجديدة واعادة توزيع القوات وتوقيته وتحديد العتاد والقوات والاستطلاع الجوى وتشغيل منشآت الانذار المبكر والمراقبة واستخدام الطرق ومهام الامم المتحدة وغير ذلك من الترتيبات سوف تكون كلها طبقا لبنود الملحق والخريطة التى تشكل جزءا لا يتجزء من هذا الاتفاق ومن البروتوكول الذى ستسفر عنه المفاوضات والمطابق للملحق والذى سيصبح، عند ابرامه ، جزءا لا يتجزء من هذا الاتفاق ٠

مادة ٥

قوة الطوارىء التابعة للامم المتحدة ضرورية وسوف تواصل أداء مهامها وتجدد فترة ولايتها سنويا ٠

مادة ٦

يشكل الطرفان بموجب هذا الاتفاق لجنة مشتركة تعمل طوال فترة سريان مفعول هذا الاتفاق وسوف تعمل تحت اشراف كبير منسقى بعثات حفظ السلام التابعة للامم المتحدة فى الشرق الاوسط ٠ من أجل دراسة أية مشكلة تنجم عن هذا الاتفاق ومن أجل مساعدة قوة الطوارىء التابعة للامم المتحدة فى تنفيذ ولايتها وسوف تعمل اللجنة المشتركة وفقا للتدابير المحددة فى البروتوكول ٠

مادة ٧

سوف يسمح للشحنات غير العسكرية المتجهة الى اسرائيل أو القادمة منها بالمرور فى قناة السويس ٠

مادة ٨

يعتبر الطرفان هذا الاتفاق خطوة هامة نحو سلام عادل ودائم ٠ وهو ليس اتفاق سلام نهائى ٠

وسوف يواصل الطرفان جهودهما من أجل التفاوض على اتفاق سلام نهائى ضمن اطار مؤتمر جنيف للسلام طبقا لقرار مجلس الامن رقم ٣٣٨ ٠

مادة ٩

سوف يسرى مفعول هذا الاتفاق بعد توقيع البروتوكول ، وسيظل سارى المفعول الى أن يتلوه اتفاق جديد آخر ·

عن حكومة جمهورية مصر العربية

عن حكومة اسرائيل

(سبتمبر ١٩٧٥)

ملحق للاتفــاق المصرى
الاسرائيلى

في غضون خمسة أيام من توقيع الاتفاق المصرى ــ الاسرائيلى ، سوف يجتمع مندوبون عن الطرفين فى فريق العمل العسكرى التابع لمؤتمر السلام في الشرق الأوسط فى جنيف لبدء اعداد بروتوكول تفصيلى لتنفيذ الاتفاق · وسوف يقوم فريق العمل باتمام البروتوكول فى غضون أسبوعين · ومن أجل تسهيل اعداد البروتوكول وتنفيذ الاتفاق ، وللمساعدة في المحافظة على المراعاة الدقيقة لوقف اطلاق النار وعناصر الاتفاق الاخرى ، فقد اتفق الطرفان على المبادىء التالية ، التى تشكل جزءا لا يتجزء من الاتفاق ، بوصفها خطوطا موجهة لفريق العمل ·

أولا ــ تحديد الخطوط والمناطق

ان خطوط توزيع القوات ومناطق القوات والمعدات المحددة والمناطق العازلة والمنطقة الواقعة الى الجنوب من الخط (E) والى الغرب من الخط (M) والمناطق الأخرى المشار اليها وقطاعات الطريق المخصصة للاستعمال المشترك وغير ذلك من المعالم المشار اليها فى المادة ٤ من هذا الاتفاق سوف يشار اليها على الخريطة المرافقة (١ : ١٠٠ر٠٠٠ ــ الطبعة الامريكية) ·

ثانيا ــ المناطق العازلة

(أ) سوف تراقب قوة الطوارىء التابعة للامم المتحدة طريقة الدخول الى المناطق العازلة ، وفقا لتدابير يعدها فريق العمل وقوة الطوارىء التابعة للامم المتحدة ·

(ب) سوف يسمح لطائرات كل من الطرفين بحرية التحليق حتى الخط الأمامى لذلك الطرف ويجوز للطائرات الاستطلاعية لأى من الطرفين التحليق حتى الخط الأوسط للمنطقة العازلة بين الخطين (E) و (J) بموجب برنامج مواعيد متفق عليه ·

(جـ) فى المنطقة العازلة ، بين الخطين (E) و (J) سوف تقام بموجب المادة ٤ من الاتفاق شبكة انذار مبكر يعهد بالاشراف عليها لأفراد مدنيين أمريكيين على النحو المفصل فى اقتراح منفصل ، يعتبر جزءا من هذا الاتفاق ·

(د) سوف يسمح للأفراد المفوضين بحرية الدخول الى المنطقة العازلة للانتقال الى شبكة الانذار المبكر ومنها ، وسوف يحدد الاسلوب الذى يتم به ذلك عن طريق فريق العمل وقوة الطوارىء التابعة للأمم المتحدة .

ثالثا ـ المنطقة الواقعة الى جنوب

الخط ( ) والى غرب الخط ( )

(أ) فى هذه المنطقة ، سوف تضمن قوة الطوارىء التابعة للامم المتحدة أن لا توجد أية قوات عسكرية أو شبه عسكرية من أى نوع وأية تحصينات عسكرية ومنشآت عسكرية ، وسوف تقام نقاط مراقبة وتتمتع بحرية الحركة الضرورية لاداء هذه المهمة .

(ب) سوف يتمتع المدنيون المصريون والعاملون المدنيون فى حقول البترول الذين ينتمون الى بلد ثالث بحق الدخول الى المنطقة المشار اليها فيما سبق والخروج منها والعمل والعيش فيها ، باستثناء المنطقتين العازلتين ٢ أ و ٢ ب ومواقع الامم المتحدة . وسوف يسمح للشرطة المدنية المصرية بدخول المنطقة والمكث فيها لأداء مهام الشرطة المدنية العادية وبالاسلحة والمعدات التى سوف ينص عليها فى البروتوكول .

(ج) الدخول الى المنطقة والخروج منها ، جوا وبحرا ، لن يكون الا عن طريق نقاط المراقبة التابعة لقوة الطوارىء الدولية . كما تقيم قوة الطوارىء التابعة للامم المتحدة نقاط مراقبة على طول الطريق ، والخط الفاصل وعند نقاط أخرى، على أن تدرج المواقع المحددة والعدد المحدد فى البروتوكول .

(د) سوف يقتصر الدخول الى المجال الجوى والمنطقة الساحلية على السفن المدنية المصرية غير المسلحة وطائرات الهليكوبتر المدنية غير المسلحة وطائرات النقل المستخدمة فى النشاطات المدنية للمنطقة على النحو الذي يتفق عليه فريق العمل .

(هـ) تتعهد اسرائيل بأن تترك كافة المنشئات والهياكل الاساسية والمدنية القائمة حاليا صالحة للعمل .

(و) الاجراءات الخاصة باستخدام القطاعات المشتركة من الطريق الساحلى على طول خليج السويس ، سوف يحددها فريق العمل وتفصل فى البروتوكول.

رابعا ـ المراقبة الجوية

سوف تواصل الولايات المتحدة القيام برحلات استطلاع جوى فوق المناطق التى يغطيها الاتفاق (المنطقة الواقعة بين الخطين (F) و (K) ، وفقا لنفس الاجراءات المعمول فيها الآن . وسوف تتم الرحلات بشكل دورى بمعدل رحلة واحدة فى ٧ ـ ١٠ أيام ، مع حق أى من الطرفين أو قوة الطوارىء التابعة للامم المتحدة فى طلب رحلة أسبق . وسوف تقدم حكومة الولايات المتحدة نتائج الرحلات بسرعة الى اسرائيل ومصر وكبير منسقى بعثات حفظ السلام التابعة للامم المتحدة فى الشرق الأسط .

خامسا ـ تحديد القوات والمعـدات

(أ) داخل مناطق القوات والمعدات المحددة (المناطق الواقعة بين الخطين (J) و (K) والخطين (E) و (F) وستكون التحديات الرئيسية كما يلى :

١ ـ ثمانى ( ) كتائب مشاة قياسية ·
٢ ـ خمس وسبعون (٧٥ دبابة) ·

٣ ـ اثنتان وسبعون (٧٢) قطعة مدفعية ، بما فيها مدافع الهاون الثقيلة (أى، بعيار أكبر من ١٢٠ سم) ، لا يتجاوز مداها اثنى عشرة (١٢) كم ·

٤ ـ لن يتجاوز العدد الاجمالى للافراد ثمانية آلاف (٨٫٠٠٠) ·

٥ ـ يقبل كل من الطرفين الامتناع عن وضع أو ايجاد أسلحة فى المنطقة يمكنها الوصول الى خط الجانب الآخر ·

٦ ـ يوافق كل من الطرفين على أنهمـا لن يقيمـا فى المنـاطق الواقعـة بين الخطين (J) و (K) وبين الخطين (A) لاتفاقية الفصل المؤرخة فى ١٨ من يناير ١٩٧٤) والخط (E) أية تحصينات جديدة أو منشآت لقوات يزيد حجمها على الحجم المتفق عليه بموجب هذا الملحق ·

(ب) التحديدات الرئيسية وراء مناطق القوات والعتاد المحدد سوف تكون :

١ ـ أن أيا من الجانبين لن يضع أو يوجد أى سلاح فى مناطق يمكن أن يصل مداها الى الخط الآخر ·

٢ ـ لن يضع الطرفان صواريخ مضـادة للطائرات داخل منطقـة تبعد عشرة (١٠) كم شرقى الخط (K) وغربى الخط (F) على التوالى ·

(ج) سوف تقوم قوة الطوارىء التابعة للامم المتحدة بجولات تفقدية من أجل ضمان المحافظة على التحديدات المتفق عليها داخل هذه المناطق ·

سـادسا ـ عملية التنفيـذ

ان التنفيذ التفصيلى وتوقيت اعادة توزيع القوات وتسليم حقول البترول وغير ذلك من الترتيبات التى يقضى بها الاتفاق والملحق والبروتوكول سوف يحددها فريق العمل الذى سيتفق على مراحل هذه العملية ، بما فى ذلك تحرك القوات المصرية على مراحل الى الخط (E) وتحرك القـوات الاسرائيليـة على مراحل الى الخط (J) · وستكون المرحلة الاولى هى تسليم حقول البترول ومنشآت البترول لمصر · وستبدأ هذه العملية فى غضون أسبوعين من توقيع البروتوكول مع دخول الفنيين الضروريين ، وسوف تتم فى فترة لا تزيد على ثمانية أسابيع منذ بدئها· وسوف توضع تفاصيل المراحل فى اجتماعات فريق العمل العسكرى ·

وسيتم تنفيذ اعادة توزيع القـوات فى غضـون خمسة أشهر من توقيع البروتوكول ·

عن حكومة جمهورية مصر العربية

عن حكومة اسرائيل

اقتراح

فيما يتعلق بشبكة الانذار المبكر المشار اليها فى المادة ٤ من الاتفاق المعقود بين مصر واسرائيل فى هذا التاريخ وكجزأ لا يتجزأ من ذلك الاتفاق « الذى سيشار اليه فيما بعد بالاتفاق الاساسى » تقترح الولايات المتحدة ما يلى :

١ ــ أن شبكة الانذار المبكر التى ستقام طبقا للمادة ٤ فى المنطقة المبينة على الخريطة المرفقة للاتفاق الاساسى سوف تعهد الى الولايات المتحدة ٠ وسوف تتضمن العناصر التالية :

أ) ستكون هناك محطتا مراقبة لتوفير انذار استراتيجي مبكر ، واحدة يقوم بالعمل فيها أفراد مصريون وأخرى يقوم بالعمل فيها أفراد اسرائيليون وتبين الخريطة المرافقة للاتفاق الاساسى موقع المحطتين ، وسوف لا يزيد عدد العاملين عن ٢٥٠ من الافراد الفنيين والاداريين فى كل محطة ولن يقوموا بمهام المراقبة البصرية والالكترونية الا داخل المحطة التى يعملون بها ٠

ب) تدعيما لهاتين المحطتين ، لتقديم انذار تاكتيكى مبكر والتأكد من امكانية الوصول الى أى منهما ، تقوم الولايات المتحدة باقامة ثلاث محطات للمراقبة فى ممرى متلا والجدى كما سوف يبين على الخريطة المرافقة للاتفاق الاساسى ٠ وسوف تدار هذه المحطات بواسطة أفراد مدنيين أمريكيين ودعما لهذه المحطات ، سوف تقام ثلاثة ميادين استشعار الكترونى غير مزودين بالافراد عند كل من طرفى كل ممر وفى المنطقة العامة المجاورة لكل محطة والطرق المؤدية الى هذه المحطات ومنها :

٢ ــ سوف يقوم الأفراد المدنيون الامريكيون بأداء المهام التالية فيما يتعلق بتشغيل وصيانة هذه المحطات ٠

أ) فى محطتى المراقبة المبينتين فيما سبق فى الفقرة (١ أ) سوف يقوم الافراد المدنيون الامريكيون بالتثبت من طبيعة عمليات المحطات والانتقال الى كل محطة ومنها ويقدمون على الفور تقريرا عن أى انحراف يكتشف عن الدور المصرح به لطرفى الاتفاق الأساسى ولقوة الطوارىء التابعة للامم المتحدة فيما يتعلق بالمراقبة البصرية والالكترونية ٠

ب) فى كل محطة من محطات المراقبة المبينة سابقا فى الفقرة ١ ب ، يقدم الافراد المدنيون الامريكيون على الفور تقريرا الى طرفى الاتفاق الاساسى والى قوة الطوارىء التابعة للامم المتحدة عن أى تحرك للقوات المسلحة ، باستثناء قوة الطوارىء التابعة للامم المتحدة ، الى أى من الممرين وعن أى استعدادات ملحوظة لمثل هذا التحرك ٠

جـ) العدد الاجمالى للافراد المدنيين الامريكيين المكلفين بأداء المهام التى ينص عليها هذا الاقتراح لن يتجاوز ٢٠٠ ولن يكلف بأداء المهام التى ينص عليها هذا الاقتراح غير أفراد مدنيين ٠

٣ ــ لن يحتفظ بأية أسلحة فى المحطات والمرافق الاخرى التى يشملها هذا الاقتراح باستثناء الاسلحة الصغيرة اللازمة لحمايتها ٠

٤ ـ سوف يسمح للأفراد الامريكيين العاملين فى شبكة الانذار المبكر بحرية الحركة داخل منطقة الشبكة ٠

٥ ـ سوف يكون من حق الولايات المتحـــدة وأفرادها التمتع بشكل معقول بالتسهيلات المساعدة اللازمة لأداء مهامهم ٠

٦ ـ سوف يتمتع الافراد الامريكيون بالحصانة فى التشريع الجنائى والمدنى والضريبى والجمركى المحلى ويجوز تقديم أية امتيازات وحصـانات خاصة أخرى طبقا لاتفاق قوة الطوارىء التابعة للامم المتحدة المؤرخ فى ١٣ من فبراير ١٩٥٧٠

٧ ـ تؤكد الولايات المتحدة أنها ستواصل القيام بالمهام المبينة فيما سبق طوال فترة سريان الاتفاق الاساسى ٠

٨ ـ بصرف النظر عن أى بند آخر فى هذا الاقتراح ، فانه لا يجوز للولايات المتحدة سحب أفرادها الا اذا تبين لها تعرض أمنهم للخطر أو أن إستمرار القيام بدورهم لم يعد ضروريا ، وفى الحالة الأخيرة ، فانه سيجرى ابلاغ طرفى الاتفاق الأساسى مقدما لاتاحة الفرصة أمامها لوضع ترتيبات بديلة ٠ واذا ما طلب كل من طرفى الاتفاق الاساسى من الولايات المتحدة انهـاء دورها الذى يحدده هـذا الاقتراح ، فان الولايات المتحدة سوف تعتبر مثل هذه الطلبات نهائيا ٠

٩ ـ المشكلات الفنية بما فيها محل اقامة محطات المراقبة سوف تحل عن طريق التشاور مع الولايات المتحدة ٠.

هنرى كيسنجر
وزير الخارجيـة

وافق عليه :

ممدوح سالم
رئيس وزراء
جمهورية مصر العربية

نص المذكرة الأمريكية ـ الاسرائيلية

نقلا عن صحيفة « الواشنطون بوست » الثلاثاء ١٦ من سبتمبر ١٩٧٥ فيما يلى نص مذكرة الاتفاق بين الولايات المتحـــدة واسرائيل والذى وقعه « هنرى كيسنجر » وزير الخارجية و « ايجال آلون » وزير الخارجية الاسرائيلى فى ١ من سبتمبر ، طبقا لما ذكرته المصادر الدبلوماسية

ان الولايات المتحـــدة تعترف بأن الاتفـاق المصرى ـ الاسرائيلى الذى وقع بالأحرف الاولى فى ١ من سبتمبر (والمشار اليه فيما بعد بالاتفـاق) ، والذى يقضى بالانسحاب من مناطق حيوية فى سيناء ، يشكل عملا على درجة عظيمة من الاهمية من جانب اسرائيل سعيا وراء السلام النهـائى ٠ وهذا الاتفاق يتمتع بتأييد الولايات المتحدة الكامل ٠

تأكيدات أمريكية ـ اسرائيلية

١ ـ سوف تبذل حكومة الولايات المتحدة كل جهد من أجل الاستجابة التامة، ضمن حدود مواردها وبمقتضى التفويض من قبل الكونجرس ، على أساس متصل وطويل الأمد ، لمتطلبات اسرائيل من العتاد العسكرى ومتطلبات الدفاع الاخرى. والمتطلبات من الطاقة ولاحتياجاتها الاقتصـــــادية • وسوف تعتبر الاحتياجات المحددة فى الفقرات ٢ و ٣ و ٤ فيما يلى حرية بالادراج فى الاجمالى السنوى الذى سيطلب فى سنة ٧٦ المالية وفى السنوات المالية التالية •

٢ ـ ان احتياجات اسرائيل العسـكرية الطويلة الأمد من الولايات المتحـدة سوف تكون محل مشاورات دورية بين ممثلى المؤسستين الدفاعيتين الامريكيـة والاسرائيلية ، على أن يجرى ادراج الاتفاق الذى يتم التوصل اليه حـول بنـود محددة فى مذكرة أمريكية ـ اسرائيلية منفصلة• ولهذا الهدف ، فانه سوف تجرى دراسة مشتركة من جانب الخبراء العسكريين فى غضون ثلاثة أسابيع • وفى القيام بهذه الدراسة ، التى ستتضمن احتياجات اسرائيل فى عام ١٩٧٩ ، فان الولايات المتحدة سوف تنظر بعين العطف الى طلبات اسرائيل ، بما فى ذلك طلبها الخاص بالحصول على أسلحة متقدمة وحديثة •

٣ ـ سوف تجرى اسرائيل ترتيباتها المستقلة لتدبير الحصول على البترول من أجل تلبية متطلباتها عن طريق الاجراءات العادية • وفى حالة عدم تمكن اسرائيل من تامين احتياجاتها عن هذا الطريق • فان حكومة الولايات المتحدة ، عقب ابلاغ حكومة اسرائيل لها بهذه الحقيقة ، سوف تتصرف على النحو التالى لمدة خمس سنوات ، يمكن لاى من الطرفين فى نهايتها انهاء هذا الترتيب • بناء على اشعار مدته سنة •

(أ) اذا كان ما تحتاج اليه اسرائيل من بترول لتلبية جميع متطلباتها العـادية من أجل الاستهلاك المحلى غير متاح شراؤه في ظروف لاتشوبها قيود كمية على قدرة الولايات المتحدة على توفير البترول لتلبية متطلباتها العادية ، فان حكومة الولايات المتحدة سوف تسارع بتوفير البترول كى تشتريه اسرائيل لتلبية جميع متطلباتها العادية السابق ذكرها واذا كانت اسرائيل عاجزة عن ضمان الوسيلة اللازمة لنقل هذا البترول الى اسرائيل ، فان حكومة الولايات المتحدة سوف تبذل كل جهد من أجل مساعدتها لضمان وسيلة النقل الضرورية •.

(ب) اذا كان البترول الذى تحتاج اسرائيل اليه لتلبية جميع متطلباتها العادية من أجل الاستهلاك المحلى غير متاح للشراء فى ظروف حيث تحول قيود الخطر أو خلافه ، دون استطاعة الولايات المتحدة تدبير البترول لتلبية متطلباتها العادية ، فان حكومة الولايات المتحدة سوف تسارع الى توفير البترول كى تقوم اسرائيل بشرائه طبقا لصيغة وكالة الطاقة الدولية المتعلقة بالتخزين والتوزيع وفقا لتطبيق حكومة الولايات المتحدة لها ، من أجل تلبية متطلبات اسرائيل الجوهرية • واذا كانت اسرائيل عاجزة عن ضمان الوسـيلة الضرورية لنقل هـذا البترول الى اسرائيل ، فان حكومة الولايات المتحدة سوف تبذل كل جهد من أجل مسـاعدة اسرائيل فى ضمان وسيلة النقل الضرورية •

وسوف يجتمع الخبراء الاسرائيليون والامريكيون مرة أو أكثر كل سنة بناء

على طلب أى من الطرفين ، من أجل استعراض متطلبات اسرائيل البترولية الجاريه ٠

٤ ــ من أجل مساعدة اسرائيل على تلبية احتياجاتها من الطاقة وكجزء من الرقم السنوى الشامل الوارد فى الفقرة رقم ١ ــ المتقدمة فان الولايات المتحدة توافق على :

(أ) عند تحديد الرقم السنوى الشامل الذى سيطلب من الكونجرس ، تولى حكومة الولايات المتحدة انتباها خاصا لمتطلبات إسرائيل من البترول المستورد بمقدار الفترة المحددة فى المادة رقم ٣ السابقة وتأخذ فى حسبانها عند تقدير هذا الرقم نفقات اسرائيل الاضافية فى مجال استيراد البترول لتعويضها عن بترول أبورديس ورأس سدر (٥ر٤ ملايين ونصف مليون طن فى سنة ١٩٧٥) الذى كان يجرى الحصول عليه بالطرق العادية ٠

(ب) مطالبة الكونجرس بتوفير اعتمادات ضرورية لحكومة اسرائيل ، يتحدد حجمها عن طريق اتفاق متبادل ، من أجل تنفيذ مشروع لانشاء وتخزين احتياجات البترول التى سوف تخزن فى اسرائيل ، والوصول بطاقة احتيــاطى التخزين والمخزون الاحتياطى الذى يصل الآن الى ستة أشهر تقريبا ، الى احتياجات عام كامل عند اتمام المشروع ٠ وسوف ينفذ المشروع فى غضون أربع ســنوات ٠ وسوف يكون انشاء المشروع وتشغيله وتمويله وغير ذلك من المسائل المتصلة به محل محادثات مبكرة ومستفيضة بين الحكومتين ٠

٥ ــ لن تنتظر حكومة الولايات المتحدة من اسرائيل بدء تنفيذ الاتفاق قبل أن تنجز مصر تعهدها الذى ينص عليه اتفاق الفصل المؤرخ فى يناير ١٩٧٤ والخاص بالسماح بمرور جميع الشحنات الاسرائيلية عبر قناة الســـويس من الموانى الاسرائيلية واليها ٠

٦ ــ تتفق حكومة الولايات المتحدة مع اسرائيل على أن الاتفاق القادم مع مصر يجب أن يكون اتفاق سلام نهائى ٠

٧ ــ فى حالة حدوث انتهاك مصرى لاى من بنود الاتفاق ، فان حكومة الولايات المتحدة مستعدة التشاور مع اسرائيل لتحديد مدى أهمية الانتهاك والاجراء الذى يمكن لحكومة الولايات المتحدة أن تتخذه لمعالجة هذا الانتهاك ٠

٨ ــ سوف تصور حكومة الولايات المتحدة ضد أى مشروع قرار لمجلس الامن ترى أنه يمس أو يغير الاتفاق فى اتجاه معاكس ٠

٩ ــ لن تشترك حكومة الولايات المتحدة فى جهود الآخرين الرامية الى دراسة مقترحات تتفق هى واسرائيل على اعتبارها ضارة بمصالح اسرائيل ، وسوف تسعى الى احباط هذه الجهود ٠

١٠ ــ نظرا الى التزام الولايات المتحدة منذ عهد بعيد ببقاء اسرائيل وأمنها ، فان الولايات المتحدة سوف تنظر بصفة خاصة الى التهديدات التى توجه الى أمن اسرائيل أو سيادتها من جانب قوة عالمية ٠ وتدعيما لهذا الهدف ، فأن حكومة الولايات المتحدة سوف تتشاور على وجه السرعة فى حالة حدوث تهديد كهذا مع

حكومة اسرائيل حول المساندة ، الدبلوماسية أو غيرها ، أو المساعدة التى يمكنها أن تقدمها الى اسرائيل طبقا لممارساتها الدستورية ٠

١١ ـ سوف تقوم حكومة الولايات المتحدة وحكومة اسرائيل ، فى أقرب وقت ممكن ، واذا أمكن ، فى غضون شهرين من تاريخ توقيع هذه الوثيقة ، باقرار خطة الطوارىء اللازمة لعملية امداد عسكرى لاسرائيل فى حالة ظهور موقف استثنائى ٠

١٢ ـ ان حكومة الولايات المتحدة ترى أن التعهدات المصرية بموجب الاتفاق المصرى ـ الاسرائيلى وتنفيذه وشرعيته وفترة سريانه ليست مشروطة بأى عمل أو تطورات تحدث بين دول عربية أخرى واسرائيل ٠ وتنظر حكومة الولايات المتحدة الى الاتفاق بوصفه قائما بذاته ٠

١٣ ـ تشاطر حكومة الولايات المتحدة اسرائيل موقفها القائل بأنه فى ظل الظروف السياسية القائمة فان المفاوضات مع الاردن سوف توجه نحو تسوية سلمية شاملة ٠

١٤ ـ تمشيا مع مبدأ حرية الملاحة فى أعالى البحار والمرور الحر ودون عقبات عبر المضايق التى تربط المياه الدولية ، فان حكومة الولايات المتحدة تعتبر مضايق باب المندب ومضيق جبل طارق ممرات مائية دولية ٠ وسوف تؤيد حق اسرائيل فى المرور الحر ودون عقبات عبر هذه الممرات ٠ وبالمثل ، فان حكومة الولايات المتحدة تعترف بحق اسرائيل فى حرية القيام برحلات جوية فوق البحر الاحمر وهذه الممرات ٠ وسوف تؤيد ممارسة هذا الحق على الصعيد الدبلوماسى ٠

١٥ ـ فى حالة سحب قوة الطوارىء التابعة للامم المتحدة أو أى جهاز آخر تابع للامم المتحدة دون اتفاق سابق بين كل من أطراف الاتفاق المصرى ـ الاسرائيلى والولايات المتحدة قبل حلول اتفاق آخر محل هذا الاتفاق ، فان الولايات المتحدة ترى أن الاتفاق سوف يظل ملزما فى جميع أجزائه ٠

١٦ ـ تتفق الولايات المتحدة واسرائيل على أن توقيع بروتوكول الاتفاق المصرى ـ الاسرائيلى وسريان مفعوله الكامل لن يتما قبل موافقة الكونجرس الامريكى على دور الولايات المتحدة المتعلق بمهام المراقبة والمتابعة المبينة فى الاتفاق وفى الملحق الخاص به ٠ وقد أبلغت الولايات المتحدة حكومة اسرائيل بأنها حصلت على موافقة حكومة مصر على ما تقدم ٠

ملحق سرى حول المساعدة العسكرية

فيما يلى نص الملحق السرى لمذكرة الاتفاق بين الولايات المتحدة واسرائيل :

فيما يتعلق بمسألة تقديم المساعدة العسكرية والاقتصادية الى اسرائيل فان الموقف التالى الذى أبلغته الولايات المتحدة الى اسرائيل يعزز ما حددته مذكرة الاتفاق ٠

ان الولايات المتحدة عازمة على مواصلة صون قوة اسرائيل الدفاعية عن طريق تقديم انماط متقدمة من العتاد ٠ مثل الطائرة ف ١٦ ٠ وتوافق حكومة الولايات المتحدة على عقد اجتماع مبكر للقيام بدراسة مشتركة للتكنولوجيا المتطورة والاسلحة الحديثة ، بما فى ذلك صواريخ بيرشنج أرض أرض ذات الرؤوس الحربية التقليدية ، بهدف تقديم رد ايجابى ٠ وسوف تقدم الادارة الامريكية طلبا سنويا الى الكونجرس الامريكى للحصول على موافقته على تقديم عون ، عسكرى واقتصادى للمساعدة فى تلبية احتياجات اسرائيل الاقتصادية والعسكرية ٠

الميثاق الامريكي ـ الاسرائيلي بشأن جنيف

فيما يلي نص مذكرة اتفاق ، لم تنشر من قبل ، بين الولايات المتحدة واسرائيل تتعلق بمؤتمر جنيف :

١ ـ سوف يعاد عقد مؤتمر جنيف للسلام في موعد يتم تحديده بالتنسيق بين الولايات المتحدة واسرائيل ·

٢ ـ سوف تواصل الولايات المتحدة التمسك بسياستها الراهنة فيما يتعلق بمنظمة تحرير فلسطين والتى لن تقوم وفقا لها بالاعتراف بمنظمة تحرير فلسطين أو التفاوض معهــا مادامت منظمة تحرير فلسطين لا تعترف بحق اسرائيل في الوجود ولا تقبل قرارى مجلس الامن رقم ٢٤٢ ورقم ٣٣٨ · وسوف تقوم حكومة الولايات المتحدة بالتشاور على أكمل وجه مع حكومة اسرائيل والسعي الى تنسيق موقفها واستراتيجيتها معها في مؤتمر جنيف للسلام حول هذه المسألة · وبالمثل فان الولايات المتحدة سوف تتشاور مع اسرائيل على أكمل وجه وسوف تسعى الى تنسيق موقفها واستراتيجيتها معها فيما يتعلق باشتراك أى دول أخرى · ومن المفهوم أن اشتراك أية دولة أو جماعة أو منظمة أضافية ممكنة في مرحلة تالية من مراحل المؤتمر سوف تتطلب موافقة جميع المشتركين الاول ·

٣ ـ سوف تبذل الولايات المتحدة كل جهد من أجل ضمان اجراء المفاوضات الاساسية جميعها في المؤتمر على أساس ثنائي ·

٤ ـ سوف تقوم الولايات المتحدة بالاعتراض على والتصويت اذا لزم الامر ضد أية مبادرة في مجلس الامن تستهدف قلب شروط صلاحية مؤتمر جنيف للسلام أو تغيير القرارين رقم ٢٤٢ ورقم ٣٣٨ بطرق تتعارض مع هدفها الاصلي ·

٥ ـ سوف تسعى الولايات المتحدة الى ضمان انســجام دور المشتركين في الدعوة مع ما اتفق عليه في مذكرة التفاهم بين حكومة الولايات المتحدة وحكومة اسرائيل المؤرخة في ٢٠ من ديسمبر ١٩٧٣

٦ ـ سوف تقوم الولايات المتحدة واسرائيل بتنسيق العمل لضمان عقد المؤتمر بأسلوب يتفق وأهداف هذه الوثيقة والهدف المعلن للمؤتمر وهو تعزيز ســلام يجرى التفاوض بشأنه بين اسرائيل وبين جاراتها ·

مذكرة تأكيدات لمصر

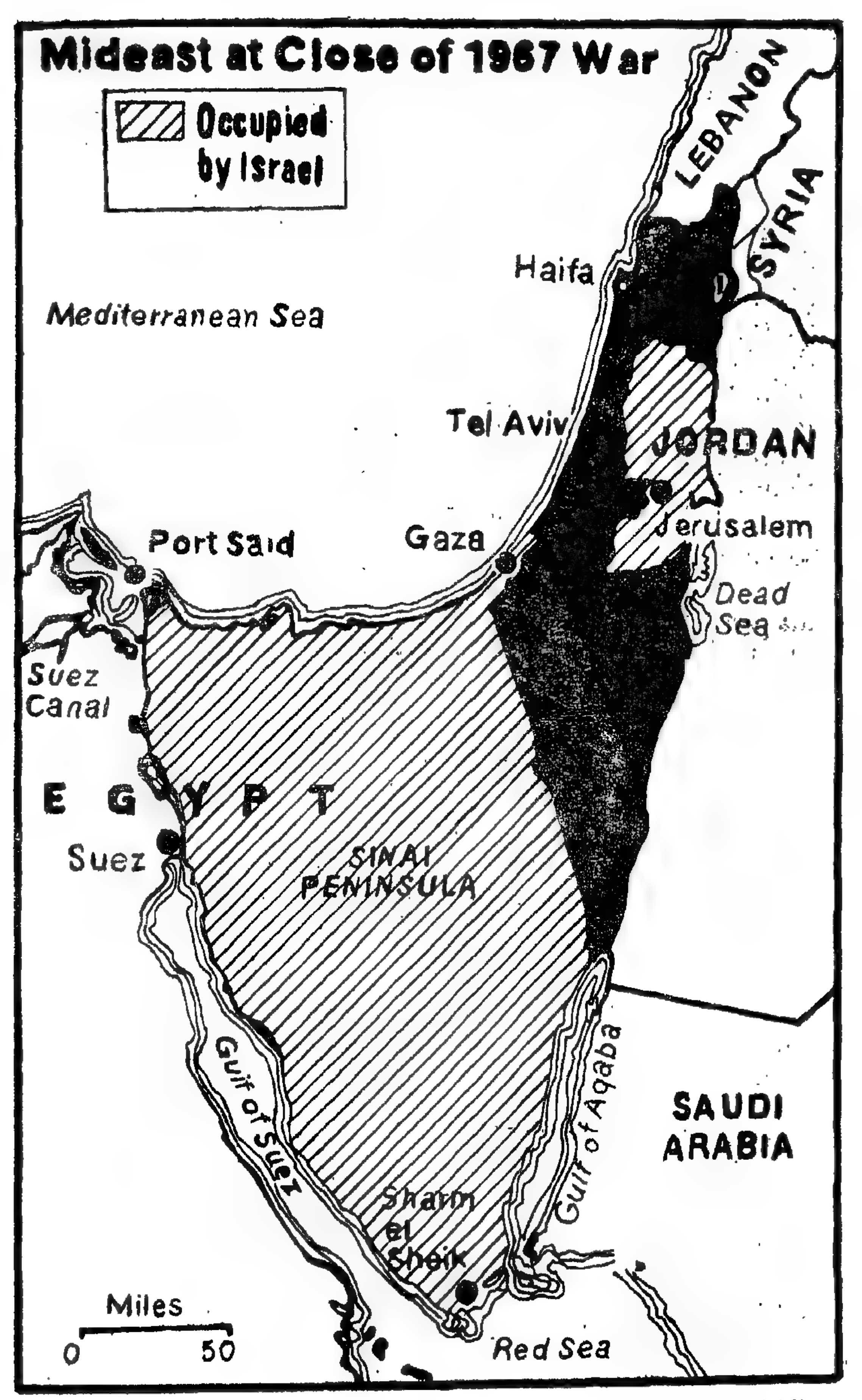
نقلا عن صحيفة النيويورك تايمز الاربعاء ١٧ من سبتمبر ١٩٧٥

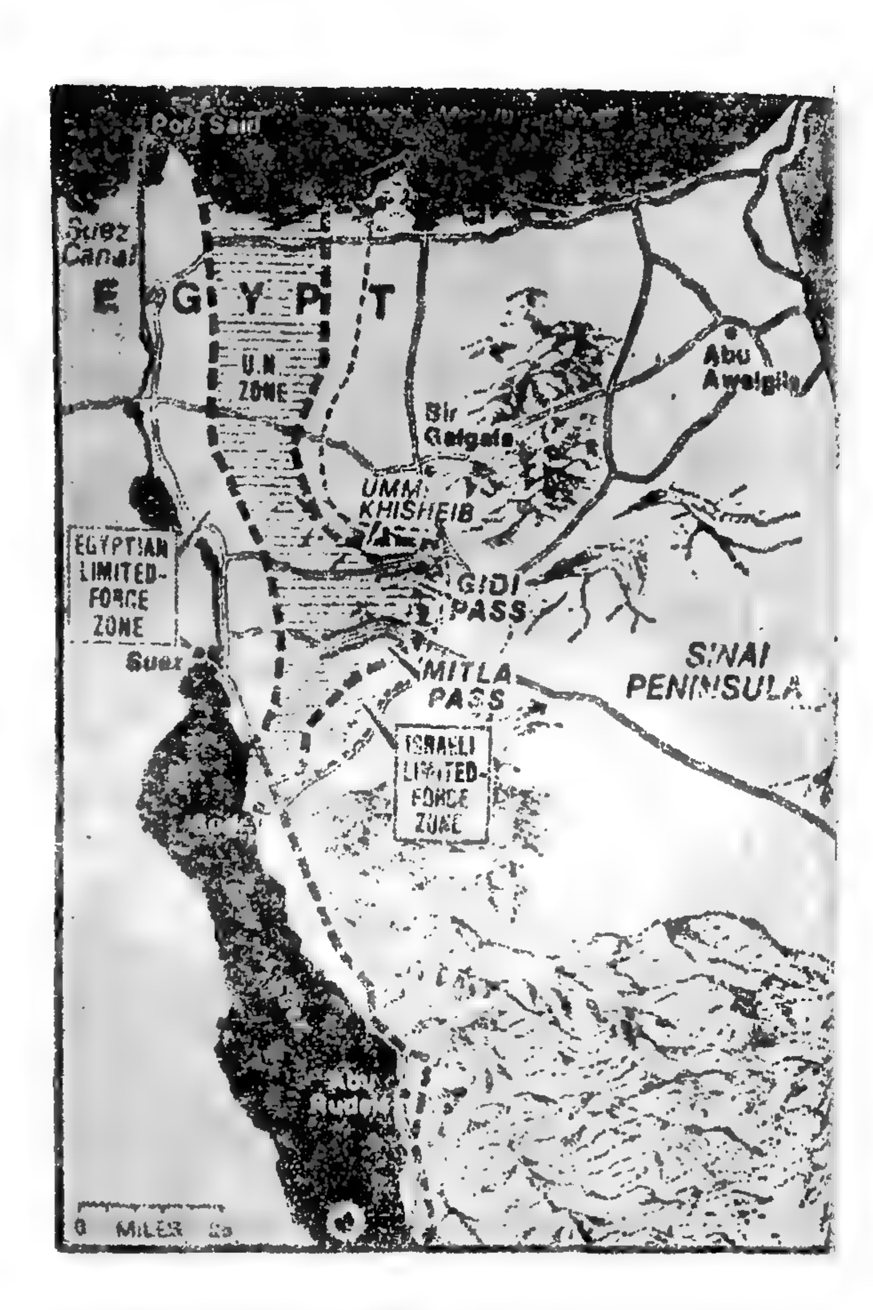
١ ـ تنوى الولايات المتحدة بذل جهد جاد من أجل المســاعدات في اجراء مفاوضات جديدة بين سوريا واسرائيل ، وذلك بالوسائل الدبلوماســية في المرحلة الاولى ·

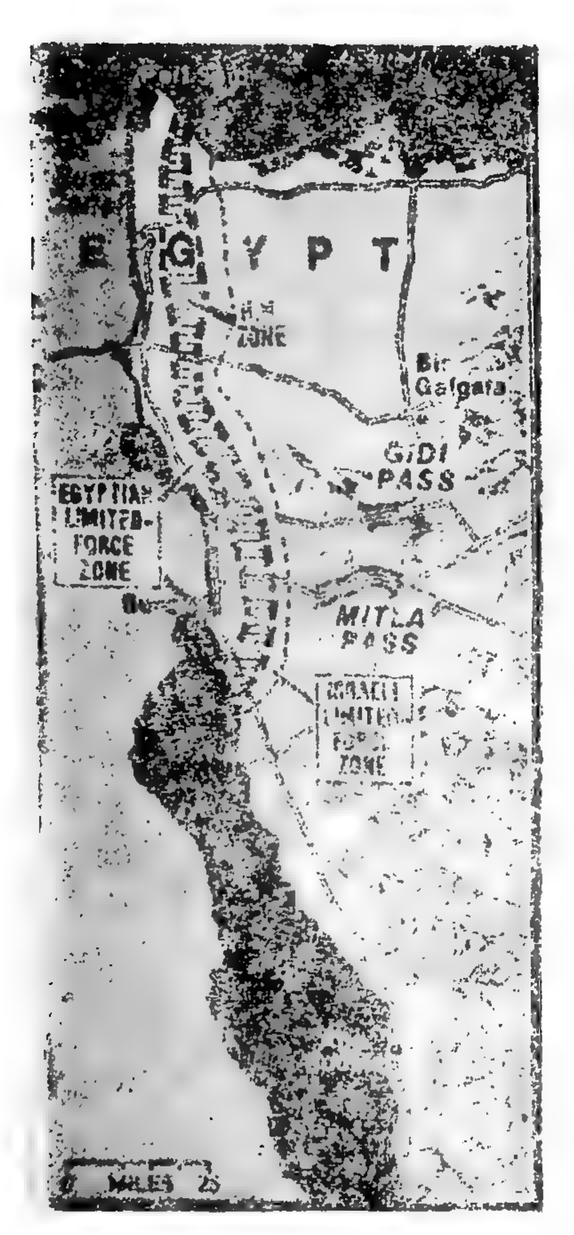
٢ ـ في حالة وقوع انتهاك اسرائيلي للاتفاق ، فان الولايات المتحدة على استعداد للتشاور مع مصر لتحديد مدى أهمية الانتهاك والعمــل الذى يمكن أن تتخذه الولايات المتحدة لمعالجته ·

٣ ـ سوف تقدم الولايات المتحدة لمصر مساعدة فنية لمحطة الانذار المبكر المصرية في سيناء ·

٤ ـ تؤكد الولايات المتحدة من جديد رغبتها في تقديم مساعدة اقتصادية لمصر الامر الذى يتوقف على موافقة الكونجرس الامريكي ·


Mideast at Close of 1967 War
Occupied by Israel
LEBANON
SYRIA
Haifa
Mediterranean Sea
Tel Aviv
JORDAN
Jerusalem
Port Said
Gaza
Dead Sea
Suez Canal
E G Y P T
Suez
SINAI PENINSULA
Gulf of Suez
Gulf of Aqaba
SAUDI ARABIA
Sharm el Sheik
Miles
0
50
Red Sea





يسمح الاتفاق الجديد للقوات المصرية بالتقدم الى الحد الشرقي لمنطقة الامم المتحدة السابقة التي كانت قائمة فى ١٩٧٤ وباسترداد حقول أبو رديس فى أقصى الجنوب وباقامة الحكم المدنى فى القطاع الساحلى المطل على الخليج تحت رقابة الامم المتحدة · وبموجب الاتفاق ينسحب الاسرائيليون من ممرى الجدى ومتلا ، وتشرف الولايات المتحدة على شبكات الانذار المبكر فيهما (النيويورك تايمز / ٢ من سبتمبر ١٩٧٥) ·

British Mandate 1922-'48

Mediterranean Sea
LEBANON
SYRIA
Jordan R.
Jerusalem
Dead Sea
TRANS-JORDAN
EGYPT
SINAI PENINSULA
Gulf of Aqaba
SAUDI ARABIA
Red Sea

U. N. Partition Plan of 1947

Jewish State
Arab State
LEBANON
SYRIA
Jordan R.
Jerusalem District
Dead Sea
TRANS-JORDAN
EGYPT
SINAI PENINSULA
Gulf of Aqaba
SAUDI ARABIA
Red Sea

Israel After 1948-'49 War

Mediterranean Sea
Haifa
Tel Aviv
Gaza
LEBANON
SYRIA
JORDAN
Jerusalem
ISRAEL
Dead Sea
EGYPT
SINAI PENINSULA
Gulf of Aqaba
SAUDI ARABIA
Red Sea

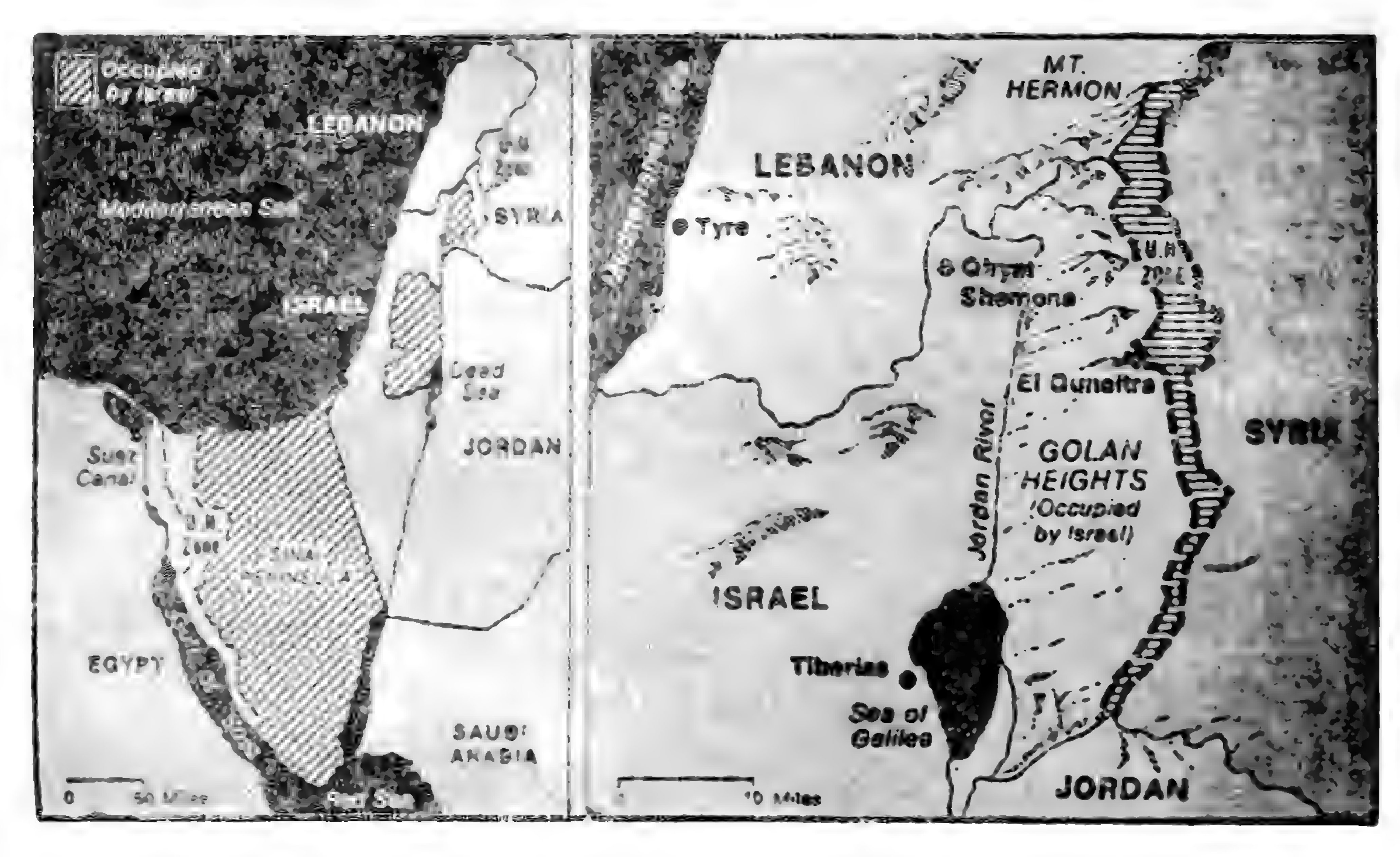
Occupied by Israel but yielded by March 1957

Mediterranean Sea
Haifa
Tel Aviv
Port Said
Gaza
JORDAN
Jerusalem
ISRAEL
Dead Sea
Suez Canal
E G Y P T
Suez
SINAI PENINSULA
Gulf of Suez
Sharm el Sheik
Gulf of Aqaba
SAUDI ARABIA
Red Sea
Miles
0 50

نقلا عن صحيفة النيويورك تايمز ، ٢ من سبتمبر ١٩٧٥ .

الملحق التاسع


ISRAELI LIMITED-FORCE ZONE
N
E
W
S
GIDI PASS
U.N. ZONE
MITLA PASS
EGYPTIAN LIMITED-FORCE ZONE



الفصل الاسرائيلي ـ السوري ، مايو ١٩٧٤ .

خريطة الشرق الاوسط اعتبارا من أول مايو ١٩٧٦ .

الملحق العاشر

تصور فولبرايت للاوضاع فى الشرق الاوسط فى عام ١٩٨٠

(بقلم ج • وليم فولبرايت)

نقلا عن صحيفة الواشنطون ستار ، ١٣ من يوليو ١٩٧٥

جلست الى مكتبى صبيحة أحد الايام فى أوائل صيف ١٩٨٠ أفكر مليا فى دعوة موجهة الى : « عزيزى السيد/فولبرايت : ان منظمة الشباب الامريكى من أجل السلام والعدل فى الشرق الاوسط تدعوكم الى التحدث أمام الجمهور فى اجتماعها الكبير القادم المقام على أرض نصب واشنطون التذكارى • ولعلكم تعلمون أن من المنتظر لهذا الاجتماع الكبير أن يكون ذروه الحملة التى استمرت ثلاث سنوات لانهاء التورط العسكرى الامريكى فى الشرق الاوسط • ومن المنتظر أن يحضر الاجتماع ما لا يقل عن نصف مليون من الامريكيين المهتمين بالامر •

« وبالاضافة الى المغنيين الشعبيين المشهورين واحدى الفرق الموسيقية المحبوبة فى البلاد ، فان البرنامج سوف يقدم خمسة من أبرز المرشحين للرئاسة فى مؤتمر الحزب الديموقراطى الذى سينعقد فى الشهر القادم • وكان هؤلاء الاشخاص مرشحين من قبل فى عام ١٩٧٦ ، وسوف يقدم كل منهم مشروعا لتخليص الولايات المتحدة من التورط العسكرى فى الشرق الاوسط وخلال هذا الاحتفال سوف يتولى أحد المرشحين ، وقد كان ينظر اليه باستمرار على أنه مؤيد متحمس لاسرائيل ، أحراق رسالة الستة والسبعين « سيئة الصيت » والمؤرخة فى مايو ١٩٧٥ ، والتى دعا فيها ٧٦ سناتورا الى تأييد عسكرى شامل لاسرائيل • ومع كونكم لا تعلمون بالسياسة حاليا ، الا أننا نعتقد أن اهتمامكم الطويل بالشرق الاوسط يؤهلكم للاشتراك فى حدث نشعر بأنه لابد وأن يهز البيت الابيض من أساسه » •

بيد أننى ترددت لحظة فيما اذا كان على قبول الدعوة ، وأخذت أفكر مليا فى أحداث السنوات الخمس الماضية :

ففى خلال سنة ١٩٧٥ والنصف الاول من ١٩٧٦ ، أعلن أغلب القادة العرب عن استعدادهم لتقبل اسرائيل كدولة يهودية دائمة ضمن حدودها قبل عام ١٩٦٧ •• بل ان قيادة منظمة تحرير فلسطين سلمت فى اجتماعات خاصة بأن لابد من اقتصار المتطلبات الفلسطينية على الضفة الغربية وقطاع غزة •• غير أن اسرائيل بتأييد قوى من الكونجرس الامريكى ، تشبثت بحدود يمكن الدفاع عنها • لم تكن مستعدة — لتحديد مداها على وجه الدقة • وان كان من المفهوم بوجه عام أنها تتضمن الجزء الشرقى من سيناء ، ومرتفعات الجولان ، وبعض أجزاء الضفة الغربية مع حق اقامة منشآت عسكرية اسرائيلية فى الجزء الذى تنسحب منه ، والقدس الشرقية التى كانت تعتبرها « غير قابلة للتفاوض » •

وفى خريف ١٩٧٦ ، وبعد عدة تجديدات فاشلة لديبلوماسية الخطوة خطوة والانهيار النهائى لمؤتمر جنيف للسلام ، تفجرت فى الشرق الاوسط دون سابق انذار « حرب يوم كيبور الثانية » ، أو كما تسمى أحيانا « حرب الايام العشرة » . وليس من المعروف بعد ما اذا كانت الحرب قد بدأت بهجوم عربى مفاجىء أو بهجوم وقائى اسرائيلى ، الا أنه بالرغم من الخسائر المروعة والدمار الناجم عن الضربات الصاروخية العديدة لتل أبيب والضربات الصاروخية الاشد بكثير للقاهرة ودمشق فقد أحرز الجيش الاسرائيلى انتصارا مؤهلا على جميع الجبهات بعد ١٠ أيام من القتال العنيف. وفى اليوم العاشر قام فريق الوساطة السوفيتى- الامريكى المفوض من جانب مجلس الامن التابع للامم المتحدة بتثبيت وقف اطلاق النار ، بينما كانت القوات الاسرائيلية ترابط على مشارف القاهرة ودمشق وعمان.

فى اليوم الثالث للحرب فرضت الدول العربية المنتجة للبترول حظر على جميع بلدان حلف شمال الاطلنطى . وقد تمكنت فرنسا والبرتغال من الافلات من آثار الحظر بالمسارعة بشجب معاهدة حلف شمال الاطلنطى والانسحاب منه . وقد استمر الحظر بعد وقف اطلاق النار ، وبحلول الشهر الثالث تعرضت البلدان الغربية المتضررة من الحظر لازمة اقتصادية طاحنة . فقد وصلت البطالة فى ألمانيا الغربية الى ١٠٪ ، وفى ايطاليا ، بعد اضطرابات مدينتى روما وميلانو ، استقالت الحكومة وحلت محلها جبهة شعبية من الشيوعيين والاشتراكيين اليساريين .

أما الولايات المتحدة التى كانت ماتزال تنتج ٠ من متطلباتها البترولية ، فقد كانت أقل البلدان تضررا من الحظر . وظلت البطالة ثابتة بنسبة ١٥٪ ، غير أن حكومة الولايات المتحدة وجدت من الضرورى الغاء الاتفاقيات السابقة مع حلفائها والخاصة بتقاسم البترول عند الضرورة .

وفى اليوم الاول من الشهر الخامس للحظر ، تحدث رئيس الولايات المتحدة على شاشة التليفزيون القومية ليعلن أنه فى هذه اللحظة عينها يقوم المشاة البحريه والمظليون الامريكيون بعملية انزال على سائل العربية السعودية والكويت المطل على الخليج الفارسى لاحتلال حقول البترول الساحلية . وقد قال ان هذا الاجراء ينفذ حسب خطة طوارىء أعدها البنتاجون منذ فترة طويلة ووفقا لتدبير الطوارىء التى ينص عليها قانون الصلاحيات الحربية » .

وقد أكد الرئيس أن حقول البترول سوف تحتل بصفة مؤقتة فقط ـ الى أن يعود منتجوا البترول الى رشدهم ـ وأن سلطات الاحتلال سوف تقوم باستخراج البترول وبيعه بوصفه احتكارا دوليا عاما . وبعد عدة أيام اتخذ الكونجرس قرارا يشيد بالاجراء الذى اتخذه الرئيس وقد اتخذ القرار بموافقة ٤٣٥ صوتا مقابل لا شىء فى مجلس النواب وبموافقة ٩٨ صوتا مقابل صوتين فى مجلس الشيوخ .

ومما يؤسف له أن عمليات الانزال لن تكن مفاجأة تامة فعن طريق انتهاك نطاق السرية والامن الذى كان يحيط بالعملية والذى لم يعرف له تفسير بعد ، تمكن السعوديون والكويتيون من الحصول على اشعار بعمليات الانزال قبل وقوعها بأربع وعشرون ساعة ، عند وصول المشاة والمظليين الى المنطقة ، كانت نيران البترول تحتدم عبر حقول الغرار وبورجان وعلى سطح الخليج الفارسى ، نتيجة لتدمير مرافق استخراج البترول من تحت سطح الماء ، الامر الذى أذهل قوة الاحتلال .

وعن طريق المهارة والجهود البطولية التي قامت بها فرق مكافحة حرائق البترول المدربه تدريبا عاليا والتي نقلت الى المنطقة جوا من تكساس ، تسنى اخماد أغلب الحرائق في غضون ثلاثة اشهر وفي غضون شهر آخر ، وحلول منتصف ١٩٧٧ ، عاد الانتاج الى نصف طاقته قبل الخطر وأخذ يتزايد بسرعة ·

الا أن بترول الخليج الفارسي لم يصل انتاجه من جديد بسبب انسداد مضيق هرمز بناقلتين عملاقتين غريقتين كانت زوارق الـ (P.T) التي يقودها ارهابيون عرب قد نسفتهما ·

وقد أعلنت هيئـــــة البترول الدولية التي أنشئت لتمثيل حقول البترول ـ والمؤلفة من الولايات المتحدة وبوليفيا وباراجواى وجمهورية الدومينيكان ـ أعلنت فى يناير ١٩٧٨ وأنه نظرا لتكاليف الامن والتعمير والعمليات المضادة للارهاب ، سوف يكون من الضرورى رفع سعر البترول بنسبة دولار أمريكي للبرميل على سعر الاوبك لعام ١٩٧٥ · وقد أعلن أن هذا الاجراء ، على أية حال ، هو مجرد اجراء مؤقت وأن الهيئة ، بموجب ميثاقها ، سوف تزاول التعامل مع البترول الذى استخرجته وباعته بوصفه احتكارا دوليا عاما » ·

وقد أسفر مؤتمر قمة عربى انعقد في الخرطوم فى شـــــتاء ١٩٧٨ عن اعلان الجهود ـ أو الحرب المقدسة على أمريكا والمصالح الامريكية فى العالم قاطبة · كما سحب اعلان الخرطوم العروض السابقة الخاصة بتسوية الازمة على اسرائيل على أساس حدود ١٩٦٧ · مؤكدا بدلا من ذلك على مشروع الامم المتحدة الاصلى لعام ١٩٤٧ والخاص بالتقسيم ·

وفى الاشهر التى تلت ذلك ، وقعت سلسلة من الهجمـــــات الارهابية على الامريكيين فى أجزاء مختلفة من العالم · وقد ألقيت القنابل على ثلاث سفارات أمريكية وبالرغم من تدابير الامن الجديدة فقد اختطفت طائرتان أمريكيتان أثناء رحلتين لهما عبر الاطلنطي · وفى ربيع ١٩٧٨ وقعت انفجارات القنــــابل فى شيكاغو ونيويورك وفي الميناء الجوي القومي في واشنطون ، أسفرت كلهما عن خسائر فادحة في الارواح · وفى أعقاب كل من هذه الفضائح ، أعلنت اذاعة منظمة التحرير العربية الارهابية مسئوليتها عن تلك الاعمال ·

وقد ردت الحكومة الامريكية على هذه الاستفزازات بطرق عديدة · وبعد مناقشة مطولة وجادة فرض الكونجرس الرئيس بأغلبيات ضئيلة ارسال ٥٠٫٠٠٠ جندى اضافي لتعزيز قوات الامن فى الخليج الفارسى ، وأرسلت وحدات اضافية من البحرية لحراسة مضيق هرمز ·

كما اتخذت تدابير جديدة لمواجهة الارهاب من الداخل وبناء على تقرير أعدته بعثة دراسية خاصة أرسلت الى أسرائيل لدراسة أمن الموانى الجوية ، أعلنت وكالة الطيران الاتحادية أنه سوف يتعين على جميع المسافرين فى رحلات محلية التوجه الى الموانى الجديدة قبل ساعتين من الاقلاع لاجراء الفحوص المتعلقة بالامن · كما أقر الكونجرس مشروع قانون بفرض عقوبة اعدام غير قابلة للاستئناف على جميع الاشخاص الذين يقومون بارتكاب أعمال ارهابية ·

وطوال سنتى ١٩٧٨ و ١٩٧٩ ، وبالرغم من دعوات الرئيس المتكررة الى « الصبر والتحمل » فان التأييد العام لسياسة الحكومة ازاء الشرق الاوسط قد

أخذ يضيف بصورة ثابتة · ان طلب الرئيس الخاص بارسال ٣٠٫٠٠٠ جندي أضافي الى قوة الامن في الشرق الاوسط قد واجه ردا خشنا في الكونجرس · وفي ابريل ١٩٧٩ ، أعلنت منظمة الشباب الامريكي من أجل السلام والعدل في الشرق الاوسط « عن تنظيم مسيرة أخرى جديدة الى واشنطون · وفي الصيف قامت لجنة العلاقات الخارجية التابعة لمجلس الشيوخ بعقد جلسات استماع حول مشروع قرار لالغاء قرار الخليج الفارسي » ·

فبحلول نهاية العام ، أظهرت صناديق استطلاع الرأى هبوط شعبية الرئيس مرة أخرى بنسبة ٢٧٪ بينما وصل التأييد الاسرائيلي الى ما يزيد قليلا عن ٢٩٪ فقط · اتخــذ مؤتمر خاص في الديمقراطيني الليبيراليني في مجلس النواب والشيوخ قرارا صيغ بحذر يدعو اسرائيل من أجل السلام العالمي الى « دراسـة ما اذا كان في وسعها الانسحاب الى خط التقسيم لعام ١٩٤٧ في مقابل ضمان أمريكي » ·

وأصبحت مسألة الشرق الاوسط هي المسألة الطاغية في ترشيحات الرياسة الاولية عام ١٩٨٠ وفي محاولة واضحة للتأثير على الانتخابات ، أعلنت منظمة التحرير العربية في فبراير هجوما عالميا جديدا على الولايات المتحدة · وأعقب ذلك انفجارات أرهابية في هيوستون بوسطن وأدى اطلاق صاروخ يدوى يبدو أنه من أصل سوفيتي الى الحاق ضرر جسيم بالسفارة الامريكية في طوكيو ·

وفي أعقاب هذه الحوادث تزايد تدهور شعبية الرئيس المتداعيــة ، وهبط التأييد لاسرائيل مرة أخرى بنسبة ٢٣٪ وبحلول موعد الانتخابات الاولية في كاليفورنيا في يونيو كان جميــع المرشحين الديمقراطيين قد دعوا اسرائيل الى الانسحاب الى خط التقسيم لعام ١٩٤٧ · وقالت صحيفة الواشنطون بوست في مقال افتتاحي ليس هذا الا ما تتطلبه الاخلاق » ·

هذا ما كان عليه الحال وأنا أكتب ردي على رسالة منظمة الشباب الامريكي من أجل السلام والعدل في الشرق الاوسط ·

« عزيزي السيد الرئيس : يؤسفني بشدة اضطراري الى الامتناع عن قبول دعوتكم للتحدث في اجتماعكم الكبير القادم · فأنا كما تعلمون قد انصرفت عن الاشتغال بالسياسة وأعتقد أن من الافضل ترك الحملات للشباب وللآخرين الذين مازالون على ارتباط نشيط بالعمل السياسي · ثم انني يجب أن أعترف بأنني لست على أتفاق تام مع الاهداف المحددة لمنظمتكم ومع أنني أحبذ انسحابا عسكريا أمريكيــا سريعا ومنظمــا من الشرق الاوســط ، بأنني مازلت متمسكا بقنــاعتي المستمرة منذ عهــد بعيد والخاصة بحق أسرائيل في وجود قومي آمن ضمن حدودها لعام ١٩٧٦ · وأنا أعرف أن هذا الرأى يعتبر بصفة عامة باليا ، بيد أني أتمسك به أيمانا مني بأن الولايات المتحدة يجب أن احترم ألتزاماتها الموقرة ·

« وأخيرا ، فان في الوقت الذى تشــكو فيه السلطة التنفيذية لحكومتنا من الضعف الشديد الناجم عن الاثار المتراكمة لفيتنام ووترجيت وأزمة الشرق الاسط فانه يبدو لي أن من الواجب وقوف بعضنا الى جانب الرئيس » ·

« المخلص ج · فولبرايت »

الملحق التاسع

نقلا عن صحيفة النيويورك تايمز ، ٢ من سبتمبر ١٩٧٥

يسمح الاتفاق الجديد للقوات المصرية بالتقدم الى الحد الشرقى لمنطقة الامم المتحدة السابقة التى كانت قائمة فى ١٩٧٤ وباسـترداد حقول البترول فى أبورديس فى أقصى الجنوب وباقامة الحكم المدنى فى القطاع الساحلى المطل على الخليج تحت رقابة الامم المتحدة ، وبموجب الاتفاق ينسحب الاسرائيليون من ممرى الجـدى ومتلا وتشرف الولايات المتحدة عى شبكات الانذار المبكر فيها (النيويورك تايمز/٢ من سبتمبر ١٩٧٥) ٠

نقلا عن صحيفة النيويورك تايمز ، الاحد ٧ من سبتمبر ١٩٧٥

الفصل الاسرائيلى ـ السورى ، مايو ١٩٧٤

وزارة الاعلام
الهيئة العامة للاستعلامات